كتاب أخبار الاول فيمن تصرف في مصر
من أرباب الدول

تأليف العبد الفقير
الى عفو ربه الكريم الباقي محمد عبد
المعطي بن أبي الفتح بن أحمد
ابن عبد الغني بن علي
الاسحاقي المنوفي
نفعنا الله به
آمين

(وبهامشه تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين)
(تأليف الامام الشيخ عبد الله الشرقاوي رحمه الله تعالى آمين)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك العزيز في ملكه واقتداره الذي ملك الوجود بقوته وأوجده بإرادته واختياره ومالك منه ما شاء لمن شاء مع دوام بقائه على سريره قبل اختياره فأوتي بين مراتب الملوك وأمد بالملائكة كل خاشع نسوك ونظمه في سلك أبراره ووعد من راعى رعاياه أن يظله في ظل عرشه يوم يلقاه ويتلقاه برحمته وإبراره فسبحان من أراد فأدار الأدوار بالحكمة وأنفذ في براياه قضاياه وحكمه وسلم من سلم إليه الأمر من الأسواء والمكاره * أحمده سبحانه وتعالى لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه سائلا منه أن يجعل ظل الخلافة مستمدا من حضرات قدسه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ندخل بها مع السابقين أوسع جنه وتكون لنا من النيران أنفع جنه وأشهد أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله أول شارع لسنة السماحة والحماسه وشارح الصدور بالقول الشارح قضايا الشرع والسياسه وشارط النصح على العمال أهل الولايات والسياسه القائل وقوله لا سبيل إلى رده ولا نقضه مصر كنانة الله في أرضه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الركع السجود وحماة الاتباع والاشياع والجنود الذين عاد بهم الدين في مقام الاعظام والتمييز وشادوا قواعده فهي من عزة النقص والنقض في حرز حريز ولا يزال إن شاء الله تعالى إلى يوم القيامة بكل قائم منهم وهو عزيز *(وبعد)* فإنه لا يخفى على كل ذي ذوق سليم وفهم رائق مستقيم أن فن التاريخ من فاكهة الملاكهة بالغاية القصوى ونهاية الشأن في الطلاوة والجدوى لأنه توقيع وقائع الزمان وتدوين الحوادث الدائرة بها الدوران ألف نفائس كتب الأدبا وألف مطالعته من رق طبعا وراق لبا يطلع الشاهد على ما كان في الغائب خفيا ويودع السمع أسماء أسمار كان لرؤية أهلها محبا كما قال من حاول المعنى وأنبا

فاتني أن أرى الديار بعيني * فلعلي أرى الديار بسمعي

فكم صدر في الصدر الأول من عجائب يتوقف منه عليها وغرائب أحوال نهتدي بسطور السطر وسر إليها وما برح المؤرخون يتناولون المقبول من المنقول عن الدول والمناصب فمن متقن منتق ومن جامع مكثر والناس في الفنون مراتب كما قيل

لقد غرسوا حتى أكلنا وإننا * لنغرس حتى يأكل الناس بعدنا

فمن

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله المبدئ المعيد القديم الباقي المجيد الذي أتقن العالم بحكمته وأبرزه بقدرته فوجد على أحسن مثال وأتم منوال وأظهر كل نوع منه على حسب ما تقتضيه طبيعته وأفاض عليه ما سبق في علمه وتعلقت به إرادته وأيد من شاء من عباده بتنفيذ الأحكام وأودع فيه خصوصية لا توجد في غيره من بقية الأنام والصلاة والسلام على أول مظهر للذات العليه وأفضل من أفيضت عليه الأسرار الإلهيه وجمع فيه ما تفرق من الكمالات الإنسانيه ودعا الناس إلى التوحيد وترك العناد وجاهد في الله

عن لى أن أحتبر ما يليق بالجمع وأسمار ما يروق بالسمع من حكايات باهره وأذكر من ولى مصر والقاهره ذاهبا مذهب الايجاز والتهذيب آخذا عن النقل المبرا من التكذيب مما جمعت فوعيت وجمعت فأوعيت مع ايراد ما شاهدته فى الزمن عيانا وحققت عن معنى نوادره البديعه بيانا فكان كتابا حسنا فى بابه ممتعا لمن تعلق بأسبابه أنيسا لمحل مؤانسته وجليسا لاكمل مجالسته تستروح اليه النفوس وتجد فى مطالعته ما تجده فى معاطاة الكؤس كما قيل

لم يبق شئ من الدنيا نسر به * الا الدفاتر فيها الشعر والسمر

فجاء بحمد الله فى حاشية نحوه الرفيع وطرة نسخه البديع فى دولة رافع عماد المملكة الشريفه مجدد نظام الدولة العثمانية المنيفه شامل الرعايا بظل معدلته الوريفه مجمل التخت الشريف بعز حضرته اللطيفه المختص بما استحق أن يكون على الخليقة الخليفه القائم من الالتفات الى الصلاح والاصلاح بأرفع وظيفه الراقى مراتب العز لما كمل طالعه سعدا وشرفا الماحى بصوارمه من بغى فى الارض بغيا وسرفا من اقتدى بأبيه وجده فى عدله وجده واقتفى سرير الملك مولانا السلطان مصطفى لا برحت ألويه ولايته فى الخافقين خافقه وألسنة الاقلام مدى الايام بمدحه ناطقه ولا برحت الكواكب تقبل سدته العليه والثريا بالاعتاق الملاعانقه كما غدت ريح الصبا الثرى أعتابه ناشقه والآفاق بفائق مجده وحدائق أنسه باسقه * (وسميته لطائف أخبار الاول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول) * وقد رأينا ان نقسم هذا الكتاب الى مقدمة وعشرة أبواب وخاتمه * المقدمة فى فضائل مصر وذكرها فى كتاب الله المبين وما ورد فيها من أحاديث سيد المرسلين ومن كان بها من الانبياء والصديقين وغير ذلك على ما يأتى بيانه مفصلا ان شاء الله تعالى والله تعالى أسأل أن يحسن بختامه كالاول * الباب الاول فى خلافة الخلفاء الاربعة ومن ولى بعدهم وهو الحسن ابن على بن أبى طالب * الباب الثانى فى دولة بنى أمية * الباب الثالث فى الدولة العباسية * الباب الرابع فيمن ولى مصر من نواب الخلفاء الراشدين وبنى أمية والعباسية وما داخلها من نواب بنى طولون والاخشيدية * الباب الخامس فى دولة الفواطم * الباب السادس فى دولة الايوبية السنية * الباب السابع فى الدولة التركية المعروفين بالمماليك البحرية * الباب الثامن فى دولة الجراكسة * الباب التاسع فى ظهور ملوك آل عثمان وهى دولة أقرت العيون وسرت الاعيان اذ جاءت منقادة للشرع سيد ولد عدنان أدام الله تعالى بقاءها ما دام الفرقدان * الباب العاشر فيمن تصرف بمصر من نواب آل عثمان المكرمين وأحصاء الوزراء المعظمين وايراد أخبارهم ومدة مقامهم بالديار المصرية وأحكامهم * الخاتمة فى مواعظ ونصائح وسلوك وآداب للسلاطين والملوك * (المقدمة) * أقول وبالله المستعان أما مصر حرسها الله تعالى فان الله عز وجل ذكرها فى كتابه العزيز فى ثمانية وعشرين موضعا منها ما هو صريح ومنها ما دلت عليها القرائن وكتب التفسير قال الله تعالى مخبرا عن فرعون أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى قال ابن الجوزى يفتخر فرعون بنهر ما أجراه الله أجراه ما أجراه وقال تعالى ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق وقال تعالى فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم الى وأورثناها بنى اسرائيل وقال تعالى كم تركوا من جنات وعيون الى وأورثناها قوما آخرين يعنى قوم فرعون فان بنى اسرائيل ورثوا مصر بعدهم وقال بعض المفسرين المقام الكريم الفيوم وقيل ما كان لهم من المنابر والمجالس وقيل سمى كريما لانه مجلس الملوك قاله مجاهد وسعيد بن جبير وقالا هى المنابر وقال تعالى وآويناهما الى ربوة قال ابن عباس وسعيد ابن المسيب ووهب بن منبه وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم هى مصر والربى لا تكون الا بمصر وقال تعالى اهبطوا مصرا وقال تعالى ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وقال تعالى ونمكن لهم فى الارض وقال تعالى ادخلوا الارض المقدسة وقال تعالى لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض وقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وقال تعالى ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك وقال تعالى وأوحينا الى موسى وأخيه ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا وقال تعالى أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض وقال تعالى اجعلنى على

حق جهاده وبلغت دعوته سائر البلاد وعلى من ورث حاله من الآل والاصحاب ومن تبعهم الى يوم التناد آمين

* (أما بعد) * فيقول كثير المساوى عبد الله بن حجازى الشهير بالشرقاوى انه لما حل ركاب الصدر الاعظم والوزير الافخم والدستور الاكرم حضرة مولانا الوزير يوسف باشا بلغه الله تعالى من المرادات ما شا بمدينة بلبيس فى شهر رمضان المعظم سنة أربع وعشرة ومائتين بعد حصول الصلح بينه وبين طائفة الفرنساوية فى قلعة العريش وذهبت مع بعض علماء مصر لملاقاته طلب منى بعض الاخوان من أتباع ذلك الصدر الاعظم أن أجمع كتابا متضمنا الواقعة الحال المذكورة فأجبته الى ذلك مستعينا بعون القادر

خزائن الارض وقال تعالى واقد مكنا ليوسف فى الارض يتبوأ منها حيث يشاء وقال تعالى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا وقال تعالى وقدر فيها أقواتها وقال تعالى ارم ذات العماد قال محمد بن كعب القرظى هى الاسكندرية وقال تعالى عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض وقال تعالى وجاء من أقصى المدينة قال بعض المفسرين هى منف وقال تعالى ان فرعون علا فى الارض وقال تعالى فلن أبرح الارض وقال تعالى ان تريد الا ان تكون جبارا فى الارض قال ابن عباس سميت مصر بالارض كلها فى عشرة مواضع (ومن السنة) قوله صلى الله عليه وسلم ستفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم ذمة ورحما وقال صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا بها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الارض فقال له أبو بكر رضى الله عنه لم يا رسول الله قال لانهم وأزواجهم فى رباط الى يوم القيامة وفى حديث ستفتح عليكم بعدى مدينة يذكر فيها القيراط فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما فالوا ما رحمهم وذمتهم قال اما رحمهم فأم اسمعيل عليه السلام وأما ذمتهم فأم ابراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم ويقال هاجر من قرية يقال لها أم دنين وقيل أصلها من مدينة عين شمس التى تسمى الآن بالمطرية ومارية من قرية يقال لها حفن وقيل من أهل كورة انصنا واسم أبيها شمعون وتوفيت فى المحرم سنة خمس عشرة من الهجرة ودفنت بالمدينة وقوله صلى الله عليه وسلم فى أهل مصر ما كادهم أحد الا كفاهم الله مؤنته وقال عليه أفضل الصلاة والسلام مصر أطيب الارض ترابا وعجمها أطيب العجم وقال عليه أفضل الصلاة والسلام قسمت البركة عشرة أجزاء تسعة بمصر وجزء بالامصار كلها وقوله عليه أفضل الصلاة والسلام مصر خزائن الله والجيزة غيضة من غياض الجنة وقد روى الحافظ أبو بكر بن ثابت من حديث نبيط ابن ربيط قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيزة روضة من رياض الجنة ومصر خزائن الله فى أرضه ذكر ذلك المقريزى فى خططه عند ذكر الجيزة قال عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما لما خلق الله آدم عليه السلام مثل له الدنيا شرقها وغربها وسهلها وجبلها وأنهارها وبحارها وبناءها وخرابها ومن يسكنها من الامم ومن يملكها فلما رأى مصر وأرضها ذات نهر جار ومادته من الجنة تنحدر فيه البركة وتمزجه الرحمة ورأى جبلا من جبالها مكسوا بالنور لا يخلو من نظر الحق اليه فى سفحه أشجار مثمرة فروعها فى الجنة تسقى بماء الرحمة فدعا آدم عليه السلام للنيل بالبركة ودعا لارضها بالرحمة والبر والتقوى وبارك فى سهلها وجبلها سبع مرات فقال أيها الجبل المرحوم سفحك جنة وتربتك مسكة لا تخلو يا مصر من بركة ولا زال فيك ملك وعز فيك الخبايا والكنوز ساق نهرك عسلا كثر الله زرعك وأدر ضرعك وزكى نباتك وعظم بركتك *(فائدة)* النقباء ثلثمائة والنجباء سبعون والابدال أربعون والاخيار سبعة والعمد أربعة والغوث واحد فمسكن النقباء المغرب ومسكن النجباء مصر ومسكن الابدال الشام والاخيار سياحون فى الارض والعمد فى زوايا الارض ومسكن الغوث مكة فاذا حدث للعامة أمر ابتهل النقباء ثم النجباء ثم الابدال ثم الاخيار ثم العمد فان أجيبوا والا ابتهل الغوث فلا تتم مسألته حتى تجاب دعوته وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال كان لنوح عليه أفضل الصلاة والسلام أربعة من الولد حام وسام ويافث ويحطون وان نوحا رغب الى الله عز وجل وسأله أن يرزقه الاجابة فى ولده وذريته حتى يعلموا بالنماء والبركة فوعده ذلك فنادى نوح ولده وهم نيام عند السحر فلم يجبه الا ابنه سام وارفخشذ فانطلق امامه فوضع نوح يمينه على سام وشماله على أرفخشذ وسأل الله عز وجل أن يبارك فى سام وأن يجعل الملك والنبوة فى ولده أرفخشذ ثم نادى حاما وتلفت يمينا وشمالا فلم يجبه ولم يقم اليه هو ولا أحد من ولده فدعا الله عز وجل نوح أن يجعل ولده أذلاء وأن يجعلهم عبيدا لولد سام وكان مصر بن بيصر بن حام نائما الى جنب جده حام فلما سمع دعاء نوح على جده وولده قام يسعى الى نوح وقال يا جدى قد أجبتك ولم يجبك أبى ولا أحد من ولده فاجعل لى دعوة من دعائك ففرح نوح ووضع يده على رأسه وقال اللهم انه قد أجاب دعوتى فبارك فيه وفى ذريته وأسكنه الارض المباركة الطيبة التى هى أم البلاد وغوث العباد قال الشاعر

الا انى ذكرت فيه ما يتعلق بمصر وحكامها من أول الزمان الى وقتنا هذا (وسميته) غبطة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين ورتبته على مقدمة وثلاثة أبواب *(المقدمة)* فى فضائل مصر وما ورد فيها من الآيات والاخبار ومن كان فيها من الانبياء والصديقين وغير ذلك (الباب الاول) فى خلافة الخلفاء الاربعة ومن ولى بعدهم وهو الحسن ابن على وفى دولة بنى أمية والدولة العباسية ومن ولى بمصر من نواب الخلفاء والدولتين المذكورتين ومن دخل فى ذلك بالتغلب من ابن طولون والاخشيدية (الباب الثانى) فى دولة الفواطم والدولة الايوبية والدولة التركية المعروفين بالمماليك العربية ودولة الجراكسة (الباب

من شاهد الارض واقطارها * والناس أنواعا وأجناسا
ولا رأى مصرا ولا أهلها * فما رأى الدنيا ولا الناسا

(وقال آخر)
لعمرك ما مصر بمصر وانما * هى الجنة العليا لمن يتفكر
وأولادها الولدان من نسل آدم * وروضتها الفردوس والنيل كوثر

(وقال آخر)
اذا كنت فى مصر ولم تك ساكنا * على نيلها الجارى فما أنت فى مصر
وان كنت فى مصر بشاطئ نيلها * ومالك من شئ فما أنت فى مصر
وان كنت ذا شئ ولم تك صاحبا * لالف له لطف فما أنت فى مصر
وان كنت ذا الف ولم تك مالكا * لكيس حوى ألفا فما أنت فى مصر
وان حزت ما قلنا ولم تك هائما * بخيل لمن تهوى فما أنت فى مصر

وكان بمصر من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابراهيم الخليل واسمعيل ويعقوب واثنا عشر سبطا من أولاد يعقوب ويوسف ومن الانبياء ادريس وموسى وهرون ويوشع بن نون ودانيال وأرميا ولقمان وعيسى ابن مريم ولد باهناس ثم سار الى الشام قال الجلال السيوطى رحمه الله ناظما لمن حل مصر من الانبياء بوفاق وخلاف ومن جملتهم الاربع نسوة المختلف فى نبوتهن

قد حل فى مصر نبيا تدرو وازمن * من النبيين زادوا مصر تأنيسا
ذهاك يوسف والاسباط مع أبيهم * وجاء دانيال وخليل الله ادريسا
لوطا وأيوب ذا القرنين خضر سليـ * ـمان أرميا يوشعا هرون مع موسى
وأمه سارة لقمان آسية * ودانيالا وشعيا مريما عيسى
شيثا ونوحا واسمعيل قد ذكروا * لازال من أجلهم ذا العصر محروسا

وكان بها من الصديقين مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وكان من وزراء فرعون الذين وصفهم الله بالعقل وفضلهم على قومه وذهب قوم الى انه كان ابن عمه وأخاه وقال وزراءه وذاقتلوه أو حرزوه قال البيضاوى فى تفسيره عند قوله تعالى واجعل لى وزيرا من أهلى ان اشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يحمل الثقل عن أميره أو من الوزر وهو الملجأ لان الامير يعتصم برأيه ويلتجئ اليه فى أموره ومنه الموازرة وقيل أصله أزير من الازر بمعنى القوة كالعشير والجليس وكان بها من السحرة الذين أحضرهم فرعون لموسى اثنا عشر ساحرا رؤساء تحت يد كل ساحر عشرون عريفا تحت يد كل عريف ألف من السحرة فكان جميع السحرة مائتى ألف وأربعين ألفا ومائتين واثنين وسبعين ساحرا الرؤساء والعرفاء فلما عاينوا ما عاينوا أيقنوا أن ذلك من السماء وأن السحر لا يقاوم أمر الله فآمنوا جميعا فى ساعة واحدة ولم يعلم أن جماعة أسلموا فى ساعة واحدة أكثر من جماعة القبط قال المهدوى فى تفسيره ان السحرة الذين حشرهم فرعون من سبع مدائن وهى شطى وبوصير وبنها وطنان وأرمنت وأسيوط وانصنا ومع ذلك لم يغن عنهم عددهم ولا كثرة عددهم بل لما ألقى موسى عصاه باذن الرب الاله خروا ساجدين وقالوا آمنا برب العالمين قيل انه لما ألقى موسى عصاه فاذا هى ثعبان مبين أى حية صفراء فاتحة فاها بين لحييها ثمانون ذراعا وقيل انها ارتفعت من الارض قدر ميل وقامت على ذنبها واضعة فكها الاسفل فى الارض والاعلى على سطح القصر الذى فيه فرعون فوثب فرعون هاربا وأحدث قيل أخذته البطنة فى ذلك اليوم أربعمائة مرة وحملت على الناس فانهزموا ومات منهم خلق كثير ذكر البيضاوى فى تفسيره فى سورة الاعراف عند قوله تعالى فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين لما انهزم الناس مزدحمين مات منهم خمسة وعشرون ألفا وذكر ان فرعون صاح وقال خذها يا موسى وأنا أومن بك وأرسل معك بنى اسرائيل فأخذها فعادت عصا فلم يؤمن فرعون بل كفر وعصى وكان بمصر من الصديقات آسية امرأة فرعون التى سألت ربها عز وجل أن يبنى لها عنده بيتا فى الجنة وأن ينجيها من فرعون وعمله فاستجيب لها بصبرها على محنة فرعون قال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم شممت فى الجنة ليلة الاسراء رائحة

الثالث)* فى دولة آل عثمان المؤيدة بالنصر فى كل وقت وأوان أدام الله بقاءها مادام الفرقدان بجاه سيد ولد عدنان وفيمن تصرف فى مصر من نوابهم وايراد أخبارهم ومدة مقامهم بالديار المصرية وأحكامهم *(المقدمة فى فضائل مصر وما ورد فيها الى آخر ما سبق)* اعلم ان مصر قد ذكرت فى القرآن العزيز فى أكثر من ثلاثين موضعا كما قاله السيوطى فى كتابه حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة بعضها بطريق الصراحة وبعضها بطريق الكناية قال تعالى اهبطوا مصرا أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا وقال الذى اشتراه من مصر ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين أليس لى ملك مصر وقال نسوة فى المدينة ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فاصبح فى

ما شممت أطيب منها فقلت يا جبريل ما هذه فقال الرائحة آسية امرأة فرعون وصاهر أهل مصر من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابراهيم الخليل تسرى بهاجر ام اسمعيل وتزوج يوسف الصديق بنت عين شمس وتزوج أيضا زليخا بعد أن عجزت وعميت فدعا الله تعالى فرد عليها بصرها وجمالها ورزق منها الولد وتسرى نبينا صلى الله عليه وسلم بمارية القبطية التى أهداها له المقوقس ملك مصر فولدت من النبى صلى الله عليه وسلم ابراهيم عليه السلام ومات رضيعا ودفن بالبقيع ظاهر طيبة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وولدته فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة ومات فى ربيع الاول سنة عشر وكان عمره ستة عشر شهرا وصلى عليه النبى صلى الله عليه وسلم وقال ألحق بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون رضى الله عنه وقال عليه أفضل الصلاة والسلام ان له ظئرا أى مرضعا يتم رضاعه فى الجنة وقال عليه أفضل الصلاة والسلام لو عاش ابراهيم لوضعت الجزية عن كل قبطى وحزن عليه صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا حتى دمعت عيناه الشريفتان وقال ان العين لتدمع وان القلب ليحزن ولا نقول الا ما يرضى ربنا وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون قال أبو بكر البرقى جميع أولاد النبى صلى الله عليه وسلم سبعة القاسم وعبد الله وابراهيم وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة كلهم من خديجة الا ابراهيم والمايات القاسم ثم ابراهيم ثم عبد الله قال العاص بن وائل السهمى قد انقطع ولده فهو أبتر فأنزل الله تعالى ان شانئك هو الابتر ولم تزل مصر دار العلماء والحكماء فمنهم الاسكندر ذو القرنين صاحب السد الذى ذكره الله فى كتابه العزيز فى سورة الكهف فانه على اختلاف الاقوال ملك الارض كلها وبلغ مغرب الشمس ومشرقها وبنى الاسكندرية المشهورة واسكندرية أخرى ببلاد الجوت واسكندرية أخرى ببلاد الروم وبنى سمرقند والمناظر والابراج ذكر الدماميني فى كتابه عين الحياة ان محمد بن الربيع الجيزى روى فى مسنده عمن دخل مصر من الصحابة عن عقبة بن عامر رضى الله عنه انه قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أخدمه فاذا أنا برجال من أهل الكتاب معهم مصاحف أو كتب فقالوا استأذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرفت اليه صلى الله عليه وسلم وأخبرته بمكانهم فقال صلى الله عليه وسلم مالى ومالهم يسألونى عما لا أدرى انما أنا عبد ولا أعلم الا ما علمنى ربى تعالى ثم قال أبغى وضوءا فتوضأ ثم قام الى مسجد فى بيته ثم ركع ركعتين فلم ينصرف حتى عرفت السرور فى وجهه والبشر ثم انصرف فقال اذهب فأدخلهم ومن وجدته معهم بالباب من أصحابى فأدخله قال فأدخلتهم فلما رفعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان شئتم سألتم وان شئتم أخبرتكم قالوا بلى أخبرنا قبل أن نسأل قال جئتم تسألونى عن ذى القرنين وسأخبركم عما تجدونه عندكم مكتوبا انه أول أمره غلام من الروم أعطى ملكا فسار حتى جاء ساحل أرض مصر فابتنى عنده مدينة يقال لها الاسكندرية فلما فرغ من بنائها أتاه ملك فعرج به حتى استقله فرفعه ثم قال انظر ما تحتك فقال أرى مدينتى وأرى مدائن معها ثم عرج به فقال انظر فقال اختلطت مدينتى مع المدائن فلم أعرفها ثم زاد فقال انظر فقال أرى مدينة واحدة لا أرى غيرها فقال له الملك انما تلك الارض كلها والذى ترى محيطا بها هو البحر وانما أراد ربك عز وجل ان يريك الارض وقد جعل لك سلطانا وسوف تعلم الجاهل وتثبت العالم فسار حتى بلغ مغرب الشمس ثم سار حتى بلغ مطلع الشمس ثم أتى الى السدين وهما جبلان لينان يزلق عنهما كل شئ فبنى السد ثم جاز يأجوج ومأجوج ثم قطعهم فوجد قوما وجوههم وجوه الكلاب يقاتلون يأجوج ومأجوج ثم قطعهم فوجد قوما قصارا يقاتلون القوم الذين وجوههم وجوه الكلاب ثم مضى فوجد أمة من الحيات تلتقم الحية منهم الصخرة العظيمة ثم أفضى الى البحر المحيط بالارض فقالوا نشهد أن أمره كان هكذا كما ذكر وانا نجد هذا فى كتبنا وكان بمصر من حكماء الطب والهندسة والكيمياء وعلوم الرصد والحساب والمساحات عدة منهم أفلاطون وبطليموس وسقراط وارسطاطاليس وجالينوس وكان فى الازمنة الاول تسير الى مصر أرباب العلوم والحكم لتكون اذهانهم على الزيادة وقوة الذكاء وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه سأل كعب الاحبار عن طبائع البلدان واختلاف سكانها فقال ان الله لما خلق الاشياء جعل كل شئ لشئ فقال العقل أنا لاحق بالشام فقالت الفتنة

المدينة خائفا يترقب وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين وهى مصر لان الربى لا تكون الا بها قال اجعلنى على خزائن الارض وكذلك مكنا ليوسف فى الارض فلن أبرح الارض حتى يأذن لى أبى ان فرعون علا فى الارض ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونمكن لهم فى الارض الا أن تكون جبارا فى الارض ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض أو أن يظهر فى الارض الفساد أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف

وانا

وأنا معك وقال الخصب وأنا لاحق بمصر فقال الذل وأنا معك وقال الشقاء أنا لاحق بالبادية فقالت الصحة وأنا معك ويقال لما خلق الله الخلق خلق معهم عشرة أشياء الايمان والحياء والنجدة والفتنة والكبر والنفاق والغنى والفقر والذل والشقاء فقال الايمان أنا لاحق باليمن فقال الحياء وأنا معك وقالت النجدة أنا لاحقة بالشام فقالت الفتنة وأنا معك وقال الكبر أنا لاحق بالعراق فقال النفاق وأنا معك وقال الغنى أنا لاحق بمصر فقال الذل وأنا معك وقال الفقر أنا لاحق بالبادية فقال الشقاء وأنا معك وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال المكر عشرة أجزاء تسعة منها فى القبط وواحد فى سائر الناس ويقال ان الغدر عشرة أجزاء تسعة فى اليهود وواحد فى سائر الناس والحق عشرة أجزاء تسعة فى المغاربة وواحد فى سائر الناس والقسوة عشرة أجزاء تسعة فى الترك وواحد فى سائر الناس والشجاعة عشرة أجزاء تسعة فى العرب وواحد فى سائر الناس والبلم عشرة أجزاء تسعة فى العبيد وواحد فى سائر الناس وقد ملك مصر سبعة من الكهنة ولهم الاعمال العجيبة والامور الغريبة (الكاهن الاول) اسمه صيلم وهو أول من اتخذ مقياسا لزيادة النيل وعمل بركة من نحاس وعليها عقابان ذكر وأنثى وفيها قليل من الماء فاذا كان أول شهر يزيد فيه النيل اجتمعت الكهنة وتكلموا بكلام فيصفر احد العقابين فان كان الذكر كان النيل عاليا وان كان الانثى كان النيل ناقصا (الكاهن الثانى) اسمه اعشامش من أعماله العجيبة انه عمل ميزانا فى هيكل الشمس وكتب على الكفة الاولى حقا وعلى الثانية باطلا وعلى تحتها فصوصا فاذا احضر الظالم والمظلوم أخذ فصين وسمى عليهما ما يريد وجعل كل فص منهما فى كفة فتثقل كفة المظلوم وترتفع كفة الظالم *(الكاهن الثالث)* عمل مرآة من المعادن فينظر فيها الاقاليم السبعة فيعرف ما أخصب فيها وما أجدب وما حدث من الحوادث وعمل فى وسط المدينة صورة امرأة جالسة فى حجرها صبى كأنها ترضعه فأى امرأة أصابها وجع فى جسمها مسحت ذلك الموضع فى جسد تلك الصورة فتبرأ من ساعتها (الكاهن الرابع) عمل شجرة لها أغصان من حديد بخطاطيف اذا قرب منها الظالم خطفته وتعلقت به فلا تفارقه حتى يرد مظلمه وعمل صنما من كدان أسود وسماه عبد زحل يتحاكمون اليه فمن زاغ عن الحق ثبت فى مكانه ولم يقدر على الخروج حتى ينصف من نفسه ولو أقام سبع سنين *(الكاهن الخامس)* عمل شجرة من نحاس فكل وحش وصل اليها لم يستطع الحركة حتى يؤخذ فشبعت الناس فى أيامه لحما وعمل على باب المدينة صنمين صنما عن يمين الباب وصنما عن شماله فاذا دخل أحد ان كان من أهل الخير ضحك الصنم الذى عن يمين الباب وان كان من أهل الشر بكى الصنم الذى عن يسار الباب *(الكاهن السادس)* عمل درهما اذا اشترى صاحبه شيئا اشترط ان يزن له وزنه من النوع الذى يشتريه فاذا وضع فى الميزان ووضع فى مقابلته كل ما وجد من الصنف الذى يريد شراءه لم يعدله ووجد هذا الدرهم فى كنوز مصر فى أيام بنى أمية (الكاهن السابع) كان يعمل اعمالا عجيبة من جملتها انه كان يجلس فى السحاب فى صورة انسان عظيم فأقام مدة ثم غاب فأقاموا بلا ملك الى أن رأوه فى صورة الشمس فى برج الحمل فأخبرهم انه لا يعود اليهم وأن يولوا فلانا بعده * ومن فضائل مصر أنها تمير أهل الحرمين وتوسع عليهم ومصر يحمل خيرها الى ما سواها وأهلها يستغنون بها عن كل بلدة حتى لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور لاستغنى أهلها بما فيها عن سائر البلاد ومن محاسن مصر انه يوجد فيها فى كل شهر من شهور القبط صنف من المأكول والمشموم فيقال رطب توت ورمان بابه وموز هاتور وسمك كيهك وماء طوبه وخروف امشير ولبن برمهات وورد برموده ونبق بشنس وتين بؤنه وعسل أبيب وعنب مسرى ومن محاسن مصر أيضا ما روى عن عمير الغفارى أنه سمع ابن العاص يقول فى خطبته اعلموا يا أهل مصر انكم فى رباط الى يوم القيامة لكثرة الاعداء حولكم ولاشراف قلوبهم اليكم والى دياركم فان دياركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية وعن عبد الرحمن الاشعرى أنه قدم من الشام الى عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له عبد الله ما أقدمك بلادنا فقال كنت تحدثنى أن مصرا أسرع الارض خرابا ثم أراك قد اتخذت فيها القصور واطمأننت فيها قال ان مصر قد أوفت خرابها حطمها بختنصر فلم يدع فيها الا السباع والضباع فهى

تعملون وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها يريد أن يخرجكم من أرضكم فى الموضعين ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم قيل المقام الكريم الفيوم وقيل ما كان لهم من المنابر والمجالس التى تجلس فيها الملوك كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق كمثل جنة بربوة ادخلوا الارض المقدسة قيل هى مصر أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو فجعل الشام بدوا وسمى مصر مصرا ومدينة وقد اشتهر على ألسنة كثير من الناس فى قوله تعالى سأريكم دار

اليوم أطيب الارض ترابا وأبعدها خرابا ولا تزال فيها بركة مادام في شيء من الارض بركة ويقال ان مصر متوسطة في الدنيا سلمت من حر الاقليم الاول ومن برد الاقليم السادس والسابع ووقعت في الاقليم الثالث فطاب هواؤها ونقص حرها وخف بردها وسلم أهلها من مشاتي الاهواز ومصايف عمان وصواعق تهامة ودماميل الجزيرة وجرب اليمن وطواعين الشام وبرسام العراق وطحال البحرين وعقارب عسكر مكرم وحمى خيبر وأمنوا من غارات الترك وهجوم العرب ومكايد الديلم ونزف الانهار وقحط الامطار وقال عبد الله ابن عمرو خلقت الدنيا على صورة طائر برأسه وصدره وجناحيه وذنبه فالرأس مكة والمدينة واليمن والصدر الشام ومصر والجناح الايمن العراق وخلف العراق أمة يقال لها واق وخلف واق أمة يقال لها واق واق وخلف ذلك أمم لا يعلمها الا الله تعالى والجناح الايسر السند وخلف السند الهند وخلف الهند أمة يقال لها ناسك وخلف ناسك أمة يقال لها منسك وخلف ذلك أمم لا يعلمها الا الله تعالى والذنب من ذات الحمام الى المغرب وشر ما في الطير الذنب وقد ملك مصر أربعة وثلاثون فرعونا أقلهم عمرا مائتا سنة وأكثرهم عمرا ستمائة سنة ولم يكن فيهم أعتى ولا أشر من فرعون موسى قال وهب بن منبه كان فرعون موسى قصيرا وطول لحيته سبعة أشبار وقيل كان طوله قدر ذراع قال قتادة الفراعنة ثلاثة أولهم سنان بن الاشل صاحب سارة كان في زمن الخليل بمصر الثاني الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف الثالث الوليد بن مصعب ملك مصر وهو فرعون موسى وهو عات وكل عات فرعون والعتاة الفراعنة * (فائدة) * لا بأس بذكرها روى أبو الحاكم قال أبو عبد الله وهب بن منبه بن كامل بن سيح الصنعاني ويقال الزماري والزمارة قرية من قرى صنعاء على مرحلتين منها ولد سنة أربع وثلاثين في خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه لقي عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وبن العاص وعبد الرحمن بن عمر وبن العاص وجابر بن عبد الله وأبا هريرة وعبد الله ابن الزبير وأنس بن مالك والنعمان بن بشير وأبا سعيد الخدري وعن أحمد بن عطاء قال سمعت سلمة ابن همام بن منبه يذكر عن آبائهم وهبا أصله من خراسان من بلاد هراة ومنبه من أهل هراة خرج فوقع الى فارس أيام كسرى وكسرى أخرجه من هراة ثم أسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكن هو وأولاده باليمن وقد روي عن أبي زرعة أنه قال وهب بن منبه يمانى ثقة وفي رواية عن أبي زرعة أن وهب ابن منبه تابعي ثقة توفي بصنعاء سنة ست عشرة ومائة وقيل سنة أربع عشرة ومائة وهو ابن ثمانين سنة روي عن مثنى بن الصباح أنه قال رأيت وهب بن منبه أربعين سنة لم يسب شيئا فيه روح ولبث عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوأ قال وهب بن منبه لقد قرأت اثنين وسبعين كتابا منزلا على اثنين وسبعين نبيا وفي رواية لمسلم بن خالد قال لبث وهب بن منبه أربعين سنة لا يرقد على فراش وقال وهب بن منبه لقد قرأت نيفا وسبعين كتابا في الكنائس ونيفا وعشرين كتابا لا يعلمها الا قليل من الناس وجدت فيها كلها من وكل نفسه الى شيء من المشيئة فقد كفر ومن كلام وهب بن منبه ثلاثة من كن فيه أصاب البر سخاوة النفس والصبر على الاذى وطيب الكلام وقال أيضا اذا سمعت الرجل يمدحك بما ليس فيك فلا تأمنه أن يذمك بما ليس فيك وقيل جاء رجل الى وهب بن منبه فقال له ان فلانا شتمك فقال له أما وجد الشيطان بريدا غيرك وعن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في أمتي رجلان أحدهما يقال له وهب بن منبه يؤتيه الله الحكمة والآخر يقال له غيلان هو على أمتي أشد من ابليس * رجعنا الى ما نحن بصدده من أمر فرعون موسى قيل ان فرعون موسى ملك مصر خمسمائة سنة لم يصبه ألم ولا نصب ولم يزل يتخول في نعم الله تعالى الى أن أخذه الله نكال الآخرة والاولى قال ابن عباس رضي الله عنهما الاولى قوله ما علمت لكم من اله غيري والاخرى قوله أنا ربكم الاعلى قال فعذبه الله في أول النهار بالماء وفي آخره بالنار ولم يكن فرعون من أولاد الملوك وانما كان عطارا باصبهان أفلس وركبته الديون فخرج هاربا فأتى الشام فلم يستقم حاله فجاء الى مصر فرأى ملكها مشتغلا بلهوه فتوصل اليه بحيلة وخرج الى المقابر وسمى نفسه عامل الاموات وصار يأخذ من كل ميت جعلا حتى بلغ الملك خبره وكلمه فأعجبه عقله ومعرفته فاستوزره ثم قتل الوزير فسار في الناس سيرة

الفاسقين قال مصيرهم فصفت بمصرهم (وقد ورد) في مصر عدة أخبار منها ما روي عن كعب بن مالك عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا افتتحتم مصر فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما (وفي صحيح مسلم) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما وقال صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا بها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الارض فقال أبو بكر ولم يارسول الله قال لانهم وأزواجهم في رباط الى يوم القيامة (وأما حديث) ان مصر ستفتح فانتجعوا خيرها ولا تتخذوها دارا فانه يساق اليها أقل الناس أعمارا

حسنة وكان عدلا مرضيا يقضي بالحق ولو على نفسه فأحبه الناس لكثرة عدله فتوفي الملك فولوه عليهم فعاش زمنا طويلا حتى مات منهم ثلاثة قرون وهو باق فبطر وتجبر وبغى وقال أنا ربكم الاعلى فاستخف قومه فأطاعوه وقال موسى يارب ان فرعون عبدك مائتي سنة فكيف أمهلته فأوحى الله تعالى الى موسى انه عمر بلادي وأحسن الى عبادي فلما أراد الله تعالى هلاك فرعون خرج في طلب موسى عليه الصلاة والسلام وفي طلب بني اسرائيل وكان على مقدمة فرعون هامان في ألف ألف وستمائة ألف سوى القلب والجناحين ولم يخرج معه من عمره فوق الاربعين ولا دون العشرين وكان في عسكره ذلك اليوم سبعون ألف أدهم وقيل مائتا ألف حصان من الدهم فلما انتهى موسى ومن معه من بني اسرائيل الى بحر القلزم وهو منتهى حد مصر من شرقيها المعروف الآن ببركة الغرندل فيما بين السويس والطور وهاجت الرياح وترا كمت الامواج كالجبال فقال يوشع بن نون يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون من ورائنا والبحر أمامنا فقال موسى عليه الصلاة والسلام الى ههنا فخاض يوشع الماء وقال الذي يكتم ايمانه وهو حزقيل مؤمن آل فرعون يا كليم الله أين أمرت قال ههنا فكبح حزقيل فرسه أي كفها بلجامها حتى طار الزبد من شدقيها ثم أدخلها البحر فارتسبت في الماء أي غارت فذهب قوم موسى يفعلون مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى عليه أفضل الصلاة والسلام لا يدري كيف يصنع فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فاذا مؤمن آل فرعون واقف على فرسه وصار البحر اثني عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم بينهم مسالك فدخل كل سبط من بني اسرائيل مسلكا يرى بعضهم بعضا من خلال الماء ودخل فرعون وقومه في أثرهم فلما استقروا جميعا أطبق الله البحر عليهم فأغرق فرعون ومن معه جميعا كما قال الله تعالى في كتابه المبين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين وممن غلب على مصر من الفراعنة بختنصر وهو من قرية من قرى بابل يقال لها هو ولم يعرف له أب واختلف في ايمانه حتى انه شبه بأعمال سحرة فرعون وذلك بعد ان خرب بيت المقدس وملك مصر واستولى عليها وأخذها من أيدي القبط وبقيت مصر خرابا أربعين سنة ليس بها أحد ثم ردهم بختنصر فعمروها وملك عليهم رجلا من جهته ومن ذلك الوقت بقيت مصر معمورة قال صاحب الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل ان أرمياء النبي عليه أفضل الصلاة والسلام رأى بختنصر فدعاه وهو صبي أقرع أكل خبزا ويتعوط ويقتل قملا فقال له ماهذا فقال أذى يخرج ومنفعة تدخل وعدو يقتل فقال له سيكون لك شأن وكانت ولاية بختنصر قبل الهجرة النبوية بألف وثلاثمائة وسبع وتسعين سنة ومائة وسبعة عشر يوما وقد أهلك الله بختنصر ببعوضة دخلت في دماغه ونجى الله من بقي من بني اسرائيل ولم يبق ببابل أحد قيل سئل وهب بن منبه عن بختنصر أمات مسلما فقال وجدت أهل الكتاب مختلفين فيه فقال بعضهم آمن قبل أن يموت وقال بعضهم قتل الانبياء وخرب بيت المقدس فلم تقبل منه توبة *(فائدة)* من الانس الجليل أول من بنى الاقصى الملائكة ثم جدده آدم ثم سام بن نوح ثم يعقوب بن اسحق ثم داود وسليمان عليهم الصلاة والسلام وروي ان مفتاح بيت المقدس كان عند سيدنا سليمان بن داود لا يأمن عليه أحدا فقام ليلة ليفتحه فتعسر عليه ثم استعان بالانس فتعسر عليهم ثم استعان بالجن فتعسر عليهم ثم جلس كئيبا حزينا فظن ان ربه قد منعه منه فبينما هو كذلك اذ أقبل عليه شيخ يتوكأ على عصاه وقد طعن في السن وكان من جلساء داود عليه السلام فقال يانبي الله أراك حزينا فقال قمت لهذا الباب أفتحه فتعسر علي فاستعنت بالانس والجن فلم يفتح فقال الشيخ ألا أعلمك كلمات كان أبوك يقولهن عند كربه فيكشف الله عنه قال بلى قال قل اللهم بنورك اهتديت وبفضلك استغنيت وبك أصبحت وأمسيت ذنوبي بين يديك أستغفرك وأتوب اليك ياحنان يامنان فلما قالها فتح ثم ظهرت الروم وفارس على سائر البلاد وقاتلت أهل مصر ثلاث سنوات برا وبحرا الى أن صالحوهم على شيء يدفعونه اليهم في كل عام فرضيت الروم وفارس بذلك وجعلوا نصف مال مصر لكسرى والنصف لهرقل وأقاموا على ذلك تسع سنين ثم غلبت الروم فارس فأخرجوهم وصار صلح مصر كله للروم وذلك في عهد

فهو حديث منكر جدا وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات (ومن الآثار الموقوفة في فضل مصر) ما أخرجه ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمر قال قبط مصر أكرم الاعاجم كلها وأسمحهم يدا وأفضلهم عنصرا وأقربهم رحما بالعرب عامة وبقريش خاصة ومن أراد أن ينظر الفردوس أو ينظر الى مثلها في الدنيا فلينظر الى أرض مصر حين تخضر زروعها أو تنور ثمارها (وأخرج ابن عبد الحكم) عن ابن أبي رهم السماعي الصحابي رضي الله عنه قال كانت مصر قناطر وجسورا بتقدير وتدبير حتى ان الماء ليجري تحت منازلها وأفنيتها فيحبسونه كيف شاؤا ويرسلونه كيف شاؤا فذلك قوله تعالى فيما حكى عن فرعون أليس لي

رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية والحديبية بئر قريب من مكة المشرفة على طريق جدة في ذي القعدة سنة ست من الهجرة وفيها كانت بيعة الرضوان التي بايع النبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة وهم العشرة المقطوع لهم بالجنة قال العلامة ابن حجر الهيتمي ناظما

لقد بشر الهادي من الصحب زمرة * بجنات عدن كلهم فضله اشتهر

سعيد زبير سعد طلحة عامر * أبو بكر عثمان ابن عوف علي عمر

وكان هرقل صاحب الروم قد وجه المقوقس الى مصر أميرا عليها وولاه خراجها وخراجها وكانت فارس قد بدأت بعمارة الحصن المعروف بقصر الشمع ثم تممت الروم بناءه ولم يزالوا فيه الى حين الفتح ولما بعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم الى سائر الانام ليظهر الاسلام ويبين لهم الاحكام أقام صلى الله عليه وسلم بمكة قبل البعثة وبعدها ثلاثا وخمسين سنة وقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين في ثاني عشر ربيع الاول لعشرين نيسان عام الفيل في عهد كسرى أنوشروان وقد مضى من ملكه اثنتان وأربعون سنة وأقام في بني سعد خمس سنين وتوفيت أمه وهو ابن ست وكفله جده عبد المطلب الى أن توفي وهو ابن ثمان فكفله عمه أبو طالب وخرج معه الى الشام وهو ابن اثنتي عشرة سنة ثم خرج في تجارة لخديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة وتزوجها في تلك السنة وبنت قريش الكعبة ورضيت بحكمه فيها وهو ابن خمس وثلاثين سنة وبعث وهو ابن أربعين سنة وتوفي عمه أبو طالب وهو ابن سبع وأربعين سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوما وتوفيت خديجة بعد أبي طالب بثلاثة أيام وخرج الى الطائف بعدها بثلاثة أشهر ومعه زيد بن حارثة فأقام بها شهرا ثم رجع الى مكة في جوار المطعم بن عدي ولما تمت له خمسون سنة وفد عليه جن نصيبين وأسلموا ولما تمت له احدى وخمسون سنة أسري به وعاش ثلاثا وستين سنة وحج حجة الوداع ثلاثا وستين بدنة وأعتق ثلاثا وستين رقبة صلى الله عليه وسلم وكان الفيل في العام الذي ولد فيه صلى الله عليه وسلم والمشهور عند الاكثرين انه ولد بعد الفيل بخمسين يوما وقيل بعده بخمسة وخمسين يوما وقيل بشهرين وقيل بأربعين يوما وقال الكلبي كان مولده قبل الفيل بعشرين سنة وقال مقاتل بأربعين سنة وقال الدماميني في عين الحياة ان أبرهة بن الاشرم ملك الحبشة حضر الى الكعبة يريد هدمها في المحرم سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ الاسكندر الثاني الملقب بذي القرنين المتقدم ذكره ومبدؤه من السنة التي خرج فيها من مقدونية وطاف الارض وهي السنة السابعة من ملكه وطريق معرفة سنيه أن تزيد على سني القبط التامة خمسمائة وتسعين سنة يحصل سنو الروم المطلوبة وبينه وبين السنة التي هاجر فيها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة تسعمائة وثلاث وثلاثون سنة وخمسة وخمسون يوما وأول سني الروم تشرين الاول ومدخله في رابع بابه تشرين الثاني أوله خامس هاتور كانون الاول أوله خامس كيهك كانون الثاني أوله سادس طوبه شباط أوله سابع أمشير آذار أوله خامس برمهات نيسان أوله سادس برموده أيار أوله سادس بشنس حزيران أوله سابع بؤنه تموز أوله سابع أبيب آب أوله ثامن مسرى أيلول أوله رابع توت وكان النبي صلى الله عليه وسلم حملا في بطن أمه وفي المسند عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ونبئ يوم الاثنين وخرج مهاجرا من مكة الى المدينة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين ورفع الحجر يوم الاثنين رجعنا الى قصة الفيل وذلك ان أبرهة بن الاشرم المذكور بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد صرف الحجاج عن الكعبة اليها ثم ان جماعة من قريش خرجوا في تجارة حتى جاوزوا قريبا من تلك الكنيسة فاضرموا نارا ثم ارتحلوا فهبت ريح فاحرقت الكنيسة فغضب النجاشي فقال له أبرهة لا تحزن فنحن نهدم الكعبة فطلب أبرهة من النجاشي فيله المعروف بمحمود ومعه عشرة من الفيلة وقيل اثنا عشر وقيل ألف فيل ولما قرب أبرهة من مكة أمر بالغارة على أهل الحرم فأخذ لعبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم مائة بعير وأنفذ أبرهة رسولا الى عبد المطلب يقول له لم آت لقتال وانما أتيت لهدم هذه البنية فجاء الرسول الى عبد المطلب وبلغه الرسالة فقال

ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي أفلا تبصرون ولم يكن في الارض يومئذ ملك أعظم من ملك مصر وكانت الجنات بحافتي النيل من أوله الى آخره من الجانبين جميعا ما بين أسوان الى رشيد وسبعة خلج خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهى وخليج سردوس جنات متصلة لا ينقطع منها شيء والزرع ما بين الجبلين من أول مصر الى آخرها وكان المسافر يسير من اسكندرية الى أسوان بلا زاد في ظل وأشجار وفواكه الى أن يصل الى مدينة أسوان وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال لما خلق الله تعالى آدم مثل له الدنيا شرقها وغربها سهلها وجبلها أنهارها وبحارها

عبد المطلب هذا بيت الله وبيت ابراهيم خليله ونحن ما النابذان فقال هذا الملك وتوجه مع الرسول الى أبرهة ودخل عليه بعدما عرفوه بشرفه فاكرمه أبرهة وعظمه ونزل من سريره وأجلسه معه على البساط وقال لترجمانه قل له يسال عن حاجته فقال يرد الملك على الاباعر التي أخذها فقال أبرهة قل له قد زهدت فيك عيني أما جئت لاهدم بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم فلم تكلمني فيه وتسألني عن ردمائتي بعير فقال عبد المطلب أنا رب هذه الابل ولهذا البيت رب يحميه ويمنعه فقال أبرهة ما كان ليمنعني منه فقال دونك فرد عليه ابله فعاد عبد المطلب الى مكة وأمر قومه ان يتفرقوا في رؤس الجبال وأتى الى البيت وحده وأصبح أبرهة عبيشه يقدمهم فيله محمود فبعثه الى نحو الحرم فلم ينبعث فضربوه بالمعول في رأسه فأبى وبرك فوجهوه نحو اليمن فقام وهرول وقد روى ان عبد المطلب أخذ بحلقة باب الكعبة وقال

يارب لا أرجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت قد عاداكا * امنعهم وان يخربوا قراكا

وان عبد المطلب لم يزل آخذا بحلقة باب الكعبة حتى نشأت من قبل اليمن من البحر طير فقال عبد المطلب أرى طيرا ما أعرفها ماهي نجدية ولاتهامية ولاعربية ولاشامية أشباه اليعاسيب قد أقبلت يكسع بعضها بعضا امام كل فرقة طير يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق فجاءت الى الجيش وألقت على رأس كل واحد حصاة فكان الحجر يقع على بيضة أحدهم فيخرقها حتى يقع في دماغه ويخرق الفيل أو الدابة ويغيب في الارض من شدة وقعه وكان يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وأما أبرهة فصارت أعضاؤه تتساقط مثل الانملة ويتبعها دم وقيح حتى وصل صنعاء وطائره فوق رأسه وهو لايشعر حتى أتى النجاشي فقص عليه القصة فلما انتهى أتى الطائر عليه فخر ميتا بين يدي النجاشي واختلف في قوله تعالى وأرسل عليهم طيرا أبابيل فقال سعيد بن جبير هي طير تعيش بين السماء والارض وتفرخ لها خراطيم الطير وأكف الكلاب وعن عكرمة هي طير خضر خرجت من البحر لها رؤس كرؤس السباع وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي كالبلسان وعن عائشة رضي الله عنها هي أشبه شئ بالخطاطيف وقيل السنونو الذي يأوي المسجد الحرام والسنونو بضم السين والنونين نوع من الخطاطيف (فائدة) اذا دخل أحد على من يخاف شره فليقرأ كهيعص حمعسق ويعقد لكل حرف من هذه الحروف العشرة أصبعا من أصابع يديه يبدأ بابهام يده اليمنى ويختم بابهام اليسرى فاذا فرغ من عقد جميع الاصابع قرأ في نفسه سورة الفيل فاذا وصل الى قوله ترميهم كرر لفظ ترميهم عشر مرات يفتح في كل مرة أصبعا من الاصابع المعقودة فاذا فعل ذلك أمن من شره وهو مجرب عجيب وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغ من العمر أربعين سنة ويوما بعثه الله رسولا الى سائر الامم من عرب ومن عجم فكان بعد ذلك لايمر على شجر ولا مدر الا وقال السلام عليك يارسول الله وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال انى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل النبوة قال القاضي عياض هو الحجر الاسود وروى عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو الى الاسلام من أول ما نزل عليه الوحي ثلاث سنين مستخفيا ثم أمر باظهار الدعوة وقال صاحب المواهب اللدنية ان مقامه صلى الله عليه وسلم بمكة من حين النبوة الى حين خروجه منها بضع عشرة سنة ويدل على ذلك قول صرمة

ثوى في قريش بضع عشرة حجة * يذكر لو يلقى صديقا مواتيا

وروى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت لما اشتد البلاء على المسلمين من المشركين شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استأذنوه في الهجرة فقال قد رأيت دار هجرتكم وهي أرض سبخة ذات نخل بين لابتين ثم مكث بعد ذلك أياما وخرج الى أصحابه وهو مسرور فقال قد أخبرت بدار هجرتكم ألا وهي يثرب فمن أراد منكم الخروج فليخرج فصار القوم يتجهزون ويترافقون فكان أول من دخل المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو سلمة الاسدي ثم قدم بعده عامر بن ربيعة مع زوجته ليلى وهي أول ظعينة قدمت الى المدينة ثم صار القوم يرحلون من مكة أولا بأول ولم يبق بمكة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعلي

وبناها وخرابها ومن يسكنها من الامم ومن يملكها من الملوك فلما رأى مصر رأى أرضا سهلة ذات نهر جار مادته من الجنة تنحدر فيها البركة وتمزجه الرحمة ورأى جبلا من جبالها مكسوا أنوار الاعظم ونظر الرب اليه بالرحمة في سفحه أشجار مثمرة فروعها في الجنة تسقى بالرحمة فدعا آدم للنيل بالبركة ودعا لارض مصر بالرحمة والبر والتقوى وبارك في سهلها وجبلها سبع مرات (وعن عبد الله بن سلام) قال مصر أم البركات ثم بركتها من حج بيت الله الحرام من أهل المشرق والمغرب وان الله تعالى يوحى الى نيلها في كل عام مرتين عند جريانه يوحى اليه ان الله يأمرك أن تجرى فيجرى كما أمره ثم يوحى اليه ثانيا ان الله يأمرك أن تغيض جيدا

رضي الله عنهما ثم اجتمعت قريش ومعهم ابليس في صورة شيخ نجدي في دار الندوة دار قصي بن كلاب وكانت قريش لا تقضي أمرا الا فيها يتشاورون ماذا يصنعون في أمره عليه الصلاة والسلام فاجتمع أمرهم على قتله وتفرقوا على ذلك فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال له لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي تبيت عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه فأمر عليه الصلاة والسلام عليا فنام مكانه وغطى ببرد أخضر فخرج صلى الله عليه وسلم وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان في يده وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله تعالى فأغشيناهم فهم لا يبصرون ثم انصرف حيث أراد فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله والله ان محمدا لقد خرج عليكم ما ترك منكم رجلا الا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته فما ترون ما بكم فوضع كل رجل يده على رأسه فاذا عليه تراب وفي رواية أبي حاتم كما صححه الحاكم من حديث ابن عباس ما أصاب رجلا منهم حصاة الا قتل يوم بدر كافرا وفي ذلك نزل قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك الآية فقال أبو بكر الصحبة بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت عائشة رضي الله تعالى عنها فجهزناهما أحسن جهاز وصنعنا لهما سفرة من جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين وكان من قوله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة ووقف على المروة ونظر الى بيت الله الحرام وقال والله انك لأحب أرض الله الي ولولا أهلك أخرجوني ما خرجت منك ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها فلم يجدوه فشق على قريش ذلك وجعلوا مائة ناقة لمن رده ولله در البوصيري حيث قال

ويح قوم جفوا نبيا بأرض * ألفته ضبابها والظباء
وسلوه وحن جذع اليه * وقلوه وودّه الغرباء
أخرجوه منها وآواه غار * وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت * ما كفته الحمامة الحصداء

وروي أن أبا بكر رضي الله عنه لما خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها الى الغار جعل طورا يمشي أمامه وطورا يمشي خلفه وطورا عن يمينه وطورا عن شماله فقال عليه أفضل الصلاة والسلام ما هذا يا أبا بكر فقال يا رسول الله أذكر الرصد فأحب أن أكون أمامك وأتخوف الطلب فأحب أن أكون خلفك أحفظ الطريق يمينا وشمالا فقال لا بأس عليك يا أبا بكر ان الله معنا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حافيا فحمله أبو بكر رضي الله عنه على كاهله حتى انتهى الى الغار فلما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخل الغار قال أبو بكر والذي بعثك بالحق نبيا لا تدخله حتى أدخله فأسبره قبلك فدخل أبو بكر رضي الله عنه فجعل يلتمس بيده الغار في ظلمة الليل مخافة أن يكون فيه شيء يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم فلما لم ير فيه شيأ أدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار وبات فيه وأمر الله العنكبوت فنسجت على فم الغار ولله در القائل

ودود القز ان نسجت حريرا * يجمل لبسه في كل شي
فان العنكبوت أجل منها * بما نسجت على رأس النبي

وروي عن عطاء بن ميسرة قال نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود عليه أفضل الصلاة والسلام حين كان جالوت يطلبه ومرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وفي تاريخ أبي القاسم بن عساكر ان العنكبوت نسجت أيضا على عورة زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم لما صلب عريانا سنة احدى وعشرين ومائة وأقام مصلوبا أربع سنين وكانوا وجهوه لغير القبلة فدارت خشبته الى القبلة فأحرقوا الخشبة وجسده وقال ابن خلكان في ترجمة يعقوب بن صابر المنجنيقي انه وقف بالقاهرة على البيتين المشهورين لجماعة من الشعراء وهما

ألقني في لظى فان غيرتني * فتيقن ان لست بالياقوت
جمع النسج كل من حاك لكن * ليس داود فيه كالعنكبوت

فيفيض وان مصر بلدة معافاة وأهلها أهل عافية وهي آمنة ممن يقصدها بسوء من أرادها بسوء كبه الله على وجهه ونهرها نهر العسل ومادته من الجنة وكفى بالعسل طعاما وشرابا (ومن كعب) قال في التوراة مكتوب مصر خزائن الله كلها من أرادها بسوء قصمه الله (وعن عقبة ابن مسلم) يرفعه ان الله يقول يوم القيامة لساكني مصر يعدد عليهم النعم أما أسكنتكم مصر فكنتم تشبعون من خبزها وتروون من مائها (وقال أبو الربيع السائح) نعم البلد مصر يحج منها بدينارين ويغزى منها بدرهمين يريد الحج من بحر القلزم والغزو الى الاسكندرية وسائر سواحل مصر (وقيل ان يوسف عليه السلام) لما دخل مصر وأقام بها قال اللهم اني غريب



فقال

فقال ابن صابر في جوابهما

أيها المدعي الفخار دع الفخـ * ـر لذي الكبر يا أخا الجبروت
نسج داود لم يفد ليلة الغا * ر وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمند في لهب النا * ر مزيل فضيلة الياقوت

ومن خواص العنكبوت انه اذا جعل نسجها على الجراحة الطرية في ظاهر البدن حفظها بلا ورم ويقطع سيلان الدم واذا دلكت الفضة المتغيرة بنسجه جلاها والعنكبوت الذي ينسج على الكنيف اذا علق على المحموم يبرأ باذن الله وان الله سبحانه وتعالى أمر اليراع فنبتت على فم الغار وحمامتين فعششتا وباضتا وأقبل فتيان قريش بسهامهم وسيوفهم ومعهم كرز بن علقمة القصاص فقص الاثر حتى انتهى الى الغار فقال لهم الى هنا انتهى الاثر فما أدري بعد ذلك أصعد الى السماء أم غاص في الارض فقال لهم قائل ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف ما تنظرون الى الغار وان عليه لعنكبوتا من قبل ميلاد محمد ثم بال حتى سال بوله بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وحمام الحرم من نسل تينك الحمامتين وفي الصحيحين عن أنس قال قال أبو بكر نظرت الى أقدام المشركين من الغار على رؤسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدميه لابصرنا فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم أعم أبصارهم فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار والى هذا يشير صاحب البردة رضي الله تعالى عنه بقوله

أقسمت بالقمر المنشق ان له * من قلبه نسبة مبرورة القسم
وما حوى الغار من خير ومن كرم * وكل طرف من الكفار عنه عمي
فالصدق في الغار والصديق لم يرما * وهم يقولون ما بالغار من أرم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على * خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الاطم

وكان مكثه صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر في الغار ثلاث ليال واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر عبد الله بن الارقط دليلا وهو على دين كفار قريش ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما براحلتيهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم على طريق السواحل فمروا بقديد على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية فطلبوا لبنا أو لحما يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيأ فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة في كسر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لها من لبن فقالت هي أجهد من ذلك فقال أتأذنين لي أن أحلبها قالت نعم بأبي أنت وأمي ان رأيت بها حلبا فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها فسمى الله فتفاجت ودرت ودعا باناء يشبع الجماعة فحلب فيه فسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب مرة أخرى وبقية قصة أم معبد مذكورة في المواهب اللدنية فمن أراد الاطلاع عليها فليراجعها ثم تعرض للنبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه سراقة بن مالك المدلجي وعلم انهما اللذان جعلت فيهما قريش ما جعلت لمن أتى بهما فركب فرسه وتبعهما فرآه فبكى أبو بكر وقال يا رسول الله أتينا قال كلا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوات فساخت قوائم فرسه فطلب الامان وقال أعلم ان قد دعوتما على فادعوا لي ولكما ان أرد الناس عنكما ولا أضركما قال سراقة فوقفا لي ثم ركبت فرسي حتى جئتهما قال فوقع في نفسي حين لقيت ما لقيت ان سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرتهما أخبار يريد الناس منهما وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يقبلا واجتاز صلى الله عليه وسلم في طريقه بعد ذلك بعبد يرعى غنما فكان من شأنه من طريق البيهقي عن قيس بن النعمان قال لما انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مستخفين مرا بعبد يرعى غنما فاستسقياه اللبن فقال ما عندي شاة تحلب غير ان ههنا شاة حملت عام أول وما بقي لها لبن قال فادع بها فاعتقلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها ودعا الله حتى أنزلت وجاء أبو بكر بمجن فحلب فسقى أبا بكر ثم حلب فسقى الراعي ثم حلب فشرب فقال الراعي بالله من أنت فوالله ما رأيت مثلك فقال أو تراك تكتم علي حتى

فيها الى هيكل قريب فمضت دعوته فليس يدخلها غريب الا أحب المقام بها وكان بها من حكماء الطب والهندسة والكيمياء وعلم النجوم والرصد والطلسمات والحساب عدة (منهم افلاطون) وبطليموس وسقراط وارسطاطاليس وجالينوس (وكان) في الازمنة الاول يذهب الى مصر أرباب العلوم والحكم لتكون اذهانهم على الزيادة وقوة الذكاء (وولد) بها عدة من الانبياء وهم موسى وأخوه هرون ويوشع ابن نون (ودخل اليها) عيسى وتوجه الى الصعيد ثم أقام بقرية هناك تسمى اهناس (ودخلها أيضا) ابراهيم الخليل ويعقوب ويوسف والاسباط وأرميا ودانيال ولقمان الحكيم عليهم السلام (ودفن) بها من الصحابة والتابعين جماعة

أخبرك قال نعم قال أنا محمد رسول الله قال فاشهد انك نبي وان ما جئت به حق وانه لا يفعل ما فعلت الا نبي وأنا متبعك قال انك لن تستطيع ذلك يومك فاذا بلغك انى قد ظهرت فائتنا ولما بلغ المسلمين بالمدينة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يغدون كل يوم الى الحرة ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ما أطالوا الانتظار فلما أووا الى بيوتهم وافى رجل من اليهود على أطم من آطامهم لامر ينتظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يزول بهم السراب فلم يملك اليهودى نفسه فنادى باعلى صوته يا بنى قيلة هذا جدكم أى حظكم ومطلوبكم قد أقبل فخرج اليه بنو قيلة وهم الاوس والخزرج بسلاحهم فتلقوه فنزل بقباء على بنى عمرو بن عوف وعن سعد انه قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يوم الاثنين وقدم المدينة يوم الاثنين لهلال ربيع الاول وأقام على رضى الله عنه بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثة أيام ثم أدركه بقباء يوم الاثنين وأقام صلى الله عليه وسلم بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وأسس مسجد قباء على التقوى من أول يوم ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من قباء يوم الجمعة حين ارتفع النهار فادركته الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها بمن كان معه من المسلمين وهم مائة فى بطن وادى رانوناء مرا مهملة ونونين ممدودا وركب راحلته يوم الجمعة متوجها الى المدينة وكان عليه أفضل الصلاة والسلام كلما مر على دار من دور الانصار يدعونه الى المقام عندهم يقولون يا رسول الله هلم الى القوة والمنعة أين قول الانصار رضى الله عنهم من قول أهل مكة وقسوتهم واخراجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة وهى بلده ومسقط رأسه ولقد أنصف من قال

لا تنكرون لاهل مكة قسوة * والبيت فيها والحطيم وزمزم
آذوا رسول الله وهو نبيهم * حتى حمته أهل طيبة منهم

لان أهل مكة كانوا يؤذونه فى نفسه ويقصدون نكايته فى أهله قتلوا أعمامه وعذبوا أصحابه وأخرجوه من أحب البقاع اليه ولما يسر الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فتح مكة ودخلها بغير جندهم وظهرت كلمته فيها على رغمهم قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وشكره على ما منحه من الظفر ثم قال لهم لا أقول لكم الا كما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ذكر عبد الرحمن بن رجب الحنبلى فى كتابه لطائف المعارف لو قام المذنبون فى الاسحار على أقدام الانكسار ورفعوا قصص الاعتذار مضمونها يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا لبرز لهم التوقيع عليها لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين يا يعقوب الهجر هيج يوسف الوصل فلو استنشقت لعدت بعد العمى بصيرا ولوجدت ما كنت افقده ذكره انقل الغزى نزيل مكة فى كتابه قال الشيخ مظفر الدين الاهشاطى أهل مكة عندهم أنفة وتعاظم وكبر وحسد والكذب فاش بينهم والنميمة والخداع والطمع فيما فى أيدى الناس وبغض الغريب الا أن يكون مع الغريب شئ من الدنيا فهم عبيد له يسلبون ما معه ثم يرمونه بالسوء ويسلقونه بالسنة حداد وأما أهل المدينة فيغلب على أهلها الترحم وحب الغرباء ومواساتهم والاحسان اليهم وفى طبعهم الجود والكرم ويحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للانصار خلوا سبيل الناقة فانها مامورة وقد أرخى زمامها وما يحركها وهى تنظر يمينا وشمالا حتى أتت دار مالك بن النجار ثم سارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها حتى بركت على باب أبى أيوب الانصارى ثم سارت وبركت فى مبركها الاول وألقت باطن عنقها وصوتت من غير ان تفتح فاها فنزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل ان شاء الله واحتمل أبو أيوب رحله وأدخله بيته ومعه زيد بن حارثة وكانت دار بنى النجار أوسط دور الانصار وأفضلها وهم أخوال عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكر أن بيت أبى أيوب بناه التبع الاول للنبي صلى الله عليه وسلم لما مر بالمدينة وترك فيها أربعمائة عالم وترك كتابا له صلى الله عليه وسلم ودفعه الى

كثيرة وكان من أهلها مؤمن آل فرعون الذى اثنى عليه الله فى كتابه وكذا آسية امرأة فرعون وسحرة فرعون الذين آمنوا فى ساعة واحدة مع كثرتهم (وقال المسعودى) ان كل قرية من قرى مصر تصلح أن تكون مدينة على انفرادها (وقال القضاعى) لم يكن فى الارض أعظم من ملك مصر فانهم لو زرعت جميعا لوفت بخراج الدنيا باسرها ويوجد فى مصر فى كل شهر نوع من الماكول أو المشموم فيقال رطب توت ورمان بابه وموز هاتور وسمك كيهك وماء طوبة ورمبس أى خروف أمشير ولبن برمهات وورد برموده ونبق بشنس وتين بؤنه وعسل أبيب وعنب مسرى (والسبع زهرات) التى تجتمع فى أواخر الشتاء فى وقت واحد ولا تجتمع فى

كبيرهم وسأله أن يدفعه النبي صلى الله عليه وسلم فتداوله أصحاب الدور الى ان صار الى أبي أيوب وهو ولد ذلك العالم قال وأهل المدينة الذين نصروه عليه الصلاة والسلام من أولاد أولئك العلماء فعلى هذا انما نزل في منزل نفسه لا منزل غيره وفرح أهل المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم وأشرقت المدينة بحلوله فيها وسرت به القلوب قال أنس بن مالك رضي الله عنه لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء وصعدت ذوات الخدور على الاجاجير عند قدومه يقلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا

مادعا لله داع * أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

وروى البيهقي عن أنس لما بركت الناقة على باب أبي أيوب خرج جوار من بني النجار يقلن

نحن جوار من بني النجار * ياحبذا محمد من جار

فقال صلى الله عليه وسلم أتحبونني قلن نعم يارسول الله فقال عليه أفضل الصلاة والسلام ان قلبي يحبكم ووعك أبو بكر وبلال بالمدينة فقال بلال اللهم العن شيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا الى أرض الوباء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم بارك لنا في صاعها ومدها وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة وقال صلى الله عليه وسلم ان المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد وبهذا تمسك مالك رضي الله عنه في تقديم اجماع فقهاء المدينة على الحديث ولم يركب مالك رضي الله عنه ظهر دابة بالمدينة قط ويقول استحيي أن أطأ بحافر دابة أرضا فيها قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما أشرف أبو الفضل الجوهري رحمه الله على المدينة نزل عن راحلته وأنشد قول أبي الطيب

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا * فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا

نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة * لمن بان عنه ان نلم به ركبا

وأقام صلى الله عليه وسلم عند أبي أيوب سبعة أشهر ولما أراد عليه الصلاة والسلام بناء المسجد الشريف قال يابني النجار ثامنوني بحائطكم فقالوا لا نطلب ثمنه الا الى الله فأبى ذلك صلى الله عليه وسلم وابتاعه صلى الله عليه وسلم بعشرة دنانير أداها من مال أبي بكر قال أنس وكان في موضع المسجد نخل وخرب ومقابر مشركين فأمر بالقبور فنبشت والخرب فسويت والنخل فقطعت وأمر باتخاذها فاتخذت وبني المسجد وسقف بالجريد وجعلت عمده من خشب النخل وكان صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة على جذع في المسجد قائما فقال ان القيام قد شق علي فصنع له المنبر وحنين الجذع في السنة الثامنة من الهجرة وجزم ابن سعد بانه عمل في السنة السابعة قال الشيخ ابن عبد الله بن النعمان حديث حنين الجذع الذي يخطب عليه النبي صلى الله عليه وسلم حنين العشار متواتر رواه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمع الكثير والجم الغفير قال جابر فصاح الجذع صياح الصغير فضمه اليه وفي بعض الروايات والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيامة حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الحسن اذا حدث بهذا الحديث بكى وقال ياعباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكانه فانتم أحق ان تشتاقوا الى لقائه ونظم بعضهم ذلك فقال

وحن اليه الجذع شوقا ورقة * ورجع صوتا كالعشار مرددا

فبادره ضما فقر لوقته * لكل امرئ من دهره ماتعودا

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة واليهود أكثر أهلها يستقبلون بيت المقدس أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها سبعة عشر شهرا وكان صلى الله عليه وسلم يحب أن يستقبل قبلة ابراهيم فكان يدعو وينظر الى السماء فنزلت الآية قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وعن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن أبي وقاص يقول صلى صلى الله عليه وسلم بعدما قدم المدينة ستة عشر شهرا الى بيت المقدس ثم حول بعد ذلك الى المسجد الحرام قبل بدر بشهرين قال الزهري صرفت القبلة نحو المسجد

غيرها من البلاد وهي الترمس والبنفسج والورد النصيبي والهماني زهر النارنج والياسمين والنسرين وأن أهل مصر الغالب عليهم الافراح واتباع الشهوات والانهماك في اللذات وتصديق المحالات وفي أخلاقهم رقة وعندهم بشاشة وملق ومكر وخداع ولا ينظرون في عواقب الامور وعندهم قلة الصبر في الشدائد والقنوط من الفرج وشدة الخوف من السلطان ويخبرون بالامور المستقبلة قبل أن تقع ويقال مصر باقوالها ذكر ذلك في جواهر البحور (وأول من سكن مصر شيث بن آدم عليهما السلام) وذلك ان أباه آدم أوصى له فكان فيه وفي بنيه النبوة والدين وأنزل الله عليه تسعا وعشرين صحيفة وجاء الى أرض مصر

الحرام لم يجب على رأس ستة عشر شهرا من مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما حول الله القبلة حصل لبعض الناس من المنافقين والكفار ارتياب وزيغ عن الهدى وشك وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها أى ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا وتارة كذا فأنزل الله فى جوابهم قل لله المشرق والمغرب أى الحكم والتصرف كله لله فحيثما وجهنا توجهنا فالطاعة فى امتثال أمره ولو وجهنا كل يوم الى جهات متعددة فنحن عبيده وفى تصرفه ونحن خدامه حيثما وجهنا توجهنا وقيل قالت اليهود اشتاق الى بلد أبيه وهو يريد أن يرضى قومه ولو ثبت على قبلتنا لرجونا أن يكون هو النبى الذى ننتظر أن يأتى فأنزل الله تعالى وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم يعنى اليهود الذين أنكروا استقبالكم الكعبة وانصرافكم عن بيت المقدس يعلمون ان الله سيوجهكم اليها بما فى كتبهم عن أنبيائهم *(فائدة)* فى ذكر نزول جبريل عليه السلام على الرسل عليهم الصلاة والسلام نزل على آدم اثنى عشرة مرة ونزل على ادريس أربع مرات ونزل على نوح خمس مرات ونزل على ابراهيم اثنتين وأربعين مرة مرتين فى صغره ونزل على موسى أربع عشرة مرة ونزل على عيسى عشر مرات ثلاثا فى صغره ونزل على محمد صلى الله عليه وسلم أربعة وعشرين ألف مرة ذكر ذلك ابن عادل فى تفسيره فى سورة النحل عند قوله تعالى ينزل الملائكة بالروح من أمره وروى أن جبريل عليه السلام نزل على النبى صلى الله عليه وسلم فى مرض موته فقال يا جبريل هل تنزل من بعدى فقال نعم يا رسول الله أنزل عشر مرات أرفع العشر جواهر من الارض قال يا جبريل وما ترفع منها قال الاول أرفع البركة من الارض الثانى أرفع المحبة من قلوب الخلق الثالث أرفع الشفقة من قلوب الاقارب الرابع أرفع العدل من الامراء الخامس أرفع الحياء من النساء السادس أرفع الصبر من الفقراء السابع أرفع الورع والزهد من العلماء الثامن أرفع السخاء من الاغنياء التاسع أرفع القرآن العاشر أرفع الايمان وقيل ان عدة الانبياء عليهم الصلاة والسلام مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا منهم ثلثمائة وثلاثة عشر نبيا مرسلا والمذكور منهم فى القرآن باسمه العلم ثمانية وعشرون ومنهم من لم يكن مرسلا وبعضهم كان يوحى اليه فى المنام وبعضهم كان يسمع الصوت من الملك من غير أن يرى شخصه *(نبذة فى أخبار الانبياء عليهم الصلاة والسلام)* روى عن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله آدم طوله ستون ذراعا وأنزل عليه تحريم الميتة والدم وحروف المعجم فى احدى وعشرين صحيفة وفيها ألف لغة وعلمه ألف حرفة وخلق حواء من ضلع آدم فى آخر النهار من يوم الجمعة وفيه أهبطا الى الارض وأنزل معه الحجر الاسود وعصا موسى وكانت من آس الجنة وعاش ألف عام ومرض أحد عشر يوما وقبض يوم الجمعة وصلى عليه شيث وفى رواية كان طوله ستين ذراعا فى عرض سبعة أذرع وأنزل الله عليه الكلمات الوجودية والعدمية وعلمه سبعين ألف باب من العلم ولم يمت حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفا واختلف فى موضع قبره فقال أبو اسحق دفن فى مشارق الفردوس وقال غيره دفن بمكة فى غار أبى قبيس وهو غار يقال له غار الكنز وقال ابن عباس دفن ببلاد الهند فى موضع يقال له بوز باذا فلما كان أيام الطوفان حمله نوح عليه السلام ودفنه ببيت المقدس وقال عمر ولما مات آدم عليه السلام وضع بباب الكعبة وصلى عليه جبريل والملائكة ودفن فى مسجد الخيف وقد روى ان الله تعالى أتحف آدم بثلاث تحف على يد جبريل عليه السلام بالعقل والحياء والدين وقيل له يا آدم اختر أيتهن شئت فألهمه الله ان اختار العقل فقيل للحياء والدين ارتحلا فقالا أمرنا أن لا نفارق العقل وقد روى ان الله تعالى لما خلق آدم قال له من أنت قال أنت أعلم يا رب فقال أنت انسان فقال وما الانسانية يا رب قال الطلاقة الوجه وحلاوة اللسان وبسط اليدين والخلق الحسن قال صاحب البردة رحمه الله يشير الى النبى صلى الله عليه وسلم بالخلق الحسن

فاق النبيين فى خلق وفى خلق * ولم يدانوه فى علم ولا كرم

وفى الحديث ان حسن الخلق معلق بسلسلة فى باب الجنة مربوطة بصاحبه يذهب صاحبه كل مذهب فلا تزال

وكانت تدعى بايلون فنزلها هو وأولاد أخيه قابيل فسكن شيث فوق الجبل وسكن أولاد أخيه قابيل أسفل الوادى (واستخلف شيث) ولده أنوش (واستخلف أنوش) ابنه قينان (واستخلف قينان) ابنه مهلاييل (واستخلف مهلاييل) ابنه يرد ودفع الوصية اليه وعلمه جميع العلوم وأخبره بما يحدث فى العالم ونظر فى النجوم وفى الكتاب الذى نزل على آدم (وولد ليرد) اخنوخ وهو هرمس أى ادريس عليه السلام (وكان) الملك فى ذلك الوقت تبليل ونبئ ادريس عليه السلام وهو ابن أربعين سنة وأراده الملك بسوء فعصمه الله وأنزل عليه ثلاثين صحيفة ودفع اليه أبوه وصية جده والعلوم التى عنده وولد بمصر وخرج منها وطاف الارض كلها

به حتى ترده الى الجنة وان سوء الخلق معلق بسلسلة فى باب جهنم مربوطة بصاحبه فلا تزال به حتى تدخله النار فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا روى الحسن عن أبي الحسن عن جد الحسن انه قال ان أحسن الحسن الخلق الحسن (شيث عليه السلام) نبي مرسل وأنزل الله عليه خمسين صحيفة وهو أول من بنى الكعبة بالطين والحجر وعاش سبعمائة سنة وعنه أخذت الشريعة * ادريس عليه السلام نبي مرسل أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة ولد بمصر وهو أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب وأول من بنى الهياكل ومجد الله فيها وفى عصره انتهت اليه الرياسة فى علم النباتات واسرار الحروف وغير ذلك من الحقائق الحكمية والادوار الفلكية وهو أول من رتب الناس على ثلاث طبقات كهنة وملوك ورعية ورفع الى السماء وهو ابن ثلثمائة سنة وعشرين سنة * نوح عليه السلام ابن لامك بن متوشلخ بن ادريس نبي بعث بعد ادريس وهو ابن خمسين سنة أو أربعين سنة وهو أول من قسم الارض بين أولاده فاما سام فاعطاه بلاد الحجاز واليمن والشام وهو أبو العرب والفرس والروم وأما حام فاعطاه بلاد المغرب وهو أبو السودان والبربر والقبط وأما يافث فاعطاه بلاد المشرق وهو أبو يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة ولبث فى قومه ألف سنة الا خمسين عاما وكان طول السفينة ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وسمكها ثلاثين ذراعا وجعل لها ثلاث طبقات فجعل فى أسفلها الدواب والوحش وفى وسطها الانس وفى أعلاها الطير وروى انه كان اذا أراد أن تجرى قال بسم الله فجرت واذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست وعاش بعد الغرق خمسين سنة * هود عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى عاد ابن صفوان بن سام وبعثه الى ثمود فكذبوه فاهلكهم الله بالصواعق والزلزلة وعاش ثمانمائة وخمسين سنة * حنظلة بن صفوان عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى أصحاب الرس فقتلوه وأحرقوه بالنار فمسخهم الله حجارة * ابراهيم الخليل عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى النمرود بن كنعان فاهلكه الله ببعوضة قال أبو الحسن الماوردى ابراهيم بالسريانية أب رحيم وأنزل عليه عشر صحائف وهو أول من قاتل بالسيف وأول من اختتن وأول من لبس السراويل وأول من جز شاربه وأول من قص أظافيره وأول من رأى الشيب وأول من أضاف الضيوف وأول من ثرد الثريد وعاش مائة وخمسا وسبعين سنة ودفن عند قبر سارة بمزرعة حبرون بالحاء المهملة * ذو القرنين كان فى زمن ابراهيم عليه السلام قال عكرمة كان ذو القرنين نبيا وقال على بن أبي طالب كان عبدا صالحا وكان الخضر وزيره وابن خالته وكان له مربع مائة فى مائة موضوع على لوائه وبه افتتح أقاليم البلاد وقال المفسرون ملك الدنيا مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران بختنصر ونمرود بن كنعان (توضيح) الاسكندر اثنان رومى وهو صاحب الخضر ويونانى وهو صاحب ارسطو وأيضا دانيال اثنان الاكبر وهو الذى حفر الدجلة والفرات وكان أنفه ذراعا وهو بعد نوح عليه السلام ودانيال الاصغر وهو بعد سليمان ولقمان اثنان العادى وهو فى زمن ذى الحكم ولقمان الثانى وهو فى زمن داود عليه السلام روى انه لما هلكت عاد بقى لقمان بالحرم فقال يارب أعطنى عمر سبعة أنسر وكان يعيش النسر ثمانين سنة فلما مات النسر السابع مات لقمان وموسى اثنان موسى بن يشار وموسى ابن عمران وهو صاحب فرعون * لوط عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى أهل سدوم فكذبوه فاهلكهم الله بحجارة من سجيل وعاش ثمانين سنة * اسمعيل عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى العمالقة وهو أول من ركب الخيل ومن ولده قيدار وعاش مائة وثمانين سنة * اسحق عليه السلام نبي مرسل ولد بعد اسمعيل عليه السلام بثلاث عشرة سنة وولد لاسحق العيص ويعقوب وهو ابن ستين سنة فاما العيص فانه تزوج بنت عمه اسمعيل عليه السلام فولدت الروم وصار واملوك الارض واليونان من ولده وعاش مائة وثمانين سنة وتوفى بفلسطين ودفن عند قبر أبيه بمزرعة حبرون * يعقوب عليه السلام نبي مرسل وهو اسرائيل الله وعاش مائة وسبعة وعشرين سنة * يوسف عليه السلام نبي مرسل وهو أول من صنع القرطاس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق

ورجع ودعا الخلق الى الله تعالى فاجابوه وأطاعه ملك مصر وآمن به فنظر فى تدبير أمرها وكان النيل يأتيهم سيحا فينحازون عن مسيله الى أعالى الجبال والاراضى العالية حتى ينقص فينزلون ويزرعون حيثما وجدوا فى الارض تربة وكان يأتى فى وقت الزراعة وفى غير وقتها فلما جاء ادريس جمع أهل مصر وصعد بهم الى أول مسيل النيل ودبر وزن الارض ووزن الماء على الارض وأمرهم باصلاح ما أراد من خفض المرتفع ورفع المنخفض وغير ذلك مما رأى فى علم النجوم والهندسة والهيئة وكان أول من تكلم فى هذه العلوم وأخرجها من القوة الى الفعل ووضع فيها الكتب ورسم فيها التعليم ثم سار الى بلاد الحبشة والنوبة وغيرها وجمع أهلها وزاد فى مسافة

ابن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام وعاش مائة وعشرين سنة بمصر * أيوب عليه السلام نبي مرسل وكان روميا من أولاد عيص بن اسحق استنبأه الله سبحانه وتعالى وكثر أهله وماله فابتلاه الله بهلاك أولاده بهدم بيت عليهم وذهاب أمواله والمرض في بدنه ثمان عشرة سنة أو ثلاث عشرة أو سبعا وسبعة أشهر وسبع ساعات روى ان امرأته قالت له يوما لو دعوت الله سبحانه وتعالى أن يشفيك فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أستحيي من الله سبحانه وتعالى ان أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي وعاش ثلاثا وتسعين سنة وكان في ضياعه أربعون ألف وكيل * شعيب عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى أهل مدينة فكذبوه فأهلكهم الله بالصيحة وهو خطيب الانبياء عاش مائة وأربعين سنة وقبره بالمسجد الحرام قبالة الحجر الاسود * موسى عليه السلام نبي مرسل أرسله الله تعالى وأخاه هرون عليهما السلام الى فرعون فكذبهما فأغرقه الله وجنوده في اليم وأنزل على موسى عشر صحائف التوراة في ألواح الزمرذ وهي ألف سورة في كل سورة ألف آية روى عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كلم الله موسى مائة ألف وعشرين ألفا والثمانمائة وثلاث عشرة كلمة وعاش موسى عليه السلام مائة وعشرين سنة وقبره عند الكثيب الاحمر بفلسطين وعاش هرون مائة وعشرين سنة ومات قبل موسى بثلاثين سنة في التيه * الخضر عليه السلام قيل انه نبي من الانبياء وقيل انه ولي من أولياء الله تعالى * يوشع بن نون عليه السلام نبي مرسل بعثه الله بعد موسى عليه السلام وقد رد الله له الشمس في قتال الجبارين على مدينة أريحاء وهو الذي أرسل الله تعالى على قومه ظالمة فمات منهم في ساعة واحدة سبعون ألفا وعاش مائة وعشرين سنة * كالب بن يوقنا عليه السلام قيل انه نبي وقيل انه ولي * حزقيل عليه السلام قيل انه نبي بعثه الله الى بني اسرائيل وهو حزقيل ابن بوري الذي أحيا الله القوم الذين خرجوا من ديارهم بعد موتهم بدعائه ولاجله قال عطاء الخراساني كانوا أربعة آلاف وقال مقاتل والكلبي ثمانية آلاف وقال أبو مالك ثلاثين ألفا وقال ابن جرير أربعين ألفا وقال ابن أبي رباح سبعين ألفا * الياس عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى بني اسرائيل وأعطاه الله قوة سبعين نبيا وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكان انسيا ملكيا أرضيا سماويا * اليسع بن عدى ابن سوار بن افرائم بن يوسف الصديق بعثه الله بعد الياس عليه السلام الى بني اسرائيل وعاش خمسا وسبعين سنة * ذو الكفل عليه السلام بعثه الله بالشام وهو من أولاد أيوب عليه السلام قال أبو موسى الاشعري ان ذا الكفل لم يكن نبيا ولكن كان رجلا صالحا وقيل هو الياس وقيل هو زكرياء * شمويل عليه السلام بن بالي بن علقمة بن حام أرسله الله الى بني اسرائيل ومعناه بالعبرانية اسمعيل وهو الذي أقام طالوت الملك * داود عليه السلام نبي مرسل أنزل الله عليه الزبور بالعبرانية وهي مائة وخمسون سورة وألان له الحديد ولم يعط أحد من الخلق مثل صوته وكان لا يأكل الا من عمل يده وهو أول من قال أما بعد قال ابن عباس رضي الله عنهما كان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثون ألفا وكان عمر داود مائة سنة وشيع جنازته أربعون ألف راهب وكان الانس والجن يستمعون لحسن قراءته اذا قرأ الزبور وكذلك الوحوش والطيور يستمعون وكان يحمل من مجلسه في بعض الاوقات أربعمائة جنازة ممن قد مات في مجلسه من لذة سماع صوته وحسن قراءته * سليمان عليه السلام نبي مرسل قال كعب بن محمد القرظي كان عسكر سليمان عليه السلام مائة فرسخ وخمسة وعشرين فرسخا للانس ومثلها للجن ومثلها للوحوش ومثلها للطير وهو أول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم وأول من دخل الحمام وأول من صنع له النورة وكان حرس سليمان ستمائة ألف وكان له ألف بيت من قوارير على خشب فيها ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية قال ابن عباس رضي الله عنهما كان في مطبخ سليمان مائة ألف رجل وكان يذبح له كل يوم ألف شاة وثلاثون ألف بقرة وكان يأكل الشعير ويلبس الصوف وعاش ثلاثا وخمسين سنة فبينما هو متكئ على عصاه فمات فدفن على ساحل بحيرة طبرية * لقمان الحكيم ابن باعورا ابن أخت أيوب عاش خمسمائة وخمسين سنة واختلف في نبوته فقال عكرمة كان نبيا وقال حذيفة كان عبدا صالحا وقيل كان قاضيا في بني

جرى النيل ومات ادريس بمصر ذكر ذلك في حسن المحاضرة وقيل رفع الى السماء وهو ابن ثلثمائة وعشرين وقيل وستين سنة وقد ملك مصر بعده أربعة وثلاثون فرعونا أقلهم عمرا مائتا سنة وأكثرهم عمرا ستمائة سنة ولم يكن فيهم أعتى ولا أشر من فرعون موسى * قال وهب ابن منبه كان فرعون موسى قصيرا قيل كان طوله ستة أشبار وطول لحيته سبعة أشبار وقيل كان طوله قدر ذراع (وقال قتادة) الفراعنة ثلاثة أولهم سنان بن الاشل صاحب سارة كان في زمن الخليل بمصر (الثاني) الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف (الثالث) الوليد بن مصعب فرعون موسى وهو عات وكل عات فرعون والعتاة الفراعنة انتهى وكان من جملة الفراعنة الذين ملكوا

اسرائيل وقيل كان عبدا أسود نوبيا من سودان مصر وقيل كان خياطا أو نجارا أو راعي غنم وقد أخذ الحكمة عن ألف نبي وقبره ما بين مسجد الرملة وسوقها وفيه قبر سبعين نبيا وكان داود عليه السلام يقول يا لقمان لقد أوتيت الحكمة وصرفت عنك النقمة (فائدة) * المعمرون شيث عليه السلام عاش تسعمائة سنة نوح عليه السلام لبث في قومه ألف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الغرق خمسين عاما ابراهيم عليه السلام عاش مائة وخمسة وسبعين عاما اسمعيل عليه السلام عاش مائة وثمانين عاما وكذلك اسحق عليه السلام يعقوب عليه السلام عاش مائة وسبعين عاما يوسف عليه السلام عاش مائة وعشرين عاما شعيب عليه السلام عاش مائة وأربعين عاما موسى عليه السلام عاش مائة وعشرين عاما وكذلك هرون عليه السلام وكذلك يوشع عليه السلام لقمان عاش خمسمائة وستين عاما المستوغر بن زيد عاش ثلثمائة وثلاثين عاما معديكرب الحميري عاش مائة وخمسين عاما عامر بن الظرب عاش ثلثمائة عام وكذلك أكثم بن صيفي وكان من حكماء العرب وأدرك الاسلام واختلف في اسلامه قس بن ساعدة الايادي عاش ستمائة عام وكان من عقلاء العرب وشعرائهم وهو أول من أقر منهم بالبعث وأول من قال في الخطبة أما بعد دريد بن الصمة عاش دهرا طويلا حتى سقط حاجباه على عينيه ولم يسلم وشهد حنينا عبيد الجرهمي عاش مائة وعشرين سنة معاذ بن مسلم عاش مائة وخمسين عاما صحب بني مروان وفيه يقول الشاعر

قل لمعاذ اذا مررت به * قد ضج من طول عمرك الابد

رجعنا الى ما نحن بصدده من أخبار الانبياء * يونس عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى أهل نينوى قرية بمصر وهو ابن أربعين عاما فالتقمه الحوت فمكث في بطنه ثلاثة أيام وقيل سبعة أيام وقيل أربعين يوما * شعياء عليه السلام من أصحابه بعثه الله تعالى الى بني اسرائيل وهو الذي بشر بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم * أرمياء عليه السلام نبي بعثه الله الى بني اسرائيل فكذبوه فارسل اليهم بختنصر فخرب بيت المقدس وأحرق التوراة وقتل من بني اسرائيل سبعين ألفا وأسر سبعين ألف غلام وذهب بهم الى بابل ومنهم دانيال وحزقيل النبي عليهما السلام وسبعة آلاف من آل داود عليه السلام * عزير عليه السلام ابن شريق عليه السلام أماته الله وهو ابن أربعين سنة فأماته مائة عام ثم بعثه وهو ابن مائة وأربعين سنة وقيل ابن مائة وعشرين سنة وأحيا حماره * دانيال عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى بني اسرائيل وهو ممن آتاه الله الحكمة والنبوة وألقاه بختنصر في اتون الحمام فلم يحترق وبه أنقذ الله بني اسرائيل من أرض بابل وقبره بالسوس * زكرياء عليه السلام بعثه الله الى بني اسرائيل فقتلوه وكان نجارا * يحيى عليه السلام روى انه كان نجارا ودهم التوراة وهو ابن ثلاث سنين أو سبع وقتل بدمشق واسم المرأة التي قتلته أرميل وانها قتلت سبعين نبيا آخرهم يحيى عليه الصلاة والسلام قال سعيد بن المسيب لما دخل بختنصر دمشق رأى دم يحيى عليه السلام يفور فقتل عليه سبعين ألفا وقد بعث الله بين موسى وعيسى ألف نبي من بني اسرائيل * عيسى عليه السلام نبي مرسل بعثه الله على رأس ثلاثين سنة من عمره فكذبوه فرفعه الله الى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وأنزل عليه الانجيل باللغة السريانية وهو كلمة الله وأمه مريم بنت عمران وهو من أولي العزم من المرسلين وأحيا الله له سام بن نوح عليه السلام بعد أربعة آلاف سنة قال كعب بعث الله بعد عيسى بن مريم رسولين من الحواريين من مدينة انطاكية حبيب النجار وهو ثالث الرسل وقبره بانطاكية شمعون ومن زمن هبوط آدم عليه السلام من الجنة الى رفع عيسى عليه السلام خمسة آلاف وخمسمائة وخمسون سنة وكانت الفترة التي لم يبعث فيها رسول أربعمائة وأربعا وثلاثين سنة *(فائدة)* لا بأس بذكرها وهو ان الصفي الحلي صحف اسم عيسى عليه السلام

سألت الحب ما اسمك وهو ظبي * من العرب الكرام فقال عيسى

فقلت له انتسبت لأي قوم * تكون من الكرام فقال عبسي

فقلت وما صنيعك في البوادي * لتحصيل الطعام فقال عشبي

مصر سبعة من الكهان لهم الاعمال العجيبة والامور الغريبة (الاول) اسمه مصيلم وهو أول من اتخذ مقياسا لزيادة النيل وعمل بركة من نحاس وعليها عقابان ذكر وأنثى وفيها قليل من الماء فاذا كان أول شهر يزيد فيه النيل اجتمعت الكهنة وتكلموا بكلام فيصفر أحد العقابين فان كان الذكر كان النيل عاليا وان كان الانثى كان النيل ناقصا (الكاهن الثاني) اسمه اعشامش من أعماله العجيبة انه عمل منارا في هيكل الشمس وكتب على الكفة الاولى حقا وعلى الثانية باطلا وعمل تحتها فصوصا فاذا حضر الظالم والمظلوم أخذ فصين وسمى

الاسم

نسبة الى عبس

من يجمع العشب

فقلت وما أنيسك في الغياهب * بأثناء الظلام فقال عيسى عيسى
فقلت وهم تسير بكل غاد * بعزم على الدوام فقال عيسى عنسى
فقلت ولم عصيت نصيح حب * دعاك الى القيام فقال عيسى عيشى
فقلت لقد سلبت القلب مني * بلحظك والقوام فقال عيسى عسنى
فقلت عساك تسمح لي بوصل * أيا بدر التمام فقال عيسى عنى
فقلت وما الذي يدعوك حتى * تجافى بالكلام فقال عيسى عيبى
فقلت له صدقت وأي شيء * تقول على النظام فقال عيسى غيبتى
فقلت بمن أعيش وأنت سؤلي * وتجهد بالغرام فقال عيسى عيشتى

وذيله الشهاب الحجازي بما أخل به الصفي الحلي من الالفاظ المصحفة فقال

فقلت أراك يا سؤلي طروبا * لانشاد النظام فقال عيسى غنيتى
فقلت أراك حيرانا ذهولا * فماذا أل هديت فقال عيسى عنيتى
فقلت من الهوى جات تقلا * بما حملتنيه فقال عيسى عييتى
فقلت ولا أريد سواك فاعطف * على فقرى اليك فقال عيسى غنيتى
فقلت أراك ذا نظر شرود * تثنت بالقوام فقال عيسى عبثتى
فقلت فنيت في حبيك فارحم * وداوى ذا السقام فقال عيسى عنيتى
فقلت معاتبا فاجبر خدودا * لماذا الاحرار فقال عيسى عتبتى
فقلت ملاطفا من أي شيء * تمايل ذا القوام فقال عيسى عنتنى

(فائدة) أول من تكلم بالتصحيف في الاسلام الامام على رضى الله عنه من ذلك قوله كل عنب يغطيه الكرم الاعنب الذنب معناه كل عيب يغطيه الكرم الاعيب الدين ومنه تخم عشق يحيى معناه نجم عسق نجى ربعنا الماكرين بصدده (لاحقة) في ذكر جماعة من الانبياء عليهم الصلاة والسلام دراوست الفارسى عليه السلام هو نبي وقيل ولى من عباد الله الصالحين وهو من أهل فلسطين بعثه الله الى قوم يعبدون الأصنام فدعاهم الى الله سبعين مرة * شمو يل وخرقال وشمعون وجيمون من أنبياء بنى اسرائيل * خالد بن سنان العبسى كان في الفترة عليه السلام وله

شهدت على أحمد أنه * رسول من الله بارى النسم
فلو مد عمرى الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم

محمد رسول الله وقد تقدم الكلام على بعثته ومقامه بمكة وهجرته ولما استقر عليه أفضل الصلاة والسلام بالمدينة المنورة واجتمع عليه أصحابه وقاموا بنصرته وصارت المدينة لهم دار اسلام شرع الله له جهاد الاعداء فكان مقامه صلى الله عليه وسلم بالمدينة الى حين وفاته عشر سنوات وفي سنة ست من الهجرة كاتب النبي صلى الله عليه وسلم المقوقس ودعاه الى الاسلام وكان الرسول اليه حاطب بن أبي بلتعة رضى الله عنه ذكر البيضاوى في تفسيره في أول سورة الممتحنة في قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء نزلت في حاطب المذكور فانه لما علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يغزو أهل مكة كتب اليهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وأرسله مع سارة مولاة بنى عبد المطلب فنزل جبريل عليه السلام وأخبره بذلك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فان أبت فاضربوا عنقها فادركوها ثمت فجحدت فسل على عليها السيف فاخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال له ما حملك على هذا فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت وما غششتك منذ نصحتك ولكنى كنت امرأ ملصقا في قريش وليس لي فيهم من يحمى أهلي فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد

العيس الابل
العنس المرأة
العسن الطول
أصله عسى
من العيب
من الغيبة
من العيشة

من الغناء
من يبقى
من الاعياء
من الغنى ضد الفقر
من العبث
من العناية
من العتاب
من تثنى

عليهما ما يريد وجعل كل فص منهما في كلمة فتنقل كلمة المظلوم وترتفع كلمة الظالم (الكاهن الثالث) عمل مرآة من المعادن ينظر فيها الاقاليم السبعة فيعرف ما أخصب منها وما أجدب وما حدث من الحوادث

علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيأ فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره ورجعنا الى ما نحن بصدده فلما انتهى حاطب الى الاسكندرية وجد المقوقس في مجلس مشرف على البحر فلما حاذى مجلسه أشار بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم بين أصبعيه فأمر المقوقس بحمل حاطب فلما وصل اليه ناوله كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فضمه الى صدره وقال هذا زمان يخرج فيه النبي صلى الله عليه وسلم الذي نجد نعته وصفه في كتاب الله وانا لنجد صفته أنه لا يجمع بين أختين في زواج وأنه لا يقبل الصدقة ويقبل الهدية وأن جلساءه المساكين وان خاتم النبوة بين كتفيه ثم قرأ الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عند محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط سلام الله على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فلما أتم المقوقس قراءة الكتاب أخذه فجعله في حق من عاج وختم عليه وأرسل ليلا أخذ حاطبا عنده وليس عنده أحد الا ترجمانه فقال له ألا تخبرني عن أمور أسألك عنها فاني أعلم ان صاحبك قد تخيرك حين بعثك فقال حاطب لا تسألني عن شيء الا صدقتك فيه فقال الى م يدعو محمد فقال ان تعبد الله ولا تشرك به شيأ وتخلع ما سواه ويأمر بالصلاة فقال كم تصلون فقال خمس صلوات في اليوم والليلة وصيام رمضان وحج البيت الحرام والوفاء بالعهد وينهى عن أكل الميتة والدم قال من أتباعه قال الفتيان من قومه وغيرهم قال وهل يقتل قومه قال نعم قال صفه لي بصفته قال فوصفه بصفة من صفاته قال بقي أشياء لا أراك ذكرتها في عينيه حمرة قلما تفارقه وبين كتفيه خاتم النبوة يركب الحمار ويلبس الشملة ويجتزي بالتمرات والكسر لا يبالي من لاقى من عم ولا ابن عم قلت نعم هذه صفاته قال كنت أعلم أن نبيا قد بقي وكنت أظنه يخرج من الشام وهنالك كانت تخرج الانبياء من قبله فأراه قد خرج في العرب في أرض جهد وبؤس والقبط لا تطاوعني فارجع الى صاحبك ثم دعا بكاتب يكتب بالعربية فكتب أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو اليه وقد علمت أن نبيا قد بقي وكنت أظنه يخرج من الشام وقد أكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين لهما مكانة في القبط وهي مارية وأختها شيرين وخصيا يقال له مابور وبغلة وحمارا وعسلا وقباطي من قباطي مصر وكان الذي بعثه المقوقس مع الهدية خصيا اسمه نجير القبطي فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم الهدية فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدية فلما نظر الى مارية وأختها أعجبتاه وكره أن يجمع بينهما فقال اللهم اختر لنبيك فاختار الله له مارية فاسلمت وآمنت ومكثت أختها ساعة وأسلمت فوهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحمد بن سلمة الانصاري رضي الله عنه ولم تزل مصر في يد المقوقس مدة حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيام خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وصدرا من خلافة عمر رضي الله عنه وفتحت مصر في سنة تسع عشرة من الهجرة وروى أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قدم الجابية خلا به عمرو بن العاص وقال يا أمير المؤمنين أتأذن لي بالسير الى مصر فانك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم وهي أكثر أهل الارض أموالا وأعجزهم حربا وقتالا فتخوف عمر رضي الله عنه على المسلمين فلم يزل يعظم أمرها عنده حتى ركن لذلك عمر رضي الله عنه فعقد له على أربعة آلاف رجل وقال له سر وامض واستعن بالله واسئله نصره فسار عمرو حتى نزل العريش وهو من حدود أرض مصر ثم سار حتى وصل قريبا من مصر فقاتله المقوقس قتالا شديدا فكتب عمرو بن العاص الى سيدنا عمر بن الخطاب يستمده فأمده باثني عشر ألفا منهم أربعة تقوموا بأربعة آلاف وهم الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت وسلمة بن مخلد فوصلوا اليه وأحاطوا بالحصن فنصب عمرو رضي الله عنه الفسطاط وهو البيت الذي من الشعر فأقاموا على باب الحصن سبعة أشهر فلما رأى المقوقس ذلك نزل في سفينة كانت بباب الحصن وهو قصر الشمع ومعه أهل القوة فلحق بالجزيرة وهي الروضة وسأل في الصلح فبعث اليه عمرو بن العاص رضي الله عنه عبادة بن الصامت والمقداد بن الاسود فصالحه المقوقس عن القبط والروم وجعل الخيار له في الصلح الى أن يوافق كتاب ملكهم بما يكون وأن القبط يعطون عن كل بالغ من الرجال دينارين فكان عددهم يوم الصلح ستة آلاف ألف نفس

وعمل في وسط المدينة صورة امرأة جالسة في حجرها صبي كأنها ترضعه فان امرأة أصابها وجع في جسمها مسحت ذلك الموضع من جسد تلك الصورة فتبرأ من ساعتها (الكاهن الرابع) عمل شجرة أغصانها من حديد بخطاطيف اذا قرب منها الظالم خطفته وتعلقت به فلا تفارقه حتى يقر بظلامه وعمل صنما من كذان أسود وسماه عبد زحل يتحاكمون اليه فمن زاغ عن الحق ثبت مكانه ولم يقدر على الخروج حتى ينتصف من نفسه ولو أقام سنين (الكاهن الخامس) عمل شجرة من نحاس فكل وحش وصل اليها لم يستطع الحركة حتى يؤخذ فشبعت الناس لحما في أيامه وعمل على باب المدينة صنمين صنما عن يمين الباب وصنما عن يساره

وأن عليهم الضيافة للواردين ثلاثة أيام وذلك فى سنة ثمان عشرة من الهجرة ثم ان المقوقس توجه الى الاسكندرية وفى سنة تسع عشرة من الهجرة هلك ملك الروم وفتحت الاسكندرية وقت الظهر يوم الجمعة مستهل محرم سنة عشرين وذلك بعد ان حوصرت أربعة عشر شهرا وقتل من المسلمين ثلاثة عشر رجلا والله تعالى أعلم

(الباب الاول فى خلافة الخلفاء الاربعة ومن ولى بعدهم وهو الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه)

روى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان لحوضى أربعة أركان ركن منه فى يد أبى بكر والثانى فى يد عمر والثالث فى يد عثمان والرابع فى يد على فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر ومن أحب عمر وأبغض أبا بكر لم يسقه عمر ومن أحب عثمان وأبغض عليا لم يسقه عثمان ومن أحب عليا وأبغض عثمان لم يسقه على ومن أحسن القول فى أبى بكر فقد أقام الدين ومن أحسن القول فى عمر فقد أوضح السبيل ومن أحسن القول فى عثمان فقد استنار بنور رب العالمين ومن أحسن القول فى على فقد استمسك بالعروة الوثقى ومن أحسن القول فى أصحابى فهو مؤمن ومن أساء القول فى أصحابى فهو منافق ويروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم متوكئا على أبى بكر وعمر وهو يقول هكذا نحيا وهكذا نموت وهكذا ندخل الجنة وروى محمد بن آدم قال رأيت بمكة أسقفا يطوف بالكعبة فقلت له ما الذى أخرجك عن دين آبائك فقال تبدلت خيرا منه فقلت وكيف ذلك قال ركبت البحر فلما توسطناه انكسرت المركب فلم تزل الامواج تدافعنى حتى رمتنى فى جزيرة من جزائر البحر فيها أشجار كثيرة ولها ثمر أحلى من الشهد وألين من الزبد وفيها نهر عذب فحمدت الله على ذلك وقلت آكل من الشجر وأشرب من هذا النهر حتى يقضى الله بأمره فلما ذهب النهار خفت على نفسى من الوحش فطلعت على شجرة ونمت على غصن من أغصانها فلما كان فى جوف الليل واذا دابة على وجه الماء تسبح الله تعالى وتقول لا اله الا الله العزيز الجبار محمد رسول الله النبى المختار أبو بكر الصديق صاحبه فى الغار عمر الفاروق فاتح الامصار عثمان القتيل فى الدار على سيف الله على الكفار فعلى مبغضيهم لعنة العزيز الجبار ومأواهم النار وبئس القرار ولم تزل تكرر هذه الكلمات الى الفجر فلما طلع الفجر قالت لا اله الا الله الصادق الوعد والوعيد محمد رسول الله الهادى الرشيد أبو بكر الموفق السديد عمر بن الخطاب سور من حديد عثمان الفضيل الشهيد على بن أبى طالب ذو البأس الشديد فعلى مبغضيهم لعنة الملك الحميد ثم أقبلت الى البر فاذا رأسها رأس نعامة ووجهها وجه انسان وقوائمها قوائم بعير وذنبها ذنب سمكة فخشيت على نفسى الهلكة ثم هربت فنطقت بلسان فصيح وقالت يا هذا قف والا هلكت فوقفت فقالت ما دينك فقلت دين النصرانية فقالت ويلك ارجع الى دين الحنيفية فقد حللت بفناء قوم من مسلمى الجن لا ينجو منهم الا من كان مسلما فقلت وكيف الاسلام فقالت تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقلتها فقالت أتم اسلامك بالترحم على أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم فقلت ومن أتاكم بذلك قالت قوم منا حضروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعوه يقول اذا كان يوم القيامة تأتى الجنة فتنادى بلسان طلق فصيح الهى قد وعدتنى ان تشيد أركانى فيقول الجليل جل جلاله قد شيدت أركانك بأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وزينتك بالحسن والحسين ثم قالت الدابة أتريد المقام ههنا أم الرجوع الى أهلك فقلت الرجوع الى أهلى فقالت اصبر حتى تمر مركب فبينما نحن كذلك واذا بمركب أقبلت تجرى فأومأت اليهم فدفعوا الى زورقا فنزلت فيه ثم جئت اليهم فوجدت المركب فيها اثنا عشر ألف رجل كلهم نصارى فقالوا ما الذى جاء بك الى ههنا فقصصت عليهم قصتى فتعجبوا كلهم وأسلموا عن آخرهم ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومما يحكى) عن عبد الواحد بن زيد قال كنت فى مركب فطرحتنا الريح الى جزيرة فاذا فيها رجل يعبد صنما فقلت له يا رجل من تعبد فأومأ الى الصنم فقلت ان معنا فى المركب من يسوى مثل هذا ليس هذا باله يعبد قال فأنتم من تعبدون قلنا الله قال وما الله قلنا الذى فى السماء عرشه وفى الارض سلطانه وفى

فاذا دخل أحد فان كان من أهل الخير ضحك الصنم الذى عن يمين الباب وان كان من أهل الشر بكى الصنم الذى عن يسار الباب (الكاهن السادس) عمل درهما اذا ابتاع صاحبه شيأ اشترط على البائع ان يزن له بزنته من النوع الذى يشتريه فاذا وضع فى الميزان ووضع فى مقابلته كل ما وجد من الصنف الذى يريد شراءه لا يعدله ووجد هذا الدرهم فى كنوز مصر فى أيام بنى أمية (الكاهن السابع) كان يعمل اعمالا عجيبة من جملتها أنه كان يجلس فى السحاب فى صورة انسان عظيم فأقام مدة ثم غاب فأقاموا بلا ملك الى أن رأوه فى صورة الشمس فى برج الحمل فأعلمهم أنه لا يعود اليهم وان يولوا فلانا بعده (وسبب تولية الوليد)

الاحياء والاموات فضاؤه قال كيف علمتم بذلك قلنا وجه الينا هذا الملك رسولا كريما فأخبر بذلك
قال فما فعل بالرسول قلنا لما أدى الرسالة قبضه الله اليه قال هل ترك عندكم علامة قلنا ترك عندنا كتاب الملك
قال أروني كتاب الملك ينبغي أن تكون كتب الملوك حسانا فأتيناه بالمصحف فقال لا أعرف هذا فقرأنا
عليه سورة من القرآن فلم نزل نقرأ عليه وهو يبكي حتى ختمنا السورة فقال ينبغي لصاحب هذا الكلام
أن لا يعصى ثم أسلم وحملناه معنا وعلمناه شعائر الاسلام وسورا من القرآن وكنا حين جن الليل صلينا العشاء
وأخذنا مضاجعنا فقال لنا يا قوم هذا الاله الذي دللتموني عليه اذا جن الليل ينام قلنا يا عبد الله هو حي قيوم
لا ينام قال بئس العبيد أنتم تنامون ومولاكم لا ينام فأعجبنا كلامه فلما قدمنا عبادان قلت لاصحابي هذا
قريب عهد بالاسلام فجمعنا له دراهم وأردنا اعطاءه فقال ما هذا فقلنا نفقة تنفقها فقال لا اله الا الله
دللتموني على طريق ما سلكتموها أنا كنت في جزائر البحر أعبد صنما من دونه ولم يضيعني فيضيعني وأنا أعرفه
فلما كان في بعض الايام قيل لي انه في الموت فأتيته فقلت هل لك من حاجة فقال قضى حوائجي من جاء بكم الى
الجزيرة قال عبد الواحد فغلبتني عيني فنمت عنده فرأيت مقابر عبادان روضة وفي الروضة قبة وفي القبة سرير
عليه جارية لم ير أحسن منها فقالت سألتك بالله الا عجلت به فقد اشتد شوقي اليه فانتبهت فاذا به قد فارق
الدنيا فقمت اليه فغسلته وكفنته وصليت عليه وواريته فلما جن الليل نمت فرأيته في القبة مع الجارية
وهو يقرأ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار

(خلافة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه)

اسمه عبد الله بن أبي قحافة واسم أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب
ابن لؤي بن غالب التيمي القرشي يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب وأمه سلمى بنت صخر
ابن عامر بن سعد بن تيم بن مرة بنت عم أبيه قيل كان اسم أبي بكر رضي الله عنه عبد الكعبة فسماه النبي
صلى الله عليه وسلم عبد الله واسمه عتيقا لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أراد أن ينظر الى عتيق
من النار فلينظر الى أبي بكر وهو أول الرجال اسلاما شهد المشاهد كلها وكان مولده بمكة بعد الفيل بسنتين
وأربعة أشهر وأيام وكان أبيض نحيفا خفيف العارضين بويع في شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة
من الهجرة فجلس على المنبر وخطب الناس فقال أيها الناس قد وليت أمركم ولست بخيركم انما أنا متبع
ولست بمبتدع فان احسنت فأعينوني وان زغت فقوموني فان الصدق أمانة والكذب خيانة
والضعيف فيكم قوي عندي حتى أزيح عليه حقه ان شاء الله والقوي فيكم عندي ضعيف حتى آخذ
الحق منه ان شاء الله لا يدع الجهاد قوم في سبيل الله الا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة في قوم الا عمهم
الله بالبلاء أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فان عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا الى صلاتكم
يرحمكم الله ثم قام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم قال أيها الناس كنت قلت لكم مقالة ما كانت في كتاب الله عز وجل ولا كانت عهدا عهده رسول
الله صلى الله عليه وسلم الينا ولا كانت عن رأي ان الله عز وجل قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وثاني اثنين في الغار وهو أبو بكر فبايعوه فقام الناس الى مبايعته عامة ولما بايع علي
رضي الله عنه أبا بكر اعتنقا وتباكيا وسر المسلمون بذلك فقال أبو سفيان بن حرب أرضيتم يا بني عبد مناف
ان تليكم تيم وان يلي أمركم ابن أبي قحافة والله لئن شئتم لأملأنها عليكم خيلا ورجالا فقال علي رضي
الله عنه يا أبا سفيان ان المسلمين قد نصح بعضهم لبعض ولولا انا رأينا أبا بكر أهلا لها لما بايعناه *(نبذة)* في
فضائله رضي الله عنه منها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر في مرض موته بتجهيز أسامة بن زيد في
سبعمائة بطل لغزو الروم وانه أمير عسكره وذلك في يوم الاثنين لأربع بقين من شهر صفر سنة احدى عشرة
وقال له سر الى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فأغر صباحا على أهل ابنى وحرق
عليهم وأسرع السير فان ظفرك الله عليهم فأقل اللبث فيهم وخذ معك الادلاء وقدم العيون والطلائع فلما

ابن مصعب الذي هو فرعون
موسى على مصر كما أخرجه
ابن عبد الحكم ان ملك
مصر لما توفي تنازع الملك
جماعة من أبناء الملك ولم
يكن للملك عهد لاحد ولما
اشتد الامر بينهم تداعوا
الى الصلح فاصطلحوا على ان
يحكم بينهم أول من يطلع من
سفح الجبل فطلع فرعون
بين عدلتي نطرون على
حمار أقبل بهما ليبيعهما
فاستوقفوه وقالوا انا
جعلناك لتحكم بيننا فيما
تشاجرنا فيه من الملك وآتوه
مواثيقهم على الرضا فلما
استوثق منهم قال اني رأيت
ان أملك نفسي عليكم فهو
أذهب لضغائنكم وأجمع
لأموركم والامر من بعد
اليكم فأمروه عليهم وأقعدوه
في دار الملك بمنف فأرسل
الى كل صاحب أمر رجلا
منهم فوعده ومناه ان
ملكه على ملك صاحبه ليلة

كان يوم الاثنين بدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوجع فحم وصدع فلما كان يوم الخميس عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء بيده لاسامة ثم قال اغز باسم الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله فخرج بلوائه معقودا فدفعه الى بريدة بن الحصيب الاسلمي فتكلم قوم وقالوا يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الاولين فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا وقد عصب رأسه بعصابة وعليه قطيفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ولئن طعنتم في امرتي أسامة فلقد طعنتم في امرتي أباه من قبله وايم الله ان كان أبوه لخليقا للامارة وان ابنه من بعده لخليق للامارة فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم ثم نزل فدخل بيته وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول انفذوا بعث أسامة فلما كان يوم الاحد اشتد الوجع برسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل أسامة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مغمور فطاطا أسامة يقبله والنبي صلى الله عليه وسلم لا يتكلم فجعل يرفع يديه الى السماء ويضعهما على أسامة وعاد أسامة الى معسكره فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين في شهر ربيع الاول بلا خلاف حين زاغت الشمس وقيل حين اشتد الضحى من يوم الاثنين في مثل الوقت الذي دخل فيه المدينة واختلفوا في تعيين ذلك اليوم من الشهر فقيل كان أوله وقيل كان ثانيه وقيل ثاني عشره وقيل ثالث عشره وقيل خامس عشره والمشهور انه كان ثاني عشر شهر ربيع الاول وكان ابتداء مرضه صلى الله عليه وسلم في أواخر شهر صفر وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوما في المشهور وقيل أربعة عشر يوما واختلفوا في وقت دفنه صلى الله عليه وسلم فقيل دفن من ساعته وقيل بعد وقيل من ليلة الثلاثاء وقيل يوم الثلاثاء وقيل ليلة الاربعاء ثم ان عسكر أسامة دخل المدينة ودخل بريدة باللواء حتى أتى به باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرزه فلما ولي أبو بكر الخلافة أمر الناس بما كان أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت الانصار لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قل لابي بكر يرجع بالمسلمين فان أبى أن لا يفعل فليول علينا رجلا أقدم سنا من أسامة فبلغ أسامة ذلك فارسل الى عمر بن الخطاب يسأله في عرض ذلك على أبي بكر رضي الله عنه وهل يأذن لي ان أرجع بالناس فان وجوه الناس معنا ونخاف أن أثقال المسلمين يتخطفها المشركون فاتى عمر أبا بكر رضي الله عنه فذكر له ذلك فقال أبو بكر رضي الله عنه لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فعند ذلك رجع عمر الى أسامة والانصار فذكر لهم مقالة أبي بكر رضي الله عنه فقام الانصار وقالوا لعمر لا بد ان تراجع أبا بكر في ذلك فراجعه عمر رضي الله عنه فقام أبو بكر فأخذ بلحية عمر وقال ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة وأمره وتأمرني أن أنزعه قال فعند ذلك رجع عمر رضي الله عنه الى الناس وأخبرهم بالجواب فتجهزوا وخرجوا وخرج أبو بكر يشيعهم وهو ماش وأسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر فقال أسامة لابي بكر يا خليفة رسول الله والله لتركبن أو لأنزلن فقال أبو بكر والله لا أركب والله لا تنزل والله ما ضرني أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله وعاد أبو بكر وسافر أسامة بالجيش ولم يصادف أحدا الا صدّه وكان لا يمر بقبيلة تريد الارتداد الا وقالوا لولا ان لهؤلاء قوة ما خرج هؤلاء من عندهم وان أسامة وصل الى أهل أبنى في عشرين ليلة فشن عليهم الغارة وسبى حريمهم وحرق منازلهم وحرثهم وأجال الخيل في عرصاتهم وأصاب الغنائم منهم وكان أسامة على فرس أبيه فقتل قاتل أبيه في الغارة ووصل الى المدينة سالما وكان سن أسامة سبع عشرة سنة (وذكرت) على سبيل الاستطراد بعض اللطائف لاجل المناسبة يأتي ذكرها فيه (منها) ما حكاه المسعودي في شرح المقامات ان المهدي لما دخل البصرة رأى اياس بن معاوية وهو صبي وخلفه أربعمائة من العلماء وأرباب الطيالسة واياس يقدمهم فقال المهدي أف لهذه العثانين أما كان فيهم شيخ يقدمهم غير هذا الحدث ثم ان المهدي التفت الى اياس وقال له كم سنك يا فتى قال سني أطال الله بقاء أمير المؤمنين سن أسامة بن زيد بن حارثة لما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا وكان في الجيش من الصحابة من هو أقدم سنا من أسامة فقال له تقدم بارك الله فيك (وحكى) ان يحيى بن

يقتل فيها كل رجل منهم صاحبه فطمعوا وودان له أولئك بالربوبية فملكهم نحوا من خمسمائة سنة وقيل أربعمائة فلم يصدع له رأس وكان ملكه ما بين مصر الى افريقية من بلاد المغرب (وقيل) كان عطارا باصبهان فافلس وركبته الديون فخرج هاربا الى الشام فلم يستقم حاله فجاء الى مصر فرأى ملكها مشتغلا باللهو فتوصل اليه بحيلة وخرج الى المقابر وسمى نفسه عامل الاموات وصار يأخذ عن كل ميت جعلا حتى بلغ الملك خبره فاحضره وكلمه فاعجبه عقله ومعرفته فاستوزره ثم قتل الوزير فصار له في الناس سيرة حسنة وكان عدلا شجاعا يقضي للسيد أن يعطف على عبيده ويفيض عليهم ولا يرغب فيما بايديهم ورد على أهل كل قرية ما أخذت

أكثم لما ولاه المأمون قضاء البصرة وكان سنه عشرين سنة فاستصغره فقال أحدهم كم سن القاضي فقال أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذي وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على مكة يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذي وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على اليمن وأكبر من كعب بن سوار الذي وجهه عمر قاضيا على البصرة فجعل جوابه احتجاجا (وحكي) ان المأمون لما حضر اليه يحيى بن أكثم المذكور وأطال النظر اليه وكان يحيى بن أكثم دميم الخلقة فقال له يا أمير المؤمنين أنظر الى خلقي ولا تنظر الى خلقي فقال له المأمون هلك هالك عن أبوين وعن أختين ولم تقسم التركة حتى ماتت احدى الاختين عمن ذكر في المسئلة فقال يا أمير المؤمنين الميت الاول ذكر أم أنثى فعرف المأمون فضله وقال قد فرقت بين الذكر والانثى فقد سهل عليك الجواب وقد ذكر انه لما استخلف عمر بن عبد العزيز قدم عليه وفود أهل كل بلد فتقدم وفد أهل الحجاز فتقدم منهم غلام للكلام فقال عمر يا غلام ليتقدم من هو أسن منك فقال الغلام يا أمير المؤمنين انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فاذا منح الله عبده لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد أجاد له الاختيار ولو كان الامر بالسن لكان ههنا من هو أحق منك بمجلسك فقال عمر صدقت هذا هو السحر الحلال فقال يا أمير المؤمنين نحن وفد التهنئة لم يقدمنا اليك رغبة ولا رهبة الا أنا قد أمنا في أيامك ما خفنا وأدركنا ما طلبنا فسأل عمر عن سن الغلام فقيل له عشرون سنة (وقد روى) ان محمد بن كعب القرظي كان حاضرا فنظر الى وجه عمر وقد تهلل عند ثناء الغلام عليه فقال يا أمير المؤمنين لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك فتهلك فيمن خدعهم الثناء وغرهم الشكر فزلت أقدامهم فهووا في النار أعاذك الله أن تكون منهم وألحقك بسالف هذه الامة فبكى عمر حتى خيف عليه وقال اللهم لا تخلنا من واعظ وقد سمعت من بعض الافاضل ان أبا عبد الله الأزرى وهو غلام لم يبلغ الحلم جلس نهارا في شهر رمضان لتدريس العلم الشريف وخلفه ما ينوف عن مائة رجل من طلبة العلم الشريف يستفيدون منه ما يلقيه اليهم من العلم فقال لهم اصبروا حتى أتغدى فقال له شخص من الحاضرين تكون شيخ هذه الطائفة وتتغدى نهارا في رمضان فأجابه بأن قال له ما طولبت الآن بذلك ما أوجب علي صوم فعل الرجال (وحكي) أنه كان للعتابي غلام بديع الحسن حسن الصورة وكان مشغوفا بحبه فكتب اليه يقول قد علمت أيدك الله ميلي اليك واستمالة ذلك على انك تكثر بعدي وتنكر قصدي وأنا أشكو أحوالي كلها اليك وأستعين بك عليك فأجابه الغلام بقول شكواك المقتضى انصافك وايثار رضاك يقتضي اسعافك ومكروه مع سيا... أولى من الاجتماع على ... وجدت أيدك الله فرصة ليس معها انتهاك الستر وفتح الذكر صرت اليك ومع هذا الا ... بالشهوات باسقاط المروآت ولا خير في شيء تذهب لذته وتبقى تبعته فاختر أيدك الله أحد الامرين اما طاعة الله لمعصيتك أو معصيته لطاعتك قال بل طاعة الله أحب وأوجب والرجوع اليه أحسن وأقرب والله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقيل في المعنى

تفنى اللذاذة ممن نال لذتها * من الحرام ويبقى الاثم والعار
تبقى عواقب سوء من مغبتها * لا خير في لذة من بعدها النار

وقال ابراهيم بن محمد المهلبي الواسطي

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني * منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن أهوى فيقنعني * منه الفكاهة والتحديث والنظر
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم * وليس لي في حرام منهم وطر
كذلك الحب لا اتيان معصية * لا خير في لذة من بعدها سقر

وحكي ان شخصا نظر الى ولد أمرد جميل الصورة فكتب اليه يقول

ماذا تقول اذا اجتمعنا في غد * وأقول للرحمن هذا قاتلي

فأجابه الولد بأن قال أقول له يارب هذا طلب مني فعل السوء فما وافقته (وحكي) ان رجلا خلا بولد أمرد فقيل له في ذلك فقال أردت أن أريه باب الفاعل والمفعول فقيل له وما هذا التحرك بينكما فقال حرف جاء لمعنى

منهم فرده كله على أهله وكان خراج مصر في زمنه في كل سنة اثنين وسبعين ألف ألف دينار يأخذ فرعون من ذلك الربع خالصا لنفسه يصنع فيه ما يريد والربع الثاني لجنده وما يتقوى به على محاربه وجباية خراجه ودفع عدوه والربع الثالث في مصلحة الارض وما تحتاج اليه من جسور وخلج وقناطر ولقوة المزارعين على زروعهم وعمارة أرضهم والربع الرابع يدفن في الارض فيؤخذ ربع ما يصيب كل قرية من خراجها ليدفن ذلك فيها لنائبة تنزل أو جائحة تطرأ يقضي بالحق ولو على نفسه فأحبه الناس لكثرة عدله فتوفي الملك فولوه عليهم فعاش زمانا طويلا حتى مات منهم ثلاثة قرون وهو باق فطار وتجبر وبغى وقال أنا ربكم الاعلى فاستخف

(ويحكى) عن علي بن بسام البغدادي انه قال كنت أعشق غلاما لخالي ابن حمدون فنمت ليلة عنده وقمت لادب عليه فلسعتني عقرب فأتيت خالي فقال لي ما أتى بك ههنا فقلت له قمت لابول فقال صدقت في است غلامي وأنشد يقول

داري اذا نام سكانها * يقيم الحدود بها العقرب
اذا غفل الناس عن مالهم * فان عقاربها تضرب

وفي المعنى يقول

ولقد سريت مع الظلام لموعد * حصلته من غادر كذاب
فاذا على ظهر الطريق معدة * سوداء قد عرفت أوان ذهابي
لابارك الرحمن فيها انها * دبابة دبت الى دباب

ومن عجيب أمر العقرب انها لاتضرب الميت ولا النائم حتى يتحرك شيء من بدنه وربما لسعت الافعى فماتت والى ذلك أشار عمارة اليمني فقال

اذا لم يسالمك الزمان فحارب * وباعد اذا لم تنتفع بالاقارب * ولاتحقرن كيدا ضعيفا فربما
تموت الافاعي من سموم العقارب * وقد هد قدما عرش بلقيس هدهد * وخرب فار قبل ذا سد مارب
اذا كان رأس المال عمرك فاحترز * عليه من التضييع في غير واجب
وبين اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشه بالعجائب

وفي ربيع الابرار أن أرض حمص لاتعيش بها العقرب وزعم أهلها ان ذلك طلسم وان طرحت فيها عقرب غريبة ماتت لوقتها وقد سمعت من شخص من أهل حمص أنه رحل منها وسكن في مصر وكان من جملة أمتعته التي استصحبها معه بساط فرشه بالمنزل الذي سكن فيه بمصر فكان اذا دبت عليه عقرب ماتت لوقته وهذا عجيب (وروى) الحافظ أبو نعيم في تاريخ أصبهان والمستغفري في الدعوات والبيهقي في الشعب عن علي رضي الله عنه أنه قال لدغت النبي صلى الله عليه وسلم عقرب وهو في الصلاة فلما فرغ قال لعن الله العقرب لاتدع مصليا ولا غيره ولا نبيا ولا غيره الا لدغته وتناول نعله فقتلها به ثم دعا بماء وملح فجعل يمسح عليها ويقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين (وروى) عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله مالقيت من عقرب لدغتني البارحة * قال أما انك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق لم تضرك ان شاء الله (حكاية) عن جابر قال كان بالمدينة رجل يكنى أبا مذكور يرقي من العقرب وينفع بها الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا مذكور ما رقيتك هذه فقال أبو مذكور شجة قرنية ملحة بحر قفطا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بأس بها انما هو مواثيق أخذها سليمان بن داود على الهوام عدنا الى ذكر الدب وما أدراك ما الدب قال أبو نواس

اذا هجع النيام نحلت عني * وعين كان يسلح للدبيب
ألذ النيل ما كان اغتصابا * بجمع الحب أو منع الرقيب

(وقال الاشعري) كنت مثل النسيم عند دبيبي * سحرا عند ردف حبيبي
فلهذا افتحت زهرة ورد * بقضيب عند الهبوب رطيب

وقد جمع ابن دانيال آلات الدب في بيت فقال

فلما دب في السماعات الا * لقبوني بالالثغ الدباب
واعمري قد كنت الحم الدب * بآلاته معي في جراب
مثل درج وابرة وخيوط * ومقيد وبيضة وتراب

قال في القاموس دب يدب دبا ودبيبا مشى على هينة كالسقم في الجسد والبلا في الثوب يسري ومقاربه سرت عليه وآذته وهو دبوب وديبوب والديبوب الجامع بين الرجال والنساء والنمام والقواد (ويحكى) ان رجلا حكى وبعض القضاة حاضر ان الجاحظ مر على مكتب فرأى غلاما حسنا فقال لابد من تقبيله عشرا فلما استوفى يمينه قال الغلام بيننا الحاكم فحضرا فادعى الغلام وأقر الخصم فقال القاضي ماحملك على فعالك فقال

تعلم العاشق من خده فانعطفا * وكان من دينه ان لايفي فوفا

قومه فاطاعوه وقال موسى يارب ان فرعون يجدك مائتي سنة فكيف أمهلته فأوحى الله تعالى اليه انه عمر بلادي وأحسن الى عبادي ومن جملة احسانه أن هامان وزيره لما ابتدأ حفر خليج سردوس أتاه أهل قرية يسألونه أن يجري الخليج اليهم تحت قريتهم ويعطونه مالا فاجتمع له من ذلك مائة ألف دينار ولا يعلم بمصر خليج أكثر عطوفا منه لما فعل هامان بحفره ولما أخبر فرعون بما أخذه من الاموال قال له ويحك رده لاهل القرية وهذا الربع الذي يدفن في كل قرية هو كنوز فرعون الذي يتحدث الناس انها ستظهر فيطلبها من يتتبع الكنوز وكان فرعون اذا أكمل الزرع في كل سنة يرسل مع قائدين من قواده أردب قمح فيذهب

دب العذار على ميدان وجنته * حتى اذا هم أن يسرى به وقفا

كأنه كاتب عن المداد به * أراد يكتب لاما فابتدا ألفا

فقال القاضي أتحبون أن أحكم بينكما بحكم الله أو بحكم الناس فقال الصبي بحكم الله قال القاضي قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ثم قبله كما قبله فغضب الغلام وقال لا أريد ذلك فانشد القاضي يقول

اذا كنت للتعنيق والبوس كارها * فلا تمش في الاسواق الا منقبا

ولا تخرج الاصداغ من تحت طرة * وتظهر منها فوق خديك عقربا

فتهتك مستورا وتتلف عاشقا * وتترك قاضي المسلمين معذبا

فانشد الغلام يقول وقد كنت أرجو أن أرى العدل بيننا * فاعقبني بعد الرجاء قنوط

متى تفلح الدنيا ويفلح أهلها * اذا كان قاضي المسلمين يلوط

(حكاية لطيفة) وهي عشق صبي جارية في مكتب فعل نفسه عند الفقيه عريفا فترقب العريف غفلة الفقيه وكتب في لوحها ماذا تقولين في صب أخي وله * أضحى يجول بين الناس ولهانا

ولم يجد فرجا مما يكابده * الا اعترافه بالكتاب بيانا

فكتبت تحته تقول ان العريف اذا ما كان ذا وله * بعشاق بنا قد صار ولهانا

أوصافه على غيظ الوشاة ودع * ان يكون علينا كيفما كانا

فنظر الفقيه ذلك اللوح وقرأه وكتب تحته

صلي العريف ولا تخشي من أحد * ان العريف حزين القلب ولهانا

أما الفقيه فلا تخشي من حرمته * لانه قد بلي بالعشق ألوانا

فبينما هم كذلك اذ دخل أبو الجارية فاخذ اللوح وقرأ ما فيه وكتب تحته يقول

والله والله لا فرقت بينكما * ولا أكون على ما قلت ندمانا

أما الفقيه فلا والله ما نظرت * عيناي اعرس منه قط انسانا

(حكي) ان بعضهم رأى امرأة حسنة في طاقة فاحبها ولازم المقام بباب الدار ورفعت طاقتها الى أن أعيا وقل صبره وحصل على الاياس منها اذ دق عليها الباب ففتحت الجارية الباب ودفع اليها صحفة وقال دعي سيدتك تبول في هذه الصحفة فبالت في الصحفة وقالت للجارية اتبعيه وانظري ما يصنع فلم يزل الى أن دخل الى بعض الخرابات فوضع أيره في ذلك البول وقال يا مشوم اذا فاتك اللحم فاشرب المرق

(ذكر وفاة سيدنا أبي بكر رضي الله عنه)

عن ابن شهاب ان أبا بكر والحرث بن كلدة كانا يأكلان حريرة أهديت لابي بكر فقال الحرث ارفع يدك يا خليفة رسول الله والله ان فيها السم سنة وأنا وأنت نموت في يوم واحد عند انقضاء السنة فلم يزالا عليلين حتى ماتا في يوم واحد عند انقضاء السنة وقيل اغتسل في يوم بارد فحم خمسة عشر يوما فقيل له ألا ندعو الطبيب فقال قد رآني فقالوا فاي شئ قال فقال لهم قال اني فعال لما أريد وقيل سبب موته ان اللدغة التي في الغار انتقض عليه السم ذكر ذلك ابن الاثير في جامعه (فكانت خلافة أبي بكر) من بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنتين وثلاثة أشهر وتوفي ليلة الجمعة سابع جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وسنه ثلاث وستون سنة سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصى أن تغسله زوجته فغسلته ودفن بجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم (روى) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه لما بلغه وفاة أبي بكر رضي الله عنه جاء مسرعا باكيا وقال رحمك الله يا أبا بكر والله لقد كنت أول القوم اسلاما وأخلصهم ايمانا وأشدهم يقينا وأخوفهم بالله وأحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحسنهم صحبة وأفضلهم مناقب وأكرمهم سوابقا وأقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشبههم به هديا وخلقا وسمتا وفضلا وأكرمهم عليه وأوثقهم عنده فجزاك الله عن الاسلام خيرا صدقت رسول الله حين كذبه الناس فسماك الله

أحدهما الى أعلى مصر والآخر الى أسفلها فيتأمل القائد ان في كل قرية فان وجد أحد القائدين موضعا بائرا قد أغفل بذره كتب الى فرعون بذلك وأعلمه باسم العامل على تلك الجهة فاذا بلغ فرعون ذلك أمر بضرب عنق ذلك العامل وأخذ ماله فرجع القائدان ولم يجدا موضعا لبذر الاردب لتكامل العمارة واستظهار الزراع ولما أراد الله هلاك فرعون خرج في طلب موسى عليه السلام وفي طلب بني اسرائيل وكان على مقدمة فرعون هامان في ألف ألف وستمائة ألف سوى القلب والجناحين ولم يخرج معهم من عمره فوق الاربعين ولا دون العشرين وكان في عسكره ذلك اليوم سبعون ألف أدهم وقيل مائة ألف حصان أدهم فلما

في كتابه العزيز صديقا فقال والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون وآنسته حين تخلفوا وقمت معه حين قعدوا وصحبته في الشدة أكرم صحبة ثاني اثنين في الغار والمنزل عليه السكينة ورفيقه في الهجرة ومواطن الكره فقويت حين ضعف أصحابك وبرزت حين استكانوا ونهضت حين وهنوا وقمت حين كسلوا ومضيت بقوة الله عز وجل حين وقفوا كنت أطولهم صمتا وأشغلهم قلبا وأشدهم يقينا وأحسنهم عملا حملت أثقال ما عنه ضعفوا وحفظت ما أضاعوا ورعيت ما أهملوا وعلوت اذ ظلعوا وصبرت اذ جزعوا وكنت كالجبل لا تحركه العواصف كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ضعيف في بدنه قوي في أمر دينه متواضع في نفسه عظيم عند الله محبوب الى أهل الارض والسموات فجزاك الله عنا وعن الاسلام خيرا قال حسان رضي الله عنه اذا تذكرت شجوا من أخي ثقة * فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعدلها * بعد النبي وأوفاها بما حملا * الثاني التالي المشهود مشهده

وأول الناس منهم صدق الرسلا * وكان حب رسول الله قد علموا * من البرية لم يعدل به رجلا

(خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه)

هو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عدي بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب يلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في لؤي بن غالب (وأمه) حنتمة بنت هشام وهشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وأسلم بمكة وشهد المشاهد واسلامه سنة ست من النبوة وبه تمت الاربعون وهو أول من دعي أمير المؤمنين وأول من كتب التاريخ وأول من أشار الى أبي بكر رضي الله عنه بجمع القرآن في المصحف وجمع الناس في قيام شهر رمضان كان أبيض اللون تعلوه حمرة أصلع شديد حمرة العينين في عارضيه خفة أعسر صفته في التوراة قرن من حديد أمير شديد ولما أسلم نزل جبريل وقال يا محمد استبشر أهل السماء باسلام عمر وقال عليه الصلاة والسلام عمر سراج أهل الجنة في الجنة وبويع له بالخلافة بعد موت أبي بكر رضي الله عنه لثمان بقين من جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ولما دفن أبو بكر صعد عمر المنبر فجلس دون مجلس أبي بكر رضي الله عنه ثم قام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس اني داع فامنوا اللهم اني غليظ فالهمني الى أهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة وارزقني الغلظة والشدة على أعدائك من غير ظلم مني ولا اعتداء عليهم اللهم اني شحيح فسخني في نوائب المعروف قصدا من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة ابتغي بذلك وجهك والدار الآخرة وارزقني خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين فاني كثير الغفلة والنسيان وألهمني ذكرك على كل حال ثم قال الا ورب الكعبة لاحملنهم على الطريق ثم نزل (نبذة) في مناقبه رضي الله تعالى عنه (منها) أنه لما استخلف حمل اليه مال يفرقه فبدأ بالحسن والحسين رضي الله عنهما فالتفت اليه ولده عبد الله وقال يا أبت أنا أحق أن تقدمني بالعطية لمكانك في الخلافة فقال له هل لك أب كأبيهما أو جد كجدهما حتى أقدمك بالعطية فجاء وأعاد ذلك على أبيه عمر رضي الله عنه فالتفت اليهما وقال مرا به وفرحا باني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن جبريل عن الله عز وجل ان عمر سراج أهل الجنة في الجنة فجاآ وبشراه بذلك ففرح فرحا شديدا وقال ائتيا بهذا الذي ذكرتما خطا على رضي الله عنه فجاآ اليه وأخذا خطه بذلك فلما دنا قبض عمر رضي الله عنه قال لولده اذا مت فادفنوا معي خط الامام على رضي الله عنه ففعل ذلك (ومنها) انه خرج يطوف ليلة من الليالي بالمدينة يتفقد السكك فسمع امرأة من نساء جنده وهي تقول

تطاول هذا الليل تسري كواكبه * وأرقني ألا ضجيع الاعبه * لقد ضرني من كنت آلف قربه

ولم أنسه لما أنست مآربه * فوالله لولا العار والنار بعده * لحرك من هذا السرير جوانبه

ثم تنفست وقالت هان على ابن الخطاب وحشتي في بيتي وغيبة زوجي عني فلما أصبح بعث اليها بنفقة وبعث الى عامله يرد زوجها ثم ان عمر رضي الله عنه سال ابنته حفصة كم تصبر المرأة فقالت أربعة أشهر وعشرا (ومنها) انه لما قدم بيت المقدس وقف بطور سيناء ولم يأمر بقتال فأرسل البطريق الذي ببيت المقدس

انتهى موسى ومن معه من بني اسرائيل الى بحر القلزم وهو منتهى حد مصر من شرقيها المعروف الآن ببركة الغرندل فيما بين السويس والطور هاجت الرياح وتراكمت الامواج كالجبال فقال يوشع بن نون يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون من ورائنا والبحر امامنا فقال موسى عليه السلام الى هنا فخاض يوشع الماء وقال الذي يكتم ايمانه وهو حزقيل مؤمن آل فرعون يا كليم الله أين أمرت فقال ههنا فكبح حزقيل فرسه أي نخعها بلجامها حتى طار الزبد من شدقيها ثم أدخلها فارتسبت في الماء أي غارت فذهب قوم موسى يفعلون مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى عليه السلام لا يدري كيف يصنع فأوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر

رجلا من أعظم أصحابه وقال أنظر الى ملك العرب وائتني بحليته فجاء فرآه راكبا على فرسه وعليه جبة صوف مرقعة مستقبل الشمس بوجهه ومخلاة فرسه معلقة في قربوس السرج وعمر يدخل يده في المخلاة فيخرج منها خبزا فيمصمصه من التبن ويلوكه فوصف ذلك للبطريق فقال هذا الذي يفتح بيت المقدس فسلموا له من ساعته (ومنها) أنه افتتح في خلافته بلاد الروم والترك وبعض الصين والهند والجزر والشام والعراق والسواحل ومصر وقبرص والاسكندرية وسلبس والنوبة (ومنها) ان عمرو بن العاص لما افتتح مصر أتى اليه أهلها وقالوا أيها الأمير ان لنيلنا هذا سنة لا يجري الا بها فقال لهم وما هي قالوا انه اذا كان لثنتي عشرة ليلة تخلو من بؤنة من أشهر القبط عمدنا الى جارية بكر وأخذناها من أبويها وحملناها من الحلي والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها في النيل فقال لهم عمرو ولا يكون هذا في الاسلام وان الاسلام يهدم ما قبله فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى لا يجري النيل فيها لا قليلا ولا كثيرا حتى هم أهل مصر بالرحيل فلما رأى عمرو بن العاص ذلك كتب الى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب عمر الى عمرو بن العاص اني كتبت اليك بطاقة فألقها في النيل فأخذها عمرو بن العاص وقرأها فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين عمر الى نيل مصر أما بعد فان كنت تجري من قبلك فلا تجري وان كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله الواحد القهار ان يجريك فألقى عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم واحد فلما أصبحوا يوم الصليب أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة وقطع الله تلك السنة السيئة عن أهل مصر وصار يعمل في ليلة وفاء النيل المبارك في كل سنة اشارة عظيمة كبيرة ينصب بها قناديل تعلق بحبال كثيرة على أخشاب مرتفعة توضع بمركب وتوقد القناديل وتسير في البحر عشاء وشمالا وترفع بالطبول وتسمى عروسة البحر وذلك باق مستمر الى تاريخه (ومنها) عن زيد بن أسلم وهو عبد من عبيد سيدنا عمر بن الخطاب قال خرجنا مع عمر بن الخطاب الى حرة واقم وهي منزلة بظاهر المدينة فرأى نارا فقال لي يا أسلم انظر الى تلك النار هل هو ركب أضر بهم الليل والبرد فقلت لا أعلم يا أمير المؤمنين قال انطلق بنا اليهم قال فخرجنا نهرول فاذا امرأة معها صغار ولها قدر منصوب على نار وصبيانها يبكون قال عمر رضي الله عنه السلام عليكم يا أهل هذا الضوء وكره أن يقول يا أهل هذه النار فقالت المرأة وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ادن بخير أو دع فقال لها ما بال هذه الصبية يتضاغون قالت من الجوع قال فما في هذا القدر قالت ماء أسكتهم به فقال لها عمر رحمك الله ما الذي يدري عمر بن الخطاب بحالكم فالتفت أمير المؤمنين الي وقال انطلق بنا فرجعنا نهرول الى المدينة حتى أتينا دار الدقيق وقال احمل هذا العدل علي فقلت أنا أحمله عنك يا أمير المؤمنين فقال ثانيا احمله علي فقلت أنا أحق به عنك يا أمير المؤمنين فقال ثالثا احمله علي ثكلتك أمك أأنت تحمل عني وزري يوم القيامة قال فحملته عليه وانطلق وانطلقت معه وهو يهرول حتى أتينا اليها فألقى ذلك العدل عندها فأخرج قطعة من دهن وألقاها في القدر وجعل يقول للمرأة ذري وأنا أحرك لكم قال أسلم والله لقد رأيت أمير المؤمنين وهو ينفخ في النار والدخان يخرج من خلال شعر دقنه حتى طبخ القدر ثم أنزله بيده وقال لها اعطني شيأ فأتته بقصعة أو قال بصحفة فأفرغ الطعام فيها وقال لهم كلوا وأنا أسطح لكم ثم توارى من المرأة وجعل يربض كما يربض السبع وأنا أقول يا أمير المؤمنين ما خلقت لهذا فلم يلتفت الي حتى رأيت الصغار يضحكون ثم قام وقاموا وهو يضحك ويحمد الله تعالى ثم جعل يده على يدي ثم قصدنا المدينة وقال لي يا أسلم ان الجوع عدو وقد رأيتهم وهم يبكون فأحببت ان أفارقهم وهم يضحكون (ومنها) ما ذكره القاضي البيضاوي في تفسيره لسورة البقرة عند قوله عز وجل من كان عدوا لجبريل قيل دخل عمر رضي الله عنه مدارس اليهود فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على أسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب كل خصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله سبحانه وتعالى فقالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولأنتم لأكفر من الحمير ومن كان عدوا أحدهما فهو عدو الله ثم رجع فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه أفضل الصلاة والسلام لقد وافقك ربك يا عمر (ومنها) ان

فضربه فانفلق فاذا مؤمن آل فرعون واقف على فرسه وصار البحر اثني عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم بينهما مسالك فدخل كل سبط مسلكا يرى بعضهم بعضا من خلال الماء ودخل فرعون وقومه في أثرهم فلما استقروا جميعا أطبق الله البحر عليهم فغرقوا جميعا ولما أراد موسى أن يسير ببني اسرائيل ضل عنه الطريق فقال ما هذا فقال علماء بني اسرائيل ان يوسف لما حضره الموت أخذ علينا موثقا من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه منها فقال موسى أيكم يدري مكان قبره فلم يكن علم قبره الا عند عجوز عمياء فدلتهم عليه بعد أن اشترطت على موسى رد بصرها وشبابها وكونها رفيقته في الجنة

طائفة من النصارى جاءت اليه رضي الله عنه وسألته بان قالت له لاى شئ آدم دخل الجنة وخرج منها فقال لهم جنة الله نظيفة مليحة لا يكون فيها الا النظيف أخرج آدم منها حتى تظف ظهره من الزبالة التى هى مثالكم فى الدنيا ولما صار نظيفا أدخل الجنة (ومنها) ان الشعبي روى عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال حججنا مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلما أخذ فى الطواف استقبل الحجر وقال أعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ماقبلتك ومضى فقال له على بن أبى طالب يا أمير المؤمنين بل يضر و ينفع قال له لم قال بكتاب الله عز وجل قال وأين ذلك من كتاب الله تعالى قال فى قوله تعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى خلق الله آدم ومسح بيده على ظهره أخرج ذريته من ظهره فعرفهم بانه الرب وانهم العبيد وأخذ عليهم مواثيقهم وكتب ذلك فى رق وكان لهذا الحجر عينان ولسان فقال له افتح فاك قال فالقمه ذلك الرق وقال اشهد لمن وافاك يوم القيامة فهو يضر و ينفع قال عمر أعوذ بالله ان أعيش فى قوم لست فيهم يا أبا الحسن *(ذكر البيضاوى فى تفسيره) عند قوله تعالى وأذن فى الناس بالحج بدعوة الحج والامر به وروى انه عليه الصلاة والسلام صعد اباقبيس فقال أيها الناس حجوا بيت ربكم فاسمع الله من فى اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق فى علمه انه يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بذلك فى حجة الوداع *(غريبة)* نقلتها من حياة الحيوان وهى بينما عمر رضى الله عنه جالس واذا برجل معه ابنه فقال له ويحك مارأيت غرابا أشبه بغراب من هذا منك قال يا أمير المؤمنين هذا ماولدته أمه الا وهى ميتة فاستوى عمر جالسا وقال حدثنى قال خرجت وأمه حامل به فقالت تخرج وتتركنى على هذا الحال حاملا مثقلة فقلت أستودع الله مافى بطنك فخرجت وغبت أعواما ثم أتيت فاذا ابابى مغلق فقلت مافعلت فلانة فقالوا ماتت فقلت انا لله وانا اليه راجعون ثم انطلقت الى قبرها فبكيت عندها ثم رجعت فجلست الى بنى عمى فبينما انا كذلك اذ ارتفعت لى نار من بين القبور فقلت لبنى عمى ماهذه النار قالوا نرى على قبر فلانة كل ليلة فقلت انا لله وانا اليه راجعون أما والله لقد كانت صوامة قوامة عفيفة مسلمة انطلقوا بنا اليها فانطلقنا فاخذت الفاس وأتيت القبر فاذا القبر مفتوح واذا هى جالسة وهذا الوليد يدور حولها واذا مناد ينادى أيها المستودع ربه وديعة خذ وديعتك أما والله لو استودعت أمه لوجدتها فاخذته وعاد القبر كما كان والله يا أمير المؤمنين *(فائدة)* اذا علق منقار الغراب على انسان حفظ من العين واذا اغمس الغراب الاسود جميعه فى الخل بريشه وطلى به الشعر سوده وزبل الابلق ينفع من الخنازير واذا صرفى خرقة وعلق على الصبي الذى لم يبلغ الحلم نفعه من السعال المزمن وقطعه ونظيره ماحكاه الكمال الدميرى أن رجلا من الهنسا أخبرى شفاها ان بها شخصا يسمى رابابن الميتة قال وذلك ان أمه ماتت وهى حامل به فلما مضى مدة من دفنها ماتت امرأة من أقاربهم فقصدوا قبرها لدفن تلك الميتة فاحس الحفار بشئ يدور حول الميتة فطلع الحفار وهو مرعوب وأخبر من حضر بما شاهده فى القبر فظنوه وحشا ثم أوقدوا نارا وأشرفوا على داخل القبر فوجدوا ولدا معلقا بالميتة ملتقما ثديها وقد أجرى الله فيه اللبن لرضاعه فاخذ الحفار الولد وضمه الى صدره وعصب عينيه خوفا من مفاجأة النور وأطلعه من القبر وعاش وتزوج ورزق الاولاد فسبحان من يحيي العظام وهى رميم (وأيضا) سمعت من بعض الافاضل انه قال لى شافها طالعت مسامرة الشيخ الاكبر فرأيت بها أعجوبة وهى ان الشيخ الاكبر حكى ان بعض التجار أخبره انه سافر الى بلاد الهند بتجر فدخل مدينة من مدائن الهند فباع لشخص منها متجرا بالف مثقال ذهبا نسيئة وتوجه بما بقى معه من البضائع الى مدينة أخرى فباع مابقى معه ومكث الى ان قبض ثمن ما باعه ثم عاد الى المدينة الاولى فوجد الرجل الذى أخذ منه البضائع بالف مثقال مات يوم قدومه ودفن فحصل له من الغم والحزن مالا يوصف وقال انا لله وانا اليه راجعون قد ذهب مالى لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقال له شخص من أهل المدينة لا تحزن فانه لا يضيع لك شئ من مالك قال وكيف لا أحزن والرجل قد مات ومن أين آخذ حق بضاعتى فقال له صاحبك الميت يطلع من قبره بعد ثلاثة أيام ويفتح حانوته ويقضى ديونه قال فاستبعدت

فاجابها الى ذلك فنقلوا تابوت يوسف بعد ان مات بنحو من ثلاثين سنة ودفن بيت المقدس *وغرق مع فرعون من أشراف أهل مصر وأكابرهم أكثر من ألفى ألف فبقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها من أشراف أهلها أحد ولم يبق بها الا العبيد والاجراء والنساء فاجمع رأيهن على أن يولين امرأة منهن يقال لها دلوكة ذات عقل ومعرفة وتجارب فخافت أن يطمع الملوك فى البلاد فبنت سورا أحاط بجميع أرض مصر كلها المزارع والمدائن والقرى وجعلت دونه خليجا يجرى فيه الماء وجعلت على كل ثلاثة أميال محرسا ومسلحة وفيما بين ذلك محارس صغارا على كل ميل وجعلت على كل محرس رجالا وأجرت عليهم الارزاق وأمرتهم ان يحرسوا

ذلك وقلت كيف يتصور ذلك وصرت متفكرا متعجبا من ذلك فلما مضت الثلاثة أيام طلع الرجل من قبره وفتح حانوته وجلس ثم ارى الناس حوله من ورثته وغيرهم ثم جئت اليه فقال لا بأس عليك وأخذ دفترا كان بجانبه ونظر فيه وقال لك ألف درهم فقال ذهبا فقلت نعم فنقدها لى فأخذتها وتقدم اليه بعدى من كان له علاقة فما زال يوفى ديونه الى ان قضاها جميعا وضبط ما بقى من أمتعته وقفل حانوته وسلم مفتاحه الى ورثته وتوجه الى المقبرة فتبعته الى ان تلاحقت به وقبضت على أثوابه وقلت له بالله عليك أنت صاحبنا المتوفى أم لا فقال لا وانما أنا ملك من ملائكة ربى وقد جرت عادة الله فى أهل هذه المدينة اذا مات منهم أحد يلقى الله شبهه على ملك من الملائكة و يطلع بعد ثلاثة أيام و يفعل ما رأيت قال فتعجبت من ذلك غاية العجب وانصرفت الى حال سبيلى وهذا من العجب العجاب قلت وفى ذلك من دقائق حكمة الله ما يبعث أولى الافكار على الاعتبار يخرج الحى من الميت ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار (وأقام) عمر رضى الله عنه فى الخلافة عشر سنين وستة أشهر وخمس ليال

(ذكر وفاته رضى الله عنه)

حكى الطبرى قال جاء كعب الاحبار اليه رضى الله عنه فقال له يا أمير المؤمنين اعهد فانك ميت بعد ثلاث فقال عمر وما يدريك قال أجد صفتك وحليتك فى التوراة وانه قد اقترب أجلك وكان عمر رضى الله عنه حينئذ لا يجد وجعا ولا ألما فلما كان الغد جاء كعب الاحبار وقال يا أمير المؤمنين ذهب يومان و بقى يوم وليلة قال فلما كان الصبح خرج عمر الى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجالا فاذا استوت الصفوف جاء هو ينظر فى الناس فدخل أبو لؤلؤة فى الناس وفى يده خنجر له رأسان ونصابه فى وسطه فضرب عمر ثلاث ضربات احداهن تحت سرته وهى التى قتلته وقتل معه كليب بن البكير الليثى فلما وجد عمر حر الحديد سقط الى الارض وقال أفى الناس عبد الرحمن بن عوف قالوا نعم يا أمير المؤمنين قال فليتقدم يصل بالناس فصلى عبد الرحمن بن عوف وعمر طريح على الارض ثم حمل الى داره ثم قال لولده أخرج فانظر من قتلنى فقال له يا أمير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فقال الحمد لله الذى لم يجعل قتلى الا على يد رجل لم يسجد لله سجدة واحدة يا عبد الله اذهب الى عائشة فاسألها هل تاذن لى أن أدفن مع النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر يا عبد الله ان اختلف القوم فكن مع الاكثر ولو ثلاثة يا عبد الله ائذن للناس أن يدخلوا قال فجعل الناس يدخلون والمهاجرون والانصار يسلمون وكان كعب الاحبار فى الناس فلما نظر عمر الى كعب الاحبار أنشأ يقول

فأوعدنى كعب ثلاثا أعدها * ولا شك ان الحق ما قاله كعب
وما بى حذار الموت انى لميت * ولكن حذار الموت يتبعه الذنب

ثم توفى ليلة الاربعاء لثلاث ليال من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ودفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة سن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه)

هو أبو عبد الله عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف يلتقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف وأمها أم حكيم بنت عبد المطلب أسلم قديما وهاجر الهجرتين وأروى أسلمت رضى الله عنها وأسلم عثمان رضى الله عنه فى أول الاسلام على يد أبى بكر قبل دخول النبى صلى الله عليه وسلم دار الارقم ولم يشهد بدرا لانه تخلف لمرض *(كان أبيض اللون)* وقيل أسمر اللون رقيق البشرة كثير شعر الرأس عظيم اللحية وسمى ذا النورين لجمعه بين بنتى النبى صلى الله عليه وسلم رقية وأم كلثوم وسمع أبو سعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم ان عثمان رضيت عنه فارض عنه وحث رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش العسرة فقال عثمان رضى الله عنه على مائة بعير ثم حث فقال على ثلثمائة بعير فقال عليه الصلاة والسلام ما على عثمان بعد هذا وكان عثمان رضى الله عنه يطعم الناس طعام الامارة و يدخل بيته يأكل الزيت بالخل بويع له بالخلافة أول المحرم سنة أربع وعشرين من الهجرة *(نبذة)* فى فضائله رضى الله عنه

بالاجراس فاذا أتاهم أحد يخافونه ضرب بعضهم الى بعض بالاجراس فأتاهم الخبر من أى وجه كان فى ساعة واحدة فمنعت بذلك مصر ممن أرادها وفرغت من بنائه فى ستة أشهر و يقال له جدار العجوز وقد ثبت بالصعيد منه بقايا وملكتهم دلوكة عشرين سنة حتى بلغ من أبناء أكابرهم وأشرافهم رجل ملكوه عليهم واستمر الملك للرجال ولم تزل مصر ممتنعة بتدبير تلك العجوز نحو أربعمائة سنة وجملة من ملك منهم من الرجال عشرة الى ان ظهر بختنصر على بيت المقدس وسبى بنى اسرائيل ورجع بهم الى أرض بابل ثم ملك مصر واستولى عليها وأخذها من أيدى القبط وقتل من قتل وخرب مدائن مصر وقراها ولم يترك منها أحدا حتى بقيت مصر أربعين

(منها) انه سئل على رضى الله عنه عن عثمان قال ذاك امرؤ يدعى فى الملأ الاعلى ذا النورين وعن أبى سعيد الخدرى قال رمقت رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول الليل الى طلوع الفجر يقول اللهم انى رضيت عن عثمان فارض عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لك يا عثمان ماقدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وماهو كائن الى يوم القيامة وفى رواية جابر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه فقيل له يارسول الله مارأيناك تركت الصلاة على أحد قبل هذا قال انه كان يبغض عثمان فبغضه الله عز وجل وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يشفع عثمان فى سبعين ألفا عند الميزان ممن استوجبوا النار وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قال دخل عثمان رضى الله عنه على النبى صلى الله عليه وسلم وركبته بادية فغطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبته فقيل له دخل عليك أبو بكر وعمر وعلى فلم تغطها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاستحى ممن استحيت منه الملائكة وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لما أسرى بى الى السماء دخلت جنة عدن فاعطيت تفاحة فلما وضعتها فى كفى انفلقت عن حوراء عيناها مريضة الاجفان عيناها قوادم النسور فقلت لها لمن أنت فقالت للخليفة من بعدك المقتول ظلما عثمان بن عفان (ومن فضائله) رضى الله عنه عن أبى قلابة قال كنت فى رفقة بالشام فسمعت رجلا يقول واويلاه النار فقمت اليه واذا رجل مقطوع الرجلين واليدين أعمى العينين منكب على وجهه فسألته عن حاله فقال انى كنت ممن دخل على عثمان يوم الدار فلما دنوت منه صرخت زوجته فلطمتها فقال عثمان مالك قطع الله يديك ورجليك وأعمى عينيك وأدخلك النار قال فاخذتنى رعدة عظيمة وخرجت هاربا ولم يبق من دعائه الا النار (ومن فضائله) رضى الله عنه انه افتتح فى أيام خلافته سابور وافريقية وسواحل الاردن وسواحل الروم واصطخر الآخرة وفارس الاولى وطبرستان وكرمان وسجستان والاساورة (ومنها) انه اختصم يوما هو وأبو عبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنهما فقال أبو عبيدة يا عثمان تخرج على فى الكلام وأنا أفضل منك بثلاث فقال عثمان وما هن قال الاولى انى كنت يوم البيعة حاضرا وأنت غائب والثانية شهدت بدرا ولم تشهده والثالثة كنت ممن ثبت يوم أحد فى الوقعة ولم تثبت أنت فقال عثمان صدقت أما يوم البيعة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنى الى مكة فى حاجة ومد يده على وقال هذه يد عثمان بن عفان وكانت يد النبى خيرا من يدى وأما وقعة بدر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلفنى على المدينة ولم يمكنى مخالفته وكانت ابنته رقية مريضة فاشتغلت بخدمتها حتى ماتت ودفنتها وأما انهزامى يوم أحد فان الله عفا عنى وأضاف فعلى الى الشيطان فقال تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم فخصمه عثمان أى غلبه *(ذكر قتله)* رضى الله عنه حوصر فى ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وهو بداره أكثر من عشرين يوما روى عن أبى على الكندى انه قال اشرف علينا عثمان يوم الدار وقال أيها الناس لا تقتلونى فانكم ان قتلتمونى كنتم كهاتين وشبك بين أصابعه وعن عبد الله بن سلام قال أتيت عثمان يوم الدار وقد دخلت لاسلم عليه وهو محصور فقال مرحبا يا أخى فقلت بشرنى لو كنت فداك يا أمير المؤمنين فقال الليلة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد مثل لى فى هذه الخوخة وأشار عثمان بيده الى خوخة فى أعلى داره فقال يا عثمان حصروك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم قال فدلى دلوا شربت منه فها أنا أجد برودة ذلك الدلو بين ثديى وبين كتفى فقال ان شئت أفطرت عندنا وان شئت نصرت عليهم فاخترت الفطر وكان عنده بالدار ستمائة رجل ثم دخلوا عليه من دار بنى حزم الانصارى فضربه نيار بن عياض الاسلمى وقيل جبلة ابن الايهم وقيل سوار بن حمران وقيل رومان اليمانى وضربه بمشقص فى وجهه فسال الدم فى حجره وكان قتله بالمدينة يوم الجمعة لثمان عشرة أو سبع عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وهو يومئذ ابن اثنتين وثمانين سنة ودفن بالبقيع ليلا وصلى عليه جبير بن مطعم فكانت خلافته اثنتى عشرة سنة الا اثنتى عشرة ليلة

(خلافة سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه)

سنة خرابا ليس بها ساكن يجرى نيلها ويذهب لا ينتفع به أحد ثم ردهم اليها بعد الاربعين سنة فعمروها فلم تزل مصر معمورة من يومئذ (ثم) ظهرت الروم وفارس على سائر الملوك الذين فى وسط الارض فقاتلت الروم أهل مصر ثلاث سنين يحاصرونهم ويصابرونهم القتال فى البر والبحر فلما رأى ذلك أهل مصر صالحوا الروم فلما غلبت فارس على الشام رغبوا فى مصر وطمعوا فيها فامتنع أهل مصر وأعانتهم الروم وقاتلت دونهم فلما الحت فارس على أهل مصر وخشوا ظهورهم عليهم صالحوا فارسا على أن يكون ما صالحوا به الروم بين الروم وفارس ورضيت الروم بذلك حين خافت ظهور فارس عليها وأقامت مصر بين الروم وفارس تصطلح سبع سنين ثم استجاشت

وهو علي بن أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه فاطمة بنت أسد بن هشام بن عبد مناف وهي أول هاشمية ولدت هاشميا أسلمت وهاجرت الى المدينة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أول من أسلم من الذكور والصبيان واختلف في سنه قيل كان له خمس عشرة سنة وقيل ست عشرة سنة شهد المشاهد كلها غير تبوك وكان رضي الله عنه شديد الادمة عظيم العينين أقرب الى القصر أبطن كثير الشعر عريض اللحية بويع له بالخلافة سنة خمس وثلاثين من الهجرة فانه لما قتل عثمان اجتمع الناس من المهاجرين والانصار على الامام علي رضي الله عنه وقالوا لابد للناس من امام وأنت أحق بها فقال لهم لا حاجة لي في أمركم فمن اخترتم رضيته قالوا نختارك قال اذا ولابد فان بيعتي لا تكون خفية فخرج الى المسجد وعليه ازار وقميص وعمامة خز ونعلاه في يده متكئ على قوسه وبايعه الناس وكان أول من مدت اليه يد طلحة بن عبد الله وكانت يده مشلولة فنظر اليه حبيب بن ذؤيب وقال انا لله أول يد مدت اليه بالبيعة يد شلاء لا يتم هذا الامر وكانت البيعة يوم الجمعة ثم ان عليا صعد المنبر وحمد الله وأثنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أيها الناس ان هذا أمركم ليس لاحد فيها حق الا من أمرتم وقد افترقنا بالامس على أمر وكنت كارها لامركم فأبيتم الا أن أكون عليكم أميرا وليس لي ان آخذ درهما دونكم فان شئتم والا فلا قالوا بلى نحن على ما فارقناك عليه بالامس وبايعه الناس كافة ثم دخل بيته فدخل عليه المغيرة بن شعبة وقال يا أمير المؤمنين ان لك عندي نصيحة قال وما هي قال ان أردت أن تستقيم لك الخلافة فاستعمل طلحة بن عبد الله على الكوفة وعبد الله بن الزبير بن العوام على البصرة ومعاوية بن أبي سفيان على الشام على ما كانوا عليه حتى تلزمهم طاعتك وتأخذ بيعتهم فاذا استقر قرارها رأيت رأيك فمن تريد تولي من تريد فقال أما طلحة والزبير فسأرى فيهما رأيي وأما معاوية والله لا يراني الله أستعمله على حالتي ولكني أدعوه الى البيعة فان أبى حاكمته الى الله فانصرف المغيرة مغضبا وهو يقول

بحمد عليا في ابن هند مقتة * وردت عليه ما يحب ثانيه وقلت له ارفق وخذ عليه بعهده
وبالامر حتى يستقر معاويه * ويعرف أهل الشام ان قد ملكته وان أمه صارت لامر لداعيه
فحكم فيه ... بدعاء * الداهية فارقته بأمر داهيه
فلم يقبل النصح الذي قد نصحته * وكانت له تلك النصيحة كافيه

فلما بلغ معاوية كتب الى علي رضي الله عنه أما بعد فلو علمنا ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجن بعضنا على بعض وان كان قد غلب على عقولنا فقد بقي لنا ما نرد به ما مضى ونصلح به ما بقي وقد كنت سألتك الشام على أن لا يلزمني لك طاعة وأنا أدعوكم اليوم لما دعوتكم اليه بالامس فانك لا ترجو من البقاء الا ما أرجو ولا تخاف من الفناء الا ما أخاف وقد والله رقت الاجساد وذهبت الرجال ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل يستذل به عزيز ولا يسترق به حر فكتب اليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر فيه انا لو علمنا ان الحرب تبلغ بنا وبك لم يجن بعضنا على بعض وانا واياك نلتمس منها غاية لن تبلغها وأما طلبك مني الشام فاني ما أعطيتك بالامس ما منعتك اليوم وأما استواؤنا في الخوف والرجاء فلست على حد سواء وليس أهل الشام على الدنيا بأحرص من أهل العراق وأما قولك انا بنو عبد مناف فكذلك وليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا الطليق كالمهاجر ولا المبطل كالمحق ولا المؤمن كالمدغل وفي أيدينا فضل النبوة التي قتلنا بها العزيز وبعنا بها الحر والسلام فكتب اليه معاوية رضي الله عنه يا أبا الحسن ان لي فضائل كثيرة كان أبي سيدا في الجاهلية وصرت أنا ملكا في الاسلام وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتب الوحي فقال علي رضي الله عنه أبالفضائل يفخر علي معاوية اكتب يا غلام

محمد النبي أخي وصهري * وحمزة سيد الشهداء عمي * وجعفر الذي يمسي ويضحى
يطير مع الملائكة ابن أمي * وبنت محمد سكني وعرسي * منوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها * فأيكمو له سهم كسهمي * سبقتكمو الى الاسلام طفلا

الروم أي ضعفت وظهرت فارس وألحت بالقتال والمدد حتى ظهروا عليهم وخربوا مصانعهم وديارهم التي بالشام ومصر وكان ذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه نزلت الم غلبت الروم الآية ثم غلبت الروم فارسا فصارت الشام كلها وصلح أهل مصر كله خالصا للروم وليس لفارس منه شيء وذلك فر من الحديبية سنة ست من الهجرة وكان هرقل صاحب الروم قد وجه المقوقس الى مصر أميرا عليها وجعل اليه حربها وجباية خراجها فنزل الاسكندرية فلم تزل مصر في ملك الروم حتى فتحها الله على المسلمين وكان من دأب المقوقس أن يصيف بمصر ويشتي بالاسكندرية واستمر حاكما بمصر من طرف هرقل احدى وثلاثين سنة حتى افتتح

صغيرا ما بلغت أوان حلمي * وأوجب طاعتي فرضا عليكم * رسول الله يوم غدير خم
فويل ثم ويل ثم ويل * لمن يرد القيامة وهو خصمي

فكتب اليه معاوية أما بعد يا علي فانك قلت ما يضرك وتركت ما ينفعك وايم الله لارمينك بشهاب قابس لا تذركه الرياح ان وقع في الارض ارنسب أو وقع في الصخر ثقب والسلام فكتب اليه علي أما بعد يا معاوية فاني قاتل عمك وجدك وخالك والسيف الذي قتلتهم به معي لم أستبدل بالسيف سيفا ولا بغير الله ربا ولا بغير النبي نبيا فافعل ما شئت ستجد في بطلا شديدا أقاتل كل جبار عنيد وطوى الورقة ودفعها الى رجل أسود يقال له الطرماح فتعمم الطرماح بعمامة سوداء وركب ناقة ثم سار حتى وافى دمشق فقال أعوان معاوية هذا اعرابي قدم من عند علي بن أبي طالب فتواحوا نحوه فقالوا له يا اعرابي معك خبر من أهل السماء جئت به الى أهل الارض وما خلفت وراءك قال ملك الموت لقبض أرواحكم فقالوا أتحب أن تدخل على أمير المؤمنين فقال الطرماح نحن المؤمنون فمن أمره علينا قال فذهبوا الى معاوية يخبرونه بقدوم الطرماح فأمر باحضاره فلما دنا من قصر معاوية واذا يزيد بن معاوية جالس على باب القصر فقال الطرماح من يكون هذا المشؤم الواسع الحلقوم المضروب على الخرطوم قالوا هذا يزيد بن معاوية أمير المؤمنين فقالوا أتحب الدخول على الملوك فقال أحب الدخول على ابن آكلة الاكباد الضالة عن طريق الرشاد التي قال الله في حقها في جيدها حبل من مسد فلما حضر بين يدي معاوية لم يطأ بساطه فقال له معاوية هات كتابك فقال الطرماح لمعاوية تنزل عن مرتبتك وتأخذ كتابي بيدك فقد أمرت أن لا أسلمه الا من يدي الى يدك فقام معاوية من مكانه وقبل الكتاب ففضه فلما قرأه اغتاظ غيظا وقال للطرماح كيف خلفت عليا وأصحابه قال خلفته خصيما سالما سلما ان أتى جيشا هزمه وان أتى حصنا هدمه وأصحابه حوله كالنجوم الزاهرة والعصابة القاهرة وهو بينهم كالقمر المنير ان نهاهم ارتدعوا وان أمرهم ابتدروا وأمر له معاوية بألف دينار فأخذها وانصرف وفيما أوردناه كفاية والله أعلم بحقيقة الحال واليه المرجع والمآب *(بيدة)* في فضائل الامام علي رضي الله عنه * منها ما حكي عن كميل رضي الله عنه قال دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبين يديه قصعة فيها ثريدة خبز شعير وملح وزيت فقال يا كميل هلم الى الزاد فتقدمت وأكلت ثم قلت يا أمير المؤمنين لو أحسنت الى نفسك في لون يخصك فانه حكى لي من دخل على معاوية وحضر الطعام عنده أنه قدمت له مائدة فيها مائة وستون لونا وفيها لون لم نعرفه فسألت معاوية يدعاه احب منتخبه دساله عنه فقال أدمغة الكراكي في مصارين البط مقليا بدهن الفستق والعسل والسكر الطبرزذ والزعفران والماورد فقال يا كميل ذلك طعام الجبابرة وروي عن عبد الله بن أسعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري بي أتيت الى ربي عز وجل فاوحى لي أو أمرني في علي بثلاث أنه سيد المؤمنين وولي المتقين وقائد الغر المحجلين وروي عن أنس رضي الله عنه أنه قال قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج فادع لنا أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص والزبير وعدة من الانصار قال فدعوتهم فلما اجتمعوا عنده صلى الله عليه وسلم وكان علي غائبا في حاجة النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع بسلطانه المرهوب من عذابه وسطوته النافذ أمره في سمائه وأرضه الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم باحكامه وأعزهم بنبيه محمد وان الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهرة سببا لاحقا وأمرا مفترضا أوشج به الارحام وألزمه الانام فقال عز من قائل وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا فأمر الله يجري الى قضائه وقضاؤه يجري الى قدره ولكل قضاء قدر ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ثم ان الله عز وجل أمرني أن أزوج فاطمة بنت خديجة من علي بن أبي طالب فاشهدوا أني قد زوجته على أربعمائة مثقال فضة ان رضي بذلك ثم دعا بطبق من بسر فوضعه بين أيدينا ثم قال انهبوا فنهبنا فبينما نحن ننهب اذ دخل علي على النبي صلى الله عليه وسلم فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه وقال ان الله

عمرو بن العاص رضي الله عنه الديار المصرية في سنة عشرين من الهجرة النبوية في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما أتى مصر حاصرها ثلاثة أشهر وكان المقوقس بقصر الشمع على بحر النيل وكانت السفن تجري تحته فلما رأى العرب أشرفوا على أخذ البلاد نزل في مركب كانت راسية على باب قصره ثم توجه هاربا الى نحو الاسكندرية وكان يعلم ان العرب لابد لهم من أن يملكوا مصر وذلك انه كان بالاسكندرية باب مغلق عليه أربعة وعشرون قفلا عزم على فتحه المقوقس فمنعه القسس والرهبان وقالوا له كل من تقدم من الملوك لم يفتحه ويضع عليه قفلا وأنت الآخر اجعل عليه قفلا وعن نصابك ما حضر لك من المال الذي ظننت أنه فيه فامتنع

أمرني أن أزوجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضة أرضيت بذلك فقال رضيت بذلك يا رسول الله قال أنس فقال النبي صلى الله عليه وسلم جمع الله شملكما وأسعد جدكما وبارك عليكما وزوجتك بكرا كثيرا طيبا قال أنس فوالله لقد أخرج منهما كثيرا طيبا ومنها ما حكي عن ضرار رضي الله عنه أنه قال كان علي رضي الله عنه بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا تتفجر الحكمة من جوانبه وينطق العلم من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته كان والله غزير العبرة طويل الفكرة يخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن كان فينا كأحدنا يجيبنا اذا دعوناه ويعطينا اذا سألناه وينبئنا اذا استنبأناه ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد أن نكلمه لهيبته ولا نبتدئه لعظمته فان تبسم تبسم عن لؤلؤ منظوم يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل ستوره وغارت نجومه وقد تمثل في محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السقيم ويبكي بكاء الحزين ويقول يا دنيا غري غيري لا حاجة لي بك ابالي تعرضت والي تشوفت هيهات هيهات قد أبنتك ثلاثا لا حاجة لي فيك فعمرك قصير وخطرك حقير آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق فقيل اصبر ما حزنك عليه فقال حزن امرأة ذبح ولدها في حجرها فلا ترقأ لها عبرة ولا تنقضي لها حسرة وأخبرنا أبو عبد الله بن منصور بن سكبان التستري قال أخبرنا محمد بن الحسن بن غراب قال حدثنا القاضي موسى بن اسحق قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن أبي شيبة قال حدثنا محمد بن فضيل عن عبد الله الاسدي قال كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول في مناجاته الهي لولا ما جهلت من أمري ما شكرت عثراتي ولولا ما ذكرت من الافراط ما سحت عبراتي الهي فامح مثبتات العثرات بمرسلات العبرات وهب كثير السيئات لقليل الحسنات الهي ان كنت لا ترحم الا الجد في طاعتك فالى من يلتجئ المقصرون وان كنت لا تكرم الا أهل الاحسان فكيف يصنع المسيؤن وان كان لا يفوز يوم الحشر الا المتقون فبمن يستغيث المذنبون الهي ان كان لا يجوز على الصراط الا من أجازته براءة عمله فانى بالجواز لمن لم يتب قبل حلول أجله الهي ان كان يحجبك عن موحديك عهد جنايتهم أوقعهم غضبك بين المشركين في كرباتهم الهي فأوجب لنا بالاسلام مذخور هباتك واستصف لنا ما كدرته الجرائم بصفو صلاتك الهي ارحم غربتنا اذا ضمتنا بطون لحودنا وعميت علينا باللبن سقوف بيوتنا وأضجعنا على الايمان في قبورنا وخلفنا فرادى في أضيق المضاجع وصرعتنا المنايا في أنكى المصارع وصرنا في ديار قوم كانت عامرة بأهلها وهي فيهم بلاقع الهي اذا جئناك عراة مغبرة من ثرى الاجداث رؤسنا وشاحبة من ثرى اللحد وجوهنا وخاشعة من أهوال القيامة أبصارنا وبادية هنالك للعيون سوآتنا ومثقلة من تحمل الاوزار ظهورنا ومشغولين بما قد دهانا من أهلينا وأولادنا فلا تضعف علينا المصائب باعراض وجهك الكريم عنا وسلب عائدة ما مثله الرجاء منا الهي ما حنت هذه العيون الى بكائها ولا جادت متشربة بمائها ولا اشتهرت بنحيب الشكلات فقد عزائها الا لما سلف من تفريطها وافراطها وما دعاها اليه عواقب بلائها وأنت القادر يا كريم على كشف غمائها الهي ثبت حلاوة ما يستعذبه لساني من النطق في بلاغته بزهادة ما يرفعه قلبي من النصح في دلالته الهي أمرت بالمعروف وأنت أولى به من المأمورين وأمرت بصلة السؤل وأنت خير المسؤلين الهي كيف ينقلب بنا اليأس عن الامساك كما الهمتنا بطلابه وقد ادرعنا من تأميلنا اياك أسبغ أثوابه الهي اذا تلونا من صفاتك شديد العقاب أشفقنا واذا تلونا منها الغفور الرحيم فرحنا فنحن بين أمرين لا يؤمننا سخطك ولا تؤيسنا رحمتك الهي ان قصرت بنا مساعينا عن استحقاق نظرك فما قصرت رحمتك بنا عن اندفاع نقمتك الهي كيف تفرح بصحبة الدنيا صدورنا وكيف تلتئم في عمرانها أمورنا وكيف خلص لنا فيها اللهو واللعب غرورنا وقد دعتنا باقتراب آجالنا قبورنا الهي كيف نبتهج بدار حفرت لنا حفائر صرعتها وقيدتنا بأيدي المنايا حبائل غدرتها وجرعتنا مكرهين جرع مرارتها ودلتنا العبر على انقطاع عيشتها الهي فاليك الملتجى من مكايد خدعتها وبك نستعين

وفتحه ودخل فلم يجد فيه شيئا من المال لكن رأى منقوشا على حيطانه تصاوير العرب راكبين خيولا وعلى رؤسهم عمائم وسيوف مقلدين بها وكتابة في صدر المكان تملك العرب المدينة في هذه السنة ولما فتح عمرو ابن العاص مصر واستقر بها قصد التوجه الى مدينة الاسكندرية فلما وصل اليها وحاصرها حصارا شديدا حتى أشرف على أخذها أرسل اليه المقوقس يسألهم في الصلح وأن يجعل لهم عليه الجزية فأتى الى عمرو بن العاص رجل بواب على الاسكندرية وقال له أتؤمنني على نفسي وعيالي وأنا أفتح لك الباب فأجابه عمرو لذلك ففتح له الباب ودخل هو ومن معه من المسلمين فملكوها وأسروا المقوقس وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر

على صبور فطرتها وبك تستعصم الجوارح على خلاف شهوتها وبك تستكشف جلابيب حيرتها وبك يقوم من القلوب باستضعاف جهالتها الهى كيف للدور أن تمنع من فيها من طوارق الرزايا وقد أصيب كل دار بسهم من أسهم المنايا الهى ما تفجع بأنفسنا على الديار ان لم توحشنا هنالك موافقة الابرار الهى ما تضرنا فرقة الاخوان والقرابات اذا قربتنا اليك يا ذا العطيات الهى ارحمنى اذا انقطع من الدنيا أثرى وامحى من المخلوقين ذكرى وصرت فى المنسيين كمن نسى الهى كبرسنى ودق عظمى ورق جلدى ونال الدهر منى واقترب أجلى ونفدت أيامى وذهبت شهوتى وبقيت تبعتى وامحت محاسنى وبلى جسمى وتقطعت أوصالى وتفرقت أعضائى الهى فارحمنى الهى أفحمتنى ذنوبى وانقطعت مقالتى فلا حجة لى ولا عذر فأنا المقر بجرمى والمعترف باساءتى والاسير بذنبى المرتهن بعملى المتهور فى خطيئتى المتحير عن قصدى الهى فصل على محمد وعلى آل محمد وارحمنى برحمتك وتجاوز عنى اللهم ان صغر فى جنب طاعتك عملى فقد كبر فى جنب رجائك أملى الهى كيف انقلب بالخيبة من عندك محروما وكان ظنى بجودك ان تقلبنى مرحوما لانى لم أسلط على حسن ظنى بك قنوط الآيسين فلا تبطل صدق رجائى لك بين الآملين الهى فان كنا مرحومين فاننا نبكى على ما ضيعناه فى طاعتك ما نستوجبه وان كنا غير مرحومين فاننا نبكى على أنفسنا اذ فاتنا من جودك ما نطالبه الهى عظم جرمى اذ كنت المبارز به وكبر ذنبى اذ كنت المطالب به الهى اذا ذكرت ذنوبى وعظيم غفرانك وجدت الحاصل لى بينهما عفو رضوانك الهى ان أوحشتنى الخطايا من محاسن لطفك فقد آنسنى اليقين بمكارم عطفك الهى ان أنامتنى الغفلة عن الاستعداد للقائك فقد أنبهتنى المعرفة بكريم آلائك الهى ان عظم لبى عن تقويم ما يصلحنى فما عزب ايقانى بنظرك لى فيما ينفعنى الهى جئتك ملهوفا وقد ألبست ثوب عدمى وفاقتى وأقام مقام الاذلاء بين يديك ذل حاجتى الهى أكرمنى اذ كنت من سؤالك وجد بمعروفك فاخلطنى باهل نوالك الهى أصبحت على باب من أبواب منحك سائلا وعن التعرض لغيرك بالمسألة عادلا وليس من جميل امتنانك ان ترد سائلا ملهوفا ومضطر الانتظار أمرك مألوفا الهى أنت على قنطرة الاخطار نبلو بالاعمال وبالاعتبار وأنا الهالك ان لم تعن عليها بتخفيف الآصار الهى أمن أهل الشقاء خلقتنى فأطيل بكائى أم من أهل السعادة فأنشر رجائى الهى ان لم تهدنى الى الاسلام ما اهتديت ولو لم تطلق لسانى بدعائك ما دعوت ولو لم تعرفنى حلاوة نعمتك ما عرفت ولو لم تبين لى شديد عقابك ما استجرت الهى ان أقعدنى التخلف عن السير مع الابرار فقد أقامتنى الثقة بك على مدارج الاخيار الهى نفس أعززتها بتأييد ايمانك فكيف تذلها بين أطباق نيرانك الهى لسانا كسوته من وحدانيتك أنقى أثوابها كيف تهوى اليه من النار مشعلات التهابها الهى كل مكروب فاليك يلتجى وكل محزون فاليك يرتجى الهى سمع العابدون بجزيل ثوابك فخشعوا وسمع المذنبون بسعة غفرانك فطمعوا حتى ازدحمت عصائب العصاة ببابك وعج منهم اليك العجيج والضجيج بالدعاء فى بلادك وكل أمل ساق صاحبه اليك محتاجا وكل قلب تركه يا رب وجيف الخوف منك مهاجا فانت المسؤل الذى لا تسود لديه وجوه المطالب الهى ان أخطأت طريق النظر لنفسى بما فيه كرامتها فقد أصبت طريق الفزع بما فيه سلامتها الهى ان كانت نفسى قد استسعدتنى متمردة على ما يؤذيها فقد استسعدتها الآن بدعائك على ما ينجيها الهى ان قسطت فى الحكم على نفسى بما فيه حسرتها فقد أقسطت فى تقريبى اياها من رحمتك أسباب رأفتها الهى ان قطعنى قلة الزاد فى المسير اليك فقد وصلته بما أعددته من فضل تعويلى عليك الهى اذا ذكرت رحمتك ضحكت لها عيون وسائلى واذا ذكرت سخطك بكت لها عيون مسائلى الهى أدعوك دعاء من لم يرج غيرك فى دعائه وأرجوك رجاء من لم يقصد غيرك فى رجائه الهى كيف أسكت بالافحام لسان ضراعتى وقد أقلقنى ما أبهم من مصير عاقبتى الهى قد علمت حاجة جسمى الى ما تكفلت له من الرزق فى حياتى وعرفت قلة استغنائى عنه فى الجنة بعد وفاتى فيا من سمح لى به متفضلا فى العاجل فلا تمنعنيه يوم فاقتى اليه فى الآجل الهى ان عذبتنى فعبد خلقته لما أردت فعذبته

أول جمادى الآخرة سنة عشرين من الهجرة وقيل سنة اثنتين وعشرين ثم رجع عمرو الى مصر وأراد أن يبنى مدينة الفسطاط وسبب تسميتها بذلك انه لما وصل الى مصر نصب له خيمة تسمى الفسطاط فلما توجه الى الاسكندرية أمر بازالة تلك الخيمة فوجدفيها عشا فيه يمامة قد فرخت فيه فترك القبة لاجلها اشفاقة على فراخ اليمامة فلما توجه الى الاسكندرية ورجع منها قيل له نتزل فى أى مكان قال مكان الخيمة التى تركتها وعليها اليمامة فسميت مصر الفسطاط وصارت مدينة عظيمة بها عدة مساجد وحمامات وطواحين ومعاصر وكانت جيدة على ساحل البحر ولم تزل عامرة الى الدولة الفاطمية فخربت بسبب

وان رحمتني فعبد لقيته مستأنفا نعيته الهى لا احتراس مع الذنب الا بعصمتك ولا وصول الى عمل الخيرات الا بمشيئتك وكيف لى بافادة ماسلبتني فيه مشيئتك وكيف لى باحتراس من الذنب مالم تدركني فيه عصمتك الهى أنت دللتني على سؤال الجنة قبل معرفتها فاقبلت النفس بعد العرفان على مسئلتها أفتدل على خير بالسؤال ثم تمنعه وأنت الكريم المحمود فى كل ماتصنعه ياذا الجلال والاكرام الهى ان كنت غير مستاهل لما أرجو من رحمتك فانت أهل ان تجود على المذنبين بفضل سعتك الهى نفسى قائمة بين يديك وقد أظلها حسن التوكل عليك فاصنع بى ما أنت أهله وتغمدنى برحمتك الهى ان كان دنا أجلى ولم يقربني منك عملى فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل عللى فان غفرت فن أولى منك بذلك وان عذبت فن أعدل منك فى الحكم هنالك الهى انك لم تزل بارا بى فى أيام حياتى فلا تقطع برك بى بعد مماتى الهى كيف أيأس من حسن نظرك بعد وفاتى وأنت لم تول الا الجميل فى حياتى الهى ذنوبى قد أخافتنى ومحبتى لك قد أجارتنى فتول فى أمرى ما أنت أهله وجد بفضلك على من غمره جهله يامن لا يخفى عليك خافية صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد واغفر لى ماخفى عن الناس من أمرى الهى ليس اعتذارى اليك اعتذار من يستغنى عن قبول عذره فاقبل عذرى ياخير من اعتذر اليه المسيؤن الهى لو أردت اهانتى لم تهدنى ولو أردت فضيحتى لم تعافنى فمتعنى بما له هديتنى وأدم على مابه سترتنى الهى لولا ما اقترفت من الذنوب ماخفت عقابك ولولا ماعرفت من كرمك مارجوت ثوابك وأنت أكرم الاكرمين بتحقيق آمال الآملين فارحم من استرحم فى تجاوزه من المذنبين الهى نفسى تمنينى بانك تغفر لها فاكرم بها أمنيتى فقد بشرت بعفوك وصدق كرمك بشرات تمنيها وهب لها بجودك مقصرات تجنيها الهى ألقتنى الحسنات بين جودك وكرمك وألقتنى السيئات بين عفوك ومغفرتك وقد رجوت ان لا يضيع بين هذين وهذين محسن ومسيء الهى اذا شهد الاحسان بتوحيدك وانطاق لسانى بتمجيدك ودلنى القرآن على فضل جودك فكيف لا يبتهل رجائى بحسن موعدك الهى تتابع احسانك يدلنى على حسن نظرك فكيف يشقى امرؤ أولته منك حسن النظر الهى اذا نظرت بالهلكة الى عيون سخطك فما نامت عن استنقاذى عيون رحمتك الهى ان عرضنى ذنبى لعقابك فقد أدنانى رجائى من ثوابك الهى ان غفرت ففضلك وان عذبت فبعدلك فيامن لا يرجى الا فضله ولا يخاف الا عدله صل على محمد وامنن على بفضلك ولا تستقص على بعدلك الهى خلقت لى جسما وجعلت لى آلات أطيعك بها وأعصيك وأغضبك بها وأرضيك وجعلت لى من نفسى داعيا الى الشهوات وأسكنتنى دارا امتلأت من الآفات وقلت لى ازدجر فبفضلك أعتصم واحترز واستوفقك بما يرضيك واسالك فان سؤالى لا يحفيك الهى لو عرفت اعتذارا وتنصلا هو أبلغ من الاعتراف بالذنب لا تيته فهب لى ذنبى بالاعتراف ولا تردنى فى طلبى بالخيبة عند الانصراف الهى كانى بنفسى وقد اضطجعت فى حفرتها وانصرف عنها المشيعون من عشيرتها من شفير القبر ذوو مودتها ورحمها المعادى لها فى الحياة عند صرعتها ولم يخف على الناظرين اليها ذل فاقتها ولا على من رآها توسدت الثرى عجز حيلتها وقالت ملائكته غريب نأى عنه الاقربون وبعيد جفاه الاهلون وخذله المؤملون نزل بنا قريبا فاصبح فى اللحد غريبا وقد كنت فى دار الدنيا داعيا ونظرك الى فى هذا اليوم راجيا فتحسن عند ذلك ضيافتى وتكون أشفق على من أهلى وقرابتى الهى سترت على فى الدنيا ذنوبا ولم تظهرها فلا تفضحنى يوم القيامة على رؤس العالمين بها واسترها على هنالك يا أرحم الراحمين الهى لو طبقت ذنوبى بين السماء والارض وخرقت النجوم وبلغت أسفل الثرى ماردنى اليأس عن موقع غفرانك ولا صرفنى القنوط عن انتظار رضوانك الهى سمت نفسى اليك تستوهبها وفتحت أفواه أملها تستوجبها فهب لها ماسألت وجد لها بما طلبت فانك أكرم الاكرمين بتحقيق أمل الآملين الهى قد أصبت من الذنوب ماعرفت وأسرفت على نفسى بما قد علمت فاجعلنى اما عبدا طائعا لك فاكرمتنى واما عاصيا فرحمتنى الهى دعوتك بالدعاء الذى علمتنى فلا تحرمنى من جنانك التى عرفتنى فن النعمة ان

الاقرع ثم وجهتهم الى ديار مصر وبنى عمرو بن العاص بها جامعه الكبير ووقف على قبلته ثمانون من الصحابة رضى الله عنهم وهو أول جامع بنى فى الاسلام بمصر المحروسة وهو جامع مبارك يستجاب فيه الدعاء وحررت مساحة مصر بعد ان تلاشى أمرها بالنسبة الى زمن فرعون فكانت مساحتها مائة ألف ألف فدان تزرع غير البور وكان فيها فى الزمن الاول مائة وخمسون كورة مدينة وثلاثمائة وستون قرية فلما ملكها بختنصر وخربها أعيدت بعد ذلك وصار بها خمس وثلاثون كورة مدينة ثم تناقصت حتى صارت فى دولة عمرو بن العاص أربعين كورة وعدة قراها ألفان وثلاثمائة وخمس وسبعون قرية دون الكنوز وكان خراجها

هديتني بحسن دعائك ومن تمامها ان توجب لي حسن جزائك الهي انتظرت عفوك كما ينتظره المسيئون ولست آيسا من رحمتك التي يتوقعها المحسنون الهي جودك بسط أملي وشكرك قبل عملي فصل على محمد وعلى آل محمد وبشرني بلقائك وأعظم رجائي بجزائك الهي أنت الكريم الذي لا يخيب لديك أمل الآملين ولا يبطل عندك سبق السابقين الهي ان كنت لا استحق معروفك ولم استوجبه فكن أنت أهل التفضل به علي فالكريم من لم يضع معروفه عند من لا يستوجبه الهي مسكنتي لا يجبرها الا عطاؤك وأمنيتي لا يغنيها الا نعماؤك الهي استوفقك لما يدنيني منك وأعوذ بك مما يصرفني عنك الهي أحب الامور الى نفسي وأعودها علي منفعة ما استرشدتها به دلالتك اليه ودللتها برحمتك عليه فاستعملها بذلك عني اذ أنت أرحم الراحمين بما مني الهي أرجوك رجاء من لا يخافك وأخافك خوف من لا يرجو ثوابك فقني بالخوف شر ما أحاذر واعطني بالرجاء خير ما أحاذر الهي انتظرت عفوك كما ينتظره المذنبون ولست آيسا من رحمتك التي يتوقعها المحسنون الهي مددت اليك يدا بالذنوب مأسورة وعينا بالرجاء مغرورة وحقيق لمن دعاك بالندم تذللا ان تجيبه بالكرم تفضلا الهي ان عرضني ذنوبي لعقابك فقد أدناني رجائي من ثوابك الهي لم أسلط على حسن ظني بك قنوط الآيسين فلا تبطل صدق رجائي لك بين الآملين الهي ان انقرضت بغير ما أحببت من السعي أيامي فبالايمان امضتها الماضيات من أعوامي الهي ان أخطأت طريق النظر بما فيه كرامتي فقد أصبت طريق الفزع الى ما فيه سلامتي الهي ما أضيق الطريق على من لم تكن أنت دليله وما أوحش المسالك على من لم تكن أنت أنيسه الهي انهملت عبراتي حين ذكرت خطاياي وما لها الا تنهمل وما أدري ما يكون اليه مصيري وماذا يهجم عليه عند البلاغ مسيري وأرى نفسي تخاتلني وأيامي تخادعني وقد خفقت فوق رأسي ألوية أجنحة الموت ورمتني عن قريب أعين الفوت فما عذري وقد أوجس في مسامعي رافع الصوت لقد رجوت ممن ألبسني بين الاحياء ثوب عافيته أن لا يعريني بين الاموات بجود رأفته ولقد رجوت ممن تولاني في حياتي باحسانه أن يسعفني بعد وفاتي بغفرانه يا أنيس كل غريب آنس في القبر وحشتي ويا ثاني كل وحيد ارحم في القبر وحدتي ويا عالم السر والاخفى ويا كاشف الضر والبلوى كيف نظرك لي من بين ساكني الثرى وكيف صنيعك بي في دار الوحشة والبلى قد كنت بي لطيفا أيام حياتي فلا تقطع برك عني بعد وفاتي يا أفضل المنعمين في آلائه وأنعم المتفضلين في نعمائه كثرت عندي أياديك فعجزت عن احصائها وضقت ذرعا في شكري لك بجزائها فلك الحمد على ما أوليت ولك الشكر على ما أبليت يا خير من دعاه داع وأفضل من رجاه راج بذمة الاسلام أتوسل اليك وبحرمة القرآن أعتمد عليك صل على محمد وآل محمد واختم لي بخير وأعصمني من النار وأسكني الجنة مع الابرار ولا تفضحني بسر ربي حيا وميتا وهب لي الذنوب التي فيما بيني وبينك وأرض عبادك عني في مظالمهم قبلي واجعلني ممن رضيت عنه فحرمته على النار وأصلح لي أموري التي دعوتك بها في الدنيا والآخرة يا حنان يا منان ياذا الجلال والاكرام يا حي يا قيوم يا من له الخلق والامر تباركت يا أحسن الخالقين يا رحيم يا قدير يا كريم صل على محمد وآله الطيبين وعليه وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته انه حميد مجيد والحمد لله رب العالمين روي عن شريح انه قال اشتريت دارا بالكوفة فبلغ ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال يا شريح اشتريت لك دارا بالكوفة فقلت نعم فقال أشهدت عدولا فقلت نعم فقال اتق الله فانه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسأل عن بينتك اذا نظرت أن لا تكون اشتريت دارا من غير مالك وزنت من غير حقه فاذا أنت قد خسرت الدار بن جميعا الدنيا والآخرة يا شريح لقد كنت حين اشتريت هذه الدار صرت الي كنت أكتب لك الصك على هذه النسخة اذا ما كنت تشتريها بدرهم من قلت وما كنت تكتب يا أمير المؤمنين قال كنت أكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى العبد الذليل من ميت قد أزعج للرحيل اشترى هذا العبد المفتون بالامل من هذا العبد المزعج بالاجل دار الجنة والغرور من الجانب الفاني في عسكر الهالكين لها حدود أربعة فحدها الاول ينتهي الى دواعي الآفات

فزمن عمرو بن العاص اثني عشر ألف ألف دينار ثم تغيرت أحوال مصر في دولة الاسلام الى الغاية وخرب غالب قراها وانحط خراجها ولم يزل عمرو بن العاص واليا على مصر الى أن توفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه وولي عثمان بن عفان فعزله وولى بدله عبد الله بن أبي سرح فلما أتى الى مصر ارتحل عمرو الى المدينة الشريفة فجبى عبد الله بن أبي سرح خراج مصر في تلك السنة أربعة عشر ألف ألف دينار فلما وصل ذلك الى عثمان بالمدينة نظر الى عمرو بن العاص وقال له قد درت اللقحة يا عمرو فقال له نعم ولكن جاعت أولادها فان هذه الزيادة التي أخذها عبد الله بن أبي سرح انما هي كلى الجماجم فانه أخذ من كل رأس دينارا خارجا عن الخراج وحصل لاهل

الثاني ينتهي الى دواعي الهلكات الثالث ينتهي الى دواعي المصيبات والحسد الرابع ينتهي الى الهوى والردى والشيطان الغوي وفي هذا الحد مشرع باب هذه الدار فاخرج من حز القنوع والنخول في دار الحرص والفضول فما أدرك هذا المشتري من درك كسرى وقيصر وتبع وحمير ومن بنى وشيد وقصر

أنسيت يا مغرور انك ميت * أيقن بانك في المقابر نازل
تبلى وتفنى والخلائق للبلى * أبمثل هذا العيش يفرح عاقل

وكانت خلافة الامام علي رضي الله عنه أربع سنين وتسعة أشهر وتوفي قتيلا يوم الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين من الهجرة وكان سنه ثلاثا وستين سنة ودفن سحرا بقصر الامارة بالكوفة وغير قبره والله أعلم وكان السبب في قتله رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه لما اختلف نوابه ونواب معاوية بسبب قتل عثمان بن عفان اتفق طائفة من الخوارج على قتلهما فقال عبد الرحمن بن ملجم أنا أكفيكم عليا وقال الحجاج بن عبد الرحمن الصيرفي وأنا أقتل معاوية فاما عبد الرحمن بن ملجم فانه توجه الى الكوفة وكان يكتم أمره ولا يظهر الذي يقصده على أحد ثم انه أتى قوما من بني تيم فرأى امرأة أعجبته الصورة يقال لها قطام وكان الامام علي قتل أباها وأخاها يوم النهروان فخطبها ابن ملجم فقالت له لا أتزوج حتى تجعل الأعلى شروطا ثلاثة أولها ثلاثة آلاف درهم والثانية قينة تغني والثالثة قتل علي بن أبي طالب فقال لها أما الدراهم والقينة فهما مهر وأما قتل علي بن أبي طالب فلم ذكرتيه لي وما تريدين منه فقالت نلتمس ضربه بالسيف فان ضربته وسلمت شفيت نفسي منه ويطيب العيش معي والا فما عند الله لك خير مني فقال لها والله ما جئت الا لقتل علي بن أبي طالب وكان ما أراده الله في الازل وتوجه من عندها الى الكوفة وكان من عادة الامام علي رضي الله عنه اذا خرج الى الصلاة من بيته وقف بباب المسجد ونادى أيها الناس الصلاة الصلاة وكان ابن ملجم قد وقف له مقابل المسجد فاعترض الامام عليا وكان رفيقا لابن ملجم شبيب بن بجرة قال ابن التياح فرأيت بارقة السيف وسمعت قائلا يقول الحكم لله يا علي ثم رأيت سيفا ثانيا فاما سيف ابن ملجم فاصاب جبهة الامام علي رضي الله عنه مع قرنه الى أن وصل الى دماغه وأما سيف ابن بجرة فوقع في الطاق فقال علي لا يفوتنكم هذان الرجلان فشد الناس عليهما من كل جانب فاما ابن بجرة فتبعه حيل المغيرة بن شعبة فقتله وأما ابن ملجم فصرعوه وأخذوه وأدخلوه على الامام علي رضي الله عنه فقال طيبوا طعامه وألينوا فراشه فان أنا أعش فانا ولي دمي فاما ان اقتص منه واما أن أعفو عنه وان مت فالحقوه بي وأخاصمه عند رب العالمين ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين قال في زهر الآداب ان عليا رضي الله عنه لما رأى عبد الرحمن بن ملجم قال أنت الذي تخضب هذه من هذه فقيل له يا أمير المؤمنين ألا تقتله قال كيف يقتل الانسان قاتله وفي رواية ومن يقتلني وأحضر عبد الرحمن بن ملجم بعد وفاة الامام علي رضي الله عنه وجاء الناس بالنفط والبواري وقطعت يداه ورجلاه وكحلت عيناه ولم يتأوه بل يتلو القرآن فلما أرادوا قطع لسانه تأوه وامتنع من اخراجه فقيل له قطعت يداك ورجلاك وما تألمت ولا امتنعت ولم هذا الامتناع عند قطع لسانك فقال لئلا يفوتني شيء من تلاوة القرآن وأنا حي فشقوا شدقه وأخرجوا لسانه وقطعوه وقتل شر قتلة والله يحكم بين العباد قال أبو بكر بن حماد يرثي الامام عليا رضي الله عنه

قل لابن ملجم والاقدار غالبة * هدمت ويلك للاسلام أركانا * قتلت أفضل من يمشي على قدم
وأول الناس اسلاما وايمانا * وأعلم الناس بالقرآن ثم بما * سن النبي لنا شرعا وتبيانا
صهر الرسول وعاضده وناصره * أضحت مناقبه نورا وبرهانا * وكان منه على رغم الحسود له
ما كان هرون من موسى بن عمرانا * وكان في الحرب سيفا ماضيا بطلا * ليثا اذا لقي الاقران أقرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر * فقلت سبحان رب العرش سبحانا * اني لأحسبه ما كان من بشر
يخشى المعاد ولكن كان شيطانا * أشقى مراد اذا عدت قبائلها * وأخسر الناس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الاولى التي جلبت * على ثمود بأرض الحجر خسرانا * وكان يخبرهم ان سوف يخضبها

مصر بسبب ذلك ضرر شديد وهي أول ثلمة حلت بهم ثم أعيد عمرو بن العاص الى ولاية مصر في زمن معاوية وأقام أميرا بها الى أن مات بها ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وأربعين على المشهور ودفن بالمقطم وهو جبل الجيوشي من ناحية الفج وكان طريق الناس يومئذ الى الحجاز فاحب أن يدعو له من مر به من الناس وهو أول أمير مات بمصر

(الباب الاول في خلافة الخلفاء الاربعة ومن ولي بعدهم)

وهو الحسن بن علي وفي دولة بني أمية والدولة العباسية ومن ولي مصر من نواب الخلفاء الراشدين والدولتين المذكورتين ومن دخل في ذلك بالتغلب من ابن طولون والاخشيدية ولنقدم على ذلك نبذة مما يتعلق به صلى الله عليه وسلم تبركا به فنقول

قبل المنية أزمانا وأزمانا * فلا عفا الله عنه ما تحمله * ولا سقى قبر عمران بن حطان

(وقال أيضا)

وهز علي بالعراقين لحية * مصيبتها جلت على كل مسلم * وقال سيأتيها من الله حادث
يخضبها أشقى البرية بالدم * فباكره بالسيف شلت يمينه * لشؤم قطام عند ذل ابن ملجم
فيا ضربة من خاسر ضل سعيه * تبوأ منها مقعدا في جهنم

(وقال البحتري) ولا عجب للأسد ان ظفرت بها * كلاب الاعادي من فصيح وأعجم
فضربة وحشي سقت حمزة الردى * وموت علي من حسام ابن ملجم

(خلافة سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما)

هو سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم بويع له يوم مات أبوه وأقام ستة أشهر وخلع نفسه في ربيع الاول سنة احدى وأربعين ومات سنة خمس وسنه سبع وأربعون سنة ودفن بالبقيع روى سفينة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدي ثلاثون عاما ثم تكون ملكا عضوضا وكان آخر ولاية الحسن ثلاثون سنة من خلافة أبي بكر رضي الله عنه وروى ان النابغة الجعدي نظر الى الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فقال رحبا على رحب وقربا على قرب هذان سبطا محمد صلى الله عليه وسلم ودعوة ابراهيم وصريح اسمعيل وفرعا قريش وشبلا هاشم وسيدا شباب أهل الجنة ثم أنشأ يقول

بدران من شمس كريم طالعة * أفنانها بيد النبوة تزهر * من حجر طاهرة الفرع طاهر
كرمت منابته وطاب العنصر * الاطيبون أرومة من هاشم * والاكرمون مآثر الاتفكر
جبريل منهم والنبي محمد * والمروتان وزمزم والكوثر * والبيت بيتهمو وينسب منهمو
ومن يورثها الصغير الاكبر * واذا وقفت على المشاعر عنية * حرم سمو جراتها والمشعر

(مسئلة) مفيدة سئل عنها مولانا شيخ الاسلام الشيخ شهاب الدين أحمد الرملي الشافعي تغمده الله برحمته وهي هل يقال لمن هو من ذرية العباس رضي الله عنه سيد وشريف وهل له تعليق علامة الشرف أم لا أجاب ليس الامور المذكورة لاحد من أولاد العباس ولا لاحد من أقاربه وأولاد بناته صلى الله عليه وسلم الا أولاد سيدتنا فاطمة رضي الله عنها اذ الشرف مختص بأولادها الحسن والحسين ومحسن فمات سن ثلاثة صغيرا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم والعقب للحسن والحسين رضي الله عنهم وانما كان اختصاصا الشرف بهما وذريتهما لامور كثيرة منها كونهما مشاركين للنبي صلى الله عليه وسلم في نسبه فانهما هاشميان ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم لهما وكونهما سيدي شباب أهل الجنة قال صلى الله عليه وسلم انهما بضعة مني يريبني ما يريبهما ويؤذيني ما يؤذيهما وكونهما أشبه بناته في الخلق والخلق حتى في المشي ومنها اكرامه لها حتى انها كانت اذا جاءت اليه قام لها وأجلسها في مجلسه لما أودعه الله فيها من السر ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال أبشر يا أبا الحسن فان الله عز وجل قد زوجك بها في السماء قبل أن أزوجك بها في الارض ولقد هبط على ملك من السماء قبل أن تأتيني فقال لي السلام عليك يا رسول الله أبشر باجتماع الشمل وطهارة النسل فما استتم كلامه حتى هبط جبريل فقال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم وضع من يده حريرة بيضاء مكتوب فيها سطران بالنور فقلت ما هذه الخطوط فقال ان الله عز وجل اطلع الى الارض اطلاعة فاختارك من خلقه وبعثك برسالته ثم اطلع اليها ثانية فاختار لك منها أخا ووزيرا وصاحبا وحبيبا فزوجه ابنتك فاطمة فقلت من هذا الرجل فقال أخوك في الدين وابن عمك في النسب وقد أمرني ان آمرك بتزويجها بعلي في الارض وان أبشرهما بغلامين زكيين نجيبين فاضلين طاهرين خيرين في الدنيا والآخرة ومما أفاده مولانا شيخ الاسلام ابن حجر الهيتمي في كتابه الصواعق المحرقة حيث قال ينبغي لكل أحد ان يكون له غيرة على هذا النسب الشريف وضبطه حتى لا ينتسب اليه صلى الله عليه وسلم أحد الا بحق ولم تزل انساب أهل البيت النبوي مضبوطة على تطاول الايام وأحسابهم التي بها يتميز ون محفوظة عن أن يدعيها الجهال واللئام

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بفتح الطاء المشددة وكسر اللام ابن هاشم بوزن اسم الفاعل ابن عبد مناف بفتح الميم ابن قصي بضم القاف ابن كلاب بكسر الكاف على صيغة الجمع ابن مرة بضم الميم ابن كعب بفتح أوله ابن لؤي بضم أوله وفتح الهمزة وتشديد التحتية ابن غالب بوزن اسم الفاعل ابن فهر بكسر أوله ابن مالك بن النضر بفتح أوله ابن كنانة بكسر أوله ابن خزيمة بن مدركة بضم أولهما ابن الياس بكسر الهمزة وسكون اللام قبل المثناة التحتية ابن مضر بضم أوله ابن نزار بكسر أوله وفتح الزاي قبل الالف ابن معد بفتح أوله وتشديد ثالثه ابن عدنان بوزن فعلان وهذا هو النسب المتفق عليه وليس مما وراءه طريق صحيح (ولما نفخ الروح في آدم كان نور نسمة محمد صلى الله عليه وسلم

عنـدمن يقوم بتصحيحها فى كل زمان ومن يعتنى بتفاصيلها فى كل أوان خصوصا أنساب الطالبيين والمطلبين ومن ثم وقع الاصطلاح على اختصاص الذرية الطاهرة بفاطمة من بنى ذوى الشرف كالعباسيين والجعافرة بلبس الاخضر لظهار المزية تشرفهم ثم فى سـنة ثلاث وسـبعين وسبعمائة أمر السلطان الاشرف شعبان ابن السلطان حسن بن الناصرى محمد بن قلاوون أن يمتازوا عن الناس بعصائب على العمائم ففعل ذلك با كثر البلاد كمصر والشام وغـيرهما وفى ذلك يقول ابن جابر الاندلسى نزيل حلب وهو صاحب شرح الفية ابن مالك المسمى بالاعمى والبصير

جعـلوا لابناء الرسول علامة * ان العـلامة شأن من لم يشـهر

نور النبوة فى كريم وجوههم * يغنى الشريف عن الطراز الاخضر

وقال فى ذلك جماعة من الشعراء مايطول ذكره ومن أحسنه قول الاديب محمد بن ابراهيم بن بركة الدمشقى

أطراف تيجان أتت من سندس * خضر لاعلام على الاشراف

والاشرف السلطان خصهم بها * شرفا ليعرفهم من الاطراف

(فائدة) عظيمة وهو ان النابغة الجعدى المذكور كان من شعراء الجاهلية ثم أدرك الاسلام روى عنـه أنه قال أتيت النبى صلى الله عليه وسـلم فانشدته قصيدتى حتى انتهيت الى قولى

أتيت رسول الله اذ جاء بالهـدى * ويتلو كتابا واضح الحق نيرا

بلغت السماء مجدا وجودا وسوددا * وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم الى أين يا أبا ليلى فقلت الى الجنة يارسول الله فقال الى الجنـة ان شاء الله ثم انتهيت الى قولى

ولاخير فى حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمى صفوه أن يكدرا

ولاخير فى جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما أورد الامر أصدرا

فقال صدقت وأحسنت لايفضض الله فاك قال فبقيت عمرى أحسن الناس ثغرا وعمرت عمرا طويلا فكنت كلما سقطت لى سن نبتت مكانها أخرى لدعوة النبى صـلى الله عليه وسلم وعظم وشرف وكرم

(الباب الثانى فى دولة بنى أمية)

كانت بالشام وعـدة الخلفاء منهم أربعة عشر خليفـة وكانت عمالهم بمصر وغـيرها ومدة تصرفهم اثنتان وتسعون سـنة (أولهم) معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه واسمه صخر بن حرب بويع له فى ذى الحجة سنة أربعين ببيت المقدس قال الطبرى لما مات الامام على بن أبى طالب رضى الله عنـه اتفق معاوية وعمرو ابن العاص عـلى ان يكون معاوية بالشام وعمرو بن العاص بمصر ولا يكون لاحدهما على الآخر كلام ثم جعـل الناس يقـدمون على معاوية من سائر الاقطار وهو يرضى الناس بالاموال فلما فرغ ما عنـده من الاموال كتب الى عمرو بن العاص انه قد كثر على وارد الحجاز ووفود العجم والشام والروم واليمن ولم يكن عندى شئ أرضيهم به فصير الى خراج مصر سنة واحـدة لاستعين به على من يرد على فقال عمرو بن العاص فى نفسه متى صيرت اليه مالا يطالبنى به فى كل سنة فكتب جوابا لمعاوية يقول له هذه الابيات

معاوى ان تدركك نفس شحيحة * فما ورثتنى مصر أمى ولا أبى

وما نلتها عفوا ولكن شرطتها * وقد دارت الحرب العوالى على قطبى

ولولا دفاع الاشعرى وصحبه * لالفيتها ترغو كراغية السقب

فكتب اليه معاوية انه قد تردد كتابى اليك بطلب خراج مصر وأنت تمتنع وتدافع ولم تسيره فسيره الى قولا واحدا وطلبا جازما والسلام فكتب اليه عمرو بن العاص جوابا وهى القصيدة الجلية المشهورة التى أولها

معاوية الفضل لاتنس لى * وعن منهج الحق لاتعدل

نسيت احتيالى فى جلق * على أهلها يوم لبس الحلى

وقد أقبلوا زمرا يهرعوا * ويأتون كالبقر الهمل

(ومنها أيضا)

ولولاى كنت كمثل النسا * تعاف الخروج من المنزل

نسيت محاورة الاشعرى

يلمع فى جبهتـه كالشمس المشرقة ثم انتقل ذلك النور من صلب آدم عليه السلام الى رحم حواء ومنها الى صلب شيث ولم يزل ينتقـل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وهو معنى قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين وكان كل جد من أجداده من لدن آدم يأخذ العهد والميثاق أن لا يوضـع ذلك النـور الا فى الطاهرات فاول من أخذ العهد آدم أخذه على شيث وشيث على أنوش وأنوش على قـينن وهكذا الى أن وصلت النوبة الى عبـد الله بن عبـد المطلب فلما أودع ذلك فى صلبه لمع ذلك النور من جبهته فظهر له جمال وبهجة فكانت نساء قريش يرغبن فى نكاحه وقد لقى فى زمانه مالقى يوسف عليه السـلام من امرأة العزيز (وقد روى الترمذى) عن العباس

ونحن على دومة الجندل * والعقبه مصلا باردا * وأمزجت ذلك بالحنظل
ألين فيطمع في جانبي * وسهمي قد غاب في المفصل * وأخلعها منه عن خدعة
كخلع النعال من الارجل * وألبسها فيك اذ عرت * كلبس الخواتم في الانمل

(ومنها أيضا)

ولم تك والله من أهلها * ورب المقام ولم تكمل * وسيرت ذكرك في الخافقين
كسير الجنوب مع الشمأل * نصرناك من جهلنا يا ابن هند * على البطل الاعظم الافضل
وكنت ولن تراها في المنام * فزفت اليك ولامهر لي * وحيث تركنا أعالي النفوس
تزلنا الى أسفل الارجل * وكم قد سعنا من المصطفى * وصايا مخصصة في علي

(ومنها أيضا)

وان كان بينكما نسبة * فأين الحسام من المنجل
وأين الثريا وأين الثرى * وأين معاوية من علي

فلما سمع معاوية هذه الابيات لم يتعرض له بعد ذلك * قيل دخل عقيل بن أبي طالب على معاوية وقد كف بصره و جلس الى جانبه على سريره فقال له معاوية أنتم معاشر بني هاشم تصابون في أبصاركم فقال له عقيل وأنتم معاشر بني أمية تصابون في بصائركم فسكت ولم يتكلم وقيل ان معاوية قال يوما لجلسائه من أتعدون الغريب فيكم فقالوا الذي لا أحد له فقال بل الغريب الذي مات نظراؤه الذين كان يستأنس بهم وأنشد

اذا ذهب القرن الذي أنت منهم * وخلفت في قرن فأنت غريب

مطرد في المعنى

أجالس معشر الاشكل فيهم * وأشكالي قد اعتنقوا اللحودا

قيل دخل غيار العدوي على معاوية وعليه عباءة قاردراه فقال يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك وانما يكلمك من فيها فقال معاوية ما رأيت أحقر منه أولا ولا أكبر منه آخرا وقيل قال الاسكندر لرجل دمامن جلسائه متكلم بفصاحة ليكن حسن ثيابك كحسن كلامك فقال اما الكلام فانا قادر عليه وأما الثياب فانت تقدر عليها فخلع عليه وأكرمه (ذكر قدوم عكرشة بنت الاطروش بن رواحة على معاوية) قيل دخلت عليه وهي متكئة على عكاز ها فسلمت عليه بالخلافة ثم جلست فقال لها معاوية يا عكرشة اليوم صرت عندك أمير المؤمنين فقالت له نعم اذ لا علي حي فقال معاوية يا عكرشة ألست بوم صفين المقلدة حمائل سيفك بين الصفين وأنت واقفة تقولين أيها الناس عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ان الجنة لا يحزن من سكنها ولا يموت من دخلها فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ولا تنصرم همومها وكونوا قوما مستبصرين بالصبر على من طلب حقوقكم ان معاوية قد وفد عليكم بعجم العرب غلف القلوب لا يفقهون الايمان ولا يدرون الحكمة دعاهم بالدنيا فاجابوه واستدعاهم بالباطل فلبوه فالله الله عباد الله في دين الله يا معشر المهاجرين والانصار امضوا على سيركم واصبروا على عزيمتكم واعلموا أن مصيركم الى الموت كاني بكم غدا وقد لقيتم أهل الشام كالحمر الناقرة وكأني أراك على عكازك هذه وقد انكفأ عليك العسكران يقولون هذه عكرشة بنت الاطروش كان كدت تقتلين أهل الشام كان أمر الله قدرا مقدورا فما حملك على ذلك قالت يا أمير المؤمنين يقول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وان اللبيب اذا كره أمرا لم يحب اعادته فقال لها معاوية صدقت اذكري حاجتك وما جئتني بسببه قالت ان صدقاتنا تؤخذ من اغنيائنا فترد على فقرائنا وانا قد فقدنا ذلك فلا يجبر لنا كسير ولا ينتعش لنا فقير ثم قالت فان كان ذلك عن رأيك فمثلك من انتبه من الغفلة وراجع التوبة وان كان عن رأي غيرك فمثلك من لا يستعين بالخونة ولا يستخدم الظلمة فقال لها معاوية يا هذه اتقي الله انه ينوبنا من أمور رعيتنا أمور تنفتق و بحور تندفق فقالت سبحان الله والله ما فرض لنا حقا فيه ضرر لغيرنا وهو علام الغيوب فامر لها معاوية بان يرد صدقاتهم اليهم وانصرافهم واكرامهم وأعطاها خمسمائة دينار فاخذتها وانصرفت وأقام معاوية في الخلافة عشرين سنة وتوفي في رجب سنة ستين وسنه ثمان وسبعون سنة ودفن بدمشق

رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق وجعلني من خيارهم ثم تخير القبائل فجعلني في خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني في خير بيت فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا أي ذاتا وأصلا * وأخرج ابن جرير في تفسير قوله تعالى حكاية عن ابراهيم الخليل عليه السلام واجنبني وبني أن نعبد الاصنام عن مجاهد قال استجاب الله تعالى دعوة سيدنا ابراهيم في ولده فلم يعبد أحد منهم صنما بعد دعوته و جعل من ذريته من يقيم الصلاة * قال السيوطي رحمه الله وهذه الاوصاف كانت لاجداده صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر ذرية ابراهيم عليه السلام وكل ما ذكر عن ذرية سيدنا ابراهيم من المحاسن فان أولى الناس به سلسلة

(خلافة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان)

بويع له يوم مات أبوه قيل جلس يزيد في بيته يأكل الطعام فأجلس علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم على ركبته اليمنى وأجلس خالدا ولده على ركبته اليسرى وكان سن كل واحد منهما خمس سنين فقال لعلي يا أبا الحسن اما تقوم تتصارع أنت وابن عمك خالد لنتفرج عليكما فقال علي بن الحسين وما يأتينا من الصراع يا عم أعطني سيفا وأعطه سيفا وانظر أينا أصبر على الموت قال فنظر اليه يزيد شزرا وقال والله كنت أحسب ان الضغائن تفرغ من القلوب ولا تلد الحية الا حية ثم رفعه من على ركبته وكان قبل ذلك يأكل معه في البيت فلم يطلبه بعدها ومات يزيد في تلك السنة (ومما حكى) انه لما قتل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ووصل رأسه الى يزيد وضعه بين يديه وقرعه بقضيب كان معه بيده على ثناياه ثم أمر بالرأس فنصب أياما على باب دمشق وطلب يزيد أهل الشام وأحضرهم حوله وأحضر عليا الاصغر ابن الحسين والنساء معه ينظرون اليهم فقال يزيد لعلي ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في أبيك الذي قطع رحمي ونازعني في سلطاني فصنع الله به ما رأيت فقال علي ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب فقال يزيد لابنه خالد أجبه عما قال فلم يدر خالد ما يقول فقال يزيد وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وروى الطبري ان يزيد أمر خطيبا من بني أمية أن يصعد المنبر فصعد وخطب ونال من علي ومن الحسين وأطنب في ذلك فاستأذن علي بن الحسين في أن يصعد المنبر ويذكر ما يريد فامتنع يزيد من ذلك فألح عليه في ذلك فأذن له فصعد المنبر وخطب خطبة بليغة حتى أبكى العيون وأوجل القلوب من جملتها أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فاني أعرفه بنفسي وأنسب له حسبي ونسبي أنا ابن مكة أنا ابن زمزم والصفا أنا ابن من حمل الركن بأطراف الردا أنا ابن خير من اتزر وارتدى أنا ابن خير من انتعل واحتفى أنا ابن خير من طاف وسعى أنا ابن خير من ركب البراق في الهواء أنا ابن خير من أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى أنا ابن خير من بلغ به جبريل سدرة المنتهى أنا ابن من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى أنا ابن خير من صلى بملائكة السما أنا ابن محمد المصطفى أنا ابن علي المرتضى أنا ابن فاطمة الزهراء أنا ابن سيدة النساء أنا ابن الاولياء أنا ابن آخر الاصفياء فعند ذلك ضج الناس بالبكاء وكادت أن تكون فتنة فولى وخشي الفتنة ولما حمل رأس الحسين الى الشام خرجت زينب بنت علي بن أبي طالب في نساء من قومها من بني هاشم وهن حاسرات وكن يومئذ بدمشق وهي تنشد وتقول

ماذا تقولون اذ قال النبي لكم * ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي * نصف أسارى ونصف خضبوا بدم
ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم * ان تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

وقيل ان يزيد بن معاوية قال من جاءني برأس الحسين ملأت ركابه ذهبا فانفرد واحد من القوم وهو على ما قيل انه شبل بن يزيد الحميري وقيل شمر بن أبي الجوشن وحز رأسه ودفعه الى أخيه خولي وقيل غيره لما قدموا به على يزيد وضعه الحامل له بين يديه وأنشد مخاطبا ليزيد

املا ركابي فضة وذهبا * انا قتلت السيد المحجبا
قتلت خير الناس أما وأبا * وخيرهم اذ ينسبون نسبا

فقال له يزيد لما علمت انه موصوف بهذه الاوصاف لاي شئ قدمت على قتله فأمر بضرب عنقه وفاته ما أمله من الذهب والى جهنم قد ذهب وقد سئل مولانا شيخ الاسلام الشيخ شهاب الدين أحمد الرملي الشافعي رحمه الله تعالى في يزيد بن معاوية هل يجوز لعنه لانه قتل سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أمر بقتله أو لا يجوز لعنه لانه لم يقتله ولا أمر بقتله وفي عبد الرحمن بن ملجم الذي قتل عليا هل هو مسلم أو كافر أجاب رحمه الله لا يجوز لعن يزيد بن معاوية كما صرح به جماعة منهم صاحب الخلاصة وغيره لانه صلى الله عليه وسلم نهى عن لعن المسلمين ومن كان من أهل القبلة ولا يخالفه قول بعض المتأخرين انهم اتفقوا على جواز لعن من قتل الحسين أو أمر بقتله أو أجازه أو رضي به لان معناه على وجه التعميم وهو لعن الطوائف المذكورة

الاجداد الشريفة الذين خصوا بالاصطفاء وانتقل اليهم النبوة واحدا بعد واحد ولم يدخل ولد اسحق عليه السلام وبقية ذرية ابراهيم لانه دعا لاهل هذا البلد ألا تراه قال اجعل هذا البلد آمنا وعقبه بقوله واجنبني وبني أن نعبد الاصنام فلم تزل ناس من ذرية ابراهيم عليه السلام على الفطرة يعبدون الله تبارك وتعالى ويدل له قوله تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه فان الكلمة الباقية هي التوحيد وعقب ابراهيم عليه السلام هم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ونسله وآباؤه الكرام فأبواه ناجيان منعمان في أعلى درجات الجنان لانهما ماتا في زمن الفترة وأهل الفترة ناجون وان غيروا وبدلوا وعبدوا الاصنام على الراجح الامن أخبر

بالاوصاف دون تعيين لانسان ليكون من باب لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها رواه أبو داود وابن ماجه بل لم يثبت انه قتل الحسين رضي الله عنه ولا أمر بقتله كما صرح به جماعة منهم حجة الاسلام الغزالي قال في الانوار ولا يجوز لعن يزيد ولا تكفيره فانه من جملة المسلمين ان شاء رحمه وان شاء عذبه قاله الغزالي والمتولي وغيرهما وقد طعنه سنان بن أبي أنس فالقاه عن فرسه وأجهز عليه خولي بن يزيد من حمير ونزل ليجز رأسه فارتعدت يداه فنزل أخوه شبل بن يزيد فاجتز رأسه ودفعه الى أخيه خولي ولما قدموا به على يزيد وذكروا له قتله دمعت عيناه وقال ويحكم كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن مرجانة أما والله لو كنت صاحبه لعفوت عنه ثم قال رحم الله أبا عبد الله وغفر له ولما دخل عليه علي بن الحسين في السبي قال خلوا عنهم وكساهم وأخرج لهم جوائز كثيرة ثم قال لو كان بينهم وبين ابن مرجانة نسب ما قتلهم ثم ردهم الى المدينة وأما عبد الرحمن بن ملجم الذي قتل عليا كرم الله وجهه فهو مسلم من الخوارج الذين يكفرون مرتكب الكبائر فقد قال الامام الشافعي رضي الله عنه انه قتل متأولا لانه وكيل امرأة قتل علي أباها يعني متأولا عند نفسه فيما كان مخطئا فيه وفيما لا يحتمل التاويل وليس كل من يؤول كان له ان يتأول وقد قطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه فلم يجزع ثم أرادوا قطع لسانه فجزع فقيل له لم لا جزعت لقطع يديك ورجليك وجزعت لقطع لسانك قال اني أكره ان تمر ساعة علي من نهار ولا أذكر فيها اسم الله تعالى (نكتة مضحكة) قال صاحب النوادر اللطيفة مات مابون يقال له قرنفل فرآه شخص في المنام فقال أيش حالك ياقرنفل قال لا تسألني عن شيء قال الى أين صرت ياقرنفل قال الى جهنم قال ويحك ومن يلوط بك في جهنم قال يزيد بن معاوية وأنا واياه أصحاب ذكر في القاموس في باب الثاء في حرف الدال الدغبوث بالضم هو المابون قال صاحب النفحات المسكية أجمع العلماء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة على تحريم اللواط ومن قال بحل ذلك فهو زنديق كافر من غير خلاف بين أهل السنة والكتاب قال صلى الله عليه وسلم من عمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وعن جابر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف على أمتي فعل قوم لوط فمن عمل عمل قوم لوط فاحرقوه وقال ابن عباس حد اللواط ان يرمى فاعله من سطح عال ثم يرجم حتى يموت وفي رواية ينكس من مكان مرتفع وقيل يهدم الجدار عليه وعن مالك والشافعي وأحمد بن حنبل يرجم في الاظهر لقوله صلى الله عليه وسلم اقتلوا الفاعل والمفعول به ومن استحله كفر واذا ركب الذكر الذكر اهتز العرش (حكى) عن بعض أهل اللطافة قال طلعت يوما نحو القرافة في تعب وترافة لأزور من فيها من الاموات وأتعظ على ما فات والى ما هو آت واذكر هاذم اللذات ومفرق الجماعات وميتم البنين والبنات وأرتدع عن المعاصي والسيئات فاخترقت ربها واستجليت عجبها وجعلت أجول بطرفي في أزهارها وعشبها وأتفكر كيف ساوت تلك البقعة بين الملك والمملوك وخالطت بين الغني والصعلوك وكم فيها قبر يزار وكم قبر مندرس علاه عليه التراب والغبار فجعلت تارة أدير طرفا غرغرت عليه الدموع وتارة أعاتب قلبا لفراق الاحبة موجوع وتارة أندب ناسا سار وا وأخلوا الاطلال والربوع وتارة أبكي لفقد أناس كانت وجوههم أضوأ من الشموع وأسبح الله الذي أرقدهم المحيي المميت الذي لا راد لامره ولا تضاؤه ممنوع فبينما أنا كذلك وفي وسط الطريق سالك اذ نظرت في كهف الجبل الى بناء مستقطع وجوسق في الجو مرتفع فمشيت الى أن وصلت اليه ونويت الجلوس على بابه لاسقط التعب عليه واذا أنا بصوت داخل البناء أحسن من نغمات الاوتار وأطيب من صوت الهزار وتسجيع الاطيار يكرر بصوته النياحه ويندب بنغمته أوقات الراحه بصوت تميل اليه قلوب سامعيه لما فيها من الذكاء والفصاحه يهيج الاشواق ويطيش قلب المشتاق وتتطاول اليه الاعناق وتهمي بسماعه العيون من الآماق بقلب جريح كانه كابد مرارة الفراق ينشد ويقول

صلى الله عليه وسلم بعدم نكاحهم كامرئ القيس واضرابه وقد حفظ الله تعالى نسبه الشريف من سفاح الجاهلية قال محمد ابن السائب كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة جد فما وجدت فيهم سفاحا ولا شيأ مما كان في أمر الجاهلية فان بعض أهل الجاهلية كان اذا أراد النكاح يقول الزوج خطب ويقول ولي المرأة نكح وهذا عندهم عبارة من العقد وأما نكاح عبد الله آمنة فكان عقدا موافقا لما عليه شريعة الاسلام مشتملا على ثلاث الشروط المعتبرة وان لم تكن بشرع بل بتوفيق من الله تعالى وكذا في بقية أجداده عليه الصلاة والسلام (ولما قرب وجوده) صلى الله عليه وسلم رأى عبد المطلب وهو نائم في الحجر مناما هائلا

ما أنت يا قبر لا روض ولا فلك * فكيف يجمع فيك الشمس والقمر * بالله يا قبر لا تبلى محاسنه
وهل تغير ذاك المنظر النضر * وهل بها وجهه فان وبهجته * وهل فني بفناه نشره العطر
وهل تدوم مسراتي لفرقته * هيهات قد عاد صفوي بعده كدر

ثم شهقت شهقة في آخر انشادها وتزايد بي تعبي بترددها وتقطع قلبي بنواحها وبكائها وتعدادها الى ان سلبت كل عضو مني وأذهبت نومي عني فقلت والله لأهجمن على هذا الباب وأحظى بسماع هذا الخطاب وأنظر من هذا الذي هو مصاب فلعلي ألاحظ هذا الشاكي فاشاكيه فاما أسليه واما أنسيه فطارقت الباب طرق متردد في أمره حامد لله على زيادة نعمه وشكره ففتح لي الباب سريعا وجوابه مريعا فاذا هي امرأة ذات جمال فائق وشكل لائق وقد شاهدت صاحبة عطف ومعاطف كأن شمائلها سرقت من الظبي المعاطف بغنج ودلال وقد واعتدال وبهاء وكمال كما قال فيها الشاعر

تشابه غصن البان كالبدر والشمس * وقد طهرت من كل عيب ومن رجس
وليس لها بين البرية مشبه * فسبحان من بالحسن وجنتها مكسي
اذا نظرت عيناي نور جمالها * تزايد بي شوقي ووجدي مع الانس
تحاكي لغصن البان والبدر في الدجى * وطول نهاري في محاسنها درسي
عسى خالقي يمتن علي بوصلها * فما لي سواها في حياتي وفي رمسي

ثم سالت اذاني العبور فانعمت وسلمت السلام التام وأكرمت فبدأت بقراءة آيات من كتاب الله تعالى رب الارباب وأهديتها لسكان التراب ثم تجاسرت بكلامي عليها وتقدمت اليها وسلمت عليها وسألتها عن قصتها وحالها وقضيتها وما جرى لها وقات لها من هذا الذي تندبينه وفي هذه البرية تبكينه وتنعينه أذهبت عنوان شبابك وقتلت نفسك بين أترابك فقالت يا أخي هذا بعلي الذي أحسن الي فيما مضى وخلفني للشقاوة والقضا فقلت لها يا أختي اشتغلي بحاجتك عنه فالموت سبيل لابد منه فابتدت بكاء وعويلا ونظرت الى القبر طويلا بدمع هاطل يشبه السيول وأنشدت تقول

ياساكن القبر فوق القبر ذات جوى * ربي لها القبر من حزن ومن شجن
تخالفت فيك أحوالي أسى وضنى * الى الهلاك وطرف طالب الوسن
وحالف القلب فيك العين من كمد * واسود بالغم وابيض من الحزن
من بعد بعدك بت الليل ساهرة * لم يهن لي بالجوى سكني الى سكني
وأصبحت بعدك الاطلال خالية * وكم أبادله لي ثم كم منن
وكنت عونا لجمع النائبات وكم * أحسنت يا بعل لي في سالف الزمن

ثم بكت حتى أغشى عليها ومالت كليتي بالشفقة اليها وأحرقت قلبي ببكاها ورحمت قلقها ونواها فلما فرغت من البكاء مالت بمحاسنها الى جانبي وغازلتني بالعين والكتف وتبهرجت على بالخصر والردف فلما رأيت ذلك من حالها وما أبدته من فعالها تزايد بي الطمع ودا خلني في مداخلتها الرجا ولم أجد عن هواها سبيلا ومخرجا فقلت يا سيدتي بحق من ألبسك الجمال وخصك بالحسن والبهاء والكمال الا ما رضيتيني لك بعلا ولخدمتك أهلا لاكون أسبق الناس الى مرضاتك وأبذل المجهود في قضاء حاجاتك فنظرت الى شزرا وغضبا وامتلأ قلبي منها رعبا وأنشدت تقول

أتطلب مني أن أكون مزوجا * فلست أرى هذا سبيلا ومخرجا * ولم ألتقي زوجي له المثل في الورى
ولا مثله لي في البرية مرتجا * فوالله لا أصبحت من تحت غيره * الى أن أرى من فنا القبر أخرجا
فزوجي له قدر وعلم وحكمة * وحلم وفضل وهو للخير مرتجا * فبالله دع هذا الكلام ولا تكن
بقولك هذا ما برحت مهرجا * فلازلت مقلاة بغير تزوج * وربي من ضيقي يكون مفرجا

ثم قالت وحق رب العباد الذي ألبسني حلة الحداد وقضى علي بالفراق والبعاد لا كان ذلك الى يوم المعاد

فانتبه فزعا مرعوبا وأتى كهنة قريش وقص عليهم رؤياه فقالت له الكهنة ان صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك من يسود أهل السماء والارض فتزوج فاطمة بنت عمرو بن عائذ من نسل النضر وأمها صخر بنت عبد الله بن عمران من نسل النضر أيضا فحملت بعبد الله الذبيح وقصته في الذبح مشهورة وسبب تسميته بذلك ان عمرا الجرهمي لما أحدث قومه بحرم الله الحوادث وقيض الله تعالى لهم من أخرجهم من مكة عمد عمرو الى زمزم فطمها وهرب الى اليمن ومضت مدة طويلة وزمزم مطمومة مجهولة الى أن رأى عبد المطلب رؤيا تشير له بحفرها فاراد ذلك فمنعته قريش وآذاه سفهاؤهم حسدا ولم يكن له ولد سوى الحرث فنذر لله تعالى لئن

فقلت لها يا ستي اذا لم تنعمي لي بالزواج وأنا من هذا الامر في ضيق وانزعاج فسألتك بحق الله شفي كل عله وأبرد كل غله الا ما تصدقت علي ولو كان بقبلة فقالت لقد أقسمت علي بقسم عظيم وحلفتني بالله كريم ثم ناحت وبكت لفرقة الاحباب وناوهت ناوه المصاب ولعبت بعود كأنه كان معها في التراب وقالت ان كان ولابد يا شاب فلعظيم قسمك تكون القبلة من فوق النقاب فلما سمعت ذلك بادرت اليها وأرميت كليتي عليها ونهضت اليها نهضة العاشق اليها وقبلتها تقبيل الرجل المشغوف وأنشدت أقول

أحبابي قلبي أنعموا بالخطاب * ولاطلوا واغتنموا الثواب * وقد رضوا من بعد ما قد جفوا
وراق لي وقتي وطاب العتاب * وأنعموا لي بالوفا عاجلا * بقبلة قبلت فوق النقاب
وطالت الخلوة ما بيننا * وغاب الهجران ولى وغاب

ثم قالت يا سيدتي بحق الله علام الغيوب وكاشف الكروب الا ما وصلتني ومال محب لمحبوب فنظرت الى عند ذلك وقالت يا شاب ان قلبي بالفراق مكسور وحالي معذور وتطلب مني أن توقعني في محظور ويكون ذلك بين القبور ويبقى عرضك عرضك مهتوكا غير مستور وأعصى الاله الغفور فوالله لا كان ذلك الى يوم النشور وأنشدت تقول

أتطلب مني الوصل في حيرة القبر * وتقصد هتكي في البرية مع ستري
وتقصدني المحظور يا صاح ترمني * ليزداد اثمي والخطايا مع الوزر
وفي حيرة الاموات أعصي لخالقي * فلا كان هذا القول لو ينقضي عمري
وأنسى عهود الله بيني وبينه * ونحن نوادينا الى أبد الدهر

قال فحصل لي عند ذلك الاياس وتزايد بي لنحوها القلق والوسواس وتزايدت بي الحسرات وانهملت العبرات وقلت يا سيدتي بحق الهري ولا يرى وبحرمة نبي أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الى السموات العلى الى سدرة المنتهى انه وخالقه سرى وصلى وحج واعتمر وحال وحرم ونعبد في حرى الا ما قضيت لي بالوصل وطرا فقالت والله لقد أقسمت علي بما يقسم الورى والله لا كان هذا ولا جرى فان كان ولابد فيكون من ورا ثم انها استقت كالمهاحتى أجبتها الى ما اختارت وأدرتها على جنبها فاندارت وقمت أفعل فيها ما أشارت ومهجتي من الفرح قد طارت فقمت عن مؤخر السراويل وكشفت وسارعت في الايلاج وتركته ساعة طويلة بلا اخراج وأنا في لذة وحبور وقد نلت فرحا وسرور فلما قضيت الحاجة وزالت مني اللجاجة أنشدت أقول

قد واصلوني أحبابي وما كسروا * قلبي وبالوصل ما بين الورى جبروا
تالله ما كان أحلى وصلنا عجلا * ونحن في لذة لم يبلها كدر
والواش عنا غفول والرقيب معا * وسادتي عن محاسن وجههم سفروا
هذا هو العيش لو دام الزمان به * لكن زماني هذا كله غير
فافهم لقولي واسمع يا أخا ثقة * قولا بدا ما حكاه في الورى سمر

فقلت بعد ذلك لابد من معرفتها لاقوز بقربها وصحبتها فقلت يا سيدتي بحق اسمعيل الذبيح وبحق من جعل النار بردا وسلاما على ابراهيم بعد ان كان فيها طريح ونجى من اليهود المسيح الا ما كشفتي لي عن وجهك الصبيح ومتعتيني بجمالك المليح لأكون لك عارفا ولمحاسنك واصفا ولما أراك فالك خادما وعلى بابك لم أزل ملازما فمدت يدها بتكليف وكشفت عن وجهها الظريف فاذا هو شيبة بيضاء قد فرشت سطرين وحكت بياض اللجين فعلاني البكا والنحيب والزفير واللهيب ووقعت في غم عظيم وحزن مقيم كظيم وقلت الهي بحرمة محمد صاحب كن طيبه لا تختم بخير لهذه الشيبه وخيبها الله أعظم خيبه يا أنحس الناس وأنجس من الوسواس الخناس هذه الشيبة التي لا يستحي الله من عذابها ولا يبالي من أي باب من أبواب النار أتى بها ما حالك أيها الشيخ المنحوس على هذه الصوره وما ألجاك يا ماأبون الى هذه الضروره فقال لي

والده عشر بنين ليذبحن أحدهم ويستعين بباقيهم على حفر زمزم فتكامل له عشر بنين وهم الحرث والزبير وجحل وضرار والمقدم وأبو لهب والعباس وحمزة وأبو طالب وعبد الله ولما قرت عينه بهم نام ليلة عند الكعبة فرأى في منامه قائلا يقول يا عبد المطلب أوف بنذرك لرب هذا البيت فاستيقظ فزعا مرعوبا وأمر بذبح كبش وأطعمه للفقراء والمساكين ثم نام فرأى ان قرب ما هو أكبر من ذلك فاستيقظ من نومه وقرب ثورا ثم نام فرأى ان قرب ما هو أكبر من ذلك فانتبه من نومه وقرب جملا ثم نام فرأى أن قرب ما هو أكبر من ذلك فقال وما أكبر من ذلك قال قرب أحد أولادك الذي نذرته فاغتم غما شديدا ثم جمع أولاده وأخبرهم

يا قليل الأدب يا من لم يزل من وراء حجاب يا عديم الرأي والتوفيق والصواب هكذا اصطاد الأزباب فعلمت
أنه شيخ جاهل ومختل ليس بعاقل وفهمت أن به مرضا من الأمراض يحتال به على غرض من الأغراض
فتركته ودخلت المدينة وقلبي باكية حزينة فسألت ناسا من الأحباب والأصدقاء والأصحاب عن هذا
الشيخ القليل الميزة الذي ستر وجهه وكشف عجيزه فقيل لي هذا صاحب الجيزة فانصرفت وأنا متفكر
في هذه القضية وشؤم هذه الرزية ونسأل الله حسن الخاتمة بمحمد وآله (حكى الراغب في تذكرته)
قيل أول من ظهرت فيه الابنة العزيز صاحب يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام وكان أبو جهل مأبونا
وإذا أحزنه الداء ألقم دبره حجرا ويقول واللات والعزى لا علاك ذكر وكان جالينوس مأبونا ففعل به غلام
خلف حائط فطارت دجاجة ففزع الغلام وقام عنه فقال جالينوس دعني والدجاج فما زال يصطاده للمرضى
حتى انقطع أصل الدجاج من المدينة ودخل مطيع على صديق له فرأى تحته غلاما وفوقه آخر فقال له ما هذا
قال اللذة المضاعفة *(حكى)* صاحب النوادر أن امرأة من الفواجر جاءت فوق رجل وهو نائم على قفاه
وأدخلت ذكره في فرجها ثم إن رجلا آخر علاها وأدخل ذكره في دبرها فصار لها بينهم انخفاض وارتفاع
وغير ذلك وهي تارة تلقم شفتها لمن هو تحتها وتارة تلتفت وتلقم شفتها لمن هو فوقها واستمرت على هذا الحال
إلى أن تم العمل ثم إنها سئلت عن ذلك فقالت هذا نكاح المعاني وإيصال اللذة للتحتاني والفوقاني وقيل
لمأبون لم لزمت هذا الغلام قال إن فيه أربعة أشياء من العروض الطويل والمديد والبسيط والوافر
والكامل وقيل لمأبون إن ابنك به ابنة فقال المفتاح لا يخرج من بني شيبة وقيل لمأبون في شهر رمضان
هذا شهر كساد فقال أبقى الله اليهود والنصارى وقال بعضهم

رأيته تحت عبد بات يرهزه * فقلت ترضى بذا تحت من رجل
وكيف يعلوك عبد السوء قال نعم * لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

(وقال آخر)

رأيت أبيض لون تحت أسوده * والوجه منه يضاهي الشمس في الحمل
فقلت هذا عجيب قال لا عجب * لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

(وقال آخر)

يقول له المعشوق وهو يلوطه * لعلك تعنى بعد ذاك تنام
فقال وهل في العيش للناس لذة * إذا لم يكن فوق الكرام كرام

(وقال آخر)

ولم أنس علقا نكته وهو واسع * طويل عريض المنكبين نحيف
فقال الحسى للأير يقعد ههنا * فقال ادخلا ضيف الكرام يضيف

وقد سمعت أن شخصا من ذوي الأعراض ابتلي بمرض الابنة فخشي أن يشاع عنه ذلك فيمتهن عند الناس
فصنع له خشبة مثل الذكر وكان إذا تحرك عليه المرض خلا بنفسه في بستان له داخل داره ويحكم غلق
أبوابه خوفا أن يطلع عليه أحد ويعالج نفسه بالخشبة إلى أن يغيب عن وجوده ولما يطيق يتضرع إلى الله
سبحانه وتعالى بالدعاء والابتهال في إزالة هذا المرض وكان يعتريه في كل شهر ما يزيد على أربع مرات
وكان مدة ابتلائه بهذا المرض مصفر اللون متغير الوجه ثم إنه غفل يوما عن قفل باب البستان وكان متزوجا
بابنة عمه وكلما يدخل البستان ويغلقه يحصل لها منه تطير وتظن أنه مختل بأحد فداخلها ما يداخل النساء
من الغيرة وكانت ترصده عند دخول البستان رجاء أن تطلع على حاله فلم يتيسر لها ذلك فجاءت يوما فوجدت
باب البستان مفتوحا فدخلت فوجدت ابن عمها وهو ملقى على الأرض منكب على وجهه مكشوف العورة
وقد نزع الخشبة من دبره وهو مغشي عليه فنظرت إلى دبره وقد خرج منه دودة لها قرنان وهي تلتف
حول حلقة دبره على ما خرج من العفونات فانتزعت الدودة من دبره فوجدتها نحو الفتر وهو لا يشعر ثم إنها
وضعتها في قطنة بداخل علبة صغيرة فلما أفاق تضرع إلى الله تعالى على معافاته من هذا المرض ثم مضى
عليه ثلاثة أشهر ولم يعتره شيء فحمد الله على ذلك وعمل مولدا فقالت له ابنة عمه ما سبب هذا المولد فقال لها
كان اعتراني مرض وأزاله الله فضحكت فقال لها ما سبب هذا الضحك فلم تنبئه فما زال يلح عليها حتى

بنذره ودعاهم إلى الوفاء
فقالوا جميعا إنا لك طائعون
فمن تذبح منا فاذبح فقال
ليأخذ كل منكم قدحا بكسر
القاف أي سهما ثم ليكتب
فيه اسمه ففعلوا وأخذ
قداحهم ودخل جوف
الكعبة ودفعها إلى القيم
كما كانوا يصنعون وقام عبد
المطلب يدعو الله تعالى
فخرج على عبد الله وكان
أحبهم إليه فقبض عليه
وأخذ الشفرة وأقبل على
ذبحه فمنعه سادة قريش
وقالوا لا تذبحه حتى
تعتذر إلى ربك ولئن فعلت
هذا لم يزل الرجل يأتي بابنه
فيذبحه ويكون سنة ولكن
انطلق إلى قطبة أو سجاح
الكاهنة فلعلها تأمرك
بأمر فيه فرج فانطلقوا
حتى أتوا خيبر فقص عليها
عبد المطلب القصة فقالت كم
الدية فيكم قالوا مائة من
الإبل فقالت ارجعوا إلى

أخبأته بالخبر وجاءت له بالعلبة التي بها الدود فأخرجتها من القطنة فنظر اليها وقال جزاك الله خيرا فيما فعلت وأحسن اليه فسبحان من عافاه مما ابتلاه وقال بعض الحكماء الابنة مرض يذل الله به الجبابرة وهو استكال في المسربة من داخل يورث أكلة فلا تبرد على صاحبها الا بعلك الذكر وقطير المني وقد ذكر العارف بالله تعالى الشيخ عبد الوهاب الشعراني في مختصره لتذكرة السويدي يؤخذ الماء الذي نقع فيه السمك المملوح ويحتقن به صاحب الابنة عشرين يوما كل يوم مرة فانه يذهب وكذلك يؤخذ الشعر الذي على الفخذ الايمن من الضبع الذكر والانثى ويحرق ويدهن برماده صاحب الابنة يبرأ باذن الله تعالى وذكر الامام الاكمل جمال الدين محمد في رسالته الشهابية في علم الطب أن هذا المرض قد يعترض لمن اعتاد باللواط واتيان النساء في الدبر ويكون منه كثيرا قليل الحركة وقلة مضغها وانتشاره قليلا والعلاج الضرب والحبس والاستهانة وايقاعه في هموم وغموم موحشات وأن يستفرغ البلغم بمثل الغاريقون وشحم الحنظل وان شرب كل يوم وزن درهم من البسفايج نفعه وكذلك من السورنجان وذكروا أن أكل قانب الديك مشويا ينفعه وكذلك الحمام واذا أكل من ورق الآس وزن درهم نفعه وكذلك أكل الثوم واذا اغتسل بالصابون أو بعروق شجر الخطمي نفعه فنسأل الله العفو والعافية من هذه البلية رجعنا الى ما نحن بصدده من أمر يزيد فانه أقام ثلاث سنوات وسبعة أشهر وتوفي في رابع عشر ربيع الاول سنة أربع وستين وسنه تسع وثلاثون سنة ودفن بدمشق

(خلافة سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه)

هو أول مولود ولد بالمدينة المنورة بعد عشرين شهرا من الهجرة بويع له بمكة سنة أربع وستين وخلع يزيد بن معاوية ولعنوه وعابوه بشرب الخمر ولعب الكلاب والطهو دو الغفلة عن الدين وكثرة العبيد وقتل الحسين وخلو الحجاز من الاشراف وتابعه كثير من الامصار وقد أخبرنا السكوت عما وقع لسيدنا عبد الله ابن الزبير فان واقعته مستفيضة والله يحكم بين العباد وروى السهيلي في كلامه عن غزوة احد في حديث مسند انه لما ولد عبد الله بن الزبير نظر اليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال هو هو فلما سمعت بذلك أسماء أمسكت عن ارضاعه فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم أرضعيه ولو بماء عينيك كبش بين ذئاب وذئاب عليها ثياب ليمنعن البيت أو ليقتلن دونه فاقام تسع سنين وقتل في خلافة عبد الملك بن مروان على يد عامله الحجاج الثقفي في سادس جمادى الآخرة بمكة سنة ثلاث وسبعين

(خلافة معاوية بن يزيد المكنى بابي ليلى)

كان رجلا صالحا صعد المنبر وشهد أن عليا رضي الله عنه كان أحق بالخلافة من جده وان الحسين رضي الله عنه كان أولى بها من أبيه ثم جلس طويلا وخطب خطبة بليغة تشتمل على الثناء على الله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختنقته العبرة فبكى طويلا ثم قال صرت أنا الثالث والساخط علي أكثر من الراضي وما كنت لأتحمل آثامكم ولا يراني الله جلت قدرته متقلدا أوزاركم وألقاه بتبعاتكم وامر تكم فخذوها ومن رضيتموه فولوه فقد خلعت بيعتي من أعناقكم والسلام فاقام خليفة أربعين يوما ولما احتضر قالوا له الا توصي بالخلافة فقال ما ذقت حلاوتها فلا أتجرع مرارتها فتوفي بعد أربعين يوما وكان عمره ثلاثا وعشرين سنة

(خلافة مروان بن الحكم)

ولد قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بثمان سنين وجرى بينه وبين نائب ابن الزبير محاربة على المدينة المنورة بويع له بالشام سنة أربع وستين وملكه بمصر والشام حكى ان معاوية كتب اليه لما بلغه قتل عثمان وكان مروان اذ ذاك بالمدينة المنورة اذا قرأت كتابي هذا فكن كالفهد لا يصاد الا بغيلة ولا يساور الا عن حيلة وكالثعلب لا يغلب الا روغانا وأخف نفسك منهم اخفاء القنفذ رأسه عند لمس الاكف وابحث عن أخبارهم بحث الدجاجة عن حبة الشعير عند نفاسها انما الحازم في الحرب خير من ألف فارس لان الفارس يقتل عشرة أو عشرين والحازم يقتل جيشا كبيرا وقال عظماء الترك ينبغي للقائد في الحرب أن يكون فيه

بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا معه عشرة من الابل ثم اضربوا عليه وعليها القداح فان خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا في الابل ثم اضربوا بينهما حتى يرضى ربكم فاذا خرجت على الابل فانحروها فقد رضي ربكم ونجى صاحبكم فرجع القوم الى مكة وقربوا عبد الله وقربوا عشرة من الابل وقام عبد المطلب يدعو فخرجت القداح على والده عبد الله فلم يزل يزيد عشرا عشرا حتى بلغت الابل مائة فخرجت القداح على الابل فنحرت وتركت لا يصد عنها انسان ولا طائر ولا ضبع ولهذا روي أنه صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين والذبيحان عبد الله واسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقيل اسحق * وأما والدته صلى الله عليه

شئ من أخلاق البهائم والطيور شجاعة الديك وقلب الاسد وحملة الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلاب على الجراحة وحراسة الكركي وحذر الغراب وغارة الذئب وقيل الحزم أبلغ من النجدة وأقام مروان عشرة شهور وكان سنه ستا وثمانين سنة وقتلته زوجته بأن وضعت على وجهه مخدة محشوة ريشا فمات وخلف أحد عشر رجلا

(خلافة عبد الملك بن مروان)

بويع له يوم مات أبوه وقبل قتل عبد الله بن الزبير وكان من دهاة العالم وأحزمهم رأيا حتى قيل كل والد ولد الامر وان فانه ولد والدا برشد الى هذا تشعب البلاد عليه في أول أمره واستيلاء القائمين على غالب ملكه حتى على مقر مملكته دمشق وانتظامها بعد ذلك في أتم سلك ودخولها بعد الخروج في أحوز ملك وأعظم ملك لكن كان له ظلم في بداية أمره واجحاف في سره وجهره (حكي) في سراج الملوك ان عبد الملك بن مروان أرق ليلة فاستدعى سميرا يحدثه فكان فيما حدثه أن قال له يا أمير المؤمنين انه كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت بومة الموصل لابنها ابنة بومة البصرة فقالت بومة البصرة لا أفعل الا أن تجعلي لي صداقها مائة ضيعة خراب فقالت بومة الموصل لا أقدر على ذلك الآن ولكن ان دام واليينا سلمه الله تعالى سنة واحدة صيرت لك ذلك فاستيقظ عبد الملك وجلس للمظالم وأنصف الناس بعضهم من بعض وتفقد أمور الولاة ومما نقل من كتاب بطاكهة الظرفاء ان ملك الروم أرسل الى عبد الملك يطلب منه عالما من علمائهم يسئله عن مسائل فارسل له الشعبي فلما وصل الى ملك الروم ساله عن أشياء منها أن قال له بلغنا أن الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون أيمكن مخلوق لا يغفل فقال الشعبي مثالهم كمثل النفس يصعد وينزل وأنت تتكلم وتأكل وتشرب قال صدقت فقال له وبلغنا أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتغوطون ولا يبولون كيف ذلك قال نعم كالجنين في بطن أمه يأكل ويشرب ولو تغوط داخل المشيمة لاحترق قال صدقت قال وبلغنا أن نعيم الجنة لا ينقص بالانفاق كيف ذلك قال نعم كالسراج تقتبس منه جميع المصابيح ولا ينقص نوره قال صدقت فانعم عليه وكتب الى الخليفة معه عجبت منكم كيف لا تجعلون رسولكم خليفة فلما قرأ عبد الملك بن مروان ما كتب ملك الروم قال يا شعبي انظر ما قال عنك قال يا أمير المؤمنين ما رآك ولو رآك لما استصغر مني ما استكبر ولا استعظم مني ما استعظم فقال لله درك كم عطاءك قال ألفين ثم سكت الملك لحظة وقال كم عطاؤك قال ألفان قال له لم قلت أولا ألفين قال لما لحن أمير المؤمنين تابعته في اللحن ثم لما أعرب تابعته في الاعراب ولا يحسن ان أعرب وقد لحن أمير المؤمنين فأعجبه ذلك وقال املؤا فاه جوهرا فقال الشعبي هذا يدخر ولا ينفق فامر له بثلاثين ألف درهم وثياب فاخرة فاخذها وانصرف * روى أبو العز أحمد بن عبد الله السلمي فيما قرأ على أستاذه وقال اروعي أنبا فلان عن فلان عن أبي حاتم العتبي قال لما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة جمع ولده وفيهم مسلمة وكان سيدهم فقال أوصيكم بتقوى الله فانها عصمة باقية وجنة واقية وهي أحصن كهف وأزين حلية وليعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير منكم حق الكبير مع سلامة الصدور والاخذ بجميل الامور واياكم والفرقة والخلاف فيهما هلك الاولون وذل ذو والعز المعظمون أنظر واسلمة فاصدروا عن رأيه فانه نابكم الذي منه تعبرون ومجنكم الذي به تستجنون وأكرموا الحجاج فانه وطأ لكم المنابر وأثبت لكم الملك وكونوا بني أم بررة والا دبت بينكم العقارب وكونوا في الحرب أحرارا وللمعروف منارا واحتلوا في المشورة ولينوا في الشدة وضعوا الذخائر عند ذوي الاحساب والالباب فانه أصون لاحسابكم وأشكر لما يسدى اليهم ثم أقبل على ابنه الوليد فقال لا ألفينك اذا مت تعصر عينك وتحن حنين الامة ولكن شمر وائتزر والبس جلد نمر ودلني في حفرتي وخلني وشاني وعليك وشانك ثم ادع الناس الى البيعة فمن قال هكذا فقل بالسيف هكذا ثم أرسل الى عبد الله بن يزيد بن معاوية وخالد بن أسيد فقال هل تدريان لم بعثت اليكما قالا نعم لتريننا آثار عافية الله اياك قال لا ولكن حضر من الامر ما تريان فهل في أنفسكما من بيعة الوليد قالا لا والله ما نرى أحدا أحق بها منه بعدك يا أمير المؤمنين قال أولى لكما أما والله لو قلتما غير ذلك لضربت عنقكما ثم رفع رأسه فاذا السيف مشهور ثم قال مسلمة اياكم

وسلم فهي آمنة بنت وهب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشية (ولما حملت به) صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة في رجب أمر الله تعالى رضوان خازن الجنان أن يفتح الفردوس ونادى مناد في السموات والارض ان النور المخزون المكنون الذي يكون منه الهادي الامين المأمون في هذه الليلة يستقر في بطن أمه الذي يتم فيه خلقه ويخرج للناس بشيرا ونذيرا ثم لما تم حمله وظهرت فيه العجائب ولد يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الاول عام الفيل في عهد كسرى أنوشروان وقد مضى من ملكه اثنتان وأربعون سنة وأقام في بني سعد أربع سنين وتوفي أبوه عبد الله قبل وضعه بشهرين وتوفيت أمه وهو ابن ست سنين

والعجاج فانكم ان صلحتم صلح الناس وان فسدتم كان الفساد أسرع وأنشد

لقد أفسد الموت الحياة وقد أتى * على غضه يوم على عصيب * فان تكن الايام أحسن مرة
الى فقد عادت لهن ذنوب * أتى بعد حلو العيش منهن مره * فكرت على آثارهن كروب

فقال سليمان مات والله أمير المؤمنين وكانت مدة تصرف عبد الملك بن مروان احدى وعشرين سنة ومات سنة ست وثمانين وسنه ستون سنة * ومما يحكى ان ملكا من ملوك النصارى أرسل راهبا من علماء ملته لمناظرة علماء المسلمين وكان أبو حنيفة اذ ذاك صغيرا فلما جاء الراهب الى علماء المسلمين واجتمع في المسجد الجامع رقي المنبر ليسألهم عن مسائل فقام أبو حنيفة من بين العلماء وقال للراهب أسائل أنت أم مسؤل فقال سائل فقال انزل مكانك الارض ومكاني المنبر فصعد أبو حنيفة المنبر وقال سل ما شئت قال الراهب ماذا قبل الله قال أبو حنيفة هل تحسن العدد قال نعم قال ماذا قبل الواحد قال لاشئ قبله قال اذا كان الواحد اللفظي لاشئ قبله فالله سبحانه وتعالى لاشئ قبله ثم قال في أي جهة يكون وجه الله قال اذا أوقدت السراج ففي أي جهة يكون وجهه قال ذلك نور يملأ البيت وليس له جهة قال اذا كان النور الزائل الحادث لا جهة له فوجه ربي جل وعلا منزه عن الجهة والمكان قال بماذا يشتغل الله قال اذا كان عالم موحد مثلي رفعه واذا كان كافر مثلك وضعه كل يوم هو في شان فخرس الراهب وتوجه خزيا * روى عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى كل يوم هو في شان قال من شانه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين ذكر البيضاوي في تفسيره في قوله تعالى كل يوم هو في شان يحدث أشخاصا ويجدد أحوالا على ما سبق به قضاؤه وهو رد لقول اليهود ان الله لا يقضي يوم السبت شيأ *(فائدة)* ولد الامام الاعظم أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه سنة ثمانين من الهجرة ومات ببغداد سنة خمسين ومائة فعمره سبعون سنة وولد الامام مالك بن أنس رضي الله عنه سنة أربع وتسعين من الهجرة ودفن بالمدينة المنورة سنة تسع وسبعين ومائة فعمره خمس وثمانون سنة وولد الامام الشافعي رضي الله عنه سنة خمسين ومائة ودفن بمصر العمر وسنه سنة أربع ومائتين فعمره أربع وخمسون سنة وولد الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه سنة أربع وستين ومائة ودفن ببغداد سنة احدى وأربعين ومائتين فعمره سبع وسبعون سنة والله أعلم

(خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان)

بويع له يوم مات أبوه سنة ست وثمانين بعهد من أبيه فلما تولى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال انا لله وانا اليه راجعون يالها من مصيبة ما أعظمها وأجسمها وأعمها وأوجعها موت أمير المؤمنين ويالها من نعمة ما أعظمها وأجسمها وأوجب الشكر لله علي بم الخلافة التي سربلنيها فكان أول من عزى نفسه وهنأها بالخلافة فلما بايعه الناس جلس مجلس أبيه عبد الملك وجمع أهل بيته ثم قال

انفوا الضغائن والتحاسد بينكم * عند المغيب وفي حضور المشهد
فصلاح ذات البين طول بقائكم * ان مد في عمري وان لم يعدد
فلمثل هذا الدهر ألف بينكم * بتواصل وتراحم وتودد
حتى تلين قلوبكم وجلودكم * لمسود منكم وغير مسود

والوليد المذكور هو الذي عمر الجامع الذي بدمشق المعروف بجامع بني أمية (حدث) ابراهيم بن هشام انه قال حدثني أبي عن جدي قال قال عبد الملك لروح بن زنباع يا أبا زرعة قد غلبني الوليد باللحن وأظهر العشية كآبة فسألني عنها فلما أذن العشاء أظهر كآبة وعنده الوليد وسليمان فقال له روح ما هذه الكآبة يا أمير المؤمنين لا يسوءك الله ولا يريك مكروها قال ذكرت ما في عنقي من حقوق هذه الامة والى أين يصير أمرها بعدي فقال روح يغفر الله لك يا أمير المؤمنين فأين أنت من الوليد سيد شباب العرب فقال يا أبا زرعة لا ينبغي أن يلي العرب الا من يتكلم بكلامها فقام الوليد ودخل منزله وجمع أصحاب النحو فاقام ستة أشهر معهم وخرج وهو أجهل بالنحو من يوم دخل * ذكر شيخ الاسلام العلامة عمر بن الوردي في خريدته ان جملة ما أنفق على عمارة الجامع الذي عمره الوليد بدمشق مائة ألف صندوق من الذهب وفي

وكفله جده عبد المطلب الى أن توفي وهو ابن ثمان سنين وكفله عمه أبو طالب وخرج معه الى الشام وهو ابن ثنتي عشرة سنة ثم خرج في تجارة لخديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة وتزوجها في تلك السنة وبنت قريش الكعبة ورضيت بحكمه في وضع الحجر الاسود وهو ابن خمس وثلاثين سنة وبعث وهو ابن أربعين سنة وتوفي أبو طالب وهو ابن تسع وأربعين وثمانية أشهر وأحد عشر يوما وتوفيت خديجة بعد أبي طالب بثلاثة أيام وخرج الى الطائف بعدها بثلاثة أشهر ومعه زيد بن حارثة فاقام شهرا ثم رجع الى مكة في جوار المطعم بن عدي ولما تم له خمسون سنة وفد عليه جن نصيبين وأسلموا ولما تم له احدى وخمسون سنة أسري به ولما اشتد

كل صندوق أربعة عشر ألف دينار واجتمع في ترخيمه اثنا عشر ألف مرخم وبنى بأنواع الفصوص المحكمة والمرمر المصقول ويقال ان العمودين اللذين تحت القبة اشتراهما الوليد بألف وخمسمائة دينار ويقال ان رخام الجامع المذكور كان مجزعا وانه اذا وضع على النار ذاب وفي المحراب عمودان صغيران يقال انهما كانا في عرش بلقيس ومنارة الجامع الشرقية يقال ان عيسى عليه الصلاة والسلام ينزل عليها في آخر الزمان وعندها حجر يقال انه قطعة من الحجر الذي ضربه موسى عليه الصلاة والسلام بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا * ذكر صاحب سراج الملوك قال خرج الوليد بن عبد الملك من باب الجامع الصغير فوجد رجلا عند الحائط تحت المأذنة الشرقية يأكل الخبز بالتراب فوقف على رأسه وقال له ما شأنك أيها الرجل حتى انفردت من الناس فقال أحببت العزلة قال وما حملك على أكل الخبز بالتراب قال في ذلك قنع فلما رجع الوليد الى منزله أمر باحضاره فلما مثل بين يديه قال أصدقني بالحق والا ضربت عنقك فقال الرجل يا أمير المؤمنين كان أصلي رجلا جمالا وعندي ثلاثة من الجمال أنقل عليها القمح والحبوب فحملتها في بعض الايام فاتيت الى خربة بالشام فحصرني البول فقعدت لابول فرأيت البول ينصب في شق فاتبعته حتى انكشف عن حفيرة كانما مورة فنزلت فيها فرأيت بها مالا مسكوبا فانحدرت واحملي وأفرغت ما كان عليها من الغلال وملأت الزكائب من ذلك المال وغطيت المكان الذي فيه الذهب كما كان فلما سرت قليلا وجدت معي مخلاة فقلت ارجع الى ذلك المكان واملاها من الذهب فجئت الى ذلك الموضع فخفي عني فرجعت الى الجمال فلم أجدها في المكان الذي تركتها فيه فتأسفت على ذلك المال وآليت على نفسي أن لا آكل الخبز الا بالتراب وروى أن الجمال التي كانت عليها الذهب أتت الى بعض عمال الوليد وأناخت بما عليها فاحضرها الى الوليد وكان هذا سببا لعمارة الجامع وقيل ان الوليد توعك فبلغه أن أخاه سليمان شمت فيه فكتب اليه يقول

تمنى رجال أن أموت فان أمت * فتلك طريق لست فيها بأوحد
وقد علموا لو ينفع العلم عندهم * لئن مت ما من شامت بمخلد
منيته تجري لوقت وحتفه * سيلحقه يوما على غير موعد
فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى * تهيا الاخرى مثلها وكأن قد

فكتب اليه فهمت ما كتبت يا أمير المؤمنين فوالله لئن كنت تمنيت ذلك تأسيا لم لايخطر في نفسي اني لاول لاحق به ومتى من أهلي فعلام أتمنى زوال ملك لا ألبث من بعده ولقد بلغ أمير المؤمنين ما لم يخطر على لساني ولم يره وجهي ومن يسع من أهل النميمة يوشك أن يسرع في فساد النيات ويقطع ذوي الارحام وكتب في آخره

ومن يتتبع جاهدا كل عثرة * يجدها ولم يسلم له الدهر صاحب

فكتب اليه الوليد فهمت كتابك وأنت الصادق في المقال الكامل الفعال فما شيء أشبه بك من اعتذارك ولا أبعد منك من الشيء الذي قيل فيك والسلام (وحكي) أن شخصا بلغه عن شخص انه انتقصه وعابه فكتب اليه الحمد لعلام الغيوب المنزه عن النقائص والعيوب والصلاة على من يشفع في فصل القضا ويخالق الناس بأخلاق الرضا سيد من اذا أوذوا بلوا بالسيئة أحسنوا ومن شرعه ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا وحق من أوتي الرسالة لم يصدر مني شيء مما كتبتم في هذه العجالة اذ ليس من الانسانية ولا من المعقول أن يخطر ببال عاقل ما ذكرتم فضلا عن أن يقول وليس من سجايا الاذكياء اعتقاد السوء بكلام الاشقياء وليس من شان الكرام المبالغة بالايذاء بمثل هذا الكلام ولكن التحمل يورث التجمل كما قيل

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه * وان كنت مظلوما فقل أنا ظالم

والله مطلع على القلوب علام الشهادة والغيوب ولكن صبر جميل وحسبنا الله ونعم الوكيل وفي معنى ذلك قال أمير المؤمنين القائم بأمر الله

جمعت لدي من الغرام عجائب * خل من قلبي في أسى وتوحش
خل يصد وعاذل متنصح * ومعاند يؤذي وغمام يشي

البلاء من المشركين على المسلمين استأذنوه في الهجرة فقال قد أريت دار هجرتكم وهي أرض سبخة ذات نخل بين لابتين ثم مكث بعد ذلك أياما وخرج الى أصحابه وهو مسرور وقال قد أخبرت بدار هجرتكم ألا وهي يثرب فمن أراد منكم الخروج فليخرج فصار القوم يتجهزون ويرتحلون الى المدينة ولم يبق بمكة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعلي ثم خرج صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار ومنه الى المدينة وكان خروجه من مكة يوم الاثنين وقدومه المدينة يوم الاثنين هلال ربيع الأول وأقام علي رضي الله عنه بمكة بعد خروجه صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ثم أدركه بقباء يوم الاثنين ثم أسس مسجد قباء وهو المسجد الذي أسس على التقوى ثم خرج من قباء

(وقال ابن عطية) لاتسمعن من الحسود غيمة * فكلامه ضرب من الهذيان
ان كان قد أوحى اليه تعرضا * فالناس قد كذبوا على الرحمن * سل غيره عن التعلم لانه
واحفظ عليه فبالمحال رمانى * لايثبت الحق المبين لحاكم * فى الشرع حتى ينطق الخصمان

ومن نكت صاحب الخريدة لطيفة لابأس بذكرها وان كانت خارجة عن المقصود وهى أنه كان له أخ اسمه أحمد وكانا يتناوبان القضاء من جانب القاضى محمد بن النقيب فجاءت نوبة الشيخ عمر وأحمد مستمر فكتب الشيخ عمر للقاضى محمد بن النقيب

حاشى وأخى تبارح البلا * وجعلتنا ضدين مختلفين
ياحى عالم عصره وزمانه * فلك التصرف فى دم الاخوين

(فكتب اليه جوابا) أباعمر استعد لغيرهذا * فاحمد بالولاية مطمئن
فان يك فيك معرفة وعدل * فاحمد فيه معرفة ووزن

ثم ان الشيخ عمر بن الوردى رأى مناما أزعجه وهاله وعوتب فيه على ولاية القضاء فلما أصبح جاء الى القاضى محمد بن النقيب وحلف أيمانا مغلظة أنه مابقى يلى القضاء مطلقا وأنشد يقول

خلعت ثوب القضاء عمدا * ولم أكن فيه بالظلوم
ان زال جاه القضاء عنى * يكون لى الجاه بالعلوم

حدث عبد الصمد بن معقل قال قيل لوهب بن منبه ياأباعبد الله كنت ترى الرؤيا فتعبرها فلاتلبث أن نرها كما رأيت قال هيهات ذهب ذلك عنى منذ وليت القضاء وانه تولى القضاء فى زمن عمر بن عبد العزيز وقال البهاء زهير

حبيبى ماهذا الجفاء الذى أرى * وأين التقاضى بيننا والتعاطف
لقد نقل الواشون عنى باطلا * وملت لما قالوا فزادوا وأسرفوا
وقد كان قول الناس فى الناس قبلها * فكذب يعقوب وسرق يوسف
بعيشك قل لى ماالذى قد صنعته * فانك تدرى ماأقول وتنصف
فان كان قولا صح انى قلته * فللقول تاويل وللقول مصرف
وهب أنه قول من الله منزل * فقد بدل التوراة قوم وحرفوا
وها أنا والواشى وأنت جميعنا * يكون لنا يوم عظيم وموقف

وأقام الوليد فى الخلافة تسع سنين وثمانية أشهر وتوفى فى نصف جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين ومائة ثمانية وأربعون سنة ودفن بدمشق روى عن يزيد بن المهلب أنه قال لما ولانى سليمان بن عبد الملك العراق وخراسان ودعنى عمر بن عبد العزيز قال لى يايزيد اتق الله فانى كنت وضعت الوليد فى لحده فاذا هو يركض فى أكفانه وفى رواية أن عمر بن عبد العزيز قال لما تناولناه من السرير ووضع على أيدينا اضطرب فى أكفانه فقال ابنه أبى أبى قال فاشرعت ان أباك ليس بحى ولكنكم تلقون ماترى وصلى عليه عمر بن عبد العزيز لما كان ابنه سليمان غائبا ببيت المقدس

(خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان)

بويع له يوم مات أخوه (قيل) دخل أبو حازم عليه بعد مااستخلف وكان أبو حازم من أهل الزهد فقال ياأبا حازم مالنا نكره الموت قال لانكم عمرتم دنياكم وأخربتم أخراكم فتكرهون النقلة من العمران الى الخراب قال أخبرنى كيف القدوم على الله فقال ياأمير المؤمنين أماالمحسن فكالغائب الذى أتى الى أهله فرحا مسرورا وأماالمسىء فكالعبد الآبق الذى أتى مولاه خائفا حزينا فان شاء رحمه وان شاء عذبه فبكى أمير المؤمنين بكاء شديدا فقال رجل من جلسائه أسأت الى أمير المؤمنين فقال أبو حازم اسكت فان الله أخذ ميثاق العلماء ليبيننه للناس الحق ولايكتمونه ثم خرج فلما وصل الى منزله بعث اليه مالا فرده وقال

يوم الجمعة حين ارتفع النهار فادركته الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها بمن كان معه من المسلمين وركب راحلته متوجها الى المدينة فلما قدم على ناقته صاروا يمسكون زمامها ويقولون يارسول الله هلم الى القوة والمنعة فيقول خلوا سبيلها فانها مامورة فصارت تنظر يمينا وشمالا حتى أتت دار مالك بن النجار ثم سارت حتى نزلت على باب أبى أيوب الانصارى ثم سارت وبركت فى مبركها الاول وألقت باطن عنقها ووضعت من غير أن تقع فاهاقه نزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل ان شاء الله واحتمل أبو أيوب رحله وأدخله بيته ومعه زيد بن حارثة وأقام عنده صلى الله عليه وسلم سنة أشهر ثم بنى مسجده الشريف ثم أذن له فى الجهاد فاول

الرسول قال له والله يا أمير المؤمنين انى لا أرضاه لك فكيف أرضاه لنفسى وأنشد فى المعنى

منازل دنياك شيدتها * وأخربت دارك فى الآخره * فأصبحت ترغب فى ذى الخراب
وتفرغ عن هذه العامره * فلو كنت شيدت دار البقا * ولم ترض بالصفقة الخاسره
لسارعت سرعة من قد نجا * وسرت الى العترة الطاهره

ذكر صاحب السكردان أنه فى أيام سليمان بن عبد الملك ورد كتاب من ابن هبيرة أن بخارى وقت السحر سمع قعقعة عظيمة من السماء ودوى كالرعد القاصف أسقط منه الحوامل فنظروا فاذا قد انفرج من السماء فرجة عظيمة ونزل أشخاص رؤسهم فى السماء وأرجلهم فى الارض وقائل يقول يا أهل الارض اعتبروا بأهل السماء هذا اصطفوائيل الملك عصى الله فعذبه فلما طلع النهار وجاء الناس الى ذلك الوضع فوجدوا شخصا عظيما لا يدرك له قرار يصعد منه دخان أسود كل ذلك مثبوت على يد قاضى بخارى بأربعين عدلا * روى عن زكريا التيمى أنه قال بينما سليمان بن عبد الملك فى المسجد الحرام اذ أتى بحجر منقوش فأتى بوهب بن منبه فقرأه فاذا عليه ابن آدم لو أنك رأيت قرب ما بقى من أجلك لزهدت فى طول أملك ولرغبت فى الزيادة فى عملك ولقصرت عن حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك اذا زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وبان عنك الولد ورفضك النسيب والوالد فلا أنت الى دنياك عائد ولا فى حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامه قبل الحسرة والندامه * وذكر ان سليمان بن عبد الملك كان شرها فى أكله فلما حج فى سنة سبع وتسعين توجه الى الطائف تطلبا للرطوبة فأتاه بعض العرب برمان من رمان الطائف فأكل منه مائة وسبعين رمانة ثم أتوه بزبيب فأكل منه سلتين ثم قال أطعموه ما من خرفان الطائف فأتوه بأربعة وثمانين خروفا مشوية فأكل من كل خروف جمته وكليتيه حتى أتى على آخرها ثم قعد على السماط وأكل مع الناس على عادته وأقام فى الخلافة سنتين وثمانية أشهر وتوفى فى صفر سنة تسع وتسعين وسنه خمس وأربعون سنة

(خلافة سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه)

هو الاشج الذى ورد فى حقه الحديث الشريف الناقص والاشج أعدلا بنى أمية بسبب شجه أن أثار فرسه فصار أبوه يمسح له الدم ويقول ان كنت أشج بنى أمية انك اسعيد فكان كذلك وكان اماما عادلا فقيها محدثا روى عن أجلة من العلماء وروى عنه أجلة بويع له يوم مات ابن عمه سليمان (مما حكى) ان المنصور قال لعمر بن عبيد عظنى بما رأيت أو بما سمعت قال بل بما رأيت قال مات عمر بن عبد العزيز وخلف أحد عشر ابنا وبلغت تركته سبعة عشر دينارا كفن منها بخمسة دنانير واشترى موضع القبره بدينارين وأصاب كل واحد من أولاده ثمانية عشر قيراطا من دينار ومات هشام بن عبد الملك فخلف أحد عشر ابنا وأصاب كل واحد من أولاده ألف ألف دينار فرأيت رجلا من ولد عمر قد حمل فى يوم واحد على مائة فرس فى سبيل الله ورأيت رجلا من أولاد هشام على قارعة الطريق يسأل التصدق

رأيت صلاح المرء يصلح أهله * ويعديهم داء الفساد اذا فسد
يعظم فى الدنيا لفضل صلاحه * ويحفظ بعد الموت فى المال والولد

(وفى المعنى أيضا)

لا شئ مما ترى تبقى بشاشته * يبقى الاله ويفنى المال والولد
لم تغن عن هرمس يوما خزائنه * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ دان الشعور له * والانس والجن فى حاجاته ترد
أين الملوك التى كانت لعزتها * من كل قطر اليها وافد يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب * لابد من ورده يوما كما وردوا

وهذه الابيات من جملة أبيات لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن مالك القرشى الاسدى وأول الابيات

غزواته غزوة الابواء خرج الى الجهاد يريد عير قريش ثم غزوة العشيرة بضم العين ثم شين معجمة مفتوحة وهى أرض بنى مدلج بناحية الينبع فسارت الى الشام ولم يدركها ولما رجع الى المدينة من العشيرة لم يقم الا تسع ليال حتى سافر يريد بنى سليم ولما وصل الى ماء من مياههم أقام عليه ثلاث ليال ثم رجع الى المدينة ولم يلق حربا وتسمى هذه بدرا الاولى ولما بلغه صلى الله عليه وسلم رجوع العير من الشام خرج اليها فى ثلاثمائة وثلاثة عشر وخرج أبو سفيان من مكة فى قريب من الالف وحصل القتال الشديد ونصر الله المسلمين وتسمى هذه بدرا الثانية وبدر الغنائم ثم غزا صلى الله عليه وسلم بنى قينقاع بفتح القاف وضم النون

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم * أنا النذير فلا يغرركم أحد
لا تعبدون إلهاً غير خالقكم * فإن دعيتم فقولوا بيننا حدد
سبحان ذي العرش سبحاناً يعادله * رب البرية فرد واحد صمد
سبحانه ثم سبحاناً يعاد له * وقبل سبحه الجودي والجمد
مسخر كل من تحت السماء له * لا ينبغي أن يحاكي ملكه أحد
لا شيء مما ترى تبقى بشاشته * يبقى الإله ويفنى المال والولد

روي أن ورقة كره عبادة الأوثان وطلب الدين في الآفاق وقرأ الكتب وكانت خديجة بنت خويلد تسأله عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لها ما أراه إلا نبي هذه الأمة الذي بشر به موسى وعيسى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا ورقة فإني رأيته في ثياب بيض وروي عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن خديجة بنت خويلد انطلقت بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى أتت ورقة بن نوفل وهو عم خديجة أخو أبيها وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبري فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت له خديجة أي عم اسمع من ابن أخيك قال ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال ورقة هذا الناموس الذي أنزل على موسى يا ليتني فيها جذعاً أكون حياً حين يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أومخرجي هم قال ورقة نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ثم لم ينشب ورقة أن توفي وروي عن هشام بن عروة عن أبيه أن خديجة بنت خويلد كانت تأتي ورقة وتخبره بما يخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول ورقة لئن كان ما يقول حقاً إنه ليأتيه الناموس الأكبر ناموس عيسى الذي يخبر به أهل الكتاب ولئن نطق وأنا حي لأبلين لله فيه بلاء حسناً وروي أن زيد بن عمرو وورقة بن نوفل ذهبا إلى الشام يلتمسان الدين فأتيا على راهب فسألاه فقال إن الذي تطلبان لم يجئ بعد وهذا زمانه وإنه نبي هذه الأمة الذي يخرج من قبل تهامة فرجعا وروي عن جابر بن عبد الله أنه قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي طالب هل تنفعه نبوتك قال نعم أخرجته من غمرة جهنم إلى ضحضاح فيها وسئل عن خديجة إنها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن فقال أبصرتها في الجنة في بيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب وسئل عن ورقة بن نوفل فقال أبصرته في بطنان الجنة عليه السندس وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال يبعث أمة وحده وقيل إنه ارتفع غيم في أيام خلافة عمر بن عبد العزيز فوقع مع المطر بردة عظيمة فانكسرت فخرج منها كاغد عليه مكتوب هذه براءة من الله العزيز الجبار لعمر بن عبد العزيز من النار هنيأ له وأقام سنتين وخمسة أشهر وتوفي في رجب سنة إحدى ومائة وسنه تسع وثلاثون سنة ودفن بدير سمعان بأرض حمص وقبره يزار

(خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان)

بويع له يوم مات عمر بن عبد العزيز فأقام أربع سنين وشهرين وتوفي بحوران في شهر شعبان سنة خمس ومائة وسنه تسع وعشرون سنة ودفن بدمشق وكان عادلاً مشهوراً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ونقص الجيش من أرزاقهم فسمي الناقص وهو وعمر بن عبد العزيز أعدلا بني أمية والله أعلم

(خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان)

بويع له يوم مات أخوه وسنه خمس وثلاثون سنة قيل بينما هو في صيد ومتنصه إذ نظر إلى ظبي تتبعه الكلاب وأرمته إلى صبي أعرابي يرعى غنماً فقال هشام يا صبي دونك هذا الظبي فأتني به فرفع رأسه إليه وقال له يا جاهلاً بقدر الأخيار لقد نظرت إلي باستصغار وكلمتني باحتقار فكلامك كلام جبار وفعلك فعل حمار فقال له هشام ويلك ما تعرفني فقال قد عرفني بك سوء أدبك إذ بدأتني بكلامك قبل سلامك فقال له ويلك أنا هشام بن عبد الملك فقال الأعرابي لا قرب الله دارك ولا حيا مزارك ما أكثر كلامك وأقل إكرامك فما استتم كلامه حتى أحدقت به الجند من كل جانب كل منهم يقول

وكان صلى الله عليه وسلم عاهدهم وعاهد بني قريظة وبني النضير أن لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوه فغدروا ولما كانت وقعة بدر أظهروا العداوة والحسد فنبذوا العهد فقال لهم صلى الله عليه وسلم يا معشر اليهود احذروا أن ينزل بكم ما نزل بقريش من النقمة أي ببدر فلم يقبلوا وأظهروا الشدة فسار إليهم صلى الله عليه وسلم وأعطى اللواء الأبيض عمه حمزة بن عبد المطلب وقد تحصنوا في حصونهم فحاصرهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار فقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوه صلى الله عليه وسلم أن يخلي سبيلهم ويخرجوا من المدينة بأولادهم وعيالهم ويتركوا أموالهم فأجابهم وأخذ أموالهم فجلوا بعدهم عن المدينة ونزلوا بأذرعات قرية من الشام (ثم كانت

السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال هشام أقصروا عن هذا الكلام واحفظوا هذا الغلام فقبضوا عليه ورجع هشام الى قصره وجلس في مجلسه وقال علي بالغلام فأتي به فلما رأى الغلام كثرة الحجاب والوزراء وأبناء الدولة لم يكترث بهم ولم يسأل عنهم بل جعل ذقنه على صدره ينظر حيث تقع قدماه الى أن وصل الى هشام فوقف بين يديه ونكس رأسه الى الارض وسكت عن السلام وامتنع عن الكلام فقال له بعض الخدم يا كلب العرب ما منعك أن تسلم على أمير المؤمنين فالتفت اليه مغضبا وقال يا برذعة الحمار منعني من ذلك طول الطريق ونهز الدرجة والتعويق فقال هشام وقد تزايد به الغضب يا صبي لقد حضرت في يوم حضر فيه أجلك وخاب فيه أملك وانصرم فيه عمرك فقال والله يا هشام لئن لم يكن في المدة تقصير وكان في الاجل تأخير لا ضرني من كلامك لا قليل ولا كثير فقال له الحاجب بلغ من محلك ان تخاطب أمير المؤمنين كلمة بكلمة فقال مسرعا لاقيت الخبل ولا ملك الويل والهبل أما سمعت ما قال الله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها فعند ذلك قام هشام واغتاظ غيظا شديدا وقال يا سياف علي برأس هذا الغلام فقد أكثر الكلام مما لا يخطر على الاوهام فأخذ الصبي وبركه في نطع الدم وسل سيف النقمة على رأسه وقال السياف يا أمير المؤمنين عبدك المدل بنفسه المنقلب في رمسه أضرب عنقه وأنا بريء من دمه قال نعم فاستأذن ثانيا فأذن له ثم استأذن ثالثا فهم هشام أن يأذن فضحك الصبي حتى بدت نواجذه فازداد هشام تعجبا وقال يا صبي أظنك معتوها ترى أنك مفارق الدنيا وأنت تضحك هزؤا بنفسك فقال يا أمير المؤمنين لئن كان في العمر تأخير لا ضرني من كلامك قليل ولا كثير ولكن أبيات حضرت الساعة فاسمعها فان قتلي لا يفوت وان أكثرت الصوت فقال هشام هات وأوجز فقال

نبئت ان الباز علق مرة * عصفور بر ساقه المقدور
فتكلم العصفور في أظفاره * والباز منهمك عليه يطير
ما في ما يغني لمثلك شبعة * ولئن أكلت فانني لحقير
فتبسم الباز المغر بنفسه * عجبا وأفلت ذلك العصفور

قال فتبسم هشام وقال وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تلفظ بهذا اللفظ في أول وقت من أوقاته وطلب ما دون الخلافة لأعطيته يا خادم احش فاه جواهر وأحسن جائزته ودعه يمضي الى حال سبيله * ومما يناسب ذلك ما وقع لخالد بن حبلو به فانه لما كان علي بن طاهر أحد قواد المأمون عند محاصرته بغداد فاحتاج الى مال يصرفه فكتب الى المأمون يطلب منه مالا يصرفه فكتب الى خالد بان يعطيه ما يحتاج اليه فامتنع خالد من ذلك فلما أخذ علي بن طاهر بغداد أحضر خالدا وقال له لاقتلنك أشنع قتلة فبذل له من المال شيئا كثيرا فلم يقبله فقال خالد قد قيل شيء فاسمعه ثم شأنك وما أردت فقال علي بن طاهر هات فقال

زعمت ان الباز علق مرة * عصفور بر ساقه المقدور

الى آخر الابيات المتقدم ذكرها وكان علي بن طاهر يعجبه الشعر فقال أحسنت وعفا عنه * ومن أحسن ما قيل في الاعتراف بالذنب وطلب العفو قول ابن زيدون في رسالته

ان لا يكن ذنب فعفوك واسع * أو كان لي ذنب فعفوك أوسع

(وقال أيضا)

تلمست هل من شافع لي فلم أجد * سوى رحمة أعطاكها الله تشفع
لئن جلت الاجرام مني وأفظعت * لعفوك من جرمي أجل وأوسع

(وقال)

لا شيء أعظم من ذنبي سوى أملي * في حسن صفحك عن جرمي وعن زللي
فان يكن ذا وذاك القدر قد عظما * فأنت أعظم من ذنبي ومن أملي

وأقام هشام في الخلافة تسع عشرة سنة وتوفي بالرصافة سنة خمس وعشرين ومائة وكان وكلاء الوليد قد ختموا خزائن هشام وبيوت أمواله فلم يوجد له كفن فكفنه خادم له وهكذا حال الدنيا

(خلافة الوليد بن يزيد)

بويع له بالخلافة يوم مات عمه هشام في ربيع الآخر في عشر ليال خلون منه سنة خمس وعشرين ومائة وسنة

(غزوة السويق) خامس ذي الحجة من السنة الثانية من الهجرة وذلك انه لما أصاب قريشا في بدر ما أصابهم نذر أبو سفيان أن يغزو محمدا وأصحابه فخرج من مكة في مائتي راكب حتى نزل قريبا من المدينة بجعل بينه وبينها نحو ميل وقطع جانبا من النخل وأتى رجلين من الانصار فقتلهما وبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فخرج في طلبه فهرب هو وأصحابه وصاروا يرمون السويق وهو دقيق الشعير المحمص ليخف عليهم السير فأخذه الصحابة وجعلوه زادهم ولذا سميت غزوة السويق (ثم كانت غزوة كركرة الكدر) وهي أرض بها طيور في ألوانها كدرة وذلك انه صلى الله عليه وسلم بلغه أن قوما من بني سليم وغطفان يريدون الاغارة على المدينة فسار اليهم في

اثنتان وأربعون سنة بعهد من أبيه وكان منعوتا بالجبار العنيد مستخفا بالقرآن والحديث ومما يحكى عنه أنه في الخلاعة والمجون وسخافة الدين ونظم الشعر الركيك لضلاله وكفره مما يطول ذكره من ذلك ما ذكره المعافى ابن زكرياء ان الوليد نظر الى جارية نصرانية يقال لها سفراء فجن بها وجعل يراسلها وتأبى عليه حتى بلغه ان عيد النصارى قد قرب وأنها ستخرج فيه وكان في موضع العيد بستان حسن وكان النساء يدخلنه فصانع الوليد صاحب البستان أن يدخله لينظر النصرانية فوافقه وحضر الوليد وغير حليته ودخلت النصرانية البستان فجعلت تمشي حتى انتهت الى الوليد فقالت لصاحب البستان من هذا فقال لها رجل مصاب فجعلت تمازحه وتضاحكه حتى اشتفى من النظر اليها ومن حديثها فقال لها صاحب البستان ويلك تدرين من ذلك الرجل فقالت لا فقال انه الوليد وانما غير حليته حتى ينظر اليك فكانت بعد ذلك أحرص على الاجتماع به وله معها مجالس مشهورة وتوأسمار مسطورة وله فيها من الاشعار ما يجاوز حد العشق والغرام فمن ذلك قوله

أضحى فؤادك يا وليد عميدا * صبا قديما للحسان صيودا

من حب واضحة العوارض طفلة * برزت لنا نحو الكنيسة عيدا

ما زلت أرمقها بعيني وامق * حتى بصرت لها تقبل عودا

عود الصليب فويح نفسي من أرى * منكم صليبا مثله معبودا

فسألت ربي أن أكون مكانه * وأكون في لهب الجحيم وقودا

قال الراوي انه لم يبلغ مدرك الشيباني هذه الخلاعة اذ قال في عمرو النصراني

يا ليتني كنت له صليبا * فكنت منه أبدا قريبا

أبصر حسنا وأشم طيبا * لا واشيا أخشى ولا رقيبا

فلما ظهر أمر الوليد وعلمه الناس قال

الا حبذا شعري وان قيل انني * وقعت بنصرانية تشرب الخمرا

يهون علينا ان نظل نهارنا * الى الليل لا ظهرا نصلي ولا عصرا

وروى عن زينب بنت أم سلمة قالت دخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم وعندنا غلام من آل المغيرة اسمه الوليد فقال من هذا يا أم سلمة قالت هذا الوليد فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اتخذتم الوليد حنانا غيروا اسمه الوليد فانه سيكون في هذه الامة فرعون يقال له الوليد وعن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال ولد لاخي أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم غلام فسموه الوليد فقال النبي صلى الله عليه وسلم سميتموه باسماء فراعنتكم ليكونن في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو أشد على هذه الامة من فرعون موسى على قومه ولما تعدى الوليد الحدود حوصر في قصره فاراد استعطاف خواطر الجند المحاصرين له فلم يقبلوا اعتذاره فجلس وأخذ مصحفا وقال يوم كيوم عثمان ونشر المصحف يقرأ فنزلوا وقتلوه في شهر جمادى الاولى سنة ست وعشرين ومائة وكانت مدة تصرفه سنة وشهرين وعشرين يوما

(خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان)

بويع له يوم قتل ابن عمه الوليد فاقام خمسة أشهر وتوفي في سنة ست وعشرين ومائة وسنه أربعون سنة والله أعلم

(خلافة ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك)

بويع له يوم مات أخوه في ذي الحجة فاقام سبعين يوما وخلع نفسه في سنة سبع وعشرين ومائة ومات سنة اثنتين وثلاثين ومائة

(خلافة مروان المعروف بالحمار)

وسمي بالحمار لان الذي يتولى بعد مضي قرن يقال له الحمار وقيل سمي هذا الاسم لصبره على الحرب وهو ابن مروان الاول بويع له يوم خلع ابراهيم فاقام ست سنين وشهرا الى أن قتل بناحية أبوصير من قرى مصر المحروسة في ثالث شهر الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهو آخر خلفاء بني أمية وبموته انقرضت دولة بني أمية كما انقرض من قبلها من الدول ولله العزة والبقاء

(الباب الثالث في الدولة العباسية)

ثمانين من أصحابه فهربوا وأخذ ابلهم وكانت خمسمائة بعير مع رعاتها منهم غلام يقال له يسار فاخذه صلى الله عليه وسلم وأعتقه لانه رآه يصلي بعد أن اسلم ولما قرب من المدينة خمسها فخص كل رجل بعيران (ثم كانت غزوة أمر) بكسر الهمزة وفتح الميم وتشديد الراء وذلك انه صلى الله عليه وسلم بلغه أن رجلا يقال له دعثور بضم الدال وسكون العين المهملتين ثم ثاء مثلثة ابن الحرث الغطفاني من بني محارب جمع جمعا من بني ثعلبة وأراد الاغارة على المدينة فخرج اليهم صلى الله عليه وسلم في أربعمائة وخمسين رجلا من أصحابه فلما سمعوا به هربوا في رؤس الجبال (ثم كانت غزوة بحران) بفتح الباء الموحدة ويقال بضمها ثم

وكانوا بالعراق وعدتهم سبع وثلاثون خليفة ومدة تصرفهم في العراق خمسمائة سنة ثم انتقلوا الى مصر وعدتهم بها سبعة عشر خليفة واستمرت الخلافة فيهم الى سنة خمس وتسعمائة وكانوا يظنون بقاءها فيهم الى أن يسلموها للمهدي آخر الزمان

(أولهم أبو العباس السفاح)

واسمه عبد الله بن محمد بن علي ابن ترجمان القرآن عبد الله بن عباس ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم بويع له رابع عشر ربيع الاول سنة اثنتين وثلاثين ومائة فاقام أربع سنوات وثمانية أشهر وسنه اثنتان وثمانون سنة وتوفي في المحرم سنة ست وثلاثين ومائة

(خلافة أبي جعفر المنصور)

بويع له يوم مات أخوه وسنه ثلاث وستون سنة وهو الذي بنى بغداد سنة أربعين ومائة ونزلها في سنة ست وأربعين وفي سنة تسع وأربعين تم بناؤها وبغداد عبارة عن سبع محال لا تفتقر محلة منها الى غيرها وهي على شاطئ الدجلة فالاولى بالجانب الشرقي بالرصافة بناها المهدي بن المنصور حين ضاقت بالرعية والجند سنة احدى وخمسين والثانية مشهد أبي حنيفة والثالثة جامع السلطان والرابعة مدينة المنصور في الجانب الغربي وتسمى باب البصرة وكان بها ثلاثون ألف مسجد وخمسة آلاف حمام والخامسة مشهد موسى بن جعفر والسادسة الكرخ والسابعة دار القز ويقال ان المنصور سأل راهبا كان في صومعة في مكان بغداد عندما أراد أن يختطها فقال أريد ان ابني هنا مدينة فقال انما يبنيها ملك يقال له أبو الدوانيق فضحك وقال أنا هو وكان المنصور رغم جلالته يحاسب على الدانق فسمي أبا الدوانيق وقد ورد ان أبا جعفر المنصور بنى أربع مدن على أربع طوالع لا يخربون أبدا الا بخراب الدنيا المدينة الاولى المنصورة وهي مدينة طولها ميل في ميل وبها اسواق كثيرة وتجار وليس فيها الا النخل والقصب وهي مدينة عامرة جدا والثانية المصيصة على بحرين والثالثة بأرض الجدين والرابعة بغداد ذكر الشيخ عمر بن الوردي في خريدته ان بغداد في الجانب الغربي على الدجلة انفق عليها المنصور أموالا عظيمة ونقل أبواب واسط وركبها عليها وجعلها مدينة مدورة وجعل دورها اثني عشرة ألف قصبة وبنى بها قصرا عظيما بوسطها وبنى المهدي قصرا مقابله في الجهة الاخرى وبينهما نهر الدجلة به جسر من السفن ويقال ان حماماتها حصرت في وقت من الاوقات فكانت ستين ألف حمام قال الطبري في تاريخه كان بها ستون ألف حمام كل حمام يحتاج على الاقل الى ستة أنفار ومثل ليلة العيد يحتاج كل نفر الى رطل صابون له ولاولاده وعياله فهذه ثلثمائة ألف وستون ألف رطل صابون والشائع أن بغداد كانت مشحونة بالعلماء والفضلاء وأرباب الصنائع الظريفة النفيسة والآن غالبها خراب وقد تغيرت أوضاعها وخلت من العلماء والافاضل بقاعها وقد أخبرني من أثق به من أفاضل الرجال انه توجه اليها ومكث بها مدة فلم يجد بها من يحرر المسائل الفقهية بل ولا غيرها من غالب العلوم والله يفعل ما يشاء وذكر انه لما نبت بغداد بالقاضي عبد الوهاب المالكي خرج منها طالبا مصر فشيعه من أكابرها وفضلائها جماعة موفورة فقال لهم لما ودعهم لو وجدت بين ظهرانيكم كل غداة وعشية رغيفين ما فارقت بغداد فلم يكن فيهم من يتكفل له بذلك ومن شعره

بغداد دار لاهل المال طيبة * وللمفاليس دار الضنك والضيق

أقمت فيها مضاعا بين ساكنها * كأنني مصحف في بيت زنديق

وفي المعنى

يا واطنا بين الفرات ودجلة * عطشان يطلب شربة من ماء

ان البلاد كثيرة أنهارها * وسحابها بغزيرة الانواء

ما ضاقت الدنيا ولا عدم السرى * فيها ولا ضاقت على العلماء

أرض بأرض والذي خلق الورى * قد قسم الارزاق في الاحياء

(وقال أيضا)

مالي لا أرغب عن منزل * يكثر فيه الدهر حسادي

ما الرزق في الكرخ مقيم ولا * طوق العلا في جيد بغداد

بحياته وسماها كنة في السنة الثالثة من الهجرة (ثم كانت غزوة أحد) في السنة الثالثة أيضا واحد جبل على ثلاثة أميال من المدينة وسببها انه لما أصاب قريشا في بدر ما أصابهم وخلص أبو سفيان بالعير ووصل الى مكة مشى أشراف قريش الى من كان له تجارة في تلك العير التي كانت وقعة بدر بسببها وكانت تلك العير محبوسة في دار الندوة لم تدفع الى أربابها فقالوا ان محمدا وتركم أي نقص عددكم بأن قتل رجالكم ولم تأخذوا بثارهم فاعينونا بهذا المال حتى نحاربه لعلنا ندرك منه ثارا عمن أصاب منا فطابت نفوسهم على أن يجهزوا بربح ذلك العير جيشا الى محمد صلى الله عليه وسلم وكان رأس المال خمسين ألف دينار وقدر ربح كل

ذكر القاضي البيضاوي في تفسير سورة الفرقان عند قوله تعالى يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا أي تركوه وصدوا عنه وعنه عليه الصلاة والسلام من تعلم القرآن وعلق مصحفه ولم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب هذا اتخذني مهجورا أقول أين أهل بغداد وشحهم وجبنهم وقلة مروآتهم من أهل مصر فإنه ذكر أن القاضي عبد الوهاب المذكور لما قدم مصر تلقاه أكابرها وفضلاؤها بالبشر والكرامة والترحيب وأنزلوه في أحسن البيوت وأهدوا إليه الهدايا الوافرة والأرزاق المتكاثرة وصار عندهم عزيزا جزاهم الله تعالى خيرا عن مروآتهم وقد شاهدنا ذلك في كثير ممن ورد عليهم من العلماء (ومما يحكى) أن خالدا أبا يحيى البرمكي كان يكثر التردد على المنصور وكان المنصور يجله ويدنيه ويصغي لمحادثته فدخل عليه في بعض الأيام وفي يده خاتم به فص من السموم القاتلة وأراد أن يجلس على عادته فزأره زأرة عظيمة مزعجة ومنعه من الجلوس فقال ما السبب يا أمير المؤمنين فقال له تدخل علي بالسم القاتل فقال يا أمير المؤمنين جال في صدري شيء كان سببا لحمل الفص القتال وهو أني خشيت من بعض الحسدة أن يدسوا عليك دسيسة من قبلي فربما يكون فيها الهلاك والتشنيع فإذا حصل ذلك والعياذ بالله تعالى ألعق الفص وأستريح من التنكيل فاستحسن ذلك منه وأجلسه على عادته فلما سكن روعه قال يا أمير المؤمنين بالله عليك بماذا عرفت أن معي سما فقال له إن في عضدي دملجا إذا دخل علي أحد بسم يتحرك الدملج فتعجب كل من كان حاضرا وهذا من العجائب (ويحكى) أن رجلا من أهل الشام قال للمنصور يا أمير المؤمنين من انتقم فقد شفى غيظه ومن عفا فقد تفضل ومن أخذ حقه لم يجب شكره ولم يذكر فضله وكظم الغيظ حلم والتشفي طرف من العجز وقال تأخير جزاء الحسن لؤم وتعجيل عقوبته دناءة والتثبت في العفو بعد ما أدى إلى سلامة منه أو تأخر الإحسان ربما أدى إلى ندم لم يمكن صاحبه أن يتلافاه (ومما يحكى) أن المنصور أمر وزيره أن يأتيه برجل لا يسأله عن شيء إلا ويحسن الجواب ولا يبتدئه بسؤال فأتاه برجل وقال يا أمير المؤمنين هذا ما أردت فرفع منزلته وأدناه وجعله نصب عينيه فمكث عنده مدة لا يسأله عن شيء إلا ويحسن الجواب ولا يبتدئه بسؤال قط فعظم عنده فأمر يوما وزيره أن يدفع إليه جائزة فماطله وحدث بعد ذلك سفر للمنصور فخرج الرجل لوداعه فلما أذن له بالرجوع على راحلته قال يا أمير المؤمنين هذه دار من وأشار إلى جهة فاستدعى المنصور الوزير وقال ادفع إليه ما أمرت به من الجائزة فقبضها ومضى فقال الوزير يا أمير المؤمنين من أين علمت أني لم أدفع إليه فقال أشار إلى قول الشاعر

يا دار عاتكة التي أتغزل * حذر العدا وبه الفؤاد موكل
وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * مذق الحديث يقول ما لا يفعل

(وحكى) الربيع بن المفضل قال كنت عند المنصور وعنده جماعة من أعمامه فقالوا إن محمد بن مروان في حبسك فإن أردت أن ترسل إليه وتسأله عن كلام جرى بينه وبين ملك النوبة فبعث إليه وفض عنه الحديد وقال حدثني بكلام جرى بينك وبين ملك النوبة فقال يا أمير المؤمنين كنا قوما ملوكا فلما انقضت بنا المدة أمرت بالمتاع فصير في مركب فاعتل بنا الموج شهرا ثم صرت إلى جزيرة النوبة فأمرت بالمضارب فضربت فأقبل أهل النوبة ينظرون إلى متاعنا ويتعجبون من حسنه وأقبل ملك النوبة فإذا هو رجل طويل أصلع حاف عليه كساء وهو متوشح به ثم سلم وجلس على الأرض ولم يجلس على بساطي فقلت له لم تركت الجلوس على بساطي فقال لأني ملك وحق لمن رفعه الله أن يتواضع ثم صار ينظر في وجهي وقال ما بالكم تطؤون الزرع بدوابكم وهو محرم عليكم في كتابكم قلت عبيدنا فعلوا ذلك بالجهل قال فما بالكم تشربون الخمر وهو محرم عليكم في دينكم قلت عبيدنا وأتباعنا فعلوا ذلك بالجهل منهم قال فما بالكم تلبسون الديباج وتتحلون بالذهب والفضة وهو محرم عليكم على لسان نبيكم قلت إنا كنا قوما ملوكا فلما انقضت مدتنا استعنا بأعاجم دخلوا في ديننا كرهنا الخلاف عليهم قال فجعل ينظر في وجهي ويردد الكلام عبيدنا وأتباعنا وأعاجم دخلوا في ديننا كرهنا الخلاف عليهم ليس هذا يا ابن مروان كما تقول ولكنكم قوم

ملكتم

دينار دينارا فكان الربح خمسين ألف دينار وخرجوا بها لحربه صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تعالى على نبيه في ذلك إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله الآية وخرج أبو سفيان من قريش ومن والاهم من قبائل العرب كنانة وتهامة ثلاثة آلاف من القبائل والحلفاء وفيهم جبير بن مطعم بن عدي ووحشي قاتل حمزة وكان حبشيا وهند زوج أبي سفيان وأم حكيم بنت طارق وزوجها عكرمة رضي الله عنهم وهؤلاء أسلموا وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مسيرهم وفيهم مائتا فرس وثلاثة آلاف بعير وسبعمائة درع ولبس صلى الله عليه وسلم درعين وهما ذات الفضول وفضة وتقلد سيفا مكتوبا عليه

ملكتم فظلمتم وتركتم ما أمرتم به فاذا فكم اتقوا بالأمر كم وقته فيكم نقسمتم تبلغ وانى لاخشى أن ينزل عليكم بلاء وأنت ضبفى فيصيبنى معك فارتحل منى فتزودت وارتحلت وأنشد يقول

اذا وليت فاعمر ما تليه * بعدل انك فى الامارة بالعماره

وأفضل مستشار كل وقت * زمانك فاقتبس منه الاشاره

(حدث) يحيى بن معاذ أن أبا جعفر المنصور كان جالسا فالح على وجهه ذباب حتى أضجره فقال انظروا من بالباب فقالوا مقاتل بن سليمان فقال على به فلما دخل عليه قال له هل تعلم لماذا خلق الله الذباب قال نعم ليذل به الجبابرة فسكت المنصور وفى شفاء الصدور وتاريخ ابن النجار مسندا أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يقع على جسده ذباب أصلا ذكر القطبى فى اعلامه قال النجم عمر بن فهد وفى سنة ثمان وخمسين ومائة عزم على الحج أبو جعفر المنصور وكان يريد قتل سفيان الثورى رضى الله عنه فلما وصل الى بئر ميمونة بعث الى الخشابين وقال لهم ان رأيتم سفيان الثورى فاصلبوه فجاؤا ونصبوا الخشب وكان سفيان الثورى جالسا بفناء الكعبة ورأسه فى حجر فضيل بن عياض ورجلاه فى حجر سفيان بن عيينة فقيل له يا أبا عبد الله قم واختف ولا تشمت بنا الاعداء فتقدم الى أستار الكعبة فأخذها وقال برئت من هذه البنية ان دخلها أبو جعفر سالما وعاد الى مكانه فركب المنصور من بئر ميمونة فلما كان بين الحجار من سقط عن فرسه فاندقت عنقه فمات فى سابع ذى الحجة فى وقت السحر فحفر واله مائة قبر ودفنوه فى آخرها ليعموا قبره عن الناس وبرالله قسم عبده سفيان فانظروا الى عباد الله الخاصين وادلالهم على جناب رب العالمين وكيف حال أهل الدنيا المغرورين وكيف تضمحل عظمتهم فى سلطان السلاطين وما أحقر سلطنة المخلوقين من ماهيتهم وما أسرع زوالهم وصيرورتهم عبرة للناظرين ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار (قال البحترى) ان المتوكل ولى سالم بن حامد دمشق وكان بها جماعة من العرب لهم قوة ومنعة فقتلوا سالما فى يوم جمعة على باب دمشق فغضب المتوكل وقال من يكون فى صولة كصولة الحجاج فقال افريدون التركى أنا لها يا أمير المؤمنين فأمر وجهز معه سبعة آلاف فارس وأطلق له النهب والقتل ثلاثة أيام فجاء ونزل فى بيت لهيا فلما أصبح قال يا دمشق أى شئ يحل بك اليوم وقدم له بغلة ليركبها فلما وضع رجله فى الركاب ضربته بالزوج فى صدره فسقط ميتا وقبره معروف شهير بها وذلك فى حدود الاربعين ومائتين وقال ابن زيدون فى رسالته وقد تكون منية المتمنى فى أمنيته وروى الشيخ أمين الدين أبو البقاء مسلم بن محمود الشيرازى فى كتابه القاصم لقلوب العاشقين أن يحيى العابد يجهر وان قال كنت عند سفيان الثورى فالتفت الى شيخ فقال حدث القوم بحديث الحية والعصا قال حدثنى عبد الجبار عن محمد بن حمير انه خرج الى متصيده فتمثلت بين يديه حية فقالت أجرنى أجارك الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله فقال وممن أجيرك فقالت من عدو لى يريد أن يقطعنى اربا اربا فقال وممن أنت قالت من أهل لا اله الا الله قال وفى أين أخبؤك قالت فى جوفك ان كنت تريد المعروف قال ففتح فاه وقال ها فدخلت جوفه واذا رجل معه صمصامة فقال يا ابن حمير أين الحية قال ما أرى شيأ فذهب الرجل فاخرجت الحية رأسها فقالت يا ابن حمير أتحس بالرجل فقال لا قد ذهب قالت فاختر أى الخصلتين اما أنكت قلبك نكتة أو أفرى كبدك قال والله ما كافأتينى قالت تصنع المعروف عند من لا يعرفه قال أمهلينى حتى آتى سفح هذا الجبل فامهد لنفسى موضعا فبينما هو كذلك اذ هو بفتى حسن الوجه طيب الرائحة حسن الثياب فقال يا شيخ مالى أراك مستسلا للموت آيسا من الحياة قال من عدو فى جوفى يريد هلاكى فاخرج شيأ من كمه ودفعه الى وقال كله فقمت فاصابنى مغص شديد ثم ناولنى أخرى فاكلتها فرميت الحية من أسفل قطعا قطعا فقلت من أنت رحمك الله فقال له أنا ملك يقال له المعروف ومستقرى فى السماء الرابعة وان أهل السماء لما رأوا غدر الحية بك اضطربوا كل يسأل ربه ان يغيثك فقال عز وجل يا معروف أدرك عبدى وقال الشاعر

لا تصنع المعروف فى ساقط * فذاك صنع ساقط ضائع

فضعه فى حر كريم يكن * عرفك مشكورا فمضائع

فى الجبن عار وفى الاقدام مكرمة * والمرء بالجبن لا ينجو من القدر (ولما جاوز المدينة) عرض عليه أصحابه فردمنهم شبانا خمسة عشر ولما التقى الجمعان قتل من المسلمين خلق كثير منهم جابر أبو عبد الله فاخبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم ان الله أوقفه بين يديه وقال له سلنى أعطك فقال أسألك يا رب ان أرد الى الدنيا فاقتل فيك ثانيا فقال له عز وجل انه سبق منى انهم لا يرجعون الى الدنيا فقال أى رب فابلغ من ورائى فانزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون وكان قتادة يتقى السهام بوجهه عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصابه سهم خرجت منه حدقته فلما رآها صلى الله عليه وسلم فى كفه دمعت عيناه وقال اللهم

(وقال أيضا) متى تسد معروفا الى غير أهله * رزئت ولم تظفر بأجر ولا حمد

وقال الحجاج لشخص ما أضيع الاشياء قال مطر جود في أرض سبخة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها وسراج يوقد في الشمس وجارية حسناء تزف الى عنين أعمى وصنيعة تهدى الى من لا يشكرها وقال بعض الحكماء أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام وقالوا الاحسان الى اللئيم أضيع من الرسم على بساط الماء والخط على بساط الهواء قالوا تعريف اللئيم من اذا ارتفع أنكر آباه وجفا أخاه واستخف بالاشراف ونقل عن شيخنا المرحوم الشيخ نور الدين الزيادي الشافعي في تعريف اللئيم فقال من ليس له فعلة تحمد ولا خصلة تشكر قال الشاعر

ومن يصنع المعروف مع غير أهله * يلاقي الذي لاقى مجير أم عامر

أعد لها لما استجارت ببيته * مع الامن ألبان اللقاح الدرائر

وأسمنها حتى اذا ما تمكنت * فرته بانيابها وأظافر

فقل لذوي المعروف هذا جزاء من * يجود بمعروف على غير شاكر

(وقال آخر) زرعنا جميلا مع اناس فانكروا * جمائلنا طرا وما حفظوا القدرا

ومن يزرع المعروف في غير أهله * كمن قلد الخنزير درا وجوهرا

(وقال الشاعر) لعمرك ما المعروف في غير أهله * وفي أهله الا كبعض الودائع

فمستودع ضاع الذي كان عنده * ومستودع ما عنده غير ضائع

وما الناس في شكر الصنيعة عندهم * وفي كفرها الا كبعض المزارع

فمزرعة طابت فاضعف نبتها * ومزرعة أكدت على كل زارع

(وقال آخر) لئن بسط الزمان يدي لئيم * فصبرا للذي فعل الزمان

فقد يعلو على الرأس الذباب * كما يعلو على النار الدخان

رجعنا الى ما نحن بصدده وأقام المنصور في الخلافة اثنين وعشرين سنة وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائة والله أعلم

(خلافة المهدي بن المنصور)

بويع له يوم مات أبوه وسنه ثلاث وأربعون سنة فجمع الناس فخطبهم ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان أمير المؤمنين عبد دعي فأجاب وأمر فاطاع ثم ذرفت عيناه وقال لقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمفارقة الاحباب وقد فارقت عظيما وتقلدت جسيما فعند الله احتسب أمير المؤمنين وبه أستعين على تقليد أمور المسلمين ونزل فبايع الناس وقد جمع أبو دلامة الشاعر بين تهنئة وتعزية فقال

عينان واحدة ترى مسرورة * باميرها جذلى وأخرى تذرف

تبكي وتضحك تارة ويسوؤها * ما انكرت ويسرها ما تعرف

فيسوءها موت الخليفة محرما * ويسرها أن قام هذا الخلف

ما ان رأيت كما رأيت ولا أرى * شعرا أسرحه وآخر انتف

هذا حباه الله فضل خلافة * ولذاك جنات النعيم تزخرف

كان المهدي يقول أدخلوا علي العلماء والقضاة واحضروهم عندي فلو لم يكن من حضورهم الارد المظالم حياء منهم لكان خيرا كثيرا ومكث في الخلافة عشرين سنة وتوفي في المحرم سنة تسع وستين ومائة

(خلافة موسى الهادي بن المهدي)

بويع له يوم مات أبوه وكان سنه أربعة وعشرين بعهد من والده وأخذ له البيعة شقيقه هرون الرشيد * ذكر صاحب السكردان ان الهادي كان يوما في بستان يتنزه على حمار ولا سلاح معه ويحضرته جماعة من خواصه وأهل بيته فدخل عليه حاجبه وأخبره أن بالباب بعض الخوارج له باس ومكايد وقد ظفر به بعض القواد فامر الهادي بادخاله فدخل عليه بين رجلين قد قبضا على يديه فلما أبصر الخارجي الهادي جذب يديه

في قتادة كانوقى وجه نبيك ثم ردها صلى الله عليه وسلم براحته الشريفة فكانت أحسن عينيه وأحدهما بصرا ولما رجع من غزوة أحد وبات ليلة شاع في صبيحتها ان قريشا يريدون الرجوع فانتدب صلى الله عليه وسلم أصحابه للقتال وهي غزوة حمراء الاسد فاجابه كل من كان باحد وأكثرهم جريح وتلقاه طلحة بن عبيد الله فقال أين سلاحك يا طلحة فقال قريب يا رسول الله وذهب لسلاحه وكان به بضع وسبعون جراحة قال طلحة وأنا أهم بجراح رسول الله صلى الله عليه وسلم مني بجراحي قال يا طلحة أين ترى القوم قال قريبا قال أما انهم لا ينالون منا مثلها حتى يفتح الله علينا مكة ونستلم الركن وسار حتى بلغ حمراء الاسد وهو مكان بينه وبين

من الرجلين واخترط سيف أحدهما وقصد الهادي ففر كل من كان حوله وبقي وحده وهو ثابت على حمارة حتى اذا دنا منه الخارجي وهم ان يعلوه بالسيف أومأ الى وراء الخارجي وأوهمه أن غلاما وراءه وقال يا غلام اضرب عنقه فظن الخارجي ان غلاما وراءه فالتفت الخارجي فنزل الهادي مسرعا عن حماره وقبض على عنق الخارجي وذبحه بالسيف الذي كان معه ثم عاد الى ظهر حماره من فوره واتباع الهادي ينظرون اليه ويتسللون عليه وقد ماتوا منه حياء ورعبا فما عاتبهم ولا خاطبهم في ذلك بكلمة ولم يفارق السلاح بعد ذلك اليوم ولم يركب الا جوادا من الخيل فانظر الى هذا الاقدار في ثبات جاش الملوك فانه قل من يفعل ذلك وهذه مرتبة لم يصل اليها أحد الا نادرا (حكى) عن عبد الحق انه قال مما ابتلى به الهادي من المحبة انه كان مغرما بجارية تسمى غادر وكانت من أحسن النساء وجها وأطيبهن غناء اشتراها بعشرة آلاف دينار فبينما هو يشرب مع ندمائه اذ فكر ساعة وتغير لونه وقطع الشراب فقيل له ما بال أمير المؤمنين قال وقع في قلبي اني أموت وان أخي هرون يلي الخلافة ويتزوج غادر امضوا وأتوني برأسه ثم رجع عن ذلك وأمر باحضاره وحكى له ما خطر بباله فجعل هرون يسترقه في ذلك فقال لا أرضى حتى تحلف لي بكل ما حلفت به اذا مت لا تتزوج بها فرضي بذلك وحلف أيمانا عظيمة ودخل الى الجارية وحلفها أيضا على مثل ذلك فلم يلبث بعد ذلك سوى شهر ومات وولي الخلافة هرون الرشيد فطلب الجارية فقالت يا أمير المؤمنين كيف تصنع في الايمان فقال قد كفرت عني وعنك ثم تزوج بها ووقعت في قلبه موقعا عظيما وافتتن بها أعظم من أخيه الهادي حتى كانت تسكر وتنام في حجره فلا يتحرك ولا ينقلب فبينما هي في بعض الليالي وهي في حجره نائمة فاذا بها انتبهت فزعة مرعوبة فقال لها ما بالك فديتك فقالت رأيت أخاك الهادي الساعة في النوم وأنشدني هذه الابيات

أخلفت عهدي بعدما * جاورت سكان المقابر
ونسيتني وحنثت في * ايمانك الزور الفواجر
ونكحت غادرة أخي * صدق الذي سماك غادر
لا يهنك الالف الجديد ولا تدر عنك الدوائر * ولحقتني قبل الصباح وصرت حيث غدوت صائر

قالت ثم ولى عني وكأن الابيات مكتوبة في قلبي ما نسيت منها كلمة فقال لها هذه أحلام الشيطان فقالت كلا والله يا أمير المؤمنين ثم اضطربت بين يديه وماتت في تلك الساعة ولا تسأل عن هرون الرشيد وما لقي بعدها فكانت مدة الهادي سنة وشهرا ونصفا وتوفي في ربيع الاول سنة سبعين ومائة

(خلافة هرون الرشيد)

بويع له يوم مات الهادي وسنه خمس وأربعون سنة ومولده بالري لما كان أبوه المهدي أميرا عليها وكان فصيحا بليغا أديبا كثير العبادة وكان يحج عاما ويغزو عاما وقد جمع بينهما وكان يصلي في خلافته في كل يوم مائة ركعة لا يتركها الا لعلة وكان يتصدق في كل يوم بألف درهم ويحب العلم وأهله ويعظم حرمات الاسلام وبلغه عن بشر المريسي انه كان يقول بخلق القرآن فقال لئن ظفرت به لاضربن عنقه وكان يأتي بنفسه الى بيت الفضيل بن عياض ويعظمه وكان قاضيه الامام أبو يوسف وكان يجله كثيرا ويمتثل أمره وكانت أيام الرشيد أيام خير وله أخبار في اللهو والاذات مشهورة *(فائدة)* ولد الامام أبو يوسف سنة خمس وتسعين وتوفي سنة مائة واثنتين وثمانين فجملة عمره سبع وثمانون سنة ومما يحكى عن هرون الرشيد أنه قال يوما لجلسائه من أرغد الناس عيشا فقالوا أمير المؤمنين فقال لهم كلا ان لا عواد المنبر لهيبة وان لقعقعة لجام البريد لفزعة وان أهنى الناس عيشا رجل له دار يسكنها وزوجة يأوي اليها في كفاف من العيش لا يعرفنا ولا نعرفه فانه من عرفنا وعرفناه أفسدنا عليه دينه ودنياه (وحكى) المسعودي في شرح المقامات قال أخبرنا الفقيه أبو العز أحمد بن عبد الله العكبري في كتابه بسنده عن أيوب الوزان قال قال المفضل دخلت على الرشيد وعنده طبق ورد وعنده جارية مليحة أديبة شاعرة قد أهديت اليه فقال يا مفضل قل في هذا الورد شيئا يشبهه فقلت

كأنه خد موموق يقبله * فم الحبيب وقد أبدى به خجلا

المدينة ثمانية أميال ولما بلغ المشركين خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر عليهم ذلك ورجعوا الى مكة (وفي السنة الرابعة كانت غزوة بني النضير) وهم قوم من اليهود بخيبر وسببها انه صلى الله عليه وسلم ذهب اليهم لحاجة عرضت له لقربهم من المدينة وكان معه من أصحابه جماعة دون العشرة فجلس بجانب جدار من بيوتهم فارادوا الغدر به صلى الله عليه وسلم وان يصعد رجل الى الجدار ويلقي عليه حجرا فاخبره جبريل بذلك فقام وذهب الى المدينة وكان ذلك منهم نقضا للعهد فارسل اليهم ان اخرجوا من بلادي لان بلادهم كانت من أعمال المدينة فلم يخرجوا فتجهز اليهم وغزاهم (ثم كانت غزوة بدر الثالثة) في السنة الرابعة وتسمى بدر الموعد

فقالت الجارية   كأنه لون خدي حين يدفعني * كف الرشيد لامر يوجب الغضبا

فقال هرون الرشيد قم يا مفضل اخرج فان هذه الماجنة هيجتنا فقلت والله يا أمير المؤمنين لا أقوم الا بجائزة فاني كنت سببا القيام ايرك فضحك حتى استلقى على قفاه وأمر لي بجائزة فأخذتها وخرجت وأرخيت الستور دوني (وحكي) عن هرون الرشيد انه خرج هو وأبو يعقوب النديم وجعفر البرمكي وأبو نواس والاصمعي واذا بشيخ في الصحراء متكئ على حماره فقال هرون لجعفر سل هذا الشيخ من أين فقال له جعفر من أين جئت قال من البصرة قال وأين تريد قال بغداد قال وما تصنع فيها قال التمس دواء لعيني فقال له هرون مازحه فقال له جعفر أخاف ان أسمع منه ما أكره فقال بحقي عليك الا مازحته فقال جعفر للشيخ ان وصفت لك دواء ينفعك ما الذي تكافئني به فقال الله تعالى يكافئك عني بما هو خير من ذلك فقال اسمع هذا السر الذي لا أصفه لاحد غيرك خذ لك ثلاث أواق من شعاع الشمس وثلاث أواق من زهرة القمر وثلاث أواق من هبوب الريح وثلاث أواق من نور السراج واجمع الجميع في هون بلا قعر ودقهم ثلاثة أشهر فاذا دققتهم اجعلهم في شقفة مشقوقة واجعلهم ثلاثة أشهر في الريح ثم اجعلهم في قصبة ساق جمل قد حق واستعمل هذا الدواء في كل يوم ثلثمائة مرة عند النوم ودم على ذلك ثلاثة أشهر فانك تعافى ان شاء الله تعالى فلما سمع الشيخ كلامه انبطح عن حماره وضرط في وجهه ضرطة منكرة وقال خذ هذه الضرطة مكافأة لك فاذا استعملت هذا الدواء ووهب الله لي العافية أعطيتك جارية تخدمك في حياتك خدمة يقطع الله بها عمرك فاذا مت وعجل الله بروحك الى النار سخمت وجهك بخراك وأدامت اللطم عليك وتقول لك يا صقيع الذقن يا رقيع لا اله الا الله ما أصقع ذقنك قال فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه ورسم له بثلاثة آلاف درهم *(وقد قيل)* ان هرون الرشيد حصل له في بعض الايام حال من الاحوال وضيق صدر فأخذ معه بعض الندام وخرج يتفرج على العادة وكان شخص يقال له أبو الحسن ابن تاجر من التجار وكان والده صاحب أموال كثيرة وأماكن وعقارات وأقطاع وضياع فتوفي والده وحاز جميع مخلفه ثم انه كان في كل يوم يخرج الى الجسر فأول رجل يمر عليه يدعوه الى الضيافة فمر عليه في ذلك اليوم الرشيد فتعلق به وقال له يا سيدي هل لك في طعام وشراب فأجابه الرشيد وقال له امض بنا ولم يعلم أبو الحسن من هو وسيده وسارا الى أن وصلا منزل أبي الحسن فلما دخل الرشيد وجد به قاعة ان نظرت الى حيطانها رأيت العجب وان نظرت الى مجاريها رأيت شاذروانا مصفحا بالذهب فلما استقر به الجلوس استدعى أبو الحسن بجارية كأنها قضيب بان فأخذت عودها وأنشأت تقول

يا مقيما مدى الزمان بقلبي * وبعيدا بشخصه عن عياني
أنت روحي اذ كنت لست أراها * فهي أدنى الي من كل داني

قال فلما سمع الرشيد من الجارية هذه الابيات قال لها أحسنت بارك الله فيك وأعجبه منطقها وتعجب من أبي الحسن وعز ومته وقال له يا أبا الحسن هل من حاجة تروم قضاءها أوهل من شهوة تشتهيها فقال أبو الحسن ان بجواري مسجدا وله امام به وأربع مشايخ وبجوار المسجد صاحب ربع وهم كلما سمعوا نغمة أوشيأ من اللهو يغروا على الوالي ويغرموني الغرائم ويكدروا عيشي وأنا معهم في عذاب فلو كنت منهم كنت أضرب كل واحد منهم ألف سوط وأصاب صاحب الربع واستريح من كثرة أذاهم فقال الرشيد بلغك الله مرادك ثم ان الرشيد غافله ووضع قرص بنج في قدح وناوله له فلم يستقر في جوفه حتى نام لوقته فقام الرشيد الى الباب فوجد غلمانه ينتظرونه فأمر الرشيد بحمل أبي الحسن على بغلة وسار الى دار الخلافة وهو سكران لا يفيق ولا يشعر بنفسه فلما استقر الرشيد بدار الخلافة استدعى بوزيره جعفر وعبد الله بن طاهر والي بغداد وبعض خدمه الخواص وقال لهم جميعا اذا كان غدا فغدونظرتم هذا الغلام وأشار الى أبي الحسن وهو جالس على سرير الملك أطيعوه الطاعة وسلموا عليه بالخلافة وأي شئ أمر به فافعلوه ثم دخل بعد ذلك الى جواريه وأوصاهن بخدمته وان يخاطبوه بأمير المؤمنين فلما أفاق أبو الحسن وجد نفسه بالقاعة على سرير الملك والوزراء والوالي والخدم واقفون وهم يقبلون الارض بين يديه فاحتار أبو الحسن في

لان أبا سفيان نادى يوم
أحد الموعد بيننا وبينكم
بدر العام القابل فخرج صلى
الله عليه وسلم ومعه الف
وخمسمائة من أصحابه فأقاموا
على بدر ثمانية أيام مدة
الموسم وكان أبو سفيان قد
خرج من مكة في الفين من
قريش حتى نزل خارج مكة
وقد قام به رعب من محمد
صلى الله عليه وسلم فجمع
قريشا وقال لهم انه لا يصلح
هذا العام لقتال محمد
فارجعوا فرجعوا وباع
المسلمون ما كان معهم من
التجارة وربحوا ربحا كثيرا
وفيهم نزل فانقلبوا بنعمة
من الله وفضل الآية (ثم
كانت غزوة دومة الجندل)
أواخر السنة الرابعة الجندل
بفتح الدال المهملة بلدة
قريبة من دمشق بلغه صلى
الله عليه وسلم ان بها جماعة
يتعرضون لمن مر بهم
بالاضرار والافساد وأخذ

أمره ووضع رأسه في عبه وجعل يفتح عينيه قليلا قليلا وجعل يضحك ويقول ايش هذا الامر الذي انا فيه ثم انه رفع رأسه ونادى بعض الجوارى فاجابته لبيك يا أمير المؤمنين فقال لها ما اسمك قالت شجرة الدر فقال لها أتدرى في أى مكان أنا ومن هو انا فقالت أنت أمير المؤمنين جالس في قصرك على سرير الخلافة فقال لها انى حائر في أمرى وقد خرج عقلى وما كأنى الا نائم ولكن أيش أقول في ضيفي البارحة وما أظنه الا شيطانا أو ساحرا لعب بعقلى فبقى حائرا باهتا الى أن أصبح الصباح فأتاه الخادم وقال له أسعد الله صباح أمير المؤمنين ثم ناوله تاسومة من ذهب مكللة بالجواهر واليواقيت فأخذها وتأملها طويلا ثم وضعها في كمه فقال له الخادم هذه تاسومة تدخل بها بيت الخلاء فقال له صدقت ما وضعتها في كمى حتى لا تتوسخ ثم أخرجها من كمه ووضعها في رجله فلما قضى حاجته وخرج قدموا له خلعة سنية ونظر الى نفسه وهو جالس على السرير وقال كل ما أنا فيه خيال ومحال من الجان فبينما هو كذلك اذ دخل عليه بعض المماليك وقال له يا أمير المؤمنين ان الحاجب بالباب يستأذنك في الدخول فقال أبو الحسن يدخل فدخل وقبل الارض بين يديه وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقام أبو الحسن ونزل عن السرير الى الارض فقال له الحاجب الله الله يا أمير المؤمنين أما تعلم ان الناس كلهم غلمانك وتحت نظرك وأمير المؤمنين لا ينبغى له القيام الى أحد ثم قيل له ان جعفرا البرمكى وعبد الله بن طاهر وأكابر المماليك يستأذنون في الدخول فأذن لهم فدخلوا وقبلوا الارض بين يديه وجعل كل منهم يخاطبه بأمير المؤمنين ففرح بذلك ورد عليهم السلام ثم نادى الوالى فدنا منه وقال لبيك يا أمير المؤمنين فقال له اذهب في هذه الساعة الى الدرب الفلانى وأمسك صاحب الربع وامام المسجد والاربع مشايخ واضرب كل واحد منهم ألف سوط فاذا فرغت من ذلك اكتب عليهم قسامة أنهم لا يسكنون في الدرب بعد تجريسهم والمناداة عليهم هذا جزاء من يؤذى جاره ثم اصلب صاحب الربع واياك أن تتهاون فيما أمرتك به ثم ان أبا الحسن التفت الى الحاجب وبقية الخدم وقال لهم انصرفوا ثم استدعى بخادم كان قريبا منه وقال له انى جيعان وقصدى شئ آكله فقال سمعا وطاعة وأخذ بيده الى أن أدخله مجلس الطعام وقدموا بين يديه مائدة من الاطعمة الفاخرة وقام على رأسه عشر جوار نهد أبكار فالتفت الى جارية منهن وقال لها ما اسمك فقالت قضيب البان فقال لها يا قضيب البان من أنا قالت أنت أمير المؤمنين فقال تكذبين والله يا قحبة أنت تضحكين علىّ فقالت خف الله يا أمير المؤمنين هذا قصرك والجوارى جواريك فقال في نفسه ما هو كثير على الله عز وجل ثم ان الجوارى أخذن بيده الى مجلس الشراب فرأى شيئا يذهل العقل وصار يقول في نفسه لا شك ان هؤلاء من الجان ويكون هذا الذى أضافنى من ملوك الجان وما رأى لى مكافأة ومجازاة على فعلته معه من الجميل الا ان أمر أعوانه يقولون يا أمير المؤمنين وهؤلاء كلهم من الجان فالله يخلصنى منهم على خير فبينما هو يحدث نفسه واذا بجارية من تلك الجوارى ملأت له كأسا من الخمر فتناوله منها وشربه ثم ان الجوارى تكاثرن عليه بالشراب وطرحت له احداهن قرص بنج في القدح فلما استقر في جوفه وقع الى الارض وصار لا يعى ولا يطيق فعند ذلك أمر الرشيد بحمله الى منزله فحملوه ووضعوه على فراشه وهو لا يشعر بنفسه فلما أفاق من سكرته آخر الليل رأى نفسه في الظلام فصاح يا قضيب البان يا شجرة الدر فلم يجبه أحد فسمعته أمه وهو ينادى بهذه الاسماء فقامت وأتت اليه وقالت له ايش جرى عليك يا ولدى وما الذى أصابك أنت مجنون فلما سمع كلام أمه قال لها من أنت يا عجوز النحس حتى تقابلى أمير المؤمنين بهذه الالفاظ فقالت له أنا أمك يا ولدى فقال لها تكذبى أنا أمير المؤمنين صاحب البلاد والحاكم على العباد فقالت له اسكت والا تروح روحك وجعلت ترقيه وتقرأ عليه وتقول يا ولدى كأنك رأيت هذا في المنام وهذا كله من وساوس الشيطان ثم قالت له أبشرك ببشارة تسر بها فقال لها وما هى قالت ان الخليفة أمر بضرب الامام والمشايخ وصلب صاحب الربع وكتب عليهم قسامة لا يكثر وا فضولهم على أحد فلما سمع أبو الحسن من أمه هذا الكلام زعق زعقة كاد أن يفارق الدنيا وقال انا لله وانا اليه راجعون أنا الذى أمرت بضرب المشايخ وصلب صاحب الربع ونفيهم وأنا أمير المؤمنين ثم نزل الى الزقاق في الليل ونادى بأعلى صوته

الاموال والذراري يدون أن يدنوا من المدينة فندب صلى الله عليه وسلم لهم الناس وخرج في ألف مقاتل فلما دنا منهم وبلغهم الخبر تفرقوا فهجم على ماشيتهم وأمسك أصحابه رجلا منهم فسأله عنهم فقال هربوا فعرض عليه الاسلام فأسلم (ثم كانت غزوة الخندق) في شوال سنة خمس ويقال لها غزوة الاحزاب وكان كفار قريش ومن عاونهم من يهود بنى النضير وقبائل العرب المشركين عشرة آلاف ولما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم خبرهم شاور أصحابه في أن يبرز لهم أو يكون فيها فأشار عليه سلمان الفارسى رضى الله عنه بالخندق وقال يا رسول الله انا كنا بأرض فارس اذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا فأعجبهم ذلك وضربوا الخندق على المدينة وظهر

معاشر الناس من كان له حكومة أو ظلامة فليأتوا الى هذه الدار ترفع ظلامته وننظر في حكومته قال فانتبه كل من في الزقاق ومسكوه الى ان طلع النهار وجروه وأدخلوه البيمارستان ووضعوه في الحديد وصاروا كل يوم يعاقبونه ويسقونه الادوية الكريهة ويضربونه بالسياط وجعلوه مجنونا ومكث عشرة أيام فجاءت والدته تسلم عليه فشكا اليها فقالت له يا ولدي خف الله في نفسك لو كنت أمير المؤمنين ما كنت في هذا الحال فلما سمع من والدته ذلك قال والله صدقت ما كأني الا كنت نائما فرأيت انهم جعلوني خليفة وجعلوا لي خداما وجواري فقالت له يا ولدي ان الشيطان يفعل أكثر من هذا قال صدقت وأنا أستغفر الله مما جرى مني فأخرجوه من البيمارستان وأدخلوه الحمام فلما أصاب العافية صنع طعاما وجلس يأكل فلم يطب له وحده فقال يا أماه لم يطب لي عيش ولا أكل وحدي فقالت له ان كنت تريد تفعل ما تشاء وتختار فرجوعك الى البيمارستان أقرب فلم يلتفت اليها وتمشى الى الجسر ينظر له نديما ينادمه وجالس اذا بالرشيد قد جاء اليه في صفة تاجر وكان من حين فارقه يأتي كل يوم الى الجسر فلم يجده فلما رآه أبو الحسن قال له أهلا وسهلا ومرحبا يا ملك الجن فقال له الرشيد ايش عملت معك فقال له أي شيء تفعل معي أكثر مما فعلت يا أوضع الجان أكلت الضرب ودخلت البيمارستان وجعلوني مجنونا كل ذلك منك جئت بك الى منزلي وأطعمتك خيار ما كان وبعد ذلك سلطت على شياطينك وأعوانك يلعبون بعقلي من المساء الى الصباح اذهب الى حال سبيلك فقال له الرشيد قد بلغت مقصودك من الامام والمشايخ وصاحب الربع قال نعم فقال له الرشيد لعله يأتيك ما يسر خاطرك أكثر من هذا فقال له أبو الحسن ايش مقصودك مني قال مقصودي أكون ضيفك في هذه الليلة فقال أبو الحسن على شرط أن تحلف لي بالذي هو منقوش على خاتم سليمان بن داود عليهما السلام ما تخلي عفاريتك يلعبون بي فقال له الرشيد سمعا وطاعة فأخذه أبو الحسن الى منزله ثم ان أبا الحسن قدم الطعام الى الرشيد وأتباعه فأكلوا بحسب الكفاية فلما فرغوا من الاكل قدموا الشراب والمفرحات فشربوا الى ان رأى الرشيد فرصة فوضع قرص بنج في قدح فلما شربه صار لا يعي فأمر الرشيد بحمل أبي الحسن الى دار الخلافة وأمرهم أن يرقدوه على سريره فلما أفاق أبو الحسن آخر الليل جعل ينادي يا أماه فأجابه الجواري لبيك يا أمير المؤمنين فلما سمع ذلك قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم أدركوني في هذه الليلة فانها أنحس من التي تقدمت ثم انه جعل يطيل النظر في الذين حوله ويقول هؤلاء كلهم من الجان في صفة الآدميين أمري الى الله ثم التفت الى مملوك بجانبه وقال له عض في أذني لأرى أنا نائم أم يقظان فقال له المملوك كيف أعض لك أذنك وأنت أمير المؤمنين فقال له افعل ما أمرتك به والا ضربت عنقك فعضه في أذنه حتى التقى الناب على الناب فزعق زعقة عظيمة فهدا والرشيد خلف الستارة من داخل مخدع فكل من كان حاضر امتلأ من الضحك وهم يقولون للمملوك أنت مجنون تعض أذن الخليفة فقال لهم أبو الحسن ما كفى يا قباب الجن ما جرى على أنتم ما لكم ذنب الذنب لكبيركم الذي حلفته بعهد اليمين وأخرجكم في صفة الآدميين وأنا أستعين عليكم في هذه الليلة بآية الكرسي والاخلاص والمعوذتين ثم ان الرشيد خرج من وراء الستارة وقال أهلكتنا يا أبا الحسن فعند ذلك عرف أبو الحسن فقبل الارض بين يديه ودعا له بدوام العز والبقاء ثم ان الرشيد ألبسه خلعة سنية ودفع له ألف دينار وجعله من أعز ندمائه (وحكي) ان الاصمعي دخل يوما على الرشيد فقال يا أمير المؤمنين كانت لي حاجة في ضيعة كذا فلقيني من كاد يقتلني قال وما هو قال بينما أنا في وسط البيداء واذا بشيء قبض على خناقي ولم أره فقلت من أنت يرحمك الله قال أنا من شعراء الجن فقلت له وما تريد مني قال أريد منك ان تصف لي في هذا الوقت ما أنبت الارض وما أطيبها وما أضيقها وما أوسعها فقلت له أوأحسن ذلك وأنت قابض على خناقي فاطلقني وأردت ان أعجزه فقلت له لا يحصل لي باعث على النظم الا بالجائزة العظيمة فقال أتطلب كثيرا فقلت ألف دينار فقال ائت مكانك فوقفت يسيرا واذا بصرة وقعت من الهواء فأخذتها ووضعتها في كمي وقلت

من لم يكن بين أقوام يسربهم * فكل أوقاته نقص وخسران

فيها معجزات كثيرة منها ما رواه جابر رضي الله عنه قال اشتد علينا في بعض الخندق كدية فشكوناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا باناء من ماء فتفل فيه ودعا بما شاء الله ثم صب ذلك الماء على تلك الكدية فانهالت حتى عادت كالكثيب لا ترد فاسا ولما حضروا حول المدينة مكثوا مدة وأرسل الله عليهم ريحا عاصفا في ليال شديدة البرد فقلعت أطناب خيامهم وأكفأت قدورهم على أفواهها ونصر الله المسلمين وخذل الاحزاب (ثم كانت غزوة بني المصطلق في شعبان سنة ست من الهجرة وهم بطن من خزاعة وسببها انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان الحرث بن ضرار سيد بني المصطلق رضي الله عنه فانه أسلم جمع لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم من

فأطيب الارض ما للنفس فيه هوى * سم الخياط مع الاحباب ميدان
وأخبث الارض ما للنفس فيه أذى * خضر الجنان مع الاعداء نيران

فقال الاعرابي انصافا لقد أعجبني حسن بديهتك ولكن صف لي هذه الارض من أي الاراضي فقلت له ان لم تعطني الجائزة ولم تقتلني فهي أطيب الارض وأوسعها وان قتلتني وأحرمتني الجائزة فهي أخبث الارض وأضيقها فضحك كالرعد القاصف فارتعدت منه فقال لي ما بالك ارتعدت وقد انبسطت معك اليوم فقلت له اذا كان بسطك يروعني فكيف انقباضك فضحك أكثر من الاول وقال اذهب يا أصمعي يحق للملوك أن يدنوك من مجالسهم فقال الرشيد أرني الصرة فاظهرتها له فقال الرشيد هذه من خزائني وعليها ختمي هذا من لصوص الجن فسبحان من تعالى منه (وحكى) عن الاصمعي انه قال ضللت بعير فخرجت في طلبه فدخلت حلة عرب ورأيت جماعة يصلون فاذا قربهم شيخ ملتف بقطعة عباءة وهو يرتعد ويقول

أيا رب ان اليوم أصبح كالحا * وأنت بحالي يا الهي تعلم
فان كنت يوما مدخلي لجهنم * ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم

فعجبت من فصاحته فسلمت عليه وقلت لاي شئ يدخلك جهنم فقال لقلة صلاتي فقلت لم لا تصلي فانشد يقول

أيطلب ربي ان أصلي عاريا * ويكسو غيري حلة البرد والحر
فوالله لا صليت ما عشت عاريا * عشاء ولا وقت المغيب ولا الوتر
ولا الصبح الا يوم شمس دفيئة * وان غيمت فالويل للظهر والعصر
وان يكسني ربي قميصا وجبة * أصلي له مهما أعيش من العمر

قال فتعجبت من فصاحته وأعطيته قميصا وجبة وقلت له قم صل فلبسهما واستدبر القبلة يصلي بلا وضوء قاعدا فقلت له أما تستحي ان تفعل هذا فقال

اليك اعتذاري من صلاتي قاعدا * على غير طهر وموميا نحو قبلتي
فما لي ببرد الماء يارب طاقة * ورجلاي لا تقوى على ثني ركبتي
ولكنني أستغفر الله شاتيا * وأقضيكها يارب في وقت صيفتي
فان أنا لم أفعل فدونك فاحتكم * بما شئت من صفعي ومن نتف لحيتي

فتركته وانصرفت متعجبا (وحكى) عن أبي العتاهية أنه قال بينما أنا جالس في حبس الرشيد اذ دخل علينا رجل ذو شهامة ووسامة فسلم وجلس ساعة لا ينطق فقلت أصلحك الله ان للمسجونين استرواحا الى الاخبار وتطلعا الى الحديث وقد دخلت علينا فلم تخبرنا بشئ من أمرك فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للداخل دهشة فابسطوه بالانس ولم تبدؤني بالبسط والتأنيس فقلت صدقت وقص كل واحد منا قصة ثم أخرجت سويقا كان عندي فاسقيته فبينما هو يشرب اذ دخل علينا الاعوان فقالوا له قم فقد أمر بقتلك فارتعدنا وهو ساكن الجنان طيب النفس حتى استتم شرب السويق ثم قال أنا حاضر موت عيسى ابن عبد الله بن الحسن الذي يقول

اذا أنا لم أقبل من الدهر كلما * تكرهت منه طال عتبي على الدهر
الى الله أشكو الامر في الخلق كلهم * وليس الى المخلوق شئ من الامر
تعودت نفسي الصبر حتى ألفته * وأسلمني حسن العزاء الى الصبر
وصيرني يأسي من الناس راجيا * لسرعة لطف الله من حيث لا أدري
وأوسع صدري للاذى كره الاذى * وقد كنت أحيانا يضيق به صدري
وقد ييأس الانسان في بعض حاله * ويأتيه لطف الله من حيث لا يدري

ثم نهض غير مرعوب ولا مرهوب فلم يعرف له بعد ذلك خبر ثم اني لقيته بعد سنين بالموقف فتعرفت اليه وقلت له ما شأنك وخبرك بعد ما فارقتنا فقال لما دخلت على الرشيد أمر بمد النطع وجرد السيف وعصب

فدعا عليه من قومه ومن العرب فأرسل صلى الله عليه وسلم رجلا يرده فعاد وأخبره بذلك فندب الناس لقتالهم ولما وصل اليهم عرض عليهم الاسلام فأبوا وحاربوا فاستأصلهم قتلا وأسرا ونهبا واستاق ابلهم وشياههم وكانت الابل ألفين والشياه خمسة آلاف واستعمل عليهم مولاه شقران بضم الشين المعجمة وكان حبشيا واسمه صالح وفي هذه الغزوة كانت قصة الافك (ثم كانت غزوة الحديبية) وما فيها من الصلح وكانت في آخر سنة ست من الهجرة (ثم كانت غزوة خيبر وما فيها) وكانت سنة سبع من الهجرة (ثم كانت غزوة عمرة القضاء) وسرية مؤتة وفتح مكة ودخولها في شهر ذي القعدة من سنة سبع من الهجرة وقيل سنة ثمان (ثم غزوة حنين) ويقال

عيناي وأمر بقتلي فرأى شفتي تتحركان فقال لم تحرك شفتيك لا أم لك فقلت بدعاء علمنيه مولاي فقال أخبرني به فقلت اللهم يا من لا يرد قضاؤه عن كل سلطان منيع ولا يدفع بلاؤه عن كل ذي مجد رفيع يا كاشف الهم عن المأسور والضعيف عند معضل الخطب ودافع الغم عن المضطر اللهيف عند تزايد الكرب أسألك بأجل الوسائل لديك وأقرب الوسائل اليك محمد خاتم النبيين وآل بيته أجمعين أهل طه ويس صلى الله عليه وعليهم أجمعين أن تجعل لي من أمري هذا فرجا ومن محنتي مخرجا انك سميع الدعاء جزيل العطاء فعال لما تشاء قال فتغرغرت عينا الرشيد بالدموع ثم قال حلوا وثاقه وادفعوا اليه مزادا وحلة وألحقوه بأهله فرجعت من فوري ومما أفاده الجلال السيوطي في كتابه الارج في الفرج ان أمير المؤمنين هرون الرشيد لما اشتد غضبه على الامام الشافعي رحمة الله عليه نادى وزيره ليلا وقال اذهب بنفسك الى محمد القرشي فادخل عليه بغير اذن وائتني به على غير رضا قال فذهبت اليه وقد تحققت من أمير المؤمنين هرون الرشيد قتله فدخلت عليه فقلت الرشيد يدعوك فقال في مثل هذا الوقت وبغير اذن قال بذلك أمرت فقام معي الى أن قربت من الدخول وجدته يحرك شفتيه لا أدري ما يقرأ فلما دخل على الرشيد هابه وأجلسه وأكرمه وصرفه آمنا فخرجت عقبه وقلت بالله عليك الا ما أخبرتني بما قلت عند دخولك فوالله ما جئتك الا وأنا أعرف موضع السيف من قفاك فقال الامام رضي الله عنه حدثني فلان عن فلان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أهمه أمر الاحزاب نزل جبريل يعلمه هذه الكلمات فكتبها الوزير وحفظها وجعلها وكان يتعوذ بها وهي هذه اللهم أنت غياثي فبك أغوث وأنت عيادي فبك أعوذ وأنت ملاذي فبك ألوذ يا من ذلت له رقاب الجبابرة وخضعت له أعناق الفراعنة أجرني من خزيك وعقوبتك واحفظني في ليلي ونهاري ونومي وقراري وظعني وأسفاري لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك تنزيها لذاتك وتكريما لسبحات وجهك اكفني شر عبادك وأدخلني في سرادقات حفظك وعنايتك وجد علي بخير يا أرحم الراحمين (وحكي) عن أحمد بن الخطيب عن أبيه وكان من أجل الكتاب قال دخلت يوما على أمي وكان يوم أضحى فرأيت عندها عجوزا في أطمار رثة ولها منظر وبيان فقالت لي أمي سلم على خالتك فقلت ومن هذه قالت هذه عتابة أم جعفر بن يحيى فقلت لا اله الا الله أصار بك الدهر الى ما أرى فقالت يا بني انما كانت الدنيا عارية ارتجعها معيرها وحلة سلبها لابسها فقلت ما أعجب ما لقيت قالت يا بني لقد مر علي أضحى مثل هذا اليوم وعلى رأسي أربعمائة وصيفة وقد ظننت مع ذلك ان ابني عاق لي ثم صرت لكم اليوم أطلب جلدي شاتين أجعل أحدهما دثارا والآخر خمارا فقلت ما أصعب ما رأيت فأنشأت تقول

كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الحساد

ان المصائب تنقضي أيامها * وشماتة الاعداء بالمرصاد

قلت لها ثم ماذا نالت الموت فقلت أودعت الموت فأنشأت تقول

لاتحسبن الموت موت البلا * لكنما الموت سؤال الرجال

كلاهما موت ولكن ذا * أشد من ذاك لذل السؤال

(ولبعضهم) لاتظهرن لعاذل أو عاذر * حاليك في السراء والضراء

فلرحمة المتوجعين حرارة * في القلب مثل شماتة الاعداء

(ولبعضهم أيضا)

أعيالك اسعافي نصرت معنفي * ليت الذي عرف الجميل تجملا

مالي شكوت اليك نار جوانحي * لتكون مطفيها فكنت المشعلا

المصائب جمع مصيبة وهو ما يصيب الانسان من حوادث الدهر ونوازله والشماتة التشفي والبيت الاول من جملة أبيات قالها عبد الله بن محمد بن أبي عيينة يعاتب بها ذات اليمنين منها

من مبلغ عني الامير رسالة * محصورة عندي من الانشاد * كل المصائب قد تمر على الفتى

انها غزوة هوازن وغزوة أوطاس وما وقع فيهما من اعلاء كلمة الله واظهار شوكة الاسلام ومن استشهد فيها من المسلمين (ثم كانت غزوة الطائف) سنة ثمان من الهجرة أيضا ثم عند منصرفه من الطائف قدم عليه كعب بن زهير تائبا مسلما حتى جلس بين يديه صلى الله عليه وسلم وأنشد له قصيدته المشهورة وهي *بانت سعاد فقلبي اليوم متبول* ولما رجع منها الى المدينة أتته وفود العرب وكانت تلك السنة تسمى سنة الوفود ودخل الناس في دين الله أفواجا وقد استوفينا الكلام على ما يتعلق بالغزوات وغيرها في كتابنا المواهب السنية في خير البرية (وفي السنة العاشرة كانت حجة الوداع) وكان معه صلى الله عليه وسلم أربعون ألفا ولم يحج

فتهون غير شماتة الحساد * وأظن لي منها اليك خبيئة * ستكون عند الزاد آخر زاد
مالي أرى أمري اليك كأنه * من ثقله طود من الاطواد

قيل لايوب عليه السلام أي شيء كان في بلائك أشد عليك قال شماتة الاعداء وقال ابن أ كثم لا يفرح بنكبة الانسان الامن لؤم أصله ومما يناسب ذلك ان علي بن عبد الجبار قال رأيت سيدة النساء بنت طولون لعبة من لعب الملوك فقت في ولمتها ما ئة ألف دينار فلم تلبث حتى رأيتها تتعرض للسؤال ببغداد فرآها بعض الاغنياء فعرفها فقال لها أين ما كنت فيه قالت خانتنا الدنيا قال فما تشتهين الآن قالت سل ميعطي طعاما قال لها هذا وكيل خذي منه ما أردت فانصرفت الى منزله فما كان شيء امر لها بعشرة آلاف درهم فقالت رد عليك مالك كان عندنا أكثر منه فما بقي وولت قائلة

دع الدنيا لعاشقها * سيصبح من دناتها * أرى الدنيا وان مدحت
تنص على فضائحها * فلا يغررك رائحة * تصيبك من روائحها

(ومما يحكى) ان جعفرا المصاب نادى هرون الرشيد كل من نعاه أو رثاه فعل به كما فعل به فكف الناس عن ذلك ثم ان اعرابيا كان بالبادية بعيدة وفي كل سنة يأتي بقصيدة لجعفر المذكور فيعطيه ألف دينار جائزة فيأخذها وينصرف ويستمر ينفق منها على قيام أوده الى آخر العام فلما جاء الاعرابي بالقصيدة وجد جعفرا مصلوبا فجاء الى المحل الذي هو مصلوب فيه فاناخ راحلته وبكى بكاء شديدا وحزن حزنا عظيما وأنشد القصيدة ثم أخذه النوم فنام فرأى جعفرا فقال له أتعبت نفسك وجئت فرأيتنا على ما رأيت لكن توجه الى البصرة واسأل عن رجل اسمه كذا من خواجات البصرة وقل له جعفر يقرئك السلام ويقول لك بامارة الفولة اعطني ألف دينار فتوجه الاعرابي الى البصرة فوجد الخواجا فجمعه وبلغه ما قاله جعفر فبكى بكاء شديدا حتى كاد أن يفارق الدنيا ثم انه أكرم الاعرابي وأجلسه عنده وأحسن مثواه ومكث عنده ثلاثة أيام مكرما وأعطاه ألفا وخمسمائة دينار وقال له هذه الالف المأمور لك بها والخمسمائة دينار كرامة مني اليك ولك في كل سنة ألف دينار ما دمت حيا فلما أخذها الاعرابي وأراد الانصراف قال للخواجا بالله عليك الا ما أخبرتني عن أصل الفولة قال له كنت في ابتداء أمري فقير الحال أطوف بالفول الحار أبيعه في شوارع بغداد فخرجت في يوم بارد ماطر وليس على بدني ما يقي البرد فتارة أرعد من شدة البرد وتارة أقع في ماء المطر وأنا في حالة مكربة تقشعر منها الابدان وكان جعفر يجلس في مكان عال مشرف وعنده خواصه ومحاضيه فوقع نظره على فرق لحالي وأرسل أحدني عنده وقال لي بع ما معك من الفول على جماعتي فأخذت أكيل بمكيال كان معي وكل من أخذ كيلة فول يملأها ذهبا فطرغ جميع ما كان معي ولم يبق معي شيء وجمع الذهب صبرة وأخذه ثم قال لي هل بقي معك شيء من الفول ففتشت القفة فلم أجد فيها سوى فولة واحدة فأخذها جعفر وفلقها نصفين وأخذ نصفها وأعطى النصف الثاني لاحدى محاضيه وقال لها بكم تشتري نصف هذه الفولة فقالت بقدر هذه الصبرة قال جعفر وأنا أشتري النصف الثاني بقدر الصبرة مرتين فبهت وبقيت متحيرا في أمري وقلت هذا شيء محال فقال جعفر خذ ثمن فولك فتوقفت فأمر أحد غلمانه فجمع المال جميعا ووضعه في قفتي فأخذته وانصرفت ثم رحلت الى البصرة فاتجرت بما معي من المال فوسع الله على دنياي ولله الحمد والمنة فاذا أعطيتك في كل سنة ألف دينار فهي من بعض احسانه فانظر الى مكارم أخلاق جعفر والثناء عليه حيا وميتا رحمه الله تعالى وأقام هرون الرشيد في الخلافة ثلاثا وعشرين سنة وتسعة عشر يوما ولما جردت المنية سيف الحمام على رأس هرون ومزق ثياب رشد الرشيد ريب المنون وخلعت عنه الخلافة والسلطان وغسلته سحاب الدموع بماء الاجفان رأى مناما انه يموت بطوس فلما وصل الى طوس غلب عليه النوعك فتيقن بالموت وبكى واختار لنفسه مدفنا وقال احفروا لي قبرا في هذا المحل فحفروا له قبرا فقال قربوني الى شفيره فنظر في قبة فسالت عبرته وزادت حسرته وقال يا ابن آدم الى هذا تصير ولا بد من هذا المصير ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه فمات وصلى عليه ابنه صالح والحد في القبر المذكور الثلاث

بعد الهجرة سواها ومات ابنه ابراهيم فيها وبعث عليا الى اليمن بكتاب يدعوهم الى الاسلام فأجابه منهم خلق كثير وأسلمت همذان جميعا في يوم واحد فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم * ثم دخلت سنة احدى عشرة فمرض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لما قدم المدينة أقام بها الى آخر صفر وابتدأه المرض لليلتين بقيتا منه وقبض ضحى يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول في بيت عائشة ودفن ليلة الاربعاء وسط الليل وصلى عليه المسلمون ارسالا ولم يؤمهم أحد وغسله علي والعباس والفضل وقثم واسامة وصالح مولاه وهو شقران ودفن في حجرة عائشة التي مات فيها صلى الله عليه وسلم (وولي بعده أبو بكر) رضي الله

مضين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة

(خلافة محمد الامين بن هرون الرشيد)

بويع له يوم مات والده وكان مليح الصورة أبيض اللون جميلا لكن كان سيّئ التدبير ضعيف الرأى لا يصغى الى قول مشير ولما ولى الخلافة اتخذ اللهو شعارا وشرب الخمر جهارا وخلع العذار فى المدارى واشترى عذيبة المغنية بمائة ألف دينار وأخذ جارية عمه ابراهيم بن المهدى بعشرين ألف دينار وعزل أخاه المؤتمن وخلع أخاه المأمون وكان والده هرون الرشيد عهد له ولاخويه فجعل ولده عبد الله المأمون ولى عهد بعد الامين وولاه عمالات خراسان بأسرها وكتب بذلك صحيفة ووضعها بالكعبة المشرفة وقد عمل بعض الشعراء فى ذلك جملة قصائد من جملتها

أقول قد كان لعهد الرشيد وخلافته * دهرا فاظهر فينا العدل والسننا

وقلد الامر هرون لرأفته * بنا أمينا ومأمونا ومؤتمنا

ثم ان الامين عزم على انتزاع العهد من أخيه عبد الله المأمون وكان اذ ذاك مقيما بخراسان فنهاه عن هذا الغدر حازم بن خزيمة فقال يا أمير المؤمنين الغدر شؤم والناكث مغلوب منكوب ودارت الدائرة بنصر المظلوم فأبى الامين ونبذ كلامه وعمل برأيه السقيم وصمم على ذلك أشد تصميم فكتب الى المأمون يستدعيه ويذكر له حاجته الى لقائه وانه يفاوضه فى أمر مهم عظيم تضيق عنه الكتب وأكد فى تعجيل القدوم عليه وكان للمأمون جواسيس ببغداد فكتبوا اليه ان أخاك يريد تحويل الخلافة عنك الى ولده موسى فأطلع المأمون خواصه على ذلك فأشار واعليه بالثبات وانتظار الفرج والاعتذار الى أخيه عن التخلف فكتب اليه يعتذر بتشعب أهل خراسان وبان يتطاول اليها من ملوك الكفار فلم يقبل عذره وكتب اليه ثانيا يأمره بالقدوم عليه ويخوفه مضرة التهاون فشاور أصحابه فثبتوه على رأيهم وعن مفارقة خراسان فكتب الى الامين عيونه بخراسان ان المأمون قد فطن لما يراد به وانه ممتنع حاذر وان وزراءه قد أجمعوا على نهيه عن مفارقة خراسان فيئس الامين عند ذلك وأمر بالقبض على من فى بغداد من حشم المأمون ووكلائه وأمواله وأرسل أخذ صحيفة البيعة من مكة المشرفة ومزقها ودعا الناس الى خلع المأمون من عهد الخلافة والبيعة لابنه موسى وكان اذ ذاك طفلا فأجابه الناس الى ذلك وبايعوه وسمى موسى الناطق بالحق قال ولم يكن موسى يومئذ ينطق بالحق ولا بالباطل واستكفل له على بن عيسى بن ماهان وكان هذا ولى خراسان قبل هذا فاصطنع فى أهلها جلائل الصنائع وقلد المنن فى أعناق الرجال وكان شأنه بخراسان عظيما ثم استشاره الامين فى أمر خراسان فضمن له ما بيده منها وأخبره انه لو بلغ خراسان لم يختلف عليه منها اثنان فجهزه اليها وأحسن جهازه وولاه كل بلد يقدم عليها وأعطاه أموالا جزيلة وجهز معه جهورا من جنوده وأصحبه بالسلاح والكراع ما شاء وأرسل معه جيشا عدته أربعون ألفا فبلغ المأمون ذلك فاضطرب أمره وعلم عجزه عن مقاومة على بن عيسى فركب يوما الى متنزهه ليجتمع بخواصه ويشاورهم فى أمره فتعرض له شيخ مجوسى من الفرس فاداه مستغيثا به من ظالمه فلما نظر اليه المأمون والى كبر سنه رق له وأمر بحمله على دابة الى الموضع الذى يقصده المأمون فلما استقر به الجلوس أمر بادخال الشيخ عليه فلما دخل عليه أمره بالجلوس فى ناحية من المجلس ثم أقبل على خواصه وعرفهم بما وصل اليه من أخبار الامين وأمرهم بادارة الرأى فأشار كل واحد منهم برأى فقال بعضهم نعتذر الى الامين وننقاد لما يريده وننتظر نصر الله تعالى فيما بين ذلك وقال بعضهم نقصد بعض ممالك الكفار فنفتح تلك المملكة ونتحصن بهم وقال بعضهم نستجير بملك الترك على هذا الغادر القاطع وما زالت الملوك تفعل هكذا فركن المأمون الى ذلك ثم فكر وقال كيف أجعل للترك على حرب المسلمين سبيلا ثم قال قوموا عنى فقاموا فدعا الشيخ الفارسى وقال له ما حاجتك فقال له بالعربية جئت لحاجة فعرض لى ما هو آكد منها اشتغال المأمون وما هو فقال انى دخلت على أمير المؤمنين وأنا غير متصف له بالمحبة ثم ألفيت محبته فى قلبى وقد تظافرت على أيها الامير ثلاث قوى من الرق رق الحب ورق الاصطناع ورق الاتباع فان رأيت ان أقول ما عندى فى ذلك مفوض الى تعيينك فأطرق المأمون فقال له الشيخ أيها الامير لا يصدنك عن حقارة

عنه واسمه عبد الله بن أبى قحافة واسم أبى قحافة عثمان ابن عامر بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب التيمى القرشى يلتقى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مرة بن كعب وأمه سلمى بنت صخر بن سعد بن تيم ابن مرة ماتت مسلمة قيل كان اسم أبى بكر رضى الله عنه عبد الكعبة فسماه النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله ولقبه بعتيق لانه صلى الله عليه وسلم قال من أراد ان ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى أبى بكر وهو أول الرجال اسلاما شهد المشاهد كلها وكان مولده بمكة بعد الفيل بسنتين وأربعة أشهر وأيام وكان أبيض اللون خفيف العارضين ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب هو وعمر بن الخطاب الى

قدر ى فانى برهمى من ولد البرهميين سيد ملوك الفرس والمتوسط بينهما وبين أول الاوائل (فائدة) قال الجيلى فى كتابه الانسان الكامل وأما البراهمة فانهم يعبدون الله مطلقا لا من حيث نبى ولا من حيث رسول بل يقولون ما فى الوجود شئ الا وهو مخلوق لله فهم مقرون بوحدانية الله تعالى فى الوجود ولكنهم ينكرون الانبياء والرسل مطلقا فعبادتهم للحق من نوع عبادة الرسل قبل الانبياء وهم يزعمون انهم أولاد ابراهيم عليه السلام ويقولون ان عندهم كتابا كتبه ابراهيم عليه السلام من نفسه من غير ان يقولوا انه من عند ربه فيه ذكر الحقائق وهى خمسة أجزاء فيبيحون قراءتهم الكل أحد الا الجزء الخامس لا يبيحونه الا للآحاد منهم وقد اشتهر بينهم ان من قرأ الجزء الخامس من كتابهم لا بد ان يؤول أمره الى الاسلام فيدخل فى دين محمد صلى الله عليه وسلم وهذه الطائفة أكثر ما يوجدون ببلاد الهند وثم ناس منهم يغرون بزيهم انهم براهمة وليسوا منهم وهم مقرون بعبادة الاوثان فهم من عبد الوثن ولا يعدون من هذه الطائفة عندهم فقال المأمون أيها الشيخ ان انتقلت من ملتك الى ملتنا أحققت لشعارها فقال الشيخ ان الباعث من نفسى الى ذلك شديد ولا أفعله الآن ولعلى أفعله فيما بعد فقال له المأمون قد سمعت كلام الوزراء فان كان عندك رأى فتكلم فقال كل منهم مجتهد فى الاصابة ولست أرضى شيأ مما ذهبوا اليه وانى أجد فى الحكم التى أخذها آبائى من آبائهم انه ينبغى للعاقل اذا دهمه ما لا قبل له به ان يسلم نفسه بالتسليم لاحكام واهب العقل وقاسم الحظوظ ولا يضيع مع ذلك نصيبه من الدفاع بحسب طاقته فانه ان لم يحصل على الظفر حصل على العذر فقال له المأمون انه كان يقال لا رأى لكذوب وقد سمعت أنفسنا لك بالثقة والطمأنينة من غير امتحان وما ذاك الا انا نختار اصابة الحزم ولكننا أحببنا ان نذيقك ثمرة حبنا بالمكاشفة الدالة على القبول وها نحن نخبرك ان هذا المتوجه الينا وهو على بن عيسى لا يمكننا مقاومته لانه أملك منا للبلاد والاموال والرجال فقال الشيخ ينبغى أن تجعل هذا من نفسك بالكناية وان تصغى لما أنطق به فانه يقال ما كثر من كثرة البغى ولا أقوى من قواه الظالم ولا ملك من ملكه الغضب وها أنا أحدثك حديثا ان حذوت مثاله نلت مناله فقال المأمون هات فقال ان اخشنوار ملك الهياطلة لما أسر فيروز بن يزدجرد ملك الفرس وأراد اطلاقه أخذ عليه عهد الله انه لا يغزوه ولا يقصده بمكروه ثم جعل فى أقصى تخوم الهياطلة صخرة وحلف فيروز انه لا يتجاوزها بجيش ولا بعسكره كانه جعلها حدا ثم أطلقه فرجع فيروز الى دار ملكه فلما استقر عزم على الغدر وان يغزو اخشنوار وأطلع وزراءه وخاصته على ذلك فحذروه الغدر وخوفوه عاقبة البغى فما ردعه ذلك ولا زجره فذكروه ايمانه وعهوده التى حلف بها لاخشنوار وانه لا يتعدى تلك الصخرة فقال لهم انا عاهدته ان لا أتجاوزها وأنا آمر بحملها على فيل بين يدى الجيوش فلا يتجاوزها أحد منهم فلما علموا ان الغدر والبغى تمكنا منه أمسكوا عنه وأجمعوا أن لا يراجعوه فى ذلك قال فجمع فيروز مرازبته وهم أربعة تحت يد كل واحد منهم خمسون ألفا مقاتلين وأمرهم بالتجهيز لحرب الهياطلة فساروا بين يدى فيروز وهو فى جنود لا يطاق لها غالب وكان اخشنوار يضعف عن مقاومة فيروز وعن مرزبان من مرازبته فلما توجه له ساخطا دينهم قال له لا تفعل أيها الملك فان رب العالمين يمهل الملوك على الجور ما لم يأخذوا فى هدم أركان الدين فلا تتعرض لهم بشئ فلم يلتفت فيروز الى مقالته ثم قال الشيخ فسار فيروز بجنوده حتى انتهى الى تلك الصخرة وحملها على فيل عظيم وسيرها بين يدى الجيوش فتابعه يسيرا حتى أتاه الخبر ان بعض أساورته قتل رجلا ظلما وجاء أخو المقتول مستغيثا من قاتل أخيه فأمر له فيروز بمال عظيم ليصالح عن القتيل فقال لا أرضى الا بقتل قاتل أخى فأمر فيروز بطرده فطردوه فجاء الى ذلك الاسوار فحمل عليه ليقتله فحرك الاسوار فرسه هاربا وانتهى خبره الى فيروز فتعجب كيف فر منه فجاءه أفضل وزرائه ونزل عن دابته وأخبره أنه يحتاج الى الخلوة معه فضرب بشلة قبة فى ذلك المكان وخلا بوزيره فقال الوزير أيها الملك السعيد ملكت الاقاليم السبعة وعمرت عمر الملوك الماضية ولقد ظهرت عناية الرب الاعلى لما ضرب لك من المثل فى أمر هذا الاسوار العظيم الذى تحته ألوف من الجند فهرب من بين يدى هذا المسكين مع ضعفه وقلة ناصره وما ذاك الا لبغيه وتعديه فقال الملك انه لم يظهر لعجزه عنه بل

سقيفة بنى ساعدة من الانصار يتشاورون فى أمر الخلافة فوقع بينهم كلام كثير حتى قال بعض الانصار منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش وكثر اللغط وارتفعت الاصوات فقال عمر لابى بكر ابسط يدك فبسط يده فبايعه ثم بايعه المهاجرون ثم الانصار قال ابن اسحق ولما كان اليوم الثانى من السقيفة صعد أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه المنبر فقام عمر فتكلم قبل أبى بكر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس ان الله قد أبقى فيكم كتابه الذى هدى الله به رسوله فان اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه الله وان الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانى اثنين اذ هما فى الغار فقوموا فبايعوه فبايع الناس أبا بكر مبايعة عامة

خلوقهمنا وعقوبتنا فقال الوزير برهان قولي يظهر في مبارزة الاسوار المسكين فادعه الى ذلك فدعا الاسوار وأمن المسكين وقال له أرأيت لو أمرتك بمبارزة الاسوار فقتلته أترضى به في دم أخيك وان قتلك ذهب دمك هدرا قال نعم دعوني واياه فانه على فرس الغرور ولابس درع التكبر مقاتل بسيف البغي وأنا على فرس البصيرة لابس درع التقية مقاتل بسيف الحق فقال الوزير ان كلام هذا المسكين أبلغ في الموعظة والظفر ثم تقدم كل منهما الى صاحبه وليس مع المسكين سوى خنجر فسبق سيف الاسوار الى المسكين فأثر فيه أثرا يسيرا فقبض على الاسوار وجذبه اليه ورماه الى الارض ومال عليه فذبحه بالخنجر فقال الوزير أيها الملك هذا مثل ضربه لك رب العالم فبات فيروز مكانه يدبر أمره في رجوعه أو ذهابه ثم انه انقاد لهواه وكان يقال الهوى كالنار اذا استحكم ايقادها عسر اخمادها (فائدة) تعريف الهوى هو ميل النفس الى الشهوة حلالا أو حراما وقال بعض العلماء الهوى أنواع وهو شئ يحدثه النظر أو السمع فيخطر بالبال ثم ينمو فيقوى فيصير محبة قال الشيخ ولما بلغ الخنشوار قصد فيروز له ثبت في أمره ووكله الى الرب الاعلى ثم ان فيروز انتهك حرمة الخنشوار ووطئ بلاده وأغار على أرضه وساء شره على رعيته ولما وصل الى مقعد الخنشوار نزل اليه واستعان عليه بالرب الاعلى فانكسر فيروز وانهزم فاستولى الخنشوار على جميع أمواله ورجاله فغنم الاموال وقتل الرجال وجد في طلب فيروز حتى ظفر به وأسر أهل بيته وحاشية مملكته فلما سمع المامون كلام الشيخ سر بذلك وقال ان كل سر وري عاد عوني اليمن الايمان والتوحيد مصادفة التلف قبولا فقال أما أنا الآن فنعم أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فأكرمه المامون وخلع عليه وأرسل المامون طاهر بن الحسين الى على بن عيسى فالخروجه أخذ في كمه دراهم يطرقها على الضعفاء فسهاو أسبل كمه فتبددت الدراهم فتطير من ذلك فقال الشاعر

هذا تبدد شمله لا غيره * وذهابه فيها ذهاب الهم

شئ يكون الهم نصف حروفه * لا خير في امساكه في الكم

فتفاءل بذلك وخرج لقتال على بن عيسى ومعه أربعة آلاف فقاتلوهم فانهزم على بن عيسى وقتل وذبح وتشتت عساكره وجاء ابن طاهر برأس على بن عيسى الى المامون كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله فقوى قلب المامون وكثر اتباعه وجمع الجموع وسار الى بغداد لقتال أخيه الامين ولا زال المامون يحسن تدبيره ويضعف أمر الامين الى أن حوصر الامين في بغداد وتفرقت جنوده وهربوا الى المامون قال محمد بن راشد أخبرني ابراهيم بن المهدي انه كان مع الامين لما حوصر قال طلبني الامين في ليلة مقمرة فقال ما ترى في حسن هذه الليلة وضوء هذا القمر فاشرب معي نبيذا فقلت نعم ثم سقاني وطلب جارية تغنيه اسمها ضعف فتطير منها وتشاءم فغنت بشعر النابغة الجعدي فقالت

كليب لعمري كان أكثر ناصرا * وأيسر ذنبا منك ضرج بالدم

فتطير من ذلك وقال لها غني غير هذا البيت فغنت

أبكي فراقهم يوما فارقني * ان التفرق للاحباب بكاء

ما زال يعدو عليهم ريب دهرهم * حتى تفانوا وريب الدهر عداء

فقال لها العنك الله أما تعرفين غير هذا البيت فقالت

أما ورب السكون والحرك * ان المنايا كثيرة الشرك * ما اختلاف الليل والنهار ولا

دارت نجوم السماء في الفلك * الا لنقل من دولة رحلت * قد زال سلطانه الى ملك

سلطان ذي العرش دائما أبدا * ليس بفان ولا بمشترك

فقال لها قومي لعنك الله فعثرت في كاس بلور فكسرته فازداد تطيره فقال يا ابراهيم ما أظن أمري الا قد اقترب واذا بصوت سمعناه من الشارع يقول قضي الامر الذي فيه تستفتيان فقتل الامين وحز رأسه وطيف به في بغداد ونودي عليه هذا رأس المخلوع الى ان سكنت الفتنة وتم على الامين ما تم وكان ذلك على أمه زبيدة أشر ما تم وزبيدة بنت جعفر بن المنصور وكان جدها المنصور يرقصها وهي طفلة ويقول لها أنت زبيدة

بعد بيعة السقيفة الخاصة ثم تكلم أبو بكر على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (أما بعد) أيها الناس فاني قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فاعينوني وان أسأت فقوموني الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف منكم قوي عندي حتى آخذ له حقه والقوي منكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ان شاء الله تعالى أطيعوني ما أطعت الله فاذا عصيت الله تعالى فلا طاعة لي عليكم قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله وسمي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فولي عامين وثلاثة أشهر وثمانية أيام (وولي بعده عمر بن الخطاب) باستخلاف أبي بكر رضي الله عنه وهو أول من دعي أمير المؤمنين وأول من كتب التاريخ وأول من أشار على أبي بكر

فاشتهرت بها وكانت من الخيرات ولها ما ثر الى الآن منها اجراء عين حنين الى مكة وهو واد تقبل الامطار بين جبال سود عاليات خاليات من المياه والنبات فنقبت زبيدة الجبال الى ان سلكت الماء من أرض الحل الى أرض الحرم وأنفقت على عملها ألف ألف وسبعمائة ألف مثقال من الذهب فلما تم عملها اجتمع المباشرون والعمال لديها وأخرجوا دفاترهم لاخراج حساب ما صرفوه ليخرجوا من عهدة ما تسلموه وكانت في قصر عال مشرف على الدجلة فاخذت الدفاتر منهم ورمتها في الدجلة وقالت تركنا الحساب ليوم الحساب فمن فضل عنده شئ فهو له ومن بقي له شئ أعطيناه والبستهم الخلع رحمها الله تعالى وأسكنها الفردوس في أعلى عليين (حديث عجيب) قال الجوهري في قولهم أشأم من طويس وهو مخنث بالمدينة كان يقول يا أهل المدينة توقعوا خروج الدجال ما دمت حيا بين ظهرانيكم فاذا مت فقد أمنتم لاني ولدت في الليلة التي مات فيها النبي صلى الله عليه وسلم وفطمت في اليوم الذي مات فيه أبو بكر رضي الله عنه وبلغت الحلم في اليوم الذي قتل فيه عمر رضي الله عنه وتزوجت في اليوم الذي قتل فيه عثمان رضي الله عنه وولد لي ولد في اليوم الذي قتل فيه علي رضي الله عنه وكان اسمه طاوسا فلما تخنث جعلوه طويسا وسمي بعبد النعيم وقال في نفسه

انني عبد النعيم * ثم طاوس الجحيم وأنا أشأم من يمشي على ظهر الحطيم
أنا خاء ثم لام * ثم قاف حشو ميم

أي ثم حشو ميم وحشو الميم الياء فكأنه قال أنا خلقي أشأم الناس وحكى الامام مالك عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان يكن الخير في شئ ففي ثلاث المرأة والدار والفرس وفي مسند أبي داود الطيالسي عن عائشة أنه قيل لها ان أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشؤم في ثلاث المرأة والدار والفرس فقالت عائشة رضي الله عنها لم يحفظ أبو هريرة لانه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قاتل الله اليهود يقولون الشؤم في ثلاث الدار والمرأة والفرس فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله قال جماعة من العلماء شؤم الدار ضيقها وشؤم جيرانها واذاهم وشؤم المرأة عدم ولادتها وسلاطة لسانها وتعرضها للريب قال الامام علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحور وأجمع وعذاب النار امرأة السوء وشؤم الفرس ان لا يغزو عليها وقيل حرانها وغلاء ثمنها وشؤم الخادم سوء خلقه وقلة تعهده لما فوض اليه وقيل المراد بالشؤم عدم الموافقة * (فائدة) * الايام النحسة في كل شهر سبعة وهي اليوم الثالث من الشهر فيه قتل قابيل هابيل اليوم الخامس فيه أخرج الله آدم من الجنة وفيه أرسل الله العذاب على قوم يونس وفيه طرح يوسف في الجب اليوم الثالث عشر فيه سلب الله ملك أيوب وأرسل الله عليه البلاء وفيه سلب ملك سليمان وفيه قتلت اليهود الانبياء اليوم السادس عشر فيه خسف الله بقوم لوط وفيه مسخ ثلثمائة نصراني وجعلوا خنازير ومسخت اليهود قردة وفيه شقت اليهود زكريا بالمنشار اليوم الحادي والعشرون فيه ولد فرعون وفيه أغرق وفيه أرسل على قوم فرعون الآيات وهي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم اليوم الرابع والعشرون فيه شق النمرود بطان سبعين امرأة وطرح الخليل عليه السلام في النار وفيه عقرت ناقة صالح اليوم الخامس والعشرون فيه أرسلت الريح العقيم على قوم هود * ضابط الايام النحسة من كل شهر ما قاله الشاعر

محبك يرعى هواك فهل * تعود ليال بضد الامل
فما كان نقطا بدا نحسه * وما كان همل فسعد حصل

أقام الامين في الخلافة أربع سنين وثمانية أشهر وكان قتله في المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة من الهجرة النبوية

(خلافة عبد الله المأمون بن هرون الرشيد)

أمه جارية تسمى مراجل من جواري المطبخ ماتت في نفاسها وحكايتها مشهورة مع زبيدة وكانت زبيدة قد استولت على عقل الرشيد تتصرف فيه كيفما تحب وتريد بويع له بالخلافة بعد قتل أخيه وكان من أحسن رجال بني العباس حزما وعلما وفراسة وفهما سمع الحديث على جماعة وبرع في فنون التاريخ

بجمع القرآن في المصحف وجمع الناس في قيام شهر رمضان ولما أسلم نزل جبريل وقال يا محمد استبشر أهل السماء باسلام عمر وبويع له بالخلافة بعد موت أبي بكر لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ولما دفن أبو بكر صعد المنبر فجلس دون مجلس أبي بكر ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم وخطب خطبة بليغة وله فضائل كثيرة منها جريان النيل بكتابه الذي أرسله الى عمرو بن العاص لما افتتح مصر وكانت عادته أنه لا يجري حتى يلقوا جارية بكرا بأخذونها من أبويها ويجعلون لها الحلي والثياب ويلقونها فيه في تلك السنة أخبروا عمرو بن العاص بذلك فلم يرض بعادتهم وقال لا يكون هذا في الاسلام

والادب واعتنى بالعلوم الفلسفية وعلوم الاوائل (حكى) انه افتتح مدينة من مدائن النصارى فبلغه أن بكنيستها كتب اليونان فطلبها من النصارى فتوقفوا في اعطائها وراجعوا رهبانهم وعلماء ملتهم فأشاروا عليهم بارسالها وقالوا لهم ما دخلت كتب اليونان في ملة الا وأفسدتها فلما وصلت اليه عربها واشتغل بها فضل وأضل وحمل الناس بالقول بخلق القرآن ولولا ذلك لكان من أكمل الخلفاء وكان يضرب به المثل

* ذكر العلامة ابراهيم الاندلسى ثم الدمشقى فى كتابه الكوكب الوهاج أن ابراهيم بن المهدى وهو أخو هرون الرشيد لما آل الامر الى ابن أخيه المامون لم يبايعه وذهب الى الرى وأقام بها وادعى الخلافة لنفسه وأقام مالكها سنة واحدة واحد عشر شهرا واثنى عشر يوما وابن أخيه المامون يتوقع منه العود الى الطاعة والانتظام فى سلكه فلما أيس من عوده الى الطاعة ركب بخيله ورجله ودخل الرى فى طلب عمه فما وسعه الا انه اختفى خوفا على دمه فجعل المامون لمن دل عليه مائة ألف دينار وقال ابراهيم فخفت على نفسى وتحيرت فى أمرى فخرجت من دارى وقت الظهيرة وأنا لا أدرى أين أتوجه فجئت الى بغداد فدخلت شارعا غير نافذ فرأيت فى صدر الشارع عبدا أسود قائما على باب داره فتقدمت اليه وقلت له هل عندك موضع أقيم فيه ساعة فقال نعم وفتح لى الباب فدخلت الى بيت نظيف ثم انه بعد أن أدخلنى أغلق الباب ومضى فتوهمت انه سمع الجعالة فى وانه خرج يدل على فبقيت كالحب على النار وأنا متفكر فى أمرى فبينما أنا كذلك اذ أقبل ومعه حمال عليه كل ما يحتاج اليه ثم التفت الى وقال جعلنى الله فداك أنا رجل حجام وأنا أعلم انك متقزز منى وشأنك بما لم تقع عليه يدى قال ابراهيم وكان لى حاجة الى الطعام فطبخت لنفسى قدرا ما أذكر انى أكلت مثلها فلما قضيت أمرى من الطعام قال لى ليس من قدرى أن أحادثك فان رأيت أن تشرف عبدك فلك علو الرأى قال ابراهيم فقلت وأنا أظن انه لم يعرفنى ومن أين لك انى أحسن المسامرة فقال يا سبحان الله مولانا أشهر من ذلك ألست سيدى ابراهيم المهدى الذى جعل المامون لمن دل عليك مائة ألف دينار قال ابراهيم فلما قال لى ذلك عظم فى عينى وتثبتت مروأته عندى فوافقته على بغيته منى ومر بخاطرى فراق أهلى وولدى فقلت

وعسى الذى أهدى ليوسف أهله * وأعزه فى السجن وهو أسير
أن يستجيب لنا فيجمع شملنا * والله رب العالمين قدير

قال فلما سمع ذلك منى قال يا سيدى أتأذن لى أن أقول ما سنح بخاطرى فقلت له هات فقال

شكونا الى أحبابنا طول ليلنا * فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا
وذاك لان النوم يغشى عيونهم * سريعا ولا يغشى لنا النوم أعينا
اذا ما دنى الليل المضر بذى الهوى * جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا
فلو انهم كانوا يلاقون مثل ما * نلاقى لكانوا فى المضاجع مثلنا

قال ابراهيم فوالله لقد حسنت بالبيت فدسار وذهب عنى كل ما كان من الجزع ثم قال بعد أن سألته

تعيرنا أنا قليل عدادنا * فقلت لها ان الكرام قليل * وما ضرنا أنا قليل وجارنا
عزيز وجار الاكثرين ذليل * وانا أناس لا نرى الموت سبة * اذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول

قال ابراهيم ما عناه قد داخلنى من الفكرة فى نفاسة هذا الحجام وحسن أدبه وظرفه ثم أخرجت خريطة كانت صحبتى فيها دنانير لها قيمة فرميت بها اليه وقلت الله استودعك فانى ماض من عندك واسألك أن تصرف ما فى هذه الخريطة فى بعض مهماتك ولك عندى المزيد ان أمنت من خوفى قال ابراهيم فأعاد الخريطة على وقال يا سيدى ان الصعاليك منا لا قدر لهم عندكم وآخذ على ما وهبنيه الزمان من قربك وحلولك عندى غناوالله لئن راجعتنى فى ذلك قتلت نفسى قال ابراهيم فأعدت الخريطة الى كمى وقد أثقلنى حملها فلما انتهيت الى باب داره قال لى يا سيدى ان هذا المكان أخفى لك من غيره وليس فى مؤنتك ثقل فأقم عندى الى أن يفرج

والاسلام يهدم ما قبله فمكث النيل لا يخرج شهر بؤنة وأبيب ومسرى حتى هم أهل مصر بالرحيل منها فلما رأى عمرو بن العاص ذلك كتب الى عمر بن الخطاب يخبره بذلك فكتب اليه بطاقة صغيرة وأمره أن يلقيها فى النيل فأخذها عمرو وقرأها فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الى نيل مصر أما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجرى وان كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسئل الله الواحد القهار أن يجريك فألقى عمرو البطاقة فى النيل قبل الصليب بيوم واحد فلما أصبحوا يوم الصليب أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة وقطع الله تلك العادة السيئة عن أهل مصر وفى خلافته فتحت

اقه منك فرجعت وسألته أن ينطلق من تلك الحجرة ففعل فأقمت عنده أياما على تلك الحالة فضجرت من الاقامة وتزييت بزى النساء بالخف والنقاب فخرجت فلما صرت فى الطريق داخلنى من الخوف أمر شديد وجئت لأعبر الجسر فاذا أنا بموضع مرشوش بماء فبصر بى جندى ممن كان يخدمنى فعرفنى وقال هذه حاجة المأمون فتعلق بى فدفعته وفرسه فرميتهما فى ذلك الزلق وصار عبرة وتبادرت اليه الناس فاجتهدت فى المشى حتى قطعت الجسر فدخلت شارعا فوجدت باب دار وامرأة فى دهليزه فقلت ياسيدة النساء احقنى دمى فانى رجل خائف فقالت لا بأس عليك وأطلعتنى الى غرفة وفرشت لى وقدمت لى طعاما وقالت ليهدأ روعك فبينما هى كذلك واذا بالباب قد دق دقا عنيفا فخرجت وفتحت الباب واذا بصاحبى الذى أوقعته على الجسر وهو مشدود الرأس ودمه يجرى على ثيابه وليس معه فرس فقالت ياهذا مادهاك فقال ظفرت بالفتى وانفلت منى وأخبرها بالحال فأخرجت خرقة وعصبت بها رأسه وفرشت له ونام عليلا وطلعت الى وقالت أظنك صاحب القضية فقلت نعم فقالت لا بأس عليك ثم جددت لى الكرامة فأقمت عندها ثلاثة أيام ثم قالت انى خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع عليك فينم عليك فانج بنفسك فسألتها المهلة الى الليل فقالت فلما دخل الليل لبست زى النساء وخرجت من عندها فأتيت بيت مولاة كانت لنا فلما رأتنى بكت وتوجعت وحمدت الله على سلامتى وخرجت كأنها تريد السوق للاهتمام بالضيافة فما شعرت الا بابراهيم الموصلى فى خيله ورجله والمولاة معه حتى سلمنى اليه فرأيت الموت عيانا وحملت بالزى الذى أنا فيه للمأمون فجلس مجلسا عاما وأدخلنى عليه فلما دخلت عليه سلمت عليه بالخلافة فقال لا سلم الله عليك ولا حياك فقلت على رسلك يا أمير المؤمنين ان ولى الثار محكم فى القصاص والعفو أقرب للتقوى وقد جعلك الله فوق كل ذى عفو كما جعل ذنبى فوق كل ذنب فان تأخذ فبحقك وان تعف فبفضلك ثم قلت

ذنبى اليك عظيم * وأنت أعظم منه

فخذ بحقك أولى * واصفح بحلمك عنه

ان لم أكن فى فعالى * من الكرام فكنه

قال ابراهيم فرفع المأمون رأسه فبادرته وقلت

أتيت ذنبا عظيما * وأنت للعفو أهل

فان عفوت فمن * وان جزيت فعدل

وفى المعنى أيضا قول الشريف على العقيلى

ياظالما عنى بعتاب كاد يقتلنى * لولم أكن لا أبادر عامن الامل

اخلع على جديدا من ندالك فقد * رقعت بالعذر ماخرقت بالزلل

وفى المعنى أيضا قال أيضا بعض المحدثين

فان عاقبتنى بسوء فعلى * وماظلمت عقوبة مستقيد

وان تعفو فاحسان جديد * دعوت به الى شكر جديد

قال فرق المأمون واستروحت رائحة الرحمة منه ثم أقبل على ابن عمه وأخيه أبى اسحق وعلى جميع من حضر من خاصته وقال ماترون فى أمره فكل أشار بقتلى الا أنهم اختلفوا فى القتلة كيف هى فقال المأمون لأحمد ابن خالد ماتقول ياأحمد فقال ياأمير المؤمنين ان قتلته وجدنا مثلك قتل مثله وان عفوت عنه فما وجدنا مثلك عفا عن مثله فنكس المأمون رأسه وأنشد متمثلا

قومى هم قتلوا أميم أخى * فاذا رميت يصيبنى سهمى

وفى المعنى

ان الكريم اذا تمكن من أذى * جاءته أخلاق الكرام فأقلعا

وترى اللئيم اذا تمكن من أذى * يطغى فلا يبقى لصلح موضعا

قال ابراهيم فكشفت المقنعة عن رأسى وكبرت تكبيرة عظيمة وقلت عفا والله أمير المؤمنين قال لا بأس عليك ياعم فقلت ذنبى ياأمير المؤمنين أعظم من أن أتفوه معه بعذر وعفوك أعظم من أن أنطق معه بشكر ولكن أقول

ان الذى خلق المكارم حازها * فى صلب آدم للامام السابع

مصر ودمشق والبصرة وبعلبك وحمص وهرب هرقل من انطاكية الى قسطنطينية (وولى بعده عثمان بن عفان) وكنيته أبو عمرو بعد ثلاثة أيام من وفاة عمر بحكم الشورى فبقى والياثنى عشر عاما كاملة غير عشرة أيام وقتل سنة خمس وثلاثين فى ذى الحجة وله فضائل كثيرة منها تجهيز جيش العسرة بثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وكان يطعم الناس طعام الامارة ويدخل بيته يأكل الزيت والخل وكان على مصر فى مدة خلافته عبد الله ابن أبى سرح وذلك انه خلع عمرو بن العاص وولى عبد الله على مصر فأقام على ولايته الى ان مات فى سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة فكانت مدة ولايته على مصر اثنتى عشرة سنة (ثم ولى بعده على بن أبى

ماتت قلوب الناس منك مهابة * والكل تكلؤهم بقلب خاشع
ما ان عصيتك والغواة تمدني * أسبابها الا بنية طامع
وعفوت عمن لم يكن عن مثله * عفو ولم يشفع اليك بشافع
ورحمت أطفالا كأفراخ القطا * وحنين والدة بقلب جازع

فقال المأمون لا تثريب عليك اليوم قد عفوت عنك ورددت عليك مالك وضياعك فقلت

رددت مالي ولم تبخل علي به * وقبل ردك مالي قد حقنت دمي
فلو بذلت دمي أبغي رضاك به * والمال حتى أسل النعل من قدمي
ما كان ذاك سوى عارية رجعت * اليك لو لم تعرها كنت لم تلم
فان جحدتك ما أوليت من نعم * انى الى اللؤم أولى منك بالكرم

فقال المأمون ان من الكلام درا وهذا أحسنه وخلع عليه وقال يا عم ان أبا اسحق والعباس قد أشارا بقتلك فقلت انهما نصحا لك يا أمير المؤمنين ولكن أتيت بما أنت أهله ودفعت ما خفت بما رجوت فقال المأمون حقدوا منك بحياة عذرك وقد عفوت عنك ولم أجرعك مرارة الشامتين ثم ان المأمون سجد طويلا ثم رفع رأسه وقال يا عم أتدري لماذا سجدت فقلت شكرا لله الذي ظفرك بعدو دولتك فقال ما أردت ذلك ولكن شكرا لله الذي ألهمني العفو عنك قال ابراهيم فشرحت له صورة أمري وما جرى لي مع الحجام والجندي والمرأة والمولاة التي نمت علي فأمر المأمون باحضار المولاة وهي في دارها تنتظر الجائزة فقال لها ما حملك على ما فعلت مع سيدك فقالت الرغبة في المال فقال لها هل لك ولد أو زوج فقالت لا فأمر بضربها مائتي سوط وخلدها في السجن ثم قال احضروا الجندي وامرأته والحجام فأحضروا وسأل الجندي عن السبب الذي حمله على ما فعل فقال للرغبة في المال فقال المأمون يجب أن تكون حجاما ووكل به من يلزمه الجلوس في دكان حجام ليعلمه الحجامة وأكرم زوجة الجندي وأدخلها القصر وقال هذه امرأة عاقلة تصلح للمهمات ثم قال للحجام قد ظهر من مروءتك ما يوجب المبالغة في اكرامك وسلم اليه دار الجندي بما فيها وخلع عليه وأمر له برزق الجندي وزيادة ألف دينار * حدث محمد الرصافي قال كنت أحد من وقعت عليه التهمة أيام الواثق بمال مصر فطلبني السلطان طلبا شديدا حتى ضاقت علي الأرض برحبها فخرجت من البلاد من دار الى دار لا أعرف ربائع الدار أعوذ به وأنزل عليه حتى انتهيت الى بني شيبان بن ثعلبة فجئت الى بيت مشرف بظاهر رابية والى جانبه فرس مربوط ورمح مركوز يلمع سنانه [illegible] وتقدمت فسلمت على أهل الخباء فردت علي السلام امرأة من وراء السجف ورمقتني من خلال الستور بعيون كعيون الخشاف الظباء فقالت أحد ... أهل اطمئن يا حضري فقلت كيف يطمئن المطلوب أو يأمن المرعوب وقد ما يجوب من السلطان طالبه والخوف غالبه دون أن يأوي الى جبل يعصمه أو معقل يمنعه فقالت يا حضري لقد ترجم لسانك عن قلب صغير وذنب كبير قد نزلت بفناء بيت لا يضام فيه أحد ولا يجوع فيه كبد ما دام لهذا الحي سيد أو لبد هذا بيت الاسود بن قنان أخي كليب وأعمامه شيبان صعلوك الحي في ماله وسيدهم في فعاله لا ينازع ولا يدافع له حفظ الجوار وموقد النار وطالب الثار فقلت الآن ذهبت عني وحشتي وسكنت روعتي فانى لي به قالت يا جارية اخرجي فنادي مولاك فخرجت الجارية فما لبثت الا هنيهة حتى جاءت وهو معها في جمع من بني عمه فرأيت غلاما حين اخضر شاربه واختط عارضه فقال أي القادمين علينا فبادرت المرأة فقالت يا أبا مرهف هذا رجل نبت به أوطانه وازعجه سلطانه وأوحشه زمانه وقد أحب جوارك ورغب في ذمتك وقد ضمنا له ما يضمن مثلك فقال بل الله فاك ثم أخذ بيدي وجلس وجلست ثم قال يا بني أبي وذوي رحمي أشهدكم ان هذا الرجل في ذمتي وجواري فمن أراده فقد أرادني ومن كاده فقد كادني وما يلزمني في أمره من الحال الا ويلزمكم مثله فيسمع الرجل منكم ما يسكن اليه قلبه وتطمئن اليه نفسه فما رأيت جوابا قط أحسن من جوابهم اذ قالوا بأجمعهم ما هي بأول منة مننت بها علينا ولا يد بيضاء طوقتنا بها وما زال أبوك قبلك في بناء الشرف لنا ودفع الذم عنا فهذه أنفسنا وأموالنا بين يديك ثم ضرب لي قبة الى جانب بيته فلم أزل لعزيز أمنها حتى سمح لي السلطان بما أملت وعفا عني فانصرفت الى أهلي (وحكي) عن

طالب رضي الله عنه) سنة خمس وثلاثين من الهجرة فانه لما قتل عثمان اجتمع الناس من المهاجرين والانصار على علي رضي الله عنه وقالوا لابد لنا من امام وأنت أحق بها فقال لهم لا حاجة لي في امرتكم فمن اخترتموه رضيته فقالوا نختارك فقال اذا كان ولابد فان بيعتي لا تكون خفية فخرج الى المسجد وبايعه الناس ورحل من المدينة الى الكوفة واستقر بها وكانت مدة خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام وقتل غيلة في الكوفة سنة أربعين من الهجرة في شهر رمضان وله من العمر ثلاث وستون سنة وكان الوالي على مصر في مدة خلافته قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الانصاري تولى عليها سنة ست وثلاثين من الهجرة وأقام على

المأمون انه خرج يوما للتنزه فبينما هو يسير اذ رأى صبية على كتفها قربة وقد أثقلتها وهي تنادي يا أبت أدرك فاها فقد غلبني فوها لا طاقة لي بفيها فتعجب المأمون من فصاحتها على صغر سنها وقال لها هل تعرفين من العربية شيأ قالت أولست من العرب قال فمن أيها قالت من اليمن قال فمن أيها قالت من قضاعة قال فمن أيها قالت من كلب قال فانك من كلاب قالت لا ولكن فربها يدعى كلبا قالت أما أنا فقد سألتني عن حسبي ونسبي فأجبتك ولكن ممن تكون أنت قال ممن تبغضه اليمن كلها قالت فاذا أنت من مضر فمن أيها قال ممن تبغضه مضر كلها قالت فاذا أنت من قريش فمن أيها قال ممن تبغضه قريش كلها قالت فاذا أنت من بني هاشم فمن أيها قال ممن تحسده بنو هاشم كلها قالت فاذا أنت المأمون ورب الكعبة ثم وثبت قائمة وأنشدت تقول

مأمون ياذا المنن الشريفه * وصاحب المرتبة المنيفه * وقائد العساكر الكثيفه
هل لك في أرجوزة لطيفه * أطرف من فقه أبي حنيفه * لا والذي أنت له خليفه
ما ظلمت في حيها ضعيفه * عاملنا يأكلون خطيفه
اللص والتاجر في قطيفه * والذئب والنعجة في سقيفه

قال فتعجب المأمون من حسن بديهتها على صغر سنها فقال أيما أحب اليك مائة ألف درهم مؤجلة أم عشرة آلاف معجلة فقالت المائة ألف المؤجلة لأنك الملي لها الوفي بها فأعطاها المائة ألف فأخذتها وانصرفت (ومما يحكى) ان المأمون رأى رؤيا في منامه فنسيها فأصبح مستوحشا فأحضر الكرماني المعبر وقال رأيت رؤيا فأنسيتها فقال نعم يا أمير المؤمنين رأيت كأنك طلعت الى جبل عال ونزلت الى صحراء واسعة ومررت الى بئر مالحة ثم مررت الى جبل فيه كهفان ثم مررت الى بئر عذبة ونزلت الى أجمة قصب فانتبهت وأنت تقول لا اله الا الله قال له المأمون صدقت من أين عرفتها قال لما وقعت عيني عليك وضعت يدك على رأسك ثم أمررتها على وجهك ولحيتك فقلت أشهد أن لا اله الا الله فقلت الرأس رأس جبل عال والجبينان صحراء واسعة والعينان بئر مالحة والانف جبل بين كهفين والفم بئر عذبة واللحية أجمة قصب فانتبهت وأنت تقول لا اله الا الله (وروى) عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الرؤيا لاول عابر وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تقصها الا على حبيب أو لبيب وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فاذا حلم أحدكم حلما يخافه فليبصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرها فانها لا تضره (وروى) ان الرؤيا قد تتأخر الى اثنين وعشرين سنة ويعضد ذلك ان سيدنا يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام رأى الرؤيا وهو ابن سبع عشرة سنة واشتراه العزيز في تلك السنة ولبث في منزل العزيز ثلاث عشرة سنة ومكث في السجن سبع سنين واجتمع بأبيه وحاشيته بعد سنتين من تصرفه في خزائن مصر فتكون الجملة اثنين وعشرين سنة قال الله تعالى حكاية عن يوسف يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا * ومما حكاه المقريزي في خططه قال قال أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس في تاريخ مصر ان غلام أبي سعيد الخشاب أخبره انه رأى رؤيا عجيبة فبينما هو جالس في حانوت استاذه واذا بابن العسال المعبر ومعه رجل من أهل الريف يطلب عود خشب لطاحون فاشترى من ابن عقيل عودا بخمسة دنانير فجاءه جماعة من أهل السوق يقصون عليه منامات رأوها وهو يعبرها لهم فذكرت له رؤيا رأيتها فقال لي في أي وقت رأيتها من الليل فقلت انتبهت بعد رؤياي وقت كذا فقال هذه رؤيا لا أعبرها الا بعشرين دينارا فألححت عليه فقال استاذي لابن العسال هذا غلام ضعيف فقير لا يملك شيأ فقال لي لست آخذ الا عشرين دينارا فلم يزل حتى قال والله لا آخذ أقل من ثمن العمود فقال ابن عقيل ان صحت الرؤيا دفعت اليك العمود فقال ان هذا الغلام يأخذ في مثل هذا اليوم ألف دينار فقال ابن عقيل وان لم يصح هذا قال يكون العمود عندك الى مثل هذا اليوم قال ابن عقيل قد أنصفت فلما كان مثل ذلك اليوم قعدت دكان أستاذي واستلقيت على ظهري أفكر فيما قال ابن العسال ومن أين تصير لي الالف دينار فقلت لعل سقف الدكان ينفرج ويسقط منه هذا المال وجعلت

ولايته حتى أرسل له معاوية يدعوه الى القيام بطلب دم عثمان ووعده أن يكون نائبه على العراقين اذا تم له الامر فأشيع عنه انه بايع معاوية فعزله علي وولى على مصر محمد بن أبي بكر رضي الله عنه فلم يزل بمصر قائما على الامر حتى كانت وقعة صفين بين علي ومعاوية فاستخف أهل مصر بمحمد بن أبي بكر رضي الله عنه فولى علي رضي الله عنه عليهم الاشتر النخعي ثم مات فأرجع محمد بن أبي بكر الى ولاية مصر الى أن أرسل له معاوية عمرو بن العاص في جيوش كثيرة فقتل بعض الجيوش محمد بن أبي بكر واستولى على مصر عمرو بن العاص الى ان مات بها كما مر وولى معاوية عليها ولده عبد الله فعمل له عليها سنتين ثم عزله وولى أخاه عتبة بن أبي

أجول بفكري الى الضحى فبينما أنا كذلك اذ وقف على جماعة من أعوان الاستاذ أبي علي بن أبي زنبور وطلبوني الى ديوانه فقلت وما يصنع بي قالوا لي اذا جئته سمعت كلامه وما يريد منك فقلت ما أقدر أمشي فقالوا اكتر حمارا تركبه ولم يكن معي ما أكتري به الحمار فنزعت تكة سراويلي ورهنتها على درهمين لمن اكترى لي الحمار ومضيت معهم فجاؤا بي الى ديوان أبي علي بن أبي زنبور فلما دخلت قال أنت ابن عقيل فقلت لا ياسيدي أنا غلام في حانوته فقال أتحسن قيمة الخشب قلت بلى قال فاذهب مع هؤلاء وقوم لنا الخشب بحيث لا يزيد ولا ينقص فمضيت معهم فجاؤا بي الى الجسر الى خشب كثير من اثل وسنط جاف وغير ذلك مما يصلح للمراكب وقالوا لي انظر الى هذا الموضع فقومته بألفي دينار فاعجلوني ولم أضبط قيمة الخشب ثم ردوني الى أبي علي فقال لي قومت الخشب كما أمرتك فقلت نعم قال بكم قومته فقلت بألفي دينار فقال انظر لئلا تغلط فقلت هو قيمته فقال لي خذه بألفي دينار فقلت أنا فقير لا أملك دينارا فقال لي ألست تحسن تدبيره فقلت بلى قال نقنعه ونحن نصبر عليك الى أن تبيع شيأ فشيأ فكتبته علي ورجعت الى الخشب لا عرف عدته وأوصي به الحراس فوافيت جماعة من أهل سوقنا وشيوخهم قد أتوا الى الخشب فقالوا قومت الخشب بألفي دينار وهو يساوي أضعاف ذلك فقلت اسكتوا الثلاثة منكم أحد فقال بعضهم لبعض اعطوا الف دينار بحصة وتسلموا أنتم فقال قائل منهم اعطوا ربحه خمسمائة دينار فقلت لا والله ما آخذ أقل من ألف دينار فاحضروها بنقد الصيرفي وميزانه وشددتها في طرف ردائي ومضيت معهم الى ديوان أبي علي وحولت أسماءهم مكان اسمي ورجعت الى أستاذي فقال قبضت الالف دينار فقلت نعم وتركت الدراهم بين يديه وقلت له خذ ثمن العمود فقال والله ما آخذ منك شيأ وجاء ابن العسال فأخذ العمود والله أعرف (حكى) شهريار بن رستم الديلمي قال كنت صديقا لابي شجاع بويه بن الديلم وكان فقيرا وله ثلاثة أولاد وهم عماد الدولة أبو الحسن علي وركن الدولة أبو علي الحسن ومعز الدولة الحسن أحمد وكان بويه يصطاد السمك ويحتطب بنوه فماتت زوجته وخلفت أولاده الثلاثة الذين ذكرناهم فحزن عليها حزنا شديدا فدخلت عليه يوما فعذلته على كثرة حزنه وقلت له أنت رجل تتحمل الحزن وهؤلاء الصغار يهلكهم الحزن وسليته جهدي وأخذته هو وأولاده الى منزلي لما كانوا طعاما وشغلته عن حزنه فبينما نحن كذلك اذ اجتاز بنا رجل يزعم انه منجم ومعبر للمنامات فاحضره أبو شجاع وقال له رأيت في منامي كأني أبول فخرج من ذكري نار عظيمة فاستطالت وعلت حتى كادت تبلغ السماء ثم انفرجت تلك النار فصارت شعبا وتولد من تلك الشعب عدة شعب فاضاءت الدنيا بتلك النيران ورأيت البلاد والعباد خاضعين لتلك النيران فقال المنجم هذا منام عظيم لا أفسره الا بخلعة وفرس فقال أبو شجاع والله ما أملك الا الثياب التي على جسدي فان أخذتها بقيت عريانا فقال المنجم فعشرة دنانير فقال والله ما أملك دينارا واحدا فكيف عشرة فاعطاه ما تيسر فقال المنجم اعلم انه يكون لك ثلاثة أولاد يملكون الارض ومن عليها ويعلو ذكرهم كما علت تلك النار ثم يكون من سلالة كل واحد منهم ملوك عدة بقدر ما رأيت من تلك الشعب فقال أبو شجاع للرجل أما تستحي تسخر بنا أنا رجل فقير وأولادي هؤلاء فقراء مساكين يصيرون ملوكا فقال أخبرني بوقت ميلادهم فجعل يحسب ثم قبض على يد أبي الحسن فقبلها وقال هذا والله الذي يملك البلاد وهذا من بعده وقبض على يد أخيه الحسن فاغتاظ منه أبو شجاع وقال اصفعوا هذا فقد أفرط في السخرية بكم فقال اذكروا هذا اذا قصدتكم وأنتم ملوك فضحكوا منه وأعطاه أبو شجاع عشرة دراهم وخرج وتركهم فتقدموا عند ملك يقال له ماكان بن كالي في بلاد طبرستان ومازالت الاحوال تنتقل بهم الى أن حصل لهم من الاموال شئ كثير الى ان اشتهر أمرهم وحسنت سيرتهم واجتمع عليهم من الجند خلق كثير وقد آل بهم الحال حتى ملكوا أغلب البلاد وملكوا بغداد من الخلفاء العباسية وانتشرت شهرتهم بدولة بني بويه وصار المؤرخون يكتبون ذلك في تواريخ كما يذكرون دولة بلاد فارس من بعدهم من أرباب الدول وهذا أمر عجيب واتفاق غريب والله القادر على كل شئ وذكر لي من أثق به انه سمع ان بعض ملوك الاسلام رأى في منامه ان احدى رجليه وصلت الى السماء فقص ذلك على معبر حاذق فقال له تحت بطانة

ثم عزله وولى عقبة ابن عامر الجهني ثم عزله وولى معاوية بن خديج ثم عزله وولى مسلمة بن مخلد واستمر على ولاية مصر الى أن مات في خلافة يزيد فولى بعده سعيد بن يزيد فلما ولي ابن الزبير ولى على مصر عبد الرحمن بن جحدم القرشي (ثم ولي الخلافة أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما) وبايعه على الموت أكثر من أربعين ألفا من أهل الكوفة وغيرهم وأطاعه الناس وأحبوه أكثر من حبهم لابيه فبقي ستة أشهر وخلع نفسه كراهية في سفك الدماء ثم دس عليه يزيد بن معاوية السم مع بعض أزواجه فمكث مريضا أربعين يوما ومات بالمدينة خامس ربيع الاول سنة خمس وأربعين من الهجرة ودفن بالبقيع ولما حضرته

احدى شقى رجليك فرقعة من قوم فيهم أبو بكر وعمر ففتقه فوجد الرقعة فقبض على صانعه فاقر بالرفض ووجد كل خف عمل على هذا النمط فقتل الرافضى شر قتلة وأحسن الى المعبر بحسنة جزيلة وافرة (ومما حكى) ان شخصا من بغداد كان صاحب نعمة وافرة ومال كثير فنفد من يده وصار لا يملك شيأ ولا ينال قوته الا بجهد جهيد فنام ذات ليلة وهو مغموم مقهور فرأى فى منامه قائلا يقول له رزقك بمصر فاتبعه وتوجه اليه فسار الى مصر فلما توجه اليها أدركه المساء فنام فى مسجد وكان بجوار ذلك المسجد بيت فقدر الله تعالى ان جماعة من اللصوص دخلوا ذلك المسجد وتوصلوا منه الى البيت المذكور فانتبه أهله فى الصياح فاغاثهم الوالى باتباعه فهربت اللصوص ودخل الوالى المسجد فوجد الرجل البغدادى فقبض عليه وضربه بالمقارع ضربا مؤلما حتى أشرف على الهلاك وسجنه فمكث ثلاثة أيام فى السجن ثم أحضره الوالى وقال له من أى البلاد أنت قال من بغداد قال له وما جاء بك الى مصر قال انى رأيت فى منامى قائلا يقول لى ان رزقك بمصر فتوجهت اليه فلما جئت الى مصر وجدت الرزق تلك المقارع التى نلتها فضحك الوالى حتى بدت نواجذه وقال له يا قليل العقل ثلاث مرات آت يأتينى فى منامى يقول لى بيت فى بغداد بخط كذا ووصفه كذا وشجرة تحتها دفينة فيها مال له بال فتوجه اليه فخذه فلم أتوجه وأنت من قلة عقلك تحضر من بلدة الى بلدة برؤيا هى أضغاث أحلام وأعطاه دراهم وقال له استعن بها على عودك الى بلدك فاخذها وعاد الى بغداد مع ان البيت الذى وصفه الوالى ببغداد هو بيت ذلك الرجل فلما وصل منزله حفر تحت الشجرة فرأى مالا كثيرا فاخذه ووسع الله عليه رزقه وهذا اتفاق عجيب (سئل) بعض العلماء عن قوله صلى الله عليه وسلم من رآنى فى المنام فقد رآنى حقا وقال السائل هو فى الليلة الواحدة بل فى الساعة الواحدة يراه جماعة فى أماكن شتى من أطراف الارض فقال نعم هو

كالشمس فى كبد السماء وضوءها * يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

وهو مأخوذ من قول ابن الرومى

كالشمس فى كبد السماء محلها * وشعاعها فى سائر الآفاق

ومما من الله سبحانه وتعالى على مؤلف هذه العجالة أنه رأى فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم مرتين وسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام مرة واحدة وسألهما الدعاء فدعياله بالاصلاح والتوفيق وسيدنا ابراهيم الخليل وولده سيدنا اسمعيل عليهما الصلاة والسلام وسيدنا يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام وسيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنهما ورأى حرم النبى صلى الله عليه وسلم وقبره الشريف وجبل عرفات ومحل الموقف ولما حججت فى ثمان عشرة وألف فالذى رأيته مناما وهو الحرم والقبر الشريف وجبل عرفات ومحل الموقف رأيته يقظة ونسئل الله البر السلام الذى من علينا برؤية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى المنام أن يمن علينا برؤيته فى اليقظة فانه قال عليه الصلاة والسلام من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة فان الشيطان لا يتمثل بى (لطيفة) حكى ان رجلا رأى فى منامه كأنه مار فى بعض الازقة فرأى حفرة فنزل بها فرأى فيها كنزا فنزع قميصه وملأه ذهبا فاراد حمله فاثقله فاحدث فانتبه من نومه ظانا ان المال بين يديه فوجد ثيابه وفرشه متضمخين بالنجاسة من بول وغائط وقيل من نكد الوجود ان الانسان يرى فى منامه انه وجد مالا أو أصاب جوهرا أو ظفر بخير فاذا انتبه لم ير من ذلك شيأ وربما أحدث فاذا انتبه وجد الحدث يقينا قال الشاعر

أرى فى منامى كل شئ يسرنى * ورؤياى بعد النوم أدهى وأقبح

فان كان خيرا كان أضغاث حالم * وان كان شرا جاء من قبل أصبح

وقال أبو العلاء المعرى

الى الله أشكو اننى كل ليلة * اذا نمت لم أعدم خواطر أوهامى

فان كان شرا كان لابد واقعا * وان كان خيرا كان أضغاث أحلام

وقال الاحنف العسكرى

وأحلم فى المنام بكل خير * فاصبح لا أراه ولا يرانى

وان أبصرت شرا فى منامى * رأيت الشر من قبل الأذان

ورجعنا الى ما نحن بصدده من أخبار المأمون (حكى) انه كان كثير الخير والجهاد وقيل انه ختم فى شهر

الوفاة قال لاخيه الحسين رضى الله عنهما يا أخى ان أباك استشرف لهذا الامر فصرفه الله تعالى عنه مرارا ولما تولى هذا الامر نوزع حتى جرد السيف فلم يتم له وما صفت له وأنا والله لا أرى ان يجمع الله تعالى لنا أهل البيت بين النبوة والخلافة فاياك ان يستخفك أهل الكوفة (ثم ولى الخلافة بعده أبو عبد الرحمن معاوية بن أبى سفيان) وكانت مدة خلافته بعد ان خلص له الامر تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيام وكان أميرا على الشام عشرين سنة وذلك بقية خلافة عمر وعثمان وفى خلافة على لما عزله صار متغلبا فمكث أميرا وخليفة أربعين سنة وتوفى سنة ستين فى رجب (وولى بعده يزيد ولده) فاقام ثلاث سنين وثمانية أشهر وفى مدة

رمضان ثلاثا وثلاثين خمس وكان العلماء في ايامه ممتحنين بجبرهم على القول بخلق القرآن فدعوا عليه فاهلكه الله وقيل ان سبب موته انه اشتهى أكل سمكة يقال لها الرعادة فالما أحد أخذته الانتفاضة فا كلها فمات لوقته ومكث في الخلافة عشرين سنة وخمسة أشهر وكانت وفاته لاثنتي عشرة ليلة بقين من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين ودفن بطوس وكان سنه ثمانيا وأربعين سنة

(خلافة أبي اسحق المعتصم بن هرون الرشيد)

وهو يدعى بالمثمن ولد سنة ثمان وثمانين في ثامن شهر من الثمان عشرة ليلة خلت من رمضان وهو ثامن أولاد الرشيد وثامن الخلفاء من بني العباس وفتح ثمان فتوحات ووقف ببابه ثمان ملوك وقتل ثمانية أعداء وكان عمره ثمانيا وأربعين سنة وخلافته ثمان سنين وثمانية أشهر وخلف ثمانية بنين وثمان بنات وثمانية آلاف ألف دينار وثمانين ألف فرس وثمانين ألف خيمة وثمانية آلاف عبد وثمانية آلاف جارية وبنى ثمانية قصور ونقش على خاتمه الحمد لله ثمانية أحرف وكان غلمانه الاتراك ثمانية عشر ألف ومما اتفق له انه كان جالسا في مجلس أنسه والكاس بيده فبلغه أن امرأة أسرت بطبقتي الاسر عند علج من علوج الروم في عمورية وانه لطمها يوما على وجهها فصاحت وامعتصماه فقال لها العلج ما يجيء المعتصم الاعلى فرس أبلق ثم ختم الكاس وناوله لساقيه وقال والله لاشربته الابعد فك الشريفة من الاسر وقتل العلج فلما أصبح الصباح نادى بالرحيل الى غزو عمورية وأمر عسكره أن لا يخرج أحد منهم الا على أبلق فخرج في سبعين ألف فرس أبلق فلما فتح عمورية دخلها وهو يقول للشريفة لبيك لبيك وطلب العلج صاحب الاسيرة الشريفة وضرب عنقه وفك قيدها وقال للساقي ائتني بالكاس المختوم فقتح ختمه وشربه يذكر الراغب في تذكرته في باب المكنين بالضراط انه جاء الى باب المعتصم وقال قولوا على الباب ضراط فقيل له اذهب فعند باب الدبس وهو أحذق الضراطين فقال عندنا ما ليس عنده فاستؤذن له فلما دخل قال له المعتصم ما عندك فقال أضرط ضرطة تلتق السراويل فقال ان فعلت ذلك فلك مائة دينار وان عجزت فالسوط ففعل وأخذ الدنانير (وحكي) عن رجل انه كان يفتح الباب بضرطته وكان سعيد بن حميد يضرط على ايقاع العيدان ومما يحكى عن شخص من الموالي انه حضر في مجلس وكان به عواد فقام رجل بوسط المجلس ووضع يديه على الارض ورفع رجليه في الهواء فصار منكسا رأسه الى الارض ورجلاه الى فوق وصار يحرك رجليه على ايقاع العود وكلما حرك رجليه ضرط ضرطة واستمر على ذلك الى ان فرغ العواد وفي المثل اشهر من ضرطة وهب وما أحسن قول ابن الرومي في معناه

قد أكثر الناس في وهب وضرطته * حتى لقد مل ما قالوا وقد وردا

لم تأت ضرطة هاجيه كضرطته * في الذاكرين ولم يحسد كما حسدا

يا وهب لا تكترث بالعائبين لها * فانما أنت غيث رعد ارعدا

وقيل ان بعضهم وقعت في رجله شوكة فارادت زوجته قلعها فلما حركتها بالابرة ضرط فقال رأيتها قالت لا ولكن سمعت صوتها وحكي ان جارية قعدت أمام ليلة بكساء فضرطت ثم أرادت أن تختبره هل سمع حسها أم لا فقالت له ما ثمن هذا الكساء قال ما تقوم ادام ضراطك فيه لا يساوي درهما وروى ان البديع الهمداني دخل على الصاحب بن عباد فتزحزح له وأجلسه على السرير معه فضرط فاراد البديع أن ينفي عن نفسه التهمة فقال يا مولاي ان هذا صرير التخت فقال الصاحب بل صرير التحت فخرج من عنده خجلا وانقطع عنه فكتب اليه الصاحب

قل للبديعي لا يذهب على خجل * من ضرطة أشبهت نايا على عود

فانها الريح لا تسطيع تحبسها * اذ لست أنت سليمان بن داود

(وفي الالغاز في الضرطة)

ومولودة لم تعرف الطمث أمها * وليس لها روح ولا تتحرك

يقهقه منها القوم من غير رؤية * وصاحبها من عارها ليس يضحك

خلافته أرسل الى الحسين ابن علي رضي الله عنه وقتله لكونه امتنع من البيعة له وأرسل له أهل الكوفة يبايعونه فيخلصوا من جور يزيد فذهب اليهم بعد امتناعه من ذلك مرارا ليقضي الله أمرا كان مفعولا وكان موته عاشر المحرم سنة احدى وستين ومكث يزيد بعده سنتين ومات ولا يجوز لعنه على الراجح (وولي بعده ولده معاوية بن يزيد) وكان صالحا فاقام أربعين يوما ورأى شدة هذا الامر فخلع نفسه ولزم بيته ومات بعد أربعين يوما من خلعه (وولي بعده عبد الله بن الزبير) بمكة ولم يختلف عليه أحد الا مروان بن الحكم فانه ظهر بالشام ثم توجه الى مصر فملكها واستعمل عليها ولده عبد العزيز فبايعوه ثم رجع الى الشام وجددت له

وقال الآخر

انفلتت منه ضرطة هممت * فكاد منها يحتمني العرق

فالترقت في دون قاعلها * وما ظننت الضراط يلترق

قيل وقف بين يدي الحجاج رجل من البادية فلما أخذ في الكلام ضرط فضرب بيده على استه وقال اما ان تتكلمي فاسكتي واما ان تسكتي فاكلم الامير بما اشتهي * حدث واصل أبو بكر عن مجاهد قال وجد النبي صلى الله عليه وسلم ريحا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجد ريحا فليتوضأ فاستحيا الرجل أن يقوم فقال ليقم صاحب الريح فليتوضأ فاستحيا الرجل أن يقوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقم صاحب هذه الريح فليتوضأ ان الله لا يستحي من الحق فقال العباس يا رسول الله أفلا نقوم كلنا قال قوموا كلكم فتوضؤا وقيل لبعض الاعراب وقد أسن كيف أنت اليوم قال ذهب الاطيبان الناب والنصاب وبقي الارطبان السعال والضراط قيل ان بعض الفقراء أصابه قولنج شديد في بعض المساجد ليلا فجعل يتأوه و يتقلى و يقول يا الله ضرطة و رفع صوته بحضرة رفقائه فلما أصبح وقد أشرف على الهلاك وعاين الموت قال اللهم اني أسألك الجنة فقال له بعض رفقائه ما رأيت أحمق منك أنت من الغروب الى الآن تسأل الله في ضرطة فما فرحت بها فتسأله الجنة التي عرضها السموات والارض رجعنا الى ما نحن بصدده قال نفطويه كان المعتصم من أشد الناس قوة بطشا كان يجعل زند الرجل بين اصبعيه فيكسره ذكر ذلك الحافظ السيوطي وتلك قوة عظيمة ما وصل اليها أحد (ومما اتفق) ان ملك الروم وهو اذ ذاك من أكبر ملوك النصارى أرسل كتابا الى المعتصم يهدده فاشتاط غيظا وأمر بجوابه فكتب له الجواب فلم يرضه شيء مما كتب ومزق الكتاب الذي ورد اليه من ملك الروم وأمر أن يكتب في قطعة منه بسم الله الرحمن الرحيم الجواب ما ترا لا ما تقرا وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار وتجهز من ساعته فمنعه المنجمون وقالوا له ان الطالع نحس فقال عليهم لا عليا وسار من يومه وتلاحقت به العسكر و وقع حرب عظيم قتل فيه من النصارى ستون ألفا وقتل بعد ذلك ملك النصارى وكان ذلك فتحا عظيما من أعظم فتوحات الاسلام وقد مدحه الشعراء بقصائد طنانة وأحسن ما قيل قصيدة أبي تمام الطائي التي مطلعها

السيف أصدق أنباء من الكتب * في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف في * متونهن جلاء الشك والريب

والعلم في شهب الارماح لامعة * بين الخميسين لا في السبعة الشهب

أين الرواية بل أين النجوم وما * صاغوه من زخرف فيها ومن كذب

لو بينت قط أمرا قبل موقعه * لم يخف ما حل بالاوثان والصلب

فتح تفتح أبواب السماء له * وتبرز الارض في أثوابها القشب

(ومنها) تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتقب في الله مرتغب

(ومنها) لم يغز قوما ولم ينهض الى بلد * الا تقدمه جيش من الرعب

(ومنها) حتى تركت عمود الشرك منعفرا * ولم تعرج على الاوتاد والطنب

ان الاسود أسود الغاب همتها * يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

خليفة الله جازى الله سعيك عن * جرثومة الدين والاسلام والحسب

(ومنها) فبين أيامك اللاتي نصرت بها * وبين أيام بدر أقرب النسب

ومما يناسب ذلك ان بعض الملوك عزم على السفر لعز وعدو له فمنعه المنجمون وقالوا ان القمر في العقرب والحركة مذمومة فدخل على الملك وهو جالس مع ندمائه بعض المماليك الحسان الوجوه وهو متوشح بقوس فوقف بين يدي الملك فنظر اليه بعض الندماء وقال للملك يا مولانا القمر قد حل في القوس حقيقة فسافر الملك لوقته فلم ير أحسن من تلك السفرة وظفره الله بعدوه وعاد وهو محظوظ ومما يناسب ذلك أيضا ان سلطانا كان له عدو بلغه عنه أمور تقتضي محاربته فيها بنفسه و جمع عساكره باسلحتهم ورايتهم ورتبهم في داره

البيعة وذلك في سنة خمس وستين ثم مات عبد العزيز بحلوان فحمل في البحر الى الفسطاط ودفن بقربها سنة ست وثمانين فأمر بعده عبد الملك فأقام شهرا الا ليلة ثم صرف وولي بعده ابنه عبد الله فأقام الى التسعين فعزله أخوه الوليد وولي سري بن شريك وكان ظلوما عسوفا وأقام واليا بمصر الى أن مات سنة ست وتسعين فولي بعده عبد الملك ابن رفاعة فأقام الى سنة تسع وتسعين ثم ولي بعده أيوب الاصبحي فأقام الى سنة احدى ومائة ثم ولي بشر بن صفوان الكلبي فأقام الى سنة ثلاث ومائة ثم تولى أخوه حنظلة فأقام الى سنة خمس ومائة ثم تولى محمد بن عبد الملك أخو هشام ابن عبد الملك الخليفة ثم تولى حفص بن الوليد فأقام الى سنة ثمان عشرة ومائة

وخرجوا قاصدين القتال وكان بدهليز دار السلطان ثريا قناديل معلقة فأصابها راية من الرايات فانكسرت فتطير السلطان من ذلك وقصد إبطال السفر فقال له شخص من أخصاء دولته يا مولانا رايتكم بلغت الثريا فاستحسن ذلك واندفع عنه الوهم وسافر فظفره الله بعدوه وعاد فرحا مسرورا ورجعنا الى ما نحن بصدده وكان المعتصم من أعظم الخلفاء الذين ألزموا الناس بالقول بخلق القرآن وهذه من أعظم ضلاله الرديئة مع انه كان أميا لا حظ له من الكمالات العلمية بل حمله على ذلك مجرد الجهل ولما احتضر قال اللهم انك تعلم انى أخافك من قبلى وأرجوك من قبلك لا من قبلى فيا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه وأنشد

تمتع من الدنيا فانك لا تبقى * وخذ صفوها ما ان صفت ودع الرنقا
ولا تأمنن الدهر انى أمنته * فلم يبق لى حالا ولم يرع لى حقا
فتكت صناديد الرجال ولم أدع * عدوا ولم أمهل على جسد حنقا
وأخليت دار الملك عن كل نازل * وفرقتهم غربا ومزقتهم شرقا
فلما بلغت النجم عزا ورفعة * ودانت رقاب الخلق أجمع لى رقا
رمانى الردى سهما فاخمد جمرتى * فها أنا ذا فى حفرتى عاجلا ملقى
وأفسدت دنياى ودينى سفاهة * فمن ذا الذى منى بمصرعه أشقى
فياليت شعرى بعد موتى ما أرى * الى رحمة الرحمن أم ناره ألقى

وتوفى ليلة الخميس لاحدى عشرة ليلة بقين من ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين

(خلافة أبى جعفر هرون الواثق بن المعتصم)

بويع له بالخلافة يوم مات والده سنة ست وثلاثين سنة وكان عالما شاعرا حاذقا فن شعره فى واقعة حال

حياك بالنرجس والورد * معتدل القامة والقد
فالهبت عيناه نار الجوى * وزاد فى اللوعة والصد
وزاد فى اللوعة والصد * مكنت فى الملك والاله * فصار ملكى سبب البعد
مولى تشكى الظلم من عبده * فانصفوا المولى من العبد

وأقام خليفة خمس سنين وتسعة أشهر ومات يوم الاربعاء لست بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ولما مات ترك وحده واشتغل الناس بالبيعة للمتوكل فجاء جرذون فاستل عينيه فأكلهما فسبحان العزيز المتعال الذى لا يزول ملكه ولا يعتريه زوال

(خلافة جعفر المتوكل بن الواثق)

بويع له يوم مات والده وعمره احدى وأربعون سنة وكان كريما سنيا أظهر السنة وأكرم علماء الحديث وأمات البدع ومنع القول بخلق القرآن وشنع على المعتزلة والهزلية وأمر بانه بعمران يحلق لحية قاضى مصر محمد بن أبى الليث ويطوف به الاسواق لانه كان معتزليا يقول بالجهة وخلق القرآن ففعل به ذلك وكتب الى سائر الآفاق برفع المحنة واظهار السنة ولم يزالوا أعنى المعتزلة فى قوة ومنعة الى أيام المتوكل فخمدوا ذكر البيضاوى فى تفسيره فى سورة الانعام فى قوله تعالى ان الذين فرقوا دينهم بددوها آمنوا ببعض وكفروا ببعض وافترقوا فيه قال عليه الصلاة والسلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين كلها فى الهاوية الا واحدة والمعتزلة جنس يطلق على فرق منهم الواصلية والهزلية والنظامية والبشرية والعمرية والمردادية والثمامية والهشامية والجاحظية والجبائية ومن مشاهيرهم الاعيان الجاحظ وأبو الهذيل العلاف وابراهيم النظام وواصل بن عطاء وكان ألثغ يخرج الراء غينا فالتزم باسقاط حرف الراء من كلامه حتى ضرب به المثل فقال بعض الشعراء

اجعلت وصلى الراء لم تنطق به * وقطعتنى حتى كأنك واصل
لا تجعلنى مثل همزة واصل * يلحقنى حذف وما أنا واصل

و ولى بعده عبد الرحمن بن خالد فأقام سبعة أشهر وصرف وأعيد حنظلة بن صفوان فى سنة عشرين ثم صرف وولى بعده حسان ابن العتاهية التجيبى سنة تسع وعشرين ثم أعيد حفص بن الوليد وعزل عنها سنة ثمان وعشرين وولى حوثرة بن سهل الباهلى ثم ولى المغيرة بن عبيد الفزارى سنة احدى وثلاثين ثم ولى الامير عبيد الله بن مران سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهو آخر من تولى على مصر من بنى أمية وما ذكره من كون ولاية ابن الزبير بعد ولاية معاوية الصغير هو الصحيح عند المؤرخين وبعضهم يذكره بعد ولاية عبد الملك ابن مروان وذلك انه لما كانت نوبة معاوية الصغير اجتمع على بيعة عبد الله بن الزبير أهل الحجاز واليمن

(وقال أيضا) كأنى فى الزمان اسم صحيح * جرى فتحكمت فيه العوامل

مزيد فى البناء كواو عمرو * ويلغى الخط فيه كراء واصل

قيل ان بعضهم كتب رقعة وقع فيها أمر أمير الامراء ان تحفر بئر فى قارعة الطريق يشرب منها الشارد والوارد ودفعها الواصل وهو بحضرة أمير المؤمنين ليعجزه عن قراءتها فلما فتحها ورأى ما فيها أجاب فورا وقال حكم خليفة الله أن ينبش قليب فى الفلاة يستقى منه الغادى والبادى ولم يتلعثم وواصل بن عطاء هذا توفى سنة احدى وعشرين ومائتين وأنشد بعض الشعراء يقول فى الالثغ

يبدل الراء حين ينطق غينا * فيسمى لون الشقائق أحمغ

قلت والله تصدق وزنى * كى ترى الراء فى زبى مصطبغ

قال تشغب من الحمام وغنى * مسكم عاتق عتيق مكغغ

باله واعفا عقيق الحوانى * وعظ الصب فى الكياسة أبلغ

ومن مشاهير المعتزلة أيضا أحمد بن حائط و بشر بن المعتمر ومعمر بن عباد السلمى وأبو موسى بن عيسى المرداد المعروف براهب المعتزلة وثمامة بن الشرس وهشام بن عمر القرطى وأبو الحسن بن عمر و الخياط وأبو على الجبائى فهؤلاء رؤس مذهب الاعتزال وهم أساطين هذه البدع واليهم تنسب هذه الفرق ومن فضلاء المعتزلة أبو الحسن البصرى والكعبى والقاضى عبد الجبار الرمانى النحوى وأبو على الفارسى وأقضى القضاة الماوردى وهذا غريب *(فائدة)* لا بأس بذكرها الماوردى هو أبو الحسن وقيل أبو القاسم على بن محمد بن حبيب الماوردى مات ببغداد يوم الثلاثاء سلخ ربيع الاول سنة خمسين وأربعمائة ودفن فى يوم الثلاثاء وهو ابن ست وثمانين سنة قال بعضهم لما ألف كتبه لم يظهرها فى حياته فلما مرض مرض موته قال لبعض أصحابه ان تآليفى فى ركن البيت يعنى بيته وأخاف أن لا تقبل منى ولكنى اذا كنت فى النزع فاجعل يدك فى يدى فان بسطت فعلامة القبول وان قبضت فعلامة عدمه فاحرقها قال فلما كان فى النزع فعلت وبسطت يده فعلم بذلك قبولها فنشرها فى الناس قاله ابن خلكان الدمشقى أقول والظاهر أن المتأول عليه بذلك اما بعضا أو جحدا والله أعلم بحقيقة الحال ومن المعتزلة الصاحب بن عباد والزمخشرى صاحب الكشاف وذكر ابن خلكان عن بعض الفضلاء ان الزمخشرى أوصى ان يكتب على قبره هذه الابيات

يا من يرى مد البعوض جناحها * فى ظلمة الليل البهيم الاليل

ويرى مناط عروقها فى نحرها * والمخ فى تلك العظام النحل

امنن على بتوبة تمحو بها * ما كان منى فى الزمان الاول

وتوفى الزمخشرى ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة والمبرد من فضلاء المعتزلة وفى أيام المتوكل ماجت النجوم فى السماء وجعلت تطاير شرقا وغربا كالجراد المنتشر من غروب الشمس الى طلوع الفجر ولم يقع مثل ذلك الا فى ميلاد النبى صلى الله عليه وسلم والمتوكل نحاس منها انه وضع على قبر الامام أحمد بن حنبل رخامة بيضاء كاللوح ونقش عليها هذا قبر شيخ أهل السنة وزين هذه الامة العالى الهمة الذى لا تأخذه فى الله لومة لائم أبى عبد الله أحمد بن محمد الشيبانى قيل للامام أحمد بن حنبل ما تتمنى قال سندا عاليا وبيتا خاليا (وقيل) لبعض الكتبة ما تتمنى قال أقلاما مشاقا وحبرا براقا وجلودا رقاقا وقيل لبعض الصوفية ما تتمنى قال ذقنا ودلقا ولا أريد رزقا *(فائدة)* نقل القرطبى عن الامام أبى بكر الطوسى رحمه الله انه سئل عن قوم يجتمعون فى مكان يقرؤن شيأ من القرآن ثم ينشد لهم منشد شيأ من الشعر فيرقصون ويطربون ويضربون بالدفوف والشبابة هل الحضور معهم حلال أم لا فقال مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامرى لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار فقاموا يرقصون حوله ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل وانما كان النبى صلى الله عليه وسلم يجلس مع أصحابه

والعراق وخراسان وحج بالناس ثمانى حجج وكان عبد الملك بن مروان واليا على أهل الشام فارسل الى ابن الزبير نائبه الحجاج بن يوسف الثقفى فذهب اليه بمكة وحاربه حتى قتله فى الحرم وكانت مدة خلافة ابن الزبير تسع سنين وشهرين ولما قتل خلص الامر لعبد الملك بن مروان الى أن مات سنة ست وثمانين بدمشق (وولى بعده ابنه أبو العباس الوليد بن عبد الملك) سنة سبع وثمانين واستمر الى سنة ست وتسعين ومات بدمشق (وولى بعده أخوه سليمان ابن عبد الملك) وتوفى سنة تسع وتسعين بعد أن عهد بالخلافة الى ابن عمه أبى حفص عمر بن عبد العزيز ابن مروان فاستمر سنتين وخمسة أشهر ثم مات يوم الجمعة لخمس بقين من رجب

كانماعلى رؤسهم الطير من الوقار فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة وغيرهم من أئمة المسلمين ذكر الصلاح الصفدي في كتابه تمام المتون لشرح رسالة ابن زيدون انه اتفق انه نقم ابن جهور على ابن زيدون فحبسه فاستعطفه برسالة من جملتها قوله هب اني عكفت على العجل يشير بذلك الى قوله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا لما وعد الله تعالى موسى عليه السلام لميقاته وهو أربعون يوما كان قوم موسى آمنوا ودخلوا مصر وليس لهم كتاب ولا شريعة فوعد الله موسى أن ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه اني ذاهب الى ربي آتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون ووعدهم أربعين ليلة ثلاثين ذي القعدة وعشرا من ذي الحجة واستخلف عليهم أخاه هرون فلما جاء الوعد أتى جبريل على فرس يقال له فرس الحياة لا تمر على شئ الا حيي فلما رآه السامري وكان من بني اسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة فرأى موضع الفرس وكان منافقا من قوم يعبدون البقر فقال ان لهذا شانا فاخذ قبضة من تربة حافر فرس جبريل وألقي في روع السامري انه اذا ألقى في شئ غيره وكان بنو اسرائيل قد استعاروا حليا كثيرا من قوم فرعون في عرس لهم ولما أهلك الله فرعون وقومه بقيت تلك الحلي في أيديهم قال السامري لبني اسرائيل ان الحلي الذي استعرتموه الا تحل لكم فاحفروا حفرة وادفنوه فيها حتى يرجع موسى من ميقاته فيرى رأيه فلما اجتمعت الحلي صاغها السامري عجلا في ثلاثة أيام ثم ألقى القبضة التي أخذها من أثر حافر فرس جبريل فخرج عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر من أحسن ما يكون وخار خورة وكان يمشي ويخور فقال السامري هذا الهكم واله موسى الذي نسيه ههنا وكان بنو اسرائيل قد أخلفوا الموعد وعدوا باليوم مع الليلة حتى مضى عشرون يوما فلم يرجع موسى فوقعوا في الفتنة فعكفوا على عبادة العجل وكان الذي عكف منهم على العجل ثمانية آلاف يعبدونه الا هرون مع اثني عشر ألف رجل فأوحى الله الى موسى انا قد فتنا قومك فرجع اليهم غضبان أسفا فقال يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم ومن مناقب الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه انه بلغه أن رجلا من وراء النهر يحفظ ثلاثة أحاديث فرحل الامام أحمد اليه فوجده شيخا فلما سلم عليه رد عليه السلام ثم اشتغل باطعام الكلب فوجد الامام أحمد في نفسه شيئا اذ أقبل الشيخ على الكلب ولم يقبل عليه فلما فرغ من اطعام الكلب التفت الى الامام وقال كأنك وجدت في نفسك اذ أقبلت على الكلب ولم أقبل عليك قال نعم قال حدثني أبو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله منه رجاءه يوم القيامة فلم يلج الجنة ثم قال الشيخ ان أرضنا هذه ليست بأرض كلاب وقد قصدني هذا الكلب فخفت ان أقطع رجاءه فقال الامام أحمد هذا الحديث يكفيني ثم رجع * ومن محاسن المتوكل انه أرسل الى عامله بمصر الامير يزيد بن عبد الله أن يبطل ما كان بمصر من المقاييس المتقدمة ويبني مقياسا لزيادة النيل فبناه في أول سنة سبع وأربعين ومائتين برأس جزيرة الفسطاط وسماه المقياس الجديد وهو الموجود الآن وكان بمصر مقاييس منها ما بني في أيام سليمان بن عبد الملك الاموي وبنى الامير أحمد ابن طولون مقياسا بجزيرة الفسطاط وبنى عمر بن عبد العزيز مقياسا بحلوان صغير الذراع وبنى المامون مقياسا بسروان فهذه المقاييس التي بنيت في صدر الاسلام وأما المقاييس التي وضعت قبل الاسلام وهو ما وضعه يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام فانه وضع مقياسا بمنف وهو أول من اتخذ مقياسا للنيل بالاذرع واستمر مدة ثم ان دلوكة العجوز وضعت مقياسا بانصنا ووضعت مقياسا باخميم وان القبط وضعوا مقياسا بقصر الشمع عند دير البنات وآثاره باقية هنالك الى أن بنى الامير يزيد المقياس المذكور فبطلت حكمة تلك المقاييس التي كانت قبل وان الامير يزيد لما بنى المقياس الجديد المذكور كسر فيه

سنة احدى ومائة وله من العمر تسع وعشرون سنة وكان يقال له أشج بني مروان وقبره بدير سمعان من أعمال حمص والمثل يضرب بعدله (وولي بعده ابن عمه يزيد) ابن عبد الملك ابن مروان أربعة أعوام وشهرا واحدا ومات سنة خمس ومائة (وولي بعده أخوه هشام) ابن عبد الملك بن مروان فبقي متوليا تسع عشرة سنة وسبعة أشهر غير أيام ومات سنة خمس وعشرين ومائة (وولي بعده الوليد) بن يزيد ابن عبد الملك بن مروان سنة واحدة وشهرين وكانت سيرته قبيحة (وولي بعده يزيد بن الوليد) وهو الذي قتل ابن عمه الوليد المذكور ومكث ستة أشهر وكانت سيرته جيدة وأزال منكرات كثيرة ويقال له الناقص لانه انتقص أرزاق الجند وكان عادلا قارب

نحو ألفي مركب حتى ثبت أساسه في البحر ويشتمل هذا المقياس على فسقية مربعة يدخل لها الماء من مسار بوفي وسطها عمود من رخام أبيض وفوقه جائزة من خشب وضعوا في العمود خطوطا أصابع وهي عبارة عن قراريط مقسمة على أذرع يعلم منها ما يزيده النيل في كل يوم من أوان الزيادة وجعل مساحة الذراع الى أن يبلغ اثني عشر ذراعا فيكون الذراع ثمانية وعشرين أصبعا ومن اثني عشر ذراعا الى فوق يصير الذراع أربعة وعشرين أصبعا وكانت أرض مصر كلها تروى الري الكامل من ستة عشر ذراعا الى سبعة عشر ذراعا وما زاد على ذلك يحصل به الضرر قال بعض الحكماء لولا جعل الله في نيل مصر حكمة الزيادة في زمن الصيف على التدريج حتى يتكامل ري البلاد وهبوط الماء عند بدو الزراعة لفسد اقليم مصر وتعذر سكناه لانه ليس فيه أمطار كافية ولا عيون جارية ولله در القائل

واها لهذا النيل أي عجيبة * بكر بمثل حديثها لا يسمع

يلقى الثرى في العام وهو مسلم * حتى اذا ما قيل عاد مودع

مستقبلا مثل الهلال فدهره * أبدا يزيد كما يزيد ويرجع

(وقال آخر في المعنى)

كأن النيل ذو عقل ولب * لما يبدو لعين الناس منه

فيأتي حين حاجتهم اليه * ويمضي حين يستغنون عنه

وروى ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه قال نيل مصر سيد الانهار سخر الله له كل نهر في المشرق والمغرب فاذا أراد الله تعالى أن يجري نيل مصر أمر كل نهر أن يمده فتمده الانهار بمائها ويفجر له الانهار والارض عيونا فاذا انتهت جريته الى ما أراد الله تعالى أوحى الى كل ماء أن يرجع الى عنصره وعن يزيد بن حبيب أن معاوية بن أبي سفيان سأل كعب الاحبار هل تجد لهذا النيل في كتاب الله عز وجل خبرا قال اي والذي فلق البحر لموسى العمراني لاجد في كتاب الله عز وجل ان الله تعالى يوحي اليه في كل عام مرتين يوحي اليه عند جريته ان الله تعالى يأمرك أن تجري فيجري ما كتب الله له ثم يوحي اليه بعد ذلك عد يا نيل حميدا قال ابن عبد الحكم كان في زمن الاقباط متولي قياس النيل جماعة من النصارى فلما بنى الامير يزيد هذا المقياس عزل النصارى من قياس النيل واستمر لشخص من المسلمين يقال له عبد الله بن عبد السلام بن أبي الرداد وكان أصله من البصرة وكان يقيم بالجامع العمري فاختاره الامير يزيد لقياس النيل الى أن توفي في سنة ست وستين ومائتين وكان دينا خيرا من أهل الصلاح والدين وله حال مع الله تعالى واستمر القياس لاولاده الى يومنا هذا أقول وفي زماننا هذا قد علت الارض وأهمل أمرها من عدم جرف الترع والسواقي واصلاح الجسور فصارت الاراضي لا يحصل لها الري الكامل الا ما زاد على عشرين ذراعا ومن لطائف المتوكل انه كان في زمن الورد لا يلبس الا الثياب الموردة ولا يفرش الا الفرش المورد وكان في زمنه لا يرى الورد الا في مجلسه وكان يقول أنا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين وكل منا أولى بصاحبه وكان يقول مخاطبا للورد

عار على بان بشملك ساقط * أو أن تراك نواظر البخلاء

وبالجملة فمحاسن الورد كثيرة وأنواره مستنيرة وقد ورد انهم لما ألقوا سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في النار لم تأكل النار سوى وثاقه ولما استقر فيها أخذت الملائكة بضبعيه وأجلسوه على الارض واذا هو بعين ماء عذب وروضة تهتز بورد أحمر ونرجس *(فائدة)* في اشارة لورد وهو مسترع صوف الورد يقول أنا الضيف الوارد بين الشتاء والصيف واللطيف الذي يزور وكاللطيف فاغتنموا وقتي فان الوقت ضيف أعطيت نفس العاشق وكسيت لون المعشوق فاروح الناشق وأهيج المعشوق فانا الزائر وأنا المزور ومن طمع في بقائي فان ذلك زور وتم من علامات الدهر المكدور وناعيشي المرور واني حيثما نبت رأيت الاشواك تزاحمني وتجاورني فانا بين الادغال مطروح وبنبال الشوك مجروح وهذا دمي يخبر عن

في سيرته عمر بن عبد العزيز وهما المرادان بقول العرب الناقص والاشج أعدلا بني مروان فالناقص يزيد والاشج عمر ولما مات ولي بعده ابراهيم بن الوليد وأقام ثلاثة أشهر واضطرب الامر وانخلع (وولي بعده مروان بن محمد) سنة سبع وعشرين ومائة واضطرب الامر عليه فهرب وقتل بمصر بموضع يقال له أبو صير بالفيوم سنة اثنتين وثلاثين ومائة وانقطعت بموته دولة بني أمية وهم أربعة عشر أولهم معاوية وآخرهم مروان ومدتهم اثنتان وثمانون عاما وهي ألف شهر وانتقل الامر الى بني العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وكانت ولايتهم بالعراق وينيبون عنهم نوابا بمصر والشام وعدتهم سبع وثلاثون خليفة ومدة

روّ ياسيدى فهذا حالى وأنا ألطف الاوراد فمن صبر على نكد الدنيا نال المراد فبينما أنا أرفل فى ظل النضارة اذ قطعتنى أيدى النظارة فاستلبتنى من بين الازاهير الى ضيق القوارير فذاب جسدى وعصر زبدى وعرق جلدى وقطر دمعى فجسدى فى حرق ودمعى فى غرق وقد جعلت ما رشح من عرقى شاهدا بما لاقيت من قلقى فينادينى بهذا الاحتراق أهل الاختراق ويتروح بنفسى ذو والاشواق أهل المعرفة يتوقعون بقائى وأهل المحبة يتمنون لقائى

فان غبت عنكم كنت بالروح حاضرا * فسيان قربى ان تأملت والبعد
فلله من أضحى من الناس قائلا * فان لك ماء الورد اذ ذهب الورد

حكى القاضى شهاب الدين بن فضل الله عن على بن محمد الانصارى انه رأى فى نصيبين وردا أصفر فى الوردة ألف ورقة فعدها فاداهى كذلك وذكر القاضى شهاب الدين أيضا انه رأى وردة نصفها أحمر قانى الحمرة ونصفها أبيض ناصع البياض والورقة كأنها مقسومة بقلم وكان ابراهيم الخواص رحمه الله يسأل الله تعالى فى أيام الورد فيعتكف للعبادة ويقول فى زمن الورد يغلب على ظنى كثرة من يعصى الله تعالى فاما أستغفر الله لهم وأسأله المسامحة وقيل ان أعطار الزهور ورد جور وبنفسج الكوفة ونرجس جرجان ومنثور بغداد قال الصولى كان فى قصر المتوكل أربعة آلاف سرية ما بين روميات ومولدات وحبش قال الجاحظ أهدى عبد الله بن طاهر الى المتوكل أربعمائة جارية ما بين بيض وحبش وكان من جملة ذلك جارية من مولدات البصرة يقال لها محبوبة وكانت فائقة فى الحسن والجمال وكانت تضرب بالعود وتحسن الغناء وتنظم الشعر وتكتب خطا جيدا فافتتن بها المتوكل وكان لا يصبر عنها ساعة واحدة فلما رأت ميله اليها جفته وبطرت النعمة فغضب عليها وهجرها ومنع أهل القصر من كلامها فمكثت على ذلك أياما وكان للمتوكل ميل اليها فأصبح ذات يوم وقال لجلسائه قد رأيت هذه الليلة فى منامى كأنى صالحت محبوبة فقالوا نرجو من الله ان يكون ذلك يقظة فبينما هو فى الحديث واذا بخادم قد أقبلت وأسرت الى المتوكل حديثا فقام من المجلس ودخل دار الحريم وكان الذى أسرته اليه ان قالت سمعنا من حجرة محبوبة غناء وهى تضرب بالعود وما ندرى ما سبب ذلك فسمعناها تغنى على العود هذه الابيات

أدور فى القصر لا أرى أحدا * أشكو اليه ولا يكلمنى
حتى كأنى ركبت معصية * ليس لها توبة تخلصنى
فهل لنا شافع الى ملك * قد زارنى فى الكرى وصالحنى
حتى اذا ما الصباح لاح لنا * عاد الى هجره وقاطعنى

فلما سمع المتوكل هذه الابيات تعجب من هذا الاتفاق الغريب حيث رأت محبوبة مناما كما رأى فلما دخل الى حجرتها وأحست به بادرت بالقيام اليه وأكبت على أقدامه تقبلها وقالت والله يا سيدى لقد رأيت هذه الواقعة البارحة فى المنام فلما انتبهت من النوم نظمت هذه الابيات فقال لها المتوكل والله لقد رأيت مثل ذلك مناما فعند ذلك اصطلحا وأقام عندها سبعة أيام بلياليها وكتبت محبوبة على خدها بالمسك اسم المتوكل وهو جعفر فلما رآها المتوكل أنشأ يقول

وكاتبة بالمسك فى الخد جعفرا * لنفسى خط المسك من حيث أثرا
لئن كتبت فى الخد سطرا بكفها * لقد أودعت قلبى من الخط أسطرا
فيا من هواها فى البرية جعفر * سقى الله من سقيا ثناياك جعفرا

ولما مات المتوكل سلا جميع من كان له من الجوارى الا محبوبة فانها لم تزل حزينة عليه حتى ماتت ودفنت بجانب قبره قال بعض الحكماء زينة النساء أربعة سود شعر الرأس والحاجبين وأشفار العينين والحدقة وأربعة بيض اللون والعين والاسنان والساق وأربعة حمر اللسان والشفتان والوجنتان واللثة وأربعة مدورة الرأس والعنق والساعد والعرقوب وأربعة طوال الظهر والاصابع والذراعان والساقان

تصرفهم بالعراق خمسمائة سنة ثم انتقلوا الى مصر وعدتهم بها خمسة عشر خليفة واستمرت الخلافة فيهم الى سنة خمسين وستمائة وكان يظن بقاؤها فيهم الى أن يسلموها للمهدى فى آخر الزمان (وأول من ولى منهم عبد الله السفاح) بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بالكوفة سنة اثنتين وثلاثين ومائة فأقام أربع سنين وثمانية أشهر (وولى بعده المنصور) أبو جعفر وكان أكبر سنا من السفاح واسمه عبد الله ابن محمد ببغداد وهو الذى بنى بغداد سنة مائة وأربعين وجعلها قاعدة ملكه وسماها مدينة السلام وأقام اثنتين وعشرين سنة وتوفى سنة ثمان وخمسين وهو متوجه الى الحج ودفن قريبا من مكة (وولى بعده المهدى) محمد

وأربعة واسعة الجبهة والعينان والصدر والوركان وأربعة دقيقة الحاجب والانف والشفتان والاصابع وأربعة غليظة العجز والفخذان والعضلتان والركبتان وأربعة صغيرة الاذنان والثديان واليدان والرجلان وأربعة طيبة الريح والفم والانف والفرج وأربعة عظيمة الطرف والبطن واليد واللسان *(فائدة)* اذا كانت المرأة حاملا وأردت أن تعلم هل حملها غلام أم جارية فتأخذ قملة من رأسها وتضعها فى كفها وتحلب عليها من ثديها فان أسرعت الخروج من اللبن فهى حامل بجارية وان أبطأت فهى حامل بغلام *(فائدة)* اذا أردت أن تعلم هل المرأة عاقر أم الرجل عقيم فامسك بول الرجل وبول المرأة كل واحد على حدته ثم اعمد الى أصلين من أصول الخس وهما فى المقلة فصب كل واحد على أصل خس وعلم الذى صب عليه بول الرجل والذى صب عليه بول المرأة ويكون ذلك عند غروب الشمس فاذا كان من الغد فانظر الى الاصلين فأيهما وجدته آخذا فى الفساد دل على ان الذى صب عليه ماؤه عاقر *(فائدة)* مجربة من أخذ من ذنب الحمار ثلاث شعرات حين ينزو على الاتان وشدهن على ساقه فانه ينتشر ذكره ويستوى على سوقه *(فائدة)* للحبل يسحق ورق العيرا ويعجن منه قدر درهم بعسل ويعمل صوفة وتتحمل بها المرأة عقب الطهر ويجامعها الرجل تحبل باذن الله تعالى *(فائدة)* أخرى اذا تبخرت المرأة بحافر الحمار أسرع خروج ولدها حيا بسهولة وكذلك اذا كان ميتا حدث البحترى الشاعر قال كنت عند المتوكل مع ندمائه فتذاكروا السيوف فقال بعض من حضر يا أمير المؤمنين وقع عند رجل من البصرة سيف من الهند ليس له نظير فأمر المتوكل بالكتابة الى عامل البصرة أن يشترى له السيف الموصوف فاشتراه بعشرة آلاف درهم وأرسله اليه فسر المتوكل بوجوده وقال لوزيره الفتح بن خاقان أطلب لى غلاما تثق بنجدته وشجاعته وادفع هذا السيف اليه ليكون واقفا على رأسى كل يوم مادمت جالسا فلم يتم كلام المتوكل حتى دخل باغر التركى فدفع اليه المتوكل السيف قال البحترى فوالله ما أخرج السيف المذكور من غمده الا لقتل المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان والى هذا المعنى أشار ابن زيدون فى رسالته بقوله وتكون منية المتمنى فى أمنيته ومن شعر الحافظ أبى بكر أحمد خطيب بغداد

لا تغبطن أخا الدنيا بزخرفها * ولا للذة وقت عجلت فرحا

فالدهر أسرع شئ فى تقلبه * وفعله بين للخلق قد وضحا

كم شارب عسلا فيه منيته * وكم تقلد سيفا من به ذبحا

وكان السبب فى قتل المتوكل انه عهد الى ولده المنتصر محمد بالخلافة أولا ثم وقع بينه وبين ابنه شئ فرجع عن عهده له وبدا له أن يعهد لأخيه الصغير محمد المعتز وكان يميل الى ابنه الصغير أكثر من الكبير فلما بلغ الجند ذلك تغيرت خواطرهم عليه قاطبة ثم ان جماعة من الجند اتفقوا مع المنتصر على قتل أبيه فلما وثقوا منه بذلك ندبوا الى قتله باغر المذكور وكان موصوفا بالشجاعة فلما جاء نصف الليل هجم عليه عشرة من الاتراك ومعهم باغر فوجدوه قد سكر ونام وعنده وزيره الفتح بن خاقان فتقدم اليه باغر وضربه بالسيف على عاتقه فمات من وقته فصاح عليهم الفتح بن خاقان ويحكم يا كلاب كيف تقتلون خليفة الله فقتلوا الفتح ابن خاقان أيضا ثم لفوهما فى بساط ودفنوهما فى الليل ولم يشعر بهما أحد قال عمرو بن شيبان رأيت فى الليلة التى قتل فيها المتوكل قائلا يقول هذه الابيات

يا نائم العين فى أقطار جثمان * أفض دموعك يا عمرو بن شيبان

أما ترى الفتية الارجاس ما فعلوا * بالهاشمى وبالفتح بن خاقان

فابكوا على جعفر وارثوا خليفتكم * فقد بكاه جميع الانس والجان

(وقال يزيد)

كانت منيته والعين هاجعة * هلا أتته المنايا والقنا قصد

خليفة لم ينل ما ناله أحد * ولم يضع مثله روح ولا جسد

وكان البحترى كثيرا ما يذكر المتوكل والفتح بن خاقان فى شعره ويرتاح لذكرهما أبدا وقال من قصيدة

ابن عبد الله المنصور فأقام عشر سنين وشهرين وأياما وتوفى سنة تسع وستين ومائة (وولى بعده ابنه الهادى) موسى بن محمد المهدى فأقام عاما واحدا وشهرا وتوفى سنة سبعين ومائة (وولى بعده أخوه هرون الرشيد) فأقام ثلاثا وعشرين سنة وشهرا وهو من أجل ملوك الارض له نظر فى العلم والآداب وكان يصلى فى كل يوم وليلة مائة ركعة ويتصدق من خالص ماله كل يوم بألف درهم وكان يحب العلم ويوقر أهله وكانت أيامه من حسنها كأنها أعراس وله أخبار كثيرة فى اللهو واللذات وتوفى سنة ثلاث وتسعين ومائة (وولى بعده ابنه محمد الامين) فأقام أربع سنين وسبعة أشهر وثمانية أيام وقتل ليلة الاحد لخمس بقين من

تداركني الاحسان منك وتالني * على فاقة ذاك الندى والتطول
ودافعت عنى حين لا فتح يرتجى * لدفع الاذى عنى ولا المتوكل

وكان المتوكل أول خليفة قتل بيد الاتراك فظهر بذلك صدق الحديث النبوى الذى رواه ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتركوا الترك ما تركوكم فانه أول ما يسلب ملككم وما وسع الله بنو قنطورا وأقام المتوكل فى الخلافة أربع عشرة سنة وتسعة أشهر الى أن قتله باغر باشارة ولده محمد المنتصر فى نصف شوال سنة سبع وأربعين ومائتين ولا عجب فى ذلك فان الولد قد يكون ضررا على أبيه كما قيل

أرى ولد الفتى ضررا عليه * لقد سعد الذى أضحى عقيما
فاما أن يربيه عدوا * واما أن يخلفه يتيما
واما أن يوافيه حمام * فيبقى حزنه أبدا مقيما

(وفى المعنى)

لى ولد قد انتشا * وجهه حشا الحشا * كنا نظن رشده * فانشا كما نشا

(وفى المعنى أيضا)

اضرب وليدك ناديا على رشد * ولا تقل هو طفل غير محتلم
فرب شق برأس جر منفعة * وقس على شق رأس السهم والقلم

(وفى المعنى أيضا)

كان أبى يربدنى * عدل أو قاضى البلد * لم يكن غير ماير يد * يعتبر من له ولد

وفى الفردوس عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان لان يربى أحدكم جرو كلب أوخنزير خير له ان يربى ولدا من صلبه وفى الفردوس أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان تشاركهم الشياطين فى أولادهم قيل كان ذلك يارسول الله قال نعم قالوا كيف نعرف أولادنا من أولادهم قال بقلة الحياء وقلة الترحم وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن أحدكم اذا أتى أهله وقال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فرزقا ولدا لم يضره الشيطان وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى ابن أبى طالب لا تجامع أهلك فى النصف الثانى من الشهر فانه يحضره الشياطين ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أربعة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة عاق ومنان ومدمن خمر ومكذب بالقدر وقال صلى الله عليه وسلم كل شئ بينه وبين الله حجاب الا شهادة ان لا اله الا الله ودعوة الوالدين وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده وقال صلى الله عليه وسلم ما أكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله عند كبر سنه من يكرمه وقال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا ويفيض اللئام فيضا ويغيض الكرام غيضا ويجترئ الصغير على الكبير واللئيم على الكريم وقيل لبعض الحكماء لاى شئ تحب أولادنا وهم لا يحبوننا فقال لانهم منا ولسنا منهم قال الشاعر

من كان يعلم ان ماله ماله * من بعد عينك لا يحب بقاكا

ذكر البيضاوى فى تفسيره عند قوله تعالى كما ربيانى صغيرا روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبوى بلغا من الكبر انى ألى منهما ما وليا منى فى الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما وروى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان أبى أخذ مالى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب فائتنى بابيك فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك اذا جاءك الشيخ فاسأله عن شئ قاله فى نفسه ما سمعته أذناه فلما جاء الشيخ قال له النبى صلى الله عليه وسلم ما بال ابنك يشكوك أتريد أن تأخذ ماله فقال له سله يارسول الله هل أنفقه الا على احدى عماته

المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة ببغداد (وولى بعده أخوه عبد الله المأمون بن هرون الرشيد) فأقام عشرين سنة وخمسة أشهر وفى مدته خرج أهل مصر عن طاعة الخليفة وامتنعوا من ورود الخراج وطردوا العمال من البلاد وصارت فتنة عظيمة بمصر حتى كادت أن تخرب مصر وأطفأ نار الفتنة وقتل من القبط خلقا كثيرا ورجع الى بغداد وتوفى غازيا فى أرض الروم فى رجب سنة ثمانية عشر ومائتين ودفن بطرطوس (وولى بعده المعتصم بالله محمد بن هرون الرشيد) ورحل الى بغداد واتخذ قاعدة ملكه سر من رأى وكان لا يقرأ ولا يكتب فأقام ثمانية أعوام وثمانية أشهر وثمانية أيام وتوفى سنة سبع وعشرين ومائتين (وولى

أو خالا نه أو على نفسي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم دعنا من هذا أخبرني عن شيء قلته في نفسك ما سمعته أذناك فقال الشيخ والله يا رسول الله ما يزال الله يزيدنا بك يقينا لقد قلت في نفسي شيأ ما سمعته أذناي فقال قل فانا أسمع فقال

غذوتك مولودا وعلتك يافعا * تعل بما أحنو عليك وتنهل
اذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت * لسقمك الا ساهرا أتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي * طرقت به دوني فعيناي تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وانني * لأعلم ان الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التي * اليها مدا ما كنت فيه أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة * كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك اذ لم ترع حق أبوتي * فعلت كما الجار المجاور يفعل

قال فحينئذ أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بتلابيب ابنه وقال أنت ومالك لابيك فنسأل الله المنان من فضله أن يرزقنا ذرية صالحة موفقة بمنه وكرمه آمين (فائدة) لا بأس بذكرها في هذا المحل وايرادها في هذا المعنى قول الشيخ المذكور في قصيدته وعلتك يافعا قال الدماميني رحمه الله في وصف الانسان ناظما

أصخ صفات الآدمي وضبطها * لتلفظ درا تقتنيه بديعا
جنين اذا ما كان في بطن أمه * ومن بعد يدعى بالصبي رضيعا
فان فطموه فالغلام لسبعة * كذا يافعا للعشر قل مطيعا
الى خمس عشر فالحزور بعده * لتحسن فيما تجتنيه صنيعا
كذلك الى خمس وعشرين حجة * دعاه بالفتى الفاضلون مطيعا
جميل لحد الأربعين وبعده * بكهل الى خمسين فادع سميعا
وشيخا الى حد الثمانين فادعه * بما ثم هم بالسمات رجيعا

(خلافة محمد المنتصر بن المتوكل)

بويع له يوم قتل أبيه على كره وسنه أربع وعشرون سنة ولم يتهن بالخلافة لاستيلاء المماليك الاتراك على المملكة وكان على حذر منهم ويقول هؤلاء قتلوا الخلفاء وكانوا أيضا منه على حذر وأرادوا قتله فما أمكنهم الاقدام عليه لشدة تحاذره منهم ذكر ان المنتصر جلس يوما للهو وأمر بفرش بساط من ذخائر الخزينة تداولته الملوك فرأى فيه صورة فرس عليها تاج وعليه كتابة بالفارسية فطلب من يستخرج تلك الكتابة فاحضر له رجل من الفرس فقرأها وعبس عند قراءتها فسأله المنتصر عنها فقال معنى هذه الكتابة أنا الملك شيرويه بن أبرويز بن هرمز قتلت أبي في طلب الملك فلم أمكث بعده الا ستة أشهر فاصفر وجه المنتصر وتطير من ذلك وتذكر ما صنع بابيه وحم جسمه فطلب ابن طيفور المزين ليفصده فلما أحس بذلك طائفة الاتراك دفعوا الى ابن طيفور ألف دينار وقالوا له اذا طلبك المنتصر لمداواته فافصده بمبضع مسموم وان المنتصر لما بات في توعكه انتبه فزعا مرعوبا وهو يبكي فسألته أمه ما يبكيك قال أفسدت ديني ودنياي رأيت أبي الساعة وهو يقول قتلتني يا محمد لاجل الخلافة والله لا تتمتع بها الا أياما قلائل ثم مصيرك الى النار فلما أصبح طلب ابن طيفور ففصده بالمبضع المسموم فمات قال عمرو بن عثمان رأيت المتوكل بعد قتله بستة أشهر في المنام فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لي بتعصبي للسنة بان القرآن غير مخلوق فقلت له وما تصنع ههنا قال جئت انتظار ابني محمد احتى أخاصمه بين يدي الله تعالى فلما أصبح أشيع بين الناس موت المنتصر وأقام المنتصر في الخلافة ستة أشهر وتوفي في ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين (حكي) ان طيفور المذكور لما فصد المنتصر بالمبضع المسموم مكث قليلا بعد موت المنتصر ومرض فقال لتلميذه افصدني فلم يأت له الا بالمبضع المسموم ففصده فمات لوقته

بعده ابنه الواثق بالله هرون بن محمد) فأقام خمس سنين وأشهرا وتوفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين (وولي بعده أخوه المتوكل على الله جعفر بن محمد) فأقام أربع عشرة سنة وستة أشهر وسبعة أيام وقتل غرة شوال سنة سبع وأربعين ومائتين (وولي بعد ابنه المنتصر بالله محمد بن جعفر فأقام ستة أشهر (وولي بعده المستعين بالله أحمد بن المنتصر) فأقام ثلاث سنين وتسعة أشهر وخلع سنة اثنتين وخمسين ومائتين وقتل (وولي بعده ابن أخيه المعتز بالله محمد ابن المتوكل على الله) فأقام ثلاث سنين وسبعة أشهر وقتل سنة خمس وخمسين ومائتين (وولي بعده ابن عمه المعتمد على الله أحمد ابن جعفر المتوكل على الله) فأقام عشر سنين وتوفي سنة ست وستين

شيكان كما قال

أقمالهرتدعليه ماجنى * فالدهر قدجازاه من جنس العمل

(خلافة أبي العباس أحمد المستعين بالله بن المعتصم عم المنتصر أخو المتوكل)

بويع له يوم مات المنتصر وسنه احدى وثلاثون سنة قدمته الترك واختاروه وعدلوا عن أولاد المتوكل لانهم كانوا قتلوه فخافوا أن يلي الخلافة أحد أولاده فيأخذ بثار أبيه فاختاروا من أولاد المعتصم المستعين بالله وما كان له من الخلافة الا الاسم وكانت المماليك الاتراك مستولين على الملك وكان الامر جميعه لوصيف وباغر حتى قيل

خليفة في قفص * بين وصيف وبغا * يقول ما قالا له * كما تقول الببغا

ومن الدرة ومما أفاده الدماميني في كتابه عين الحياة ان الشيخ كمال الدين الادفوي ذكر في ترجمة محمد ابن محمد النصيبي القوصي الفاضل المحدث الاديب انه حضر مرة عند تقي الدين البصراوي الحاجب بقوص وكان له مجلس يجتمع فيه الرؤساء والفضلاء والادباء فحضر الشيخ على الحريري وحكى انه رأى درة تقرأ سورة يس فقال النصيبي وكان غراب يقرأ سورة السجدة فاذا جاء الى محل السجود سجد ويقول سجد لك سوادي واطمأن بك فؤادي وسمعت من شخص من كتبة بيت المال المعمور بمصر ان امرأة من أولاد أمراء الدولة العثمانية توفيت وليس لها وارث الا بيت المال فضبطت تركتها فكان من جملة مخلفاتها درة فذكر انها تقرأ القرآن من أوله الى آخره فاتصل خبرها بمحمد باشا الوزير حاكم مصر فطلبها من وكيل بيت المال فأعطاه اياها فامتحنت في القراءة فقرأ شخص بحضورها سورة من القرآن فانتقل من آية الى آية مغالطة لها فردته فتعجب من كان حاضرا وهذا من العجب وكان المستعين فاضلا مطلعا على التواريخ متجملا في ملبسه وهو أول من اتخذ الاكمام العراض فجعل الكم ثلاثة أشبار ولما أبى المستعين الانقياد الى الاتراك خرج من بيت الخلافة وهو مختف وتوجه الى مدينة واسط فأقام بها وكاتبه الامراء والجند بأن يرجع الى بغداد فامتنع من ذلك فأرسلوا اليه من قبض عليه بواسط وسجنه ثم ان الجند أحضروا المعتز وبايعوه بالخلافة وصار العسكر فرقتين فرقة مع المستعين وفرقة مع المعتز فقويت شوكة المعتز وتم أمره في الخلافة فأرسل سعد بن صالح الى واسط فقتل المستعين بعد أن أقام في السجن سبعة أشهر وكان قتله في ثالث شوال سنة احدى وخمسين ومائتين فكانت خلافته ثلاث سنين وتسعة أشهر والله تعالى أعلم

(خلافة المعتز محمد أبي عبد الله)

بويع له يوم خلع أحمد المستعين وسنه ثلاث وعشرون سنة وكان بديع الحسن حسن الصورة وكان متضعفا وكان صالح بن وصيف مستوليا على المعتز وهو خائف منه فاجتمع الجند على المعتز وطلبوا منه أرزاقهم ووعدوه انه اذا أنفق عليهم ركبوا معه على صالح بن وصيف وقتلوه وصفوا له الملك ولم يكن في خزائنه ما يصرفه عليهم وطلب من أمه شيأ من المال وكانت تركية واسمها قبيحة لفرط جمالها بين النساء فأبت وشحت بالمال على ولدها وهو خليفة فاتفق الاتراك على خلعه وركب عليه صالح بن وصيف ومحمد بن بغا وأتباعهما وأتوا الى دار الخلافة وهجموا على المعتز وجروه برجله وأوقفوه في الشمس وعذبوه حتى خلع نفسه ومنعوه من شرب الماء الى أن مات عطشا وكانت مدة تصرفه ثلاث سنين وسبعة أشهر وان صالح بن وصيف صادر قبيحة المذكورة وعذبها حتى أخذ منها ألف ألف دينار ونصف أردب لؤلؤ ومثله زمرد وسدس أردب ياقوت أحمر ثم أخرجت الى مكة وأقامت بها الى أن ماتت وأقل الناس الترحم عليها حين ظهر عندها هذا المال وشحت على ولدها والله أعلم

(خلافة عبد الله المهدي)

بويع له يوم خلع المعتز وسنه تسع وثلاثون سنة وكان كثير العبادة ليس له من الامر شيء وقد كان أبطل

ومائتين (وولي بعده أخوه المعتضد بالله أحمد بن طلحة بن المتوكل) فأقام تسع سنين وتسعة أشهر ونصفا وتوفي سنة تسع وثمانين ومائتين وكان قد رجع الى بغداد وسكنها وانقطع حج الخلفاء بأنفسهم في خلافته (وولي بعده ابنه المكتفي بالله علي بن أحمد) فأقام ستة أعوام ونصفا وعشرين يوما ومات سنة خمس وتسعين ومائتين (وولي بعده أخوه المقتدر بالله جعفر بن أحمد) وله من العمر ثلاث عشرة سنة ولم يل الخلافة من بني العباس أصغر سنا منه فأقام خمسا وعشرين سنة غير أيام وتوفي في شوال سنة عشرين وثلثمائة (وولي بعده أخوه القاهر بالله محمد بن أحمد) فأقام عاما واحدا وستة أشهر وأياما وكانت عيناه سنة اثنتين وعشرين

الملاهي ومنع الظالمة من الظالم والمكوس قيل دخل عليه رجل وقال له ان عندي نصيحة يا أمير المؤمنين فقال له لمن هي ألنا أم لعامة المسلمين أم لنفسك قال لك يا أمير المؤمنين قال ليس الساعي بأعظم عورة ولا أقبح حالا من قائل سياسة ولا تخلو من أن تكون حاسد نعمة فلا نشفي غيظك أو لك عدو فلا نعاقب لك عدوك ثم أقبل على الناس فقال لا ينصح لنا ناصح الا بما فيه رضا الله تعالى وللمسلمين فيه صلاح فان مالنا الا الابدان وانهم القلوب ومن استتر لم نكشفه ومن نادانا طلبنا توبته ومن أخطأ أقلنا عثرته اني أرى النصح أبلغ من العقوبة والسلامة مع العفو أسلم منها في العاجلة والقلوب لا تتقي لوال لا يتعطف اذا استعطف ولا يعفو اذا قدر ولا يغفر اذا ظلم ولا يرحم اذا استرحم ولا يخفى ان حظوظ النفوس تتشاق الغالب من الحسد وهو تمني زوال النعمة عن المحسود وهو من الكبائر كما قال في الروضة وهو داء لا دواء له وعداوة لا يرجى زوالها كما أشار اليه امامنا الشافعي رضي الله عنه في قوله من أبيات

كل العداوة قد ترجى ازالتها * الا عداوة من عاداك من حسد

وحكي عن أبي العباس أحمد القادر انه بينما هو ذات ليلة في أسواق بغداد اذ سمع شخصا يقول لآخر قد طالت علينا دولة هذا المشؤوم وليس لأحد عنده رزق فأمر خادما معه أن يتوكل عليه ويحضره بين يديه فلما حضر بين يديه سأله عن صنعته فقال اني كنت من السعاة الذين يستعين بهم أرباب هذا الامر على معرفة أحوال الناس فذ ولي أمير المؤمنين أقصانا وأظهر الاستغناء عنا فتعطلت معيشتنا وانكسر جاهنا عند الناس فقال أتعرف من في بغداد من السعاة قال نعم وأحضر كاتبا فكتب أسماءهم وأمر باحضارهم ثم أجرى لكل واحد منهم معلوما ونفاهم الى الثغور والقاصية ورتبهم هناك عيونا على أعداء الدين ثم التفت ان حوله وقال اعلموا أن هؤلاء ركب الله فيهم شرا وملأ صدورهم حقدا على العالم ولا بد لهم من افراغ ذلك الشر فالاولى أن يكون ذلك في أعداء الدين ولا ينغص بهم على المسلمين وفي المعنى

قوم هم كدر الحياة وغمها * عرض البلاء بهم على وطالا
يتآكلون ضغينة وخيانة * ويرون لحم الغافلين حلالا
وهم فراش الشر يوم ملمة * يتهافتون تماشيا وخيالا
وهم غرابيل الحديث اذا وعوا * شرا تقطر منهم وتسالا

(وزعم بعضهم) أن السلطان محمد بن قلاوون رحمه الله أخبره وزيره الامير علاء الدين مغلطاي ان تاج الدين كاتب الفسالح ذكر عنده أنا ما بقي شيء والترم دمهم جملة من الذهب اذا صودروا وأخرجت وطالبهم فقال السلطان للوزير أحضر تاج الدين المذكور فلما حضر بين يديه وسمع كلامه قال هل لك علم بأحد في القاهرة يعرف شيئا من هذه الاحوال قال نعم جماعة وعددهم فقال للوزير خذ هذا واحتفظ به وأحسن اليه واذا احضر لك هؤلاء الذين ذكرهم عرفني بهم نفر جا من عنده وصار يذكر له جماعة جماعة وهو يحضرهم الى ان لم يبق منهم أحد ودخل الى السلطان وعرفه بهم فقال اخرج الآن في هذه الساعة وجهز الجميع الى قبرس ولا تدع أحدا منهم في القاهرة فان هؤلاء مناحيس يراءون الناس فنفاهم أجمعين وفي المعنى

أقول وطرف النرجس الغض شاخص * الينا وللنمام حولي المام
أيا رب حتى في الحدائق أعين * علينا وحتى في الرياحين نمام

وكتب بعض شهود الاهواز الى الوزير أبي الفرج محمد بن فسانجس قد مات فلان وخلف خمسين ألف دينار عينا ولم يخلف غير طفلة فان رأيت استقراض المال الى أن تبلغ الطفلة ففي عقارها وأملاكها كفاية فوقع على ظهر كتابه الطفلة جبرها الله والمال ثمره الله والساعي لعنه الله لا حاجة للسلطان بالمال وعن أبي بردة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج أفواههم نارا قيل من هم يا رسول الله قال ألم تر ان الله يقول ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في

وثلثمائة وعاش خاملا مضاعا الى أن مات سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة (وولي بعده ابن أخيه الراضي بالله محمد بن جعفر المقتدر) فأقام ست سنين وعشرة أشهر وأياما ومات سنة تسع وعشرين وثلثمائة وهو آخر خليفة خطب على المنبر يوم الجمعة وفي زمانه اختل أمر الخلافة جدا وصارت البلاد بين خارجي تغلب عليها أو عامل لا يحمل اليه مالا ولم يبق بيد الراضي غير بغداد والسواد (وولي بعده أخوه المتقي لله ابراهيم بن جعفر المقتدر بالله) فأقام أربع سنين غير شهر وكان صالحا ولم يتمكن من تدبير الامور وخلع وسملت عيناه سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وعاش مخلوعا الى ان مات سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة (وولي بعده ابن عمه عبد الله المستكفي بالله) وسنه أحد

يطوقهم نارا (وحكى) انه لما ولى عبد العزيز بن عبد الملك دمشق ولم يكن في بني أمية البس منه في حداثة سنه قال أهل دمشق هذا غلام شاب ولا علم له بالامور وسيسمع فقام اليه رجل فقال أصلح الله الامير عندي نصيحة فقال له ليت شعري ما هذه النصيحة التي ابتدأتني بها من غير يد سبقت مني اليك قال جار لي عاص فقال له ما اتقيت الله ولا أكرمت أميرك ولا حفظت جارك ان شئت نظرنا فيما تقول فان كنت صادقا لم ينفعك ذلك عندنا وان كنت كاذبا عاقبناك قال أقلني قال اذهب حيث شئت لا صحبك الله فيغير اني أراك شر رجل وروى أن معاوية رضي الله عنه قال يوما للاحنف بن قيس في أمر بلغه عنه فانكر الاحنف فقال معاوية الثقة بلغني فقال الثقة لا يبلغ وقد جاء في السنة النبوية أحاديث كثيرة في ذم النميمة منها ما رواه حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام وقد جاء عنه عليه أفضل الصلاة والسلام انه قال لعن الله المثلث قيل له وما المثلث يا رسول الله قال الذي يسعى بصاحبه الى سلطانه فيهلك نفسه وصاحبه وسلطانه وعن الفضيل بن عياض رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أظهر لاخيه الود والصفاء وأضمر له الحقد والبغض أصمه الله وأعمى بصر قلبه وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بخياركم قالوا بلى قال الذين اذا ذكروا ذكر الله الا أنبئكم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وقال شر الناس عند الله منزلة من تركه الناس اتقاء فحشه وقال ان من شر الناس عند الله منزلة ذا الوجهين الذي يأتي هذا بوجه والى هذا بوجه وقال ان من شر الناس منزلة عند الله عبدا أذهب آخرته بدنيا غيره وروى عمار بن ياسر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار رواه أبو داود وصححه ابن حبان وأخرج الطبراني من حديث أنس بلفظ من كان ذا لسانين جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار وقال ابن زيدون في رسالته الهمازون المشاؤن بنميم يعني ان هؤلاء ذكرهم الله في القرآن العظيم في قوله تعالى هماز مشاء بنميم الهماز المغتاب الذي يأكل لحم الناس بالطعن والغيبة وقال الحسن هو الذي يلوي شدقه في أقفية الناس والنم والنميمة واحد وهو نقل الكلام السيئ والمعنى انه قتات يسعى بين الناس بالنميمة ليفسد بينهم قال صلى الله عليه وسلم لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم (أوصت) اعرابية ابنها وقد أراد السفر فقالت أي بني اياك والنميمة فانها تزرع الضغينة وتفرق بين الاحبة واياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضا وفي المثل النميمة ارثة العداوة وما أحسن قول الشيخ شهاب الدين محمود

يا مغري بذنوب ما أحطت بها * علما ولا خطرت يوما على فكري
صدقت في أباطيل الذنوب وكم * كذبت فيك يقين السمع والبصر

وقال ابن الرعاد

أنم بما ان الحادثين تحدثوا * فينا بشر حديثهم لا خيره
فاحذر فديتك أن تكون جليسهم * حتى يخوضوا في حديث غيره

ومن أمثال العرب اياك وكل مستحدث فانه يأكل مع كل من أكل ويجري مع كل ريح وقال وهب بن الوردي خالطت الناس منذ خمسين سنة فما وجدت رجلا غفر لي زلة ولا أقال لي عثرة ولا ستر لي عورة ولا أمنته اذا غضب ومن كلام النابغة الناس أجناس أكثرهم أنجاس * ورجعنا الى ما نحن بصدده من أمر عبد الله المهدي فاتفق الاتراك على خلعه وركبوا عليه فخرج عليهم وقاتلهم بنفسه الى أن أمسكوه بالبد وعصروا على بطنه الى ان مات وكانت خلافته سنة الا خمسة عشر يوما والله أعلم

(خلافة المعتمد على الله أحمد بن المتوكل)

بويع له يوم مات ابن عمه المهدي في شهر رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وكان له انهماك على اللهو واللذات فتقدم أخاه طلحة ولقبه الموفق بالله وجعله ولي عهده وولاه المشرق والحجاز واليمن وفارس وطبرستان وسجستان والسند وكان للمعتمد ولد صغير اسمه جعفر لقبه المفوض الى الله وولاه المغرب

وأربعون سنة وهو سن أبي جعفر المنصور ولم يل الخلافة بعدهما من وصل الى هذا السن فاقام ستة عشر شهرا ثم خلع وكحلت عيناه سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وعاش مخلوعا الى أن مات سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة (وولي بعده ابن عمه المطيع لله القاسم بن المقتدر) فاقام ستا وعشرين سنة وأربعة أشهر وأياما ومرض بالفالج وتخلى عن الامر لابنه الطائع لله أبي بكر يوم الاربعاء ثالث عشر ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلثمائة ومات بعد شهرين وتسعة أيام في المحرم سنة أربع وستين وثلثمائة وأقام الطائع ابنه واليا سبع عشرة سنة وتسعة أشهر وأياما وخلع سنة احدى وثمانين وثلثمائة وعاش مخلوعا الى أن مات غرة شوال سنة ثلاث

والشام والجزيرة وعقد له لواءين أبيض وأسود وعقد لهما البيعة وشرط على أخيه الموفق اذا حدث به ريب المنون وولده صغير كان الموفق ولي عهده وان كان حينئذ ولده كبيرا كان ولده ولي عهده وكتب بذلك معاقدة كتب كل منهما خطه عليها وكان الموفق عاقلا مدبرا متغلبا على أمور المملكة وكان أخوه المعتمد مكبا على لهوه ولذاته مهملا لاحوال الرعية فكرهه الناس وأحبوا أخاه طلحة وظهرت له نجابة كبيرة وظهرت في أيام المعتمد طائفة من الزنج وتغلبت على المسلمين وكان لهم رأس اسمه بهبول يدعي علم المغيبات وقتل في المسلمين ذكر الصولي انه قتل ألف ألف وخمسمائة ألف وكان يأسر النساء ويبيعهن وكان ذلك من أعظم المصيبات في الاسلام وملك هذا الكافر مدائن أخذها من المسلمين واستأصل أهلها وجعل دار مملكته واسط فانتدب لقتاله الموفق بالله وجمع الجموع فركض بخيله ورجله وجنوده الى ان التقت الفئتان فغلت السودان من لمعان السيوف وانهزموا ما بين مقتول ومأسور الى ان قتل كبيرهم بهبول ووجوه عسكره واستردت المدن التي أخذها كواسط وغيرها واطمأنت المسلمون وكافة العباد ولقبوه الناصر لدين الله وصار له حينئذ القبان ودخل بغداد في عظم وعلو شان ورأس بهبول الكافر على رأس رمح ورؤس كبار عسكره على رماح ودعا له المسلمون واستمر أخوه المعتمد على حاله منهمكا على لهوه ولذاته وله اسم الخلافة وجميع الامور يتعاطاها الموفق بصدره وكان له ولد نجيب يدعى أحمد أبا العباس جعله الموفق ولي عهده واستعان به في حروبه وأحواله وظهرت نجابته وقوته فخشي الموفق منه على نفسه وعلى ولد أخيه فحبسه ووكل من يثق به في أمره واستمر محبوسا الى ان وقعت الوحشة بين المعتمد والموفق وتباغضت قلوبهما وتشاحنت صدورهما لان الرياسة لا تقبل الاشتراك والغيرة على الملك أمر عظيم ثم ان الموفق مرض واشتد عليه الحال وتحقق غلمانه ما له فبادروا الى الحبس فكسروه وأخرجوا ابنه ولده أحمد وجاؤا به الى والده فلما رآه أيقن بالموت وتحقق وقال له ياولدي لهذا اليوم خبأتك وأوصاه وفوض اليه وأوصاه بعمه المعتمد وكان ذلك قبل موته بثلاثة أيام وكانت وفاته في سنة ثمان وسبعين ومائتين وشمت فيه أخوه المعتمد وظن انه استراح من الموفق وما علم أنه عما قليل به لحق وكانت خلافة المعتمد ثلاثا وعشرين سنة وتوفي سنة تسع وسبعين ومائتين والله سبحانه وتعالى أعلم

(خلافة أحمد المعتضد بن طلحة الموفق)

بويع له يوم مات عمه وسنه ست وأربعون سنة وكان ملكا مهيبا ظاهر الجبروت وافر العقل شجاعا يقدم على الاسد وحده وكان أسقط المكوس في أيامه ورفع الظلم عن الرعية وجدد ملك بني العباس بعدما وهي ووهن وكان يسمى السفاح الثاني وفيه يقول ابن الرومي

هنيأ بني العباس ان امامكم * امام الهدى والجود والناس أحمد
كما بأبي العباس أنشئ ملككم * كذا بأبي العباس أيضا يجدد
امام يظل الامس يشكو فراقه * تأسف ملهوف ويشتاقه غد

وفيه أيضا يقول عبد الله بن المعتز

أما ترى ملك بني هاشم * عاد عزيزا بعدما ذللا
يا طالب الملك فكن مثله * تستوجب الملك والا فلا

وكان مع سطوته يراعي جانب الحق وقد نقل الحافظ السيوطي عن عبد الله بن حمدون قال خرج المعتضد يوما وأنا معه فمر بمقثاة فعاث بعض جنوده فيها فصاح صاحبها واستغاث بالمعتضد فأحضره وسأله عن سبب صياحه فقال له ثلاثة من غلمانك نزلوا المقثاة وأخربوها فأمر عبيده باحضارهم فحضروا وضرب أعناقهم ومضى وهو يحادثني فقال أصدقني يا عبد الله ما الذي يكره الناس من أحوالي فقلت له تسفك الدماء كثيرا فقال ما سفكت دما حراما قط فقلت له بأي ذنب قتلت أحمد بن أبي الطيب قال انه دعاني الى الالحاد وظهر لي الحاده فقلت والثلاثة الذين نزلوا المقثاة الآن بماذا استحللت دماءهم ولأي شيء قتلتهم فقال والله ما قتلتهم

وتسعين وثلثمائة توفي أيامه قطعت الخطبة من الحرمين الشريفين لبني العباس وأقيمت للحسن العبيدي صاحب مصر والمغرب (وولي بعده أحمد القادر بالله) بن المقتدر فأقام ثلاثا وأربعين سنة ولم يبلغ أحد من الخلفاء قبله في امرة الخلافة مدته ولا طول عمره لانه مات وهو ابن ثلاث وتسعين سنة وتوفي سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة (وولي بعده ابنه القائم بأمر الله) عبد الله بن أحمد وأقام في الخلافة أربعة وأربعين عاما وتوفي سنة سبع وستين وأربعمائة (وولي بعده ابنه المقتدي بأمر الله) محمد بن عبد الله القائم بأمر الله وأقام في الخلافة تسع عشرة سنة وتوفي سنة ست وثمانين وأربعمائة (وولي بعده ابنه المستظهر بالله

وانما أحضرت ثلاثة من قطاع الطريق وأوهمت الناس انهم الذين زلوا الفتاة فامرت بضرب أعناقهم ثم أحضر صاحب الشرطة وأمر باحضار الثلاثة الذين زلوا الفتاة فاحضرهم بانفسهم وشاهدتهم * ومما يناسب ذلك ما حكاه ابن أبي حجلة في سكردانه ان سواديا أتى الى السلطان ملكشاه وهو يبكي فسأله عن سبب بكائه فقال اشتريت بطيخا بدرهم لا أملك غيره فلقيني ثلاثة من الاتراك فاخذوه مني ومالي سواه وكان ذلك في أول قدوم البطيخ فقال له امسك فاستدعى فراشا وقال له قد اشتاقت نفسي الى البطيخ فطف في العسكر وانظر من عنده شيء فاحضره فعاد الفراش ومعه بطيخ فقال له عند من لقيته قال عند الامير فلان فاحضره وقال له من أين هذا البطيخ فقال جاء به الغلمان فقال أريدهم الساعة وقد عرف نية السلطان فعاد اليه وقال لم أجدهم فالتفت السلطان الى صاحب البطيخ وقال له هذا مملوكي وقد وهبته لك حيث لم يحضر الغلمان الذين أخذوا متاعك والله لئن خليته لأضربن عنقك فاخذه بيده وخرج من بين يدي السلطان واشترى الامير نفسه بثلثمائة درهم وعاد صاحب البطيخ الى السلطان وقال يا سيدي قد بعت المملوك بثلثمائة درهم قال أوقد رضيت قال نعم قال فامض مع السلامة وكانت مدة خلافة المعتضد تسع سنين وتسعة أشهر ونصفا وتوفي في يوم الاثنين لثمان بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وخلف من الذكور أربعة واحدى عشرة بنتا والله تعالى أعلم

(خلافة علي المكتفي بالله بن المعتضد أحمد بن طلحة)

بويع له يوم مات أبوه وسنه احدى وثلاثون سنة وأخذ له البيعة الوزير أبو الحسن عبد الله فان والده عهد له قبل موته بثلاثة أيام وكان المكتفي بالرقة فلما وصل اليه كتاب الوزير بادر وحضر من الرقة الى بغداد في سابع جمادى الاولى وكان يوم وصوله مشهودا ونزل دار الخلافة وخلع على الوزير المذكور سبع خلع وكان المكتفي حسن الصورة يضرب بحسنه المثل ولهذا قال عبد الله بن المعتز يعاطب الدنيا

ميزت بين جمالها وفعالها * فاذا الملاحة بالقباحة لا تفي

والله لا أختارها ولو انها * كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفي

فقرنه بالبدر والشمس في الجمال وقد أشار ابن سناء الملك الى هذا في قوله

ومليحة بالحسن يسخر وجهها * بالبدر يهزأ ريقها بالقرقف

لا أرتضي بالشمس تشبيها لها * والبدر بل لا أكتفي بالمكتفي

(وقال أيضا في موضع آخر)

بأبي وأمي من يكون المكتفي * بكماله وجماله كالمقتدي

قال الصولي سمعت المكتفي يقول في علته والله ما آسف على شيء الا على سبعمائة ألف دينار صرفتها من مال المسلمين في أبنية ما احتجت اليها وكنت مستغنيا عنها وكانت مدة تصرفه ست ة أعوام ونصفها وانتقل الى دار الخير والبقاء في ليلة الاحد لثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين والله تعالى أعلم

(خلافة جعفر المقتدر بن المعتضد)

بويع له بالخلافة يوم موت أخيه وعمره ثلاث عشرة سنة ولم يل الخلافة قبله أصغر منه وولي الخلافة ثلاث مرات هذه الاولى ولم يتم له فيها أمر لصغره فغلب عليها الجند واتفقوا على عزله وخلعه فخلعوه والله تعالى أعلم

(خلافة عبد الله بن المعتز بن المتوكل)

بويع له يوم خلع المقتدر ولقبوه الغالب بالله وبايعوه لعشر بقين من ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين وهو أشعر بني العباس بل أشعر بني هاشم على الاطلاق وأكثرهم فضلا وأدبا ونحوا ولا يعلم الموسيقى وأشعر الشعراء في التشبيهات المبتكرة الغريبة المبتدعة قال المعافى بن زكريا لما بويع لابن المعتز دخلت على شيخنا محمد بن جرير الطبري العالم الكبير المفسر فقال ما الخبر قلت بويع بالخلافة

أحمد) فاقام خمسا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام وتوفي سنة اثنتي عشرة وخمسمائة (وولي بعده ابنه المسترشد بالله منصور) فاقام سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وخلع وقتل سنة خمسمائة وتسع وعشرين (وولي بعده ولده الراشد بالله) منصور واتهموه بالمنكرات وخلعوه وأرسلوه الى الموصل ثم قتلوه سنة خمسمائة وثلاثين (وولي بعده محمد المقتفي لامر الله) ابن المستظهر بالله فاقام أربعا وعشرين سنة ثم قامت عليه الجند وربجوه ثم حبسوه شهرا من غير شرب فمات بالظما سنة خمسمائة وخمس وخمسين (وولي بعده ولده المستنجد بالله) يوسف فاقام أحد عشر عاما وخمسة أيام وتوفي سنة خمسمائة وستين

لعبد الله بن المعتز قال فمن ترشح لوزارته قلت محمد بن داود قال فمن قاضيه قلت أبو المثنى فأطرق قليلا ثم قال هذا أمر لا يتم قلت ولم لا يتم قال كل واحد ممن ذكرت مذكور شأن عظيم متقدم فى علمه وفضله وان الدنيا مولية وان الزمان مدبر ولا مناسبة لأحد ممن ذكرت برياسة فى مثل هذا الزمان ولا أرى هذا الا الى الانحلال والاضمحلال فقدر الله انهم خلعوه فى ذلك اليوم وتلاشى أمره فان عبد الله بن المعتز لما تقلد الخلافة أرسل الى المقتدر يأمره بالتحول عن دار الخلافة فلما جاء الرسول الى المقتدر وبلغه الرسالة قال ليس له عندى جواب الا السيف ولبس السلاح وركب معه جماعة قليلة من خدمه وهم مستسلمون للقتل فى غاية الخوف وهجموا على عبد الله بن المعتز فهاله ذلك وألقى الله فى قلبه الرعب فانهزم هو ووزيره وقاضيه وكل من فى ديوانه وقبض المقتدر على عبد الله بن المعتز وعلى الامراء والفقهاء وقتل منهم من أراد وحبس عبد الله ابن المعتز الى أن خرج من الحبس ميتا عليه رحمة الله تعالى فكانت خلافته ساعة من نهار وحيث انجر الكلام فلا بأس بايراد شىء من أشعاره المستظرفة فمنها هذا الموشح الذى يصلح وشاحا لكوكب الجوزاء واكليلا للثريا سارت به الركبان وتناقلته الرواة بألسنة الزمان وهو هذا

أيها الساقى اليك المشتكى * قد دعوناك وان لم تسمع

ونديم همت فى غرته * وشرب الراح من راحته * كلما استيقظ من سكرته

جذب الزق اليه واتكا * وسقانى أربعا فى أربع

ما لعينى غشيت بالنظر * أنكرت بعدك ضوء القمر * واذا ما شئت فاسمع خبرى

غشيت عيناى من كثر البكا * وبكى بعضى على بعضى معى

غصن بان مال من حيث التوى * مات من يهواه من فرط الجوى

خفق الاحشاء موهون القوى

كلما فكر فى البين بكى * ويحه يبكى لما لم يقع

ليس لى صبر ولا لى جلد * يا لقومى عذلوا واجتهدوا * أنكروا شكواى مما أجد

مثل حالى حقها أن تشتكى * كمد اليأس وذل الطمع

كبدى حرى ودمعى يكف * يعرف الدمع ولا يعترف * أيها المعرض عما أصف

قد نما حبى بقلبى وذكا * لا تقل فى الحب انى مدعى

(ومن تشبيهاته أيضا)

ومقرطق يسعى الى الندماء * بعقيقة فى درة بيضاء

والشمس مالت للغروب كأنها * دينار يلعب فى قرار الماء

والبدر فى أفق السماء كدرهم * ملقى على ديباجة زرقاء

ومهفهف عقد الشراب لسانه * وكلامه بالرمز والايماء

كلمته سحرا وقلت له انتبه * يا فرحة الجلساء والندماء

فأجابنى والخمر يخفض صوته * بتلجلج كتلجلج الفأفاء

انى لأفهم ما تقول وانما * غلبت على سلافة الصهباء

دعنى أفيق من الخمار الى غد * واحكم بما تختار يا مولائى

(وله فى المثلث) خليلى طاب الراح من بعد طبخها * وقد عدت بعد السكر والعود أحمد

فهاتا عقارا فى قميص زجاجة * كياقوتة فى درة تتوقد

يصوغ عليها الماء شباك فضة * لها حلق بيض تحل وتعقد

وقتنى من نار الجحيم بنفسها * وذلك من احسانها ليس يجحد

وله فى التصانيف كتاب الزهر والرياض وكتاب مكاتبة الاخوان وكتاب الصيد والجوارح وكتاب

(وولى بعده ولده الحسن المستضىء بأمر الله) فأقام سبعة أعوام وأربعة أشهر وتوفى سنة خمسمائة وثلاث وسبعين بالطاعون وفى أيامه عادت الخطبة بمصر لبنى العباس بعد انقطاعها منها مائتين وخمس عشرة سنة وانقرضت دولة بنى عبيد بمصر (وولى بعده أحمد الناصر لدين الله) فأقام سبعا وأربعين سنة وتوفى سنة اثنتين وعشرين وستمائة وخطب له حتى بالصين والاندلس (وولى بعده ولده محمد الظاهر) فأقام تسعة أشهر وتوفى سنة ثلاث وعشرين وستمائة (وولى بعده ولده المستنصر بالله منصور) فأقام سبع عشرة سنة وتوفى سنة أربعين وستمائة وله من العمر اثنتان وخمسون سنة (وولى بعده ولده

أشعار الملوك وكتاب طبقات الشعراء وديوان جيد في الشعر ومن كلامه البلاغة البلوغ الى المعنى ولم يطل سفر الكلام ومن كلامه العلماء غرباء لكثرة الجهال النصح بين الملا تقريع علامة الكذب جراءة اليمين وأشعاره البليغة وتشبيهاته الغريبة كثيرة شهيرة (ثم عاد المقتدر ثانيا) واستقام له الحال فسار أحسن سيرة واستقر في الخلافة الى سنة اثنتي عشرة وثلثمائة ذكر الحافظ السيوطي في تاريخ الخلفاء في خلافة المقتدر سنة ثلثمائة ان بغلة ولدت فلوا وبعد تمام هذا التاريخ المبارك الميمون اتصل بعلم مؤلفه عفا الله عنه من الثقات ان جماعة من الطرار جية من أهل منف عندهم بغلة زرقاء ولدت مهرا في أواسط سنة احدى وألف بعين وألف فسبحان القادر على كل شئ

(خلافة أبي المنصور محمد القاهر بن المعتضد)

بايعه يونس والامراء ولقبوه بالقاهر وفوضت الوزارة الى علي بن مقلة الكاتب فجاء العسكر يطلبون منه انعام الجلوس فارتفعت الاصوات فمنعهم الحاجب من الدخول على الخليفة فمالوا الى دار يونس وأخرجوا المقتدر من الحبس وحملوه على أعناقهم الى دار الخلافة فجلس على السرير وأتوا بأخيه محمد القاهر وهو يبكي ويقول الله الله يا أخي في روحي فاستدناه المقتدر وقبله بين عينيه وقال يا أخي لا ذنب لك وأنت مغلوب على أمرك والله لا ينالك مني ما تكره فطب نفسا وقر عينا وما زال يرددها حتى آوى اليه أخاه وقال اني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون وبذل المقتدر الاموال للجند وأرضاهم من عنده (ثم عاد المقتدر [illegible]) فمن محاسن المقتدر انه أبطل من دواوينه استخدام اهل الذمة من اليهود والنصارى وأبطل تصرفاتهم في الاموال وكان يفرق في يوم عرفة كل عام من الابل والبقر أربعين ألف رأس ومن الغنم خمسين ألفا وكان يصرف في كل سنة في طريق مكة ولاهل الحرمين الشريفين ثلثمائة ألف دينار وخمسة عشر ألفا وانه ختن خمسة من أولاده فصرف في ختانهم ستمائة ألف دينار وكان في داره أحد عشر ألف غلام خصي غير الصقالبة والروم والسود وقدمت عليه رسل الروم فجعل من كبار الارهاب للعدو وأقام مائة وستين ألف مقاتل بالسلاح وأقام بعدهم الخدم وهم ثمانية ألف خادم ثم الحجاب وهم سبعمائة حاجب وكانت الستور التي نصبت على الحيطان بدار الخلافة ثمانين ألف ستر من الديباج وكانت البسط الفاخرة التي فرشت اثنين وعشرين ألف بساط وكان من جملة ذلك مائة سبع في سلاسل الذهب والفضة وهذا كله مع وهن الدولة العباسية وضعفها فكيف زمن التناهي أيام قوتها فسبحان من لا يزول ولا يزال ولا يفنى ملكه ولا يعتريه زوال وفي أيامه ظهرت الطائفة الملحدة التي تسمى القرامطة لهم اعتقاد فاسد يؤدي الى الكفر أول من ظهر منهم أبو طاهر القرمطي وبنى دارا في هجر وأراد نقل الحج اليها لعنه الله وأخزاه فكثر فتكه في المسلمين وسفك الدماء وكثرت طائفته واشتدت شوكته حينئذ وجاء أبو طاهر القرمطي بعسكر جرار بآلات السلاح الى المسجد الحرام يوم التروية ووضعوا السيف في الطائفين والمصلين وفي مكة وشعابها وقتلوا ما يزيد على ثلاثين ألف انسان وركض أبو طاهر بسيفه مشهور في يده وهو سكران راكب فرسه ودخل الى المطاف الشريف فبالت فرسه وراثت وطلع الى باب الكعبة وهو يقول

أنا بالله وبالله أنا * يخلق الخلق وأفنيهم أنا

وأقام بمكة أحد عشر يوما وقيل ستة أيام وقلع الحجر الاسود وحمله معه يريد ان يحول الناس الى مسجد ضرار واستمر الحجر الاسود عند القرامطة اثنتين وعشرين سنة الا أربعة أيام وهذه مصيبة من أعظم مصائب الاسلام وابتلي أبو طاهر النحس بأكلة فصار يتناثر لحمه بالدودمات أشقى ميتة بعد ان عذبه الله بانواع البلاء ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ولولا خوف الاطالة لذكرنا نبذة من أحوال القرامطة الملاحدة فان وقائعهم مشهورة ولاجل ذلك اقتصرنا على ما ذكر فكانت مدة خلافة المقتدر أولا وثانيا خمسا وعشرين سنة وقتل لثمان بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة والله سبحانه وتعالى أعلم

المستعصم بالله عبد الله) فأقام سبع عشرة سنة وتوفي سنة ستمائة وتسع وخمسين بخيانة وزيره ابن العلقمي الذي كان رافضيا وخربت بغداد وزالت دولة بني العباس منها وكان سبب زوالها استيلاء مماليكهم وأمرائهم عليهم ومن أعظم أسباب زوالها ان ابن العلقمي استولى على المستعصم وكان رافضيا عدوا لاهل السنة يداريهم في الظاهر وينافقهم في الباطن وكان يريد ازالة الخلافة من بني العباس وأعادتها الى العلويين واطفاء أهل السنة واظهار أهل البدعة فصار يكاتب كبير التتار وهو هلاكو ويطمعه في ملك بغداد ويخبره بضعف الخليفة ويحسن صورة أخذها ويحسن للمستعصم توفير الخزينة وعدم الصرف على العسكر فقطع

(خلافة القاهر بامر الله محمد بن المعتضد)

بويع له يوم قتل أخيه وسنه اثنتان وخمسون سنة فاقام سنة وستة أشهر ثم خلع وأكحل في جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وتوفي سنة تسع وثلاثين وثلثمائة

(خلافة محمد الراضي بن المقتدر)

بويع له يوم خلع عمه محمد القاهر وسنه اثنتان وثلاثون سنة فاقام ست سنين وعشرة أيام وتوفي في ربيع الاول سنة تسع وعشرين وثلثمائة

(خلافة المكتفي ابراهيم بن المقتدر)

بويع له يوم مات الراضي وسنه ستون سنة فاقام سنتين واحد عشر شهر واكحل في صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة

(خلافة المستكفي عبد الله بن المكتفي)

بويع له يوم خلع المكتفي وسنه ست وأربعون سنة فاقام سنة واحدة وأربعة أشهر وخلع في جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وتوفي سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة

(خلافة الفضل المطيع لله بن المقتدر)

بويع له يوم خلع المكتفي وسنه ثلاث وسبعون سنة وفي أيامه رد الحجر الاسود من هجر الى مكانه من البيت الشريف فكانت خلافته تسعا وعشرين سنة وأربعة أشهر وخلع نفسه في ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلثمائة

(خلافة عبد الكريم الطائع لله بن المطيع لله)

بويع له يوم خلع أبيه وكان مغلوبا عليه من قبل أمرائه وما كان له الا الخطبة قال الشريف الرضي يخاطب الطائع

مهلا أمير المؤمنين فاننا * في دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت * أبدا كلانا في السيادة معرق
الا الخلافة ميزتك فانني * أنا عاطل منها وأنت مطوق

قيل ان الطائع لما بلغه ذلك قال على رغم أنف الرضي وقيل ان الرضي كان يوما عند الطائع وهو يعبث بلحيته ويرفعها الى أنفه فقال له الطائع أظنك تشم منها رائحة الخلافة فقال بل رائحة النبوة وكان الطائع كبير الانف فقال الشاعر

خليفة في وجهه روشن * خرشومه قد ظلل العسكرا
يهدي به يمشي على رجله * وأنفه قد صعد المنبرا

وأقام الطائع سبع عشرة سنة وتسعة أشهر وخلع نفسه سنة احدى وثمانين وثلثمائة

(خلافة أبي العباس أحمد القادر بالله بن المقتدر)

بويع له بالخلافة في عاشر رمضان سنة احدى وثمانين وثلثمائة وكان في غاية العبادة والفضل وصنف كتابا في الرد على القائلين بخلق القرآن وعده ابن الصلاح من علماء الشافعية وذكره في طبقاته وطالت مدته حتى بلغت احدى وأربعين سنة وأربعة أشهر وتوفي في ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة

(خلافة القائم بامر الله عبد الله بن أحمد القادر)

بويع له يوم مات أبوه فاقام أربعا وأربعين سنة وثمانية شهور وتوفي في شهر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة

(خلافة المقتدي بامر الله بن القائم بامر الله)

بويع له يوم مات جده وسنه سبع وستون سنة وكانت المبايعة بحضرة الامام الكبير أبي اسحق الشيرازي أحد أركان أئمة الشافعية رضي الله عنه وكان خيرا دينا من نجباء خلفاء بني العباس ومن

في مائة عشرين ألف مقاتل ووفر علوفاتهم في الخزينة وأظهر للخليفة انه وفر من علوفات العسكر أموالا عظيمة في بيت المال فأعجبه رأيه لكونه كان يحب المال وجمعه فدخل التتار الى بلاد العراق واستاصلوا من بها وتوجهوا الى بغداد فاستيقظ الخليفة من غفلته وجمع من قدر عليه من الجيوش وبرز الى قتالهم فلم يقدر عليهم وغرق من عسكره كثير في نهر الدجلة وقتل أكثرهم وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الخزائن والأموال وأسروا المستعصم وأولاده فاستبقاه هلاكو الى أن استخلص أمواله وخزائنه ودفائنه ثم قتل أولاده وأتباعه وأمر أن يوضع الخليفة في غرارة ويرفس بالارجل الى أن يموت وأوقع بوزيره الذل والهون وصار معهم

جملة صلاحه ان السلطان ملكشاه قصد ان يتحكم عليه فارسل اليه يقول له لابد ان تترك بغداد وتذهب الى أي بلد شئت فارسل الخليفة له يتلطف فى ذلك فابى الا شدة وغلظة فقال لرسوله اسأله المهلة لى ولو شهرا فابى وقال ولا ساعة فارسل الى وزيره فاستمهله عشرة أيام فصار الخليفة يصوم النهار ويقوم الليل ويتضرع الى الله ويضع خده على التراب ويناجى رب الارباب فنفذت دعاؤه فى ملكشاه نفوذ السهم المسموم فى كبد الظالم من المظلوم فهلك ملكشاه قبل مضى عشرة أيام وعدت هذه كرامة للخليفة المقتدى ورحم الله من قال

وكم لله من لطف خفى * يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم يسر أتى من بعد عسر * وفرج كربة القلب الشجى
وكم هم تساء به صباحا * وتأتيك المسرة بالعشى
اذا ضاقت بك الاحوال يوما * فثق بالواحد الاحد العلى
تمسك بالنبى فكل هم * يزول اذا تمسك بالنبى

وأقام فى الخلافة تسع عشرة سنة وخمسة أشهر وتوفى ثامن محرم سنة تسع وثمانين وأربعمائة

(خلافة المستظهر بالله هو أبو العباس أحمد)

بويع له بالخلافة يوم موت أبيه وسنه أربع وأربعون سنة وكان كريم الاخلاق حسن الخط لا يقاومه أحد فى الكتابة حافظا للقرآن عالما فاضلا وكانت مدة خلافته أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وتوفى لست بقين من ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وخمسمائة والله أعلم

(خلافة أبى الفضل منصور المسترشد)

بويع له بالخلافة يوم مات أبوه وسنه ثلاث وأربعون سنة وكان شجاعا ذا همة مشغولا بالعبادة وحفظ القرآن والحديث وخرج الى قتال مسعود بن ملكشاه السلجوقى فلم يقاتل معه أحد وقاتل وحده الى أن قتل وكانت خلافته تسع عشرة سنة وقتل فى ذى الحجة سنة تسع وعشرين وخمسمائة

(خلافة أبى جعفر منصور الراشد بالله)

بويع له بالخلافة يوم قتل أبيه فاقام سنة واحدة وقبض عليه السلطان مسعود السلجوقى وخلعه من الخلافة يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة بقين من ذى الحجة سنة ثلاثين وخمسمائة والله أعلم

(خلافة المقتفى لامر الله وهو محمد بن المستظهر)

بويع له بالخلافة يوم خلع عمه وكان عالما شجاعا قال فى الاكتفاء قال ابن الجوزى قرأت بخط الشيخ أبى الفرج بن الحسن بن الحداد قال حدثنى من أثق به أن المقتفى رأى فى منامه قبل أن يستخلف بستة أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول له سيصل اليك هذا الامر فاقتف بى فلقب المقتفى لامر الله فاقام خمسا وعشرين سنة وتوفى يوم الاحد لليلتين خلتا من ربيع الاول سنة خمس وخمسين وخمسمائة

(خلافة المستنجد بالله يوسف بن المقتفى)

بويع له يوم مات أبوه وسنه ثمانون سنة (يحكى) انه قبل أن يصير خليفة رأى فى منامه ان ملكا نزل من السماء فكتب فى كفه ثلاث خاآت فلما أصبح سأل المعبرين عن منامه فقالوا له انك تلى الخلافة سنة خمس وخمسين وخمسمائة وكان كذلك فاقام احدى عشرة سنة وتوفى تاسع ربيع الاول سنة ست وستين وخمسمائة ومن شعره فى بخيل

وباخل أشعل فى بيته * تكرمة لاجلنا شمعه
فما جرت من عينها دمعة * حتى جرى من عينه دمعه

(خلافة المستضىء بنور الله هو محمد بن الحسن بن المستنجد بالله)

بويع له يوم وفاة والده وكان حسن السيرة كريم النفس أسقط المكوس فى ممالكه وكثر ثناء الخلق عليه

من جملة الغلمان ومات كذا وهذا الحادث تقدد استطار شرها وعم ضررها وهم قوم لا يحصون عددا ولا يحتاجون الى مدد باتيهم فان معهم الاغنام والبقر والخيل يأكلون لحومها لا غير وأما خيلهم فانها تحفر الارض بحوافرها وتأكل عروق النبات ولا تعرف الشعير وأما ديانتهم فانهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولما حصل فى بغداد ما حصل انتقل أولاد الخلفاء العباسيين الى مصر فى زمن السلطان بيبرس لانها كانت بايدى اسلافهم ويتنيبون فيها نوابا وجملة نوابهم سبع وخمسون لم تتعرض اهم خوف الاطالة المؤدية الى السآمة ومن جملة نوابهم أحمد بن طولون فانه كان نائبا على مصر فى زمن خلافة المعتز سنة أربع وخمسين ومائتين ثم

وكان سنه اثنتين وأربعين سنة وهو الذى خطب له صلاح الدين يوسف بن أيوب بمصر فأقام تسع سنين وأشهرا وتوفى سنة خمس وسبعين وخمسمائة والله تعالى أعلم

(خلافة الناصر أحمد بن المستضىء بنور الله)

بويع له يوم مات أبوه وسنه تسع وعشرون سنة فأقام سبعا وأربعين سنة وتوفى سنة اثنتين وعشرين وستمائة وخطب له حتى بالصين والاندلس

(خلافة محمد الظاهر بن الناصر أحمد)

بويع له يوم مات أبوه بعد منه فاظهر العدل والاحسان وأبطل المكوس حكى عنه انه فرق فى ليلة النحر على الفقهاء مائة ألف دينار فلامه الوزير على ذلك فقال دعنى أفعل الخير فانى لا أدرى كم أعيش فلم يلبث ان وافاه الله بالكيل الاوفى فعاش حميدا ومات سعيدا فكانت خلافته تسعة أشهر وتوفى فى سنة ثلاث وعشرين وستمائة الى رحمة الله تعالى

(خلافة أبى جعفر المنتصر بالله)

بويع له يوم مات والده فنشر العدل وبذل الانصاف وقرب أهل العلم والدين وبنى المساجد والربط وكانت خلافته سبع عشرة سنة وتوفى سنة تسع وثلاثين وستمائة

(خلافة المستعصم بالله بن المنتصر)

بويع له يوم مات أبوه وهو آخر خلفاء بنى العباس وبزواله زالت دولة بنى العباس كما جرت عادة الله بانقراض الدول ولله البقاء عز وجل وكان سبب زوالها استيلاء مماليكهم وأمرائهم عليهم وتفويض أمور المملكة اليهم وامتهانهم غاية الامتهان الى ان صار وأسماء بلا مسميات وصور اهيولا يتصرف فيها بالمحو والاثبات ومن أعظم أسباب زوالها ان مؤيد الدين العلقمى كان وزير المستعصم وكان رافضيا مستوليا على المستعصم عدواله ولاهل السنة يداريهم فى الظاهر وينافقهم فى الباطن وكان يريد ازالة الخلافة من بنى العباس واعادتها الى العلويين وطمس أهل السنة واظهار مذهبهم وتقوية أهل البدع فصار يكاتب هلاكو ويطمعه فى مدينة بغداد ويطالعه باخبارها ويعلمه كيفية أخذها ويخبره بضعف الخليفة وانحلال العسكر عنه وصار الوزير يحسن للمستعصم توفير الخزينة وعدم الصرف على العسكر فقطع أرزاقهم وشتت شملهم بحيث انه أذن مرة لعشرين ألف مقاتل ان يذهبوا الى أين أرادوا ووفر علوفاتهم فى الخزينة وأظهر للمستعصم انه وفر من علوفات العسكر أموالا عظيمة فى بيت المال فاعجب المستعصم رأيه وكان يحب المال ويجمعه وما يعلم انه يجمعه لعدوه

بيت مفرد

يخبركم انه ناصح * وفى نصحه ذنب العقرب

قال صلى الله عليه وسلم ثلاثة من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان (ومما يحكى) ان اعرابيا قال اللهم انى أعوذ بك ممن لا يلتمس خالص مودتى الا باتباع اوائم شهوتى وقيل لفيلسوف ما الصديق فقال اسم على غير معنى حيوان غير موجود

مفرد

لسانك لى حلو وقلبك علقم * وشرك مبسوط وخيرك ملتوى

مفرد

اذا أنت فتشت القلوب وجدتها * قلوب أعادى فى جسوم أصادق

(ولبعضهم)

لى صديق لديه ودونصح * غير ان الدفاع منه ملمه

فاذا ما سعى ليدفع عنى * فى الملمات صار عون الملمه

ليته كف خيره وأذاه * ورعى لى بذاك حقا وحرمه

وقال الطغرائى رحمه الله من قصيدة

وبنو الزمان وان صفوا لك ظاهرا * يوما جو والك باطنا ممذوقا

وقال أيضا من قصيدة له

ومن يك أصله ماء وطينا * بعيد من جبلته الصفاء

سطا على الخلفاء وادعى الخلافة لنفسه وانفرد بالخراج وحاربه الخليفة أشد المحاربة فلم يقدر عليه فخضع له وتركه وصار سلطانا بمصر وتحول من دار النيابة بقصر الشمع وبنى بناء بين مصر وجامعه وسماه القطائع وهو أول من تسلطن بمصر والشام والعراق والمغرب وكان يشتغل بالعلم والحديث وصرف على الجامع المعروف به الآن مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار والنفقة برسم الصدقة كل يوم ألف دينار ورتب للعلماء وأرباب البيوت كل شهر عشرة آلاف دينار وتوفى ليلة الاحد لعشرين خلون من ذى القعدة سنة سبعين ومائتين وكانت مدة سلطنته عشرين سنة وشهرين (وتولى بعده ولده خمارويه) وبايعه الجند يوم الاحد لعشرين خلون من ذى

وقال الجنيد دخلت على السري فقلت له أوصني قال لا تكن مصاحبا الاشرار ولا تشتغل عن الله بمصاحبة الاخيار وكان بعض الاعراب يقول في دعائه اللهم اني أعوذ بك من الصاحب الردىء وفي المعنى

قل للذي لست أدري من تلونه * أناصح أم على غش يداجيني
تغتابني عند أقوام وتمدحني * في آخرين وكل منك يأتيني

وفي المعنى

وإخوان وثقت بهم فاضحى * اذاهم يعتريني كل حين
ولما أن أسات الظن كانوا * فواعجباه من ظن يقيني

مطرد

دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة * بل في الشدائد تعرف الاخوان

وقيل في المعنى

وزهدني في الناس معرفتي بهم * وطول اختباري صاحبا بعد صاحب
فلم ترني الايام خلا تسرني * مباديه الا ساءني في العواقب
ولا قلت ارجوه لدفع ملمة * من الدهر الا كان احدى النوائب

وما أحسن قول أبي دلف

هل رأينا أو سمعنا من نهى * رجلا عن سوء فعل فانتهى
بل اذا عوقب في سيئة * لم يدعها وتعاطى أختها

قال الكندي الاخوان على ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يستغنى عنها أبدا وطبقة كالدواء يحتاج اليها حينا دون حين وطبقة كالداء لا يحتاج اليه أبدا وقالوا الاصدقاء على ثلاث مراتب العليا وهو الصديق الكريم ذو المروأة والمرتبة الوسطى وهو الصديق الحكيم ذو التجارب والمرتبة السفلى وهو الصديق العاجز وهو ان يتوجع اشكوالك فان خلا الصديق من احدى هذه المراتب كان وجوده وعدمه سواء بل عدمه خير من وجوده قال الشاعر

اذا كنت لا علم لديك تفيدنا * ولا أنت ذو دين فنرجوك للدين
ولا أنت ممن يرتجى لكريهة * علامة الامثال نخصك من طين

(وقال الصفدي)

اذا كنت لا علم لديك تفيدنا * ولا أنت ذو جود فنرجوك للقرى
ولا أنت ممن يرتجى لكريهة * علامة الامثال نخصك من خرا

قال بعض الحكماء يجب على الملك أن لا يخلو من خمس معاقل يتحصن بها أولها وزير صالح يتحصن برأيه في الشدة والرخاء وثانيها سيف قاطع يتحصن بعده وثالثها فرس سابق يتحصن بظهره اذا لم يمكنه الثبات ورابعها قلعة منيعة يتحصن بها اذا أحيط به وخامسها امرأة حسناء يتحصن بها بصره وكان يقال عدوك ضدك وحكم الضدين التنافر والتدابر والتنائي والتباين قال صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيوت والاماء هلاكها ومن كلام الحكماء كن على حذر من الكريم اذا أهنته ومن اللئيم اذا أكرمته ومن العاقل اذا أحرجته ومن الاحمق اذا مازحته ومن الفاجر اذا عاشرته وكان يقال اذا لم تجد من الخدم الامين فاء أدبه فاخدم نفسك ولا تستخدمه لانه يحمل ذلك من الاذى أضعاف ما يحمل عن بدنك بخدمته من العناء وكان يقال غفل من زعم انه يجد راحة اذا شارك في سره غيره لغير ضرورة لان مشقة الاستبداد بالسر وترك المشاورة فيه أقل من مشقة الحذر في انتشاره بسبب المشاركة وضعف مشقة الحذر قال الطغرائي في لاميته

ويا خبيرا على الاسرار مطلعا * اصمت ففي الصمت منجاة من الزلل

قال سيدنا عمرو بن العاص ما استودعت رجلا سرا فأفشاه فلمته لاني كنت أضيق صدرا منه حيث استودعته اياه وفي المعنى

اذا ما ضاق صدري من حديثي * فأفشته الرجال فمن ألوم

وقد قيل لبني أمية بعد ذهاب ملكهم ما الذي كان سببا في زوال الملك عنكم فقالوا أتوا ها أننا اعتمدنا على المنال واستهونا بالرجال فاخذ العدو مالنا وتقوى به علينا وأبعدنا الصديق وقربنا العدو فصار الصديق عدوا بالابعاد ثم ان المستعصم ومن معه لم يزل في غفلته لاخطاء ابن العلقمي سائر الاخبار عنه الى ان وصل هلاكو الى بلاد العراق واستأصل من بها وتوجه الى بغداد فاستيقظ الخليفة من نوم الغرور وندم على

القعدة سنة سبعين ومائتين فنعقب ما كان يفعله والده من الصدقات والمأكولات والرفاهية والهيبة وزاد على ذلك ثم قتل بدمشق على فراشه مذبوحا ذبحه بعض جوار به في ذي القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين وحمل في صندوق الى مصر فكانت ولايته اثنتي عشرة سنة وثمانية عشر يوما (وتولى بعده ولده أبو العساكر) في عاشر ذي القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين وأقام ثمانية أشهر واثني عشر يوما وقتل سنة ثلاث وثمانين ومائتين (وتولى بعده أخوه أبو موسى هرون بن خاروية) فاقام ثمان سنين وثمانية أشهر وقتل سنة احدى وتسعين ومائتين (وتولى بعده شيبان ابن أحمد بن طولون) في عاشر صفر سنة اثنتين وتسعين فاقام اثني عشر يوما فانكر

قطانه حيث لا ينفعه الندم وجمع من قدر عليه وبرز الى قتال هلاكو فوقع المصاف والتحم القتال ووقع الطراد والنزال واستمر من اقبال الفجر الى ادبار النهار فعجزوا عن الاصطبار وانكسروا أشد الانكسار وولوا الادبار وما أغنى عنهم الفرار وغرق كثير منهم فى الدجلة وقتل أكثرهم أسرا وقتلة وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الخزائن والاموال وأسر المستعصم هو وأولاده وجماعته وأتى بهم الى هلاكو أسرى اذلاء فسبحان المعز المذل واستبقى هلاكو الخليفة الى ان احتوى على أمواله وخزائنه وذخائره ودفائنه ثم رمى رقاب أولاده وذريته وأتباعه ومتعلقيه وأمر أن يوضع الخليفة فى غرارة ويرفس بالارجل الى ان يموت ففعلوا به ذلك وكانت مدة خلافة المستعصم سبع عشرة سنة ومات فى يوم الاربعاء رابع عشر ليلة خلت من صفر سنة ست وخمسين وستمائة وانما أزال الله ملكه وأهلكه حيث اتخذ بطانة سوء ومعلوم ان الله اذا أراد بملك سوأ قيض له قرناء السوء ولله در القائل

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى
اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى

ولم ينل ابن العلقمى ما أراده من نقل الخلافة لمن أراده وذاق من التتار الذل والهوان وكان حسن لهم أن يقيموا خليفة علويا فلم يوافقوه وصار معهم فى صورة بعض الغلمان ومات كمدا لا رحمه الله وعملت الشعراء قصائد فى بغداد فقال بعضهم

بادت وأهلوها معا فبيوتهم * ببقاء مولانا الامير خراب

(وقال بعضهم)

يا عصبة الاسلام نوحى واندبى * حزنا على ما تم للمستعصم
دست الوزارة كان قبل زمانه * لابن الفرات فصار لابن العلقم

ثم انتقلت الخلافة الى الديار المصرية فكان أول خليفة بمصر المستنصر ووصل الى مصر فى سنة خمس وخمسين وستمائة واجتمع بالملك الظاهر بيبرس وأثبت نسبه عند قضاة الشرع وبايعه بالخلافة وأجرى له نفقة وليس له من الامر الا الاسم الخليفة وأولاده من بعده على هذا المنوال يأتون الى السلطان الذى يريدون توليته ويقولون له وليناك السلطنة هكذا كانوا بالقاب الخلفاء واحدا بعد واحد وكانت سلاطين الاقاليم تتبرك بهم ويرسلون لهم أحيانا يطلبون السلطنة بالاسماء فيكتبون لهم تقليدا وكان آخر الخلفاء بمصر أبو عبد الله محمد بن يعقوب ولقبه المتوكل ولما دخلت الدولة العثمانية وفتحت مصر وزالت دولة الجراكسة وعادت الدولة الشريفة القسطنطينية العظمى أخذ المرحوم السلطان سليم فاتح مصر الخليفة المذكور وجعله ركنا فلما توفى السلطان سليم الى رحمة الله تعالى عاد الخليفة المذكور الى مصر واستمر بها الى ان توفى فى ثامن عشر شعبان سنة خمسين وتسعمائة زمن المرحوم داود باشا وبموته انقطعت الخلافة العباسية وكان المتوكل هذا فاضلا أديبا له شعر جيد منه قوله مضمنا بيتا من لامية الطغرائى

لم يبق من حسن يرجى ولا حسن * ولا كريم اليه مشتكى حزنى
واعلاما قوم غير ذى حسب * ما كنت أوثر أن يمتد بى زمنى

فرحم الله تلك الارواح الطاهرة ومتعها بالنظر الى وجهه الكريم فى الآخرة فلقد زالوا وما زالت اخبارهم تروى وأحاديثهم الحسنة على ألسنة الرواة لا تطوى وفى المعنى

كانوا ملوك الارض فى أيامهم * كبراء كل مدينة ومكان
فتمزقوا وتفرقوا فهنالك هم * تحت الثرى يبلون فى الاكفان
والله وارث على كل حى بعدهم * وله البقاء وكل شئ فان

(الباب الرابع فيمن ولى مصر من نواب الخلفاء الراشدين وبنى أمية والدولة العباسية وما داخلها من بنى طولون والاخشيدية)

أول من تقرر فى مصر والياً بعد فتحها عمرو بن العاص رضى الله عنه ذكر المقريزى فى خططه ان عمرو

عليه قواده هرون بن خارويه وبعثوا الى محمد بن سليمان غلام أحمد بن طولون فجاء الى مصر فى عسكر عظيم وقبض على شيبان وألقى النار فى القطائع ونهب أصحاب الفسطاط واستباح الحريم وافتض الابكار وساق النساء وأخرج بقية أولاد أحمد بن طولون وقوادهم فى اهانة وذلة ولم يبق منهم أحد وخلت الديار منهم وكانت مدة ولايتهم سبعا وثلاثين سنة وسبعة أشهر وعشرين يوما ثم عادت الدولة العباسية بمصر فى خلافة المكتفى فأرسلوا نوابهم الى مصر ومن جملة نوابهم محمد بن طغج الملقب بالاخشيد ثم تغلب على مصر وصار يدعى له على المنابر فأقام احدى عشرة سنة وثلاثة أشهر ومات سنة أربع وثلاثين وثلثمائة (وولى بعده ابنه أبو القاسم

ابن العاص فتح مصر يوم الجمعة سنة عشرين من الهجرة فاختط الفسطاط بنيانا وتولى نيابة مصر وأقاليمها وهي طولا من العريش الى اسوان وعرضا من ايلة الى برقة ذكر في فتوح مصر ان عمرو بن العاص أرسل الى سيدنا عمر بن الخطاب كتابا يذكر فيه ان الفلاحين يقف عليهم جملة مال فارسل سيدنا عمر بن الخطاب جوابا يعرفه فيه أما بعد فاني أعلمك أيها الامير اذا كان زمن التقصير وكتبت عليهم معجلات بتقرير فلا تغير ما كتبت عليهم والحذر من ايصال المضرة اليهم فنحن القادرون عليهم في الدنيا وهم خصمنا وثاني الآخرة وكل راع مسؤل عن رعيته واعلم ان الظلم باب لعن الله الداخل فيه والعدل شئ تعمده ونقضه فاقصد أمرنا ولا تخالف حكمنا وأنا منك بعيد والله مطلع عليك وشهيد وقد اتصل بنا كتابك وأنت تذكر فيه ان الزراعين يقف عليهم جملة كثيرة من المال فلا تبع من مواشيهم شيئا فتردهم الى العدم وتحل بهم النقم واجعل على زراعتهم كل ثقة أمين واذا علمت انهم ساعة وطنة معونة قواسهم بشئ من المؤنة وجوز الايام ثم ون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وصرف عمرو بن العاص عن ولايته في خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ثم تولى عبد الله بن أبي سرح من قبل سيدنا عثمان بن عفان وفي ولايته فتحت الاسكندرية عنوة الفتح الثاني ومكث أميرا على مصر الحر وسنة ولاية سيدنا عثمان ابن عفان وكان محمودا في ولايته وغزا ثلاث غزوات كلها الهاشان وغزا افريقية وقتل ملكها جرجير وغزا غزوة الاساود حتى بلغ دنقلة وغزوة الصوارى ولما جبي خراج مصر بلغ أربعة عشر ألف ألف دينار فنظر سيدنا عثمان بن عفان الى عمرو بن العاص وقال قد علمت ان اللقحة درت بعدك قال نعم ولكن أجاعت أولادها والذي جباه عبد الله بن أبي سرح غلاه على الجماجم خارجا عن الخراج وغيره من الاموال الديوانية ومات عبد الله بن أبي سرح بعسقلان في رجب سنة خمس وثلاثين بعد ان استخلف عقبة بن عامر الجهني فكانت ولايته احدى عشرة سنة ونصف سنة تقريبا والله أعلم * ثم تولى قيس ابن سعد بن عبادة الانصاري من قبل سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فاقام يسيرا ومات ثم تولى محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه من قبل الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فوصل الى مصر في نصف رمضان سنة سبع وثلاثين فهدم دور شيعة عثمان ونهب أموالهم وسجن ذراريهم فبلغ ذلك معاوية فبعث عمرو بن العاص في جيوش أهل الشام الى مصر فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزم أهل مصر فدخل عمرو بن العاص الى مصر وتغيب محمد بن أبي بكر فظاهر به معاوية بن حديج فقتله ثم جعله في جيفة حمار وأحرق بالنار لاربع خلون من صفر سنة ثمانية وثلاثين فكانت ولايته خمسة أشهر ثم عاد عمرو بن العاص من قبل معاوية بن أبي سفيان ثانيا جعل له مصر طعمة ذكر المقريزي في خططه ان عمرو بن العاص قال لقبط مصر من كتم كنزا عنده وقدرت عليه لاقتلنه وان قبطيا من أهل الصعيد يقال له بطرس ذكر له مروان عنده كنزا فارسل اليه فساله عنه فانكر وجحده فحبسه وصار يسأل عنه هل يسئل عن أحد فقالوا له لا ولكن سمعناه يسئل عن راهب في الطور فارسل عمرو الى بطرس فنزع خاتمه ثم كتب الى ذلك الراهب ان ابعث لي بما عندك وختم الكتاب بختم بطرس فجاء المرسل بالكتاب بقلة شامية مختومة بالرصاص ففتحها عمرو فوجد فيها مكتوبا مالكم تحت الفسقية الكبيرة فارسل عمرو الى دار بطرس وحبس الماء عن الفسقية فوجد فيها اثنين وخمسين أردبا ذهبا مضروبة فضرب عمرو رأس بطرس وأخذ المال جميعا فعند ذلك أخرجت القبط كنوزهم شفقة على أنفسهم وتوفي عمرو بن العاص ليلة عيد الفطر سنة اثنتين وأربعين وغسله عبد الله بن عمرو وأخرجه الى المصلى فلم يبق أحد شهد العيد الا صلى عليه فكانت ولايته منذ افتتح مصر الى ان صرف منها أربع سنين وشهرا ثم تولى عتبة بن أبي سفيان من قبل أخيه معاوية في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين فاقام سنة أشهر ثم تولى عامر بن عقبة الجهني من قبل معاوية وصرف عنها في شهر ربيع الاول سنة سبع وأربعين وكانت ولايته سنتين وأربعة أشهر ثم تولى مسلمة بن مخلد الانصاري من قبل معاوية وتوفي في ولايته

...نور الخادم الاسود نائبا عنه فكان يدبر المملكة فاقام أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وتوفي سنة تسع وأربعين وثلثمائة وتولى بعده أبو الحسن علي ولد الاخشيد فاقام سنتين والكلام لكافور الاخشيدي ثم استقرت المملكة باسم كافور فكان يدعى له على المنابر في الديار المصرية والشامية والحجازية وكان حسن السيرة فاقام سنتين وأربعة أشهر ومات سنة سبع وخمسين وثلاثمائة (وولي بعده أحمد بن علي الاخشيد) فاقام سنة واحدة وزالت دولة الاخشيدية وكانت مدة تصرفهم أربعا وثلاثين سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما

(الباب الثاني في دولة الفواطم والدولة الايوبية والدولة التركية المعروفين بالمماليك البحرية ودولة الجراكسة)

سنة اثنتين وستين بعد وفاة معاوية بسنتين فكانت ولايته خمس عشرة سنة وأربعة أشهر * ثم تولى سعيد بن يزيد بن علقمة الاسدى من أهل فلسطين من قبل يزيد بن معاوية فقدم مستهل رمضان سنة اثنتين وستين الى ان عزل فى رجب سنة أربع وستين فكانت ولايته سنة واحدة وأحد عشر شهرا * ثم تولى عبد الرحمن بن عقبة بن جحدم من قبل سيدنا عبد الله بن الزبير فوصل فى شعبان فأقام تسعة أشهر * ثم تولى عبد العزيز بن مروان من قبل أبيه فى رجب سنة خمس وستين فكانت ولايته عشرين سنة وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوما * ثم تولى عبد الله بن عبد الملك بن مروان من قبل أبيه عبد الملك فى جمادى الآخرة سنة ثمانين وهو ابن سبع وعشرين سنة وكانت ولايته أربع سنين وعشرة أيام * ثم تولى قرة بن شريك العبسى من قبل الوليد بن عبد الملك فى ربيع الاول سنة ست وتسعين واستخلف على الجند عبد الملك بن رفاعة فكانت ولايته ست سنين الا أياما * ثم تولى عبد الملك بن رفاعة من قبل سليمان بن عبد الملك سنة ست وتسعين الى غاية صفر سنة تسع وتسعين فكانت ولايته ثلاث سنين * ثم تولى أيوب بن شرحبيل ابن الصباح من قبل عمر بن عبد العزيز فى ربيع الاول سنة تسع وتسعين ومات لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة احدى ومائة فكانت ولايته سنتين ونصفا * ثم تولى بشر بن صفوان الكلبى من قبل يزيد بن عبد الملك فى رمضان سنة احدى ومائة وفى ولايته استولت الروم على تنيس فى شوال سنة اثنتين ومائة * ثم تولى حنظلة بن صفوان وهو أخو بشر المذكور باستخلاف من أخيه فأقره يزيد ابن عبد الملك ولما بويع لهشام بن عبد الملك صرف حنظلة المذكور فى شوال سنة خمس ومائة فكانت ولايته ثلاث سنين * ثم تولى محمد بن عبد الملك بن مروان من قبل أخيه هشام فى شوال سنة خمس ومائة فوقع الوباء بمصر فخرج منها ولم يلها الا نحوا من شهر * ثم تولى الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم من قبل عبد الملك فى ذى الحجة وفى ولايته رابط بدمياط ثلاثة أشهر وصرف عن ولايته فى ذى الحجة سنة ثمان ومائة باستعفائه للمعارضة بينه وبين عبد الله بن الحبحاب فكانت ولايته ثلاث سنين * ثم تولى حفص بن الوليد الحضرمى من قبل هشام بن عبد الملك ثم صرف بعد جمعتين يوم الاضحى بشكوى ابن الحبحاب ثم تولى عبد الملك بن رفاعة ثانيا فقدم فى المحرم سنة تسع ومائة ومات فى نصف المحرم فكانت ولايته خمس عشرة ليلة * ثم تولى الوليد بن رفاعة باستخلاف من أخيه فأقره هشام بن عبد الملك فتوفى وهو وال فى جمادى الآخرة سنة سبع عشرة ومائة فكانت ولايته تسع سنين وخمسة أشهر * ثم تولى عبد الرحمن بن خالد باستخلاف من الوليد فأقام سبعة أشهر * ثم تولى حنظلة بن صفوان ثانيا من قبل هشام بن عبد الملك فى المحرم سنة تسع عشرة ومائة فحصل بينه وبين القبط محاربة فبلغ ذلك هشاما فصرفه عنها وولاه افريقية وخرج فى ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائة فكانت جملة ولايته خمس سنين وشهرين * ثم تولى حفص بن الوليد الحضرمى ثانيا من قبل هشام فى شهر شعبان سنة أربع وعشرين ومائة ولما مات هشام استخلف من بعده ولد أخيه الوليد بن يزيد فأقام حفصا ثم صرف عنها فى شوال سنة خمس وعشرين ومائة فكانت جملة تصرفه سنة واحدة وشهرين * ثم تولى عيسى بن عطاء من قبل الوليد بن يزيد الى أن عزله مروان الاخير ابن مروان الاول سنة ست وعشرين ومائة فكانت مدة ولايته خمسة أشهر ثم تولى حسان بن عتاهية من قبل مروان المذكور فى المحرم وعزله فى سنته * ثم تولى حفص بن الوليد ثالثا على كره فأقام رجب وشعبان ثم عزل فى المحرم سنة ثمان وعشرين ومائة * ثم تولى حوثرة بن سهل بن عجلان الباهلى من قبل مروان المذكور فى المحرم سنة ثمان وعشرين ومائة فاجتمع الجند على منعه فأبى عليهم حفص فخافوا حوثرة وسألوه الامان فأمنهم ونزل ظاهر الفسطاط وقد اطمأنوا اليه فأخذ فى طلب من كان سببا للفتنة فجمعوا له فضرب أعناقهم ثم صرف من ولايته فى جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين ومائة وبعثه مروان الى العراق فقتل فكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر * ثم تولى المغيرة بن عبد الله بن المغيرة من قبل مروان فى شهر رجب سنة احدى وثلاثين ومائة وتوفى فى جمادى

أما دولة الفواطم ويقال لهم العبيديون نسبة لعبيد الله المهدى [margin note — see below]

أما دولة الفواطم ويقال لهم العبيديون نسبة دخولهم مصر انه لما مات الامير كافور واضطربت أحوال الديار المصرية وطمعت أهل القرى فى الجند فكتب أعيان مصر الى الملك المعز الفاطمى فأرسل اليهم جوهرا الصقلى القائد فى مائة ألف مقاتل فدخلوا مصر فى يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة فهرب أصحاب كافور وأخذ جوهر مصر بلا ضرب ولا طعن فخطب للمعز يوم الجمعة على منابر الديار المصرية وسائر أعمالها وأمر المؤذنين بجامع عمرو وبجامع ابن طولون أن يؤذنوا بحى على خير العمل التى هى شعار الخوارج فشق ذلك على الناس وما استطاعوا له ردا وأرسل بشيرا الى المعز يبشره بفتح الديار

الاولى سنة اثنتين وثلاثين ومائة فكانت جملة ولايته عشرة أشهر * ثم تولى عبد الملك بن مروان من قبل مروان فكان آخر نواب دولة بني أمية وهي سنة احدى وثلاثين ومائة ولله البقاء

(ثم جاءت الدولة العباسية سنة اثنتين وثلاثين ومائة)

فكان أول نوابها بمصر صالح بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل أمير المؤمنين أبي العباس السفاح وقدم في المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة فقتل كثيرا من شيعة بني أمية وجهز طائفة منهم الى العراق فقتلوا ثم ورد كتاب من السفاح الى صالح المذكور بامارة فلسطين واستخلافه على مصر من يشاء ثم تولى أبو عون ابن عبد الملك الجرجاني فيه مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومائة ووقع وباء بمصر فهرب أبو عون من مصر واستخلف عكرمة بن عمرو وخرج الى دمياط سنة خمس وثلاثين ومائة ثم ورد كتاب من السفاح بولاية صالح بن علي ثانيا على مصر في ربيع الاول سنة ست وثلاثين ومائة ومات السفاح من ذي الحجة واستخلف أمير المؤمنين عبد الله المنصور فأقر صالحا على ولايته ثم صرف عنها فكانت جملة ولايته خمس سنوات ثم تولى أبو عون ثانيا من قبل المنصور في ربيع الاول سنة احدى وأربعين ومائة ثم صرف عنها فكانت ولايته هذه ثلاث سنين وستة أشهر ثم تولى موسى بن كعب بن عيينة من قبل المنصور في ربيع الآخر سنة احدى وأربعين ومائة فكانت ولايته ستة أشهر ثم تولى محمد بن الاشعث الخزاعي من قبل المنصور في ذي الحجة سنة احدى وأربعين ومائة ثم صرف عنها فكانت ولايته ستة أشهر ثم تولى حميد بن قحطبة من قبل المنصور وقد دخل في عشرين ألفا من الجند في شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين ومائة ثم صرف في ذي القعدة سنة ست وأربعين ومائة فكانت ولايته ثلاث سنوات وسبعة أشهر ثم تولى يزيد بن حاتم المهلبي من قبل المنصور في نصف القعدة سنة ست وأربعين ومائة وصرف عنها في ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين ومائة فكانت ولايته سبع سنين وأربعة أشهر ثم تولى عبد الله بن عبد الرحمن من قبل المنصور في ربيع الآخر وهو أول من خضب بالسواد وصرف عنها في رمضان سنة أربع وخمسين ومائة فكانت ولايته سنتين وشهرين ثم تولى محمد بن عبد الرحمن بن معاوية باستخلاف من أخيه عبد الله فأقره المنصور ومات في نصف شوال فكانت ولايته ثمانية أشهر ونصفا ثم تولى موسى بن علي بن رباح باستخلاف من محمد بن عبد الرحمن ولما مات المنصور وبويع لولده محمد المهدي أقر موسى المذكور الى ذي الحجة سنة احدى وستين ومائة فكانت ولايته ست سنين وشهرين ثم تولى عيسى بن لقمان بن محمد الجمحي من قبل المهدي في ذي الحجة سنة احدى وستين ومائة وصرف عنها في جمادى الاولى سنة اثنتين وستين ومائة فكانت ولايته أربعة أشهر ثم تولى واضح مولى أبي جعفر من قبل المهدي في جمادى الاولى سنة اثنتين وستين ومائة وصرف عنها في رمضان من السنة المذكورة فكانت ولايته أربعة أشهر ثم تولى منصور بن يزيد الرعيني وهو خال المهدي من قبل المهدي في رمضان سنة اثنتين وستين ومائة وصرف في نصف القعدة فكان مقامه شهرين وثلاثة أيام ثم تولى يحيى أبو داود من خراسان من قبل المهدي في ذي الحجة سنة اثنتين وستين ومائة وكان أبوه تركيا من أشد الناس وأعظمهم هيبة وأقدمهم على الحرب فمنع من غلق الدروب بالليل ومن غلق الحوانيت ومنع حراس الحمامات أن يجلسوا فيها وقال من ضاع له شيء فعلي أداؤه فكان الرجل يضع ثيابه في الحمام ويقول يا أبا داود احرسها فاذا ضاعت يأتيه فيه لله يوما ثم يأتي بمن أخذها فكانت الامور على هذا المنوال واستمر الى المحرم سنة أربع وستين ومائة فكانت ولايته قريبا من سنتين ثم تولى ابراهيم بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل المهدي في المحرم سنة خمس وستين ومائة وفي ولايته خرج دحية بن مصعب بن مروان بالصعيد ودعا لنفسه بالخلافة فتراخى ابراهيم ولم يحفل بامره حتى ملك عامة الصعيد فسخط عليه المهدي وعزله عزلا قبيحا في ذي الحجة سنة سبع وستين ومائة فكانت ولايته ثلاث سنين ثم تولى موسى بن مصعب من قبل المهدي في ذي الحجة سنة سبع وستين ومائة فتوجه بعسكره الى بلاد الحوف لقتالهم فلما التقوا انهزم أهل مصر باجمعهم وقتلوه من غير ان يتكلم وكان قتله في شهر شوال سنة ثمان وستين ومائة فكانت ولايته عشرة أشهر وكان ظالما غاشما سمعه الليث يقرأ في خطبته انا اعتدنا

المصرية واقامة الدعوة لهم اوطلبه الها فطرح بذلك فرحا شديدا ولما دخل جوهر القائد مصر لم يعجبه مدينة الفسطاط فاخذ في أسباب عمارة القاهرة بنية المفاخرة لبني العباس ببنائهم بغداد فخط أساس المدينة وجمع أرباب الفلك فامرهم أن يختاروا له طالعا سعيدا يضع أساس المدينة فيه فجعل على كل جهة من أساس المدينة قوائم من خشب وبين كل قائمتين حبلا فيه أجراس من نحاس ثم وقف الفلكية ينظرون دخول الساعة الجيدة والطالع السعيد ليضعوا فيه الاساس فقدر الله ان طائرا حرك تلك الاجراس فالقوا ما في أيديهم من الحجارة في أساس السور فصاحت عليهم الفلكية القاهر في الطالع

القائلين

الظالمين نارا أحاط بهم سرادقها فقال الليث اللهم لا تعقنا ثم تولى مصامة بن عمرو باستخلاف موسى بن مصعب وبعث الى دحية جيشا مع أخيه بكار فحارب يوسف بن نصر وهو على جيش دحية فتطاعنا فوضع يوسف الرمح في خاصرة بكار ووضع بكار الرمح في خاصرة يوسف فقتلا معا ورجع الجيشان منهزمين واستمر الى سلخ المحرم سنة تسع وستين ومائة ثم تولى على بن سنان بن على من قبل الهادى سنة تسع وستين ومائة ولما مات الهادى واستخلف هرون الرشيد أقر على بن يوسف المذكور فاظهر الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومنع الملاهى والخمور والكنائس المحدثة بمصر فبذلت النصارى في عدم هدمها أموالا تزيد على خمسين ألف دينار فلم يقبل وكان كثير الصدقات فاثنت الناس عليه خيرا بل أشاعوا انه يصلح للخلافة فسخط عليه هرون وعزله في ربيع الاول سنة احدى وسبعين ومائة ثم تولى عيسى بن موسى العباسى من قبل الرشيد فاذن للنصارى في بناء الكنائس التي هدمها على بن سنان فبنيت بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن أبي لهيعة ثم صرف عن مصر سنة اثنتين وسبعين ومائة فكانت ولايته سنة واحدة وخمسة أشهر ونصفا ثم تولى مسلمة بن يحيى البجلى من خراسان من قبل الرشيد ثم صرف عنها في شعبان سنة ثلاث وسبعين ومائة فكانت ولايته أحد عشر شهرا ثم تولى محمد بن زهير الازدى من قبل الرشيد في شعبان المذكور فثار عليه الجند ولم يستقم حاله فصرف عنها في غاية ذى الحجة سنة ثلاث وسبعين ومائة فكانت ولايته خمسة أشهر ثم تولى داود بن يزيد بن حاتم المهلبى وقدم هو وابراهيم لاخراج الجند الذين قاموا على محمد الازدى فدخلا مصر في المحرم سنة أربع وسبعين ومائة فاخرجا العسكر القديم الى الغرب واستقام الحال وسكنت الفتنة ثم صرف داود المذكور عن ولايته في المحرم سنة خمس وسبعين ومائة فكانت ولايته سنة ونصفا ثم تولى موسى بن عيسى العباسى من قبل الرشيد في شهر صفر سنة خمس وسبعين ومائة وصرف في شهر صفر سنة ست وسبعين ومائة فكانت ولايته سنة واحدة ثم تولى ابراهيم بن صالح ثانيا من قبل الرشيد في غرة ربيع الاول سنة ست وسبعين ومائة وتوفى في ولايته فكان مقامه بمصر شهرين وثمانية عشر يوما وقام بعده بالامر ابنه صالح مع صاحب شرطته خالد بن يزيد ثم تولى عبد الله بن المسيب من قبل الرشيد سنة ست وسبعين فكشف أمر الخراج وزاد على المزارعين زيادة أجحفت بهم فخرج عليه أهل الحوف فقاتلهم فقتل كثير من أصحابه فكتب الى الرشيد بذلك فجهز جيشا عظيما وبعثه الى الحوف فتلقوه بالطاعة وأذعنوا له وقاموا بالخراج كله ثم صرف عبد الله المذكور في رجب سنة ثمان وسبعين ومائة فكانت ولايته سنتين وسبعة أشهر ثم تولى هرثمة ابن أعين من قبل الرشيد في شهر رمضان سنة ثمان وسبعين ومائة فأشار عليه الرشيد بالمسير الى افريقية فكان مقامه شهرين ونصفا ثم تولى عبد الله بن صالح العباسى من قبل الرشيد فلم يدخل مصر واستخلف عبد الله بن المسيب وصرف في سلخ سنة ثمان وسبعين ومائة فكانت مدته شهرا واحدا ونصفا ثم تولى عبد الله ابن المهدى من قبل أخيه الرشيد في المحرم سنة تسع وسبعين ومائة فاستخلف ابن المسيب وصرف في رمضان فكانت ولايته تسعة أشهر ثم تولى عيسى بن موسى ثالث مرة من قبل الرشيد فارسل ابنه يحيى خليفة عنه في رمضان سنة تسع وسبعين ومائة وصرف في جمادى الآخرة سنة ثمانين ومائة فكانت ولايته تسعة أشهر ثم تولى عبد الله بن المهدى ثانيا من قبل أخيه الرشيد فقدم داود بن حباسة خليفة عنه في جمادى الآخرة سنة ثمانين ومائة وصرف في رمضان سنة احدى وثمانين ومائة فكانت ولايته سنة واحدة وثلاثة أشهر ثم تولى اسمعيل بن صالح العباسى من قبل الرشيد في سابع رمضان المذكور فاستخلف عون بن وهب الخزاعى في جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين ومائة فكانت ولايته تسعة أشهر ثم تولى اسمعيل بن عيسى العباسى سنة اثنتين وثمانين ومائة وصرف في رمضان من السنة المذكورة فكانت مدته ثلاثة شهور * ثم تولى الليث بن فضل من أهل بيرون من قبل الرشيد في سابع رمضان من السنة المذكورة وقدم مصر في شوال فجاءه المال والهدايا والتحف واستخلف أخاه الفضل وتوجه بالمال والهدايا الى الرشيد ثم عاد وتوجه ثانيا بالمال واستخلف هاشم بن عبد الله وكلما غلق سنة وخرج من حسابها توجه

يعنون المريخ فانه يسمى عندهم القاهر فقالوا اعلموا ان هذه المدينة أكثر من يملكها الاتراك وكان الامر كذلك وبنى الجامع الازهر ثم لما دخل المعز مصر لم يعجبه ما بناه جوهر القائد وعابه وقال لاى شئ لم تعملها على البحر وكان قد سماها المنصورية أولا ثم لما بلغه ما وقع للملكية غير الاسم وسماها القاهرة المعزية ولما استقر للمعز ملك مصر انفرد بها ولم يدخل تحت طاعة الخلفاء العباسية وقال أنا أفضل منهم لانى من ولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثر المؤرخين يكذبونهم في ذلك ويقولون انهم أولاد الحسين ابن محمد بن أحمد القداح وكان مجوسيا وقيل يهوديا وأمهم فاطمة بنت عبيد اليهودى وخلافتهم باطلة لانهم قاموا والخلافة

بالمال الى الرشيد ومعه الحساب ثم صرف من مصر في جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين ومائة فكانت
ولايته أربع سنين وسبعة أشهر * ثم تولى أحمد بن اسمعيل العباسي من قبل الرشيد في جمادى الآخرة
سنة سبع وثمانين ومائة ثم صرف في رمضان سنة تسع وثمانين ومائة فكانت ولايته سنتين وشهرا
ونصفا * ثم تولى عبد الله بن محمد بن ابراهيم العباسي من قبل الرشيد في شوال سنة تسع وصرف في شعبان
سنة تسعين ومائة فكانت ولايته عشرة أشهر * ثم تولى الحسين بن جميل من قبل الرشيد في رمضان سنة
تسعين ومائة وصرف في ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين ومائة فكانت مدة ولايته سبعة أشهر ثم تولى
دلهم الكلبي من قبل الرشيد في ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين ومائة وصرف في صفر سنة ثلاث
وتسعين ومائة فكانت ولايته عشرة أشهر ثم تولى الحسن التختاخ من قبل الرشيد في ربيع الاول سنة
ثلاث وتسعين ومائة فمات الرشيد واستخلف ابنه محمد الامين فثار الجند ووقعت فتنة عظيمة فجهز
الحسن مال مصر فوثب أهل الرملة لأخذه فبلغ الحسن فسار من طريق الحجاز الى طريق الشام وكان
سيره في ربيع الاول سنة أربع وتسعين ومائة فكانت مدة ولايته سنة واحدة * ثم تولى حاتم بن هرثمة
من قبل الامين في ربيع الثاني سنة أربع وتسعين ومائة وصرف في جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين
ومائة فكانت ولايته سنة واحدة وخمسة أشهر * ثم تولى حاتم الاشعث الطائي من قبل الامين وكان لينا
فلما حدثت فتنة الامين والمأمون قام السري بن الحكم عصبيا للمأمون ودعى الناس الى خلع الامين
فأجابوه وبايعوه للمأمون لثمان بقين من جمادى الاولى سنة ست وتسعين ومائة وأخرجوا جابرا الاشعث
فكانت ولايته سنة واحدة * ثم تولى عباد بن محمد بن حسان بن أبي نصر من قبل المأمون في رجب سنة
ست وتسعين ومائة فبلغ الامين ما كان بمصر فكتب الى ربيعة بن قيس رئيس الحوف بولاية مصر وكتب
الى جماعة تعاونه ببيعة الامين وخلع المأمون ولما قتل الامين صرف عباد في شهر صفر سنة ثمان
وتسعين ومائة فكانت ولايته سنة وسبعة أشهر * ثم تولى المطلب بن عبد الله الخزاعي من قبل المأمون في
ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين ومائة ثم صرف في شوال فكانت ولايته تسعة أشهر * ثم تولى العباس
ابن موسى العباسي من قبل المأمون في القعدة سنة ثمان وتسعين ومائة وعزل سنة تسع وتسعين ومائة
ثم تولى المطلب ثانيا من قبل المأمون في المحرم سنة مائتين وعزل في شعبان من السنة المذكورة ثم
ثم تولى السري بن الحكم من أهل بلخ من قبل المأمون في مستهل رمضان سنة مائتين وتوفى السري المذكور
سنة أربع ومائتين وهي السنة التي مات بها الشافعي رضي الله عنه ثم تولى محمد بن السري المذكور
من قبل المأمون وتوفي في شعبان سنة ست ومائتين فكانت ولايته أربعة عشر شهرا * ثم تولى عبيد الله
ابن السري باجماع من الجند وعزله عبد الله بن طاهر من قبل المأمون في ربيع الآخر سنة احدى عشرة
ومائتين ثم تولى عيسى بن يزيد الجلودي باستخلاف عبد الله بن طاهر الى سابع عشر القعدة سنة ثلاث
عشرة ومائتين ثم تولى الامير أبو اسحق بن هرون الرشيد وهو المعتصم فأقر موسى على الصلاة فقط وجعل
صالح بن شيرزاد على الخراج فظلم الناس فثاروا به وقتلوا أصحابه في صفر سنة أربع عشرة ومائتين * ثم تولى
عمر بن الوليد التميمي باستخلاف أبي اسحق بن هرون الرشيد فخرج لقتال الحوف في ربيع الآخر سنة
أربع عشرة ومائتين فكانت ولايته شهرين * ثم تولى عيسى الجلودي ثانيا باستخلاف أبي اسحق بن
هرون الرشيد فحارب أهل الحوف بالمطرية ثم انهزم فأقبل أبو اسحق في أربعة آلاف من أتراكه
فقاتل أهل الحوف وقتل أكابرهم وخرج الى الشام غرة المحرم سنة خمس عشرة ومائتين في أتراكه
ومعه الاسارى ثم تولى عبدويه بن جبلة من قبل أبي اسحق فاستمر الى غاية سنة خمس عشرة ومائتين
وتوجه الى برقة ثم تولى عيسى بن منصور الرافقي من قبل أبي اسحق المذكور في أول سنة ست عشرة
ومائتين فاختلف عليه عرب مصر وقبطها في جمادى الاولى من السنة المذكورة وخلعوا الطاعة
فقاتلهم وقتل منهم جماعة فكانت حروب عظيمة الى أن قدم عبد الله المأمون الى مصر سنة سبع عشرة

العباسية قاطبة ببغداد ولا
تصح البيعة بالخلافة
لامامين في وقت واحد ومبدأ
ظهورهم بالمغرب المهدي
بالله عبيد الله في المهدية
تولى بالمغرب خمسة وعشرين
سنة وثلاثة أشهر ثم القائم
بأمر الله محمد تولى المغرب
أيضا اثنتي عشرة سنة وسبعة
أشهر ثم المنصور اسمعيل
صاحب افريقية تولى بالمغرب
فأقام اثنتين وثلاثين سنة
وأولهم بمصر المعز لدين الله
تميم معد بن المنصور بن القائم
بأمر الله بن المهدي صاحب
المغرب بويع له بالمغرب
بعد موت أبيه المنصور وكان
رافضيا يبغض الصحابة
ويسبهم يوم الجمعة على المنبر
الا أنه كان عاقلا فاضلا
أديبا حاذقا وفيه عدل
للرعية وكانت مدة ولايته
بمصر أربع سنين وشهرا
ويومين (وتولى من بعده
ولده العزيز بالله نزار)

وماتتين فسخط على عيسى وحل لواءه ونسب هذه الفتنة اليه ثم ان المأمون جهز الجيوش لاهل الفساد وسبى منهم من سبى وقتل منهم من قتل وان المأمون أراد الوقوف على حقيقة الاهرام ففتح ثلمة من الهرم الكبير الى ان انتهى الى عشرين ذراعا فوجد مطمرة فيها ذهب مضروب وزن كل دينار أوقيتان من أواقينا وكانت ألف دينار فتعجب المأمون من جودة ذلك الذهب وحسن حمرته وقال ارفعوا الى حساب ما أنفقتموه على هذه الثلمة فرفعوه فوجدوه بازاء ذلك المال لا يزيد ولا ينقص فتعجب من ذلك غاية العجب وقال كان هؤلاء القوم بمنزلة لا ندركها نحن ولا أمثالنا ثم رحل المأمون لثمان عشرة ليلة من صفر سنة سبع عشرة ومائتين قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف في أخبار مصر وعجائبها ان سوريد أحد ملوك مصر قبل الطوفان هو الذي بنى الهرمين الكبيرين العظيمين المنسوبين الى شداد بن عاد وسبب بنائهما انه قبل الطوفان بثلثمائة عام رأى سوريد في منامه كأن الارض انقلبت باهلها وكان الناس قد هربوا على وجوههم وكان الكواكب تتساقط ويصدم بعضها بعضا باصوات هائلة فراعه ذلك ولم يذكره لاحد وعلم انه سيحدث أمر عظيم ثم رأى بعد ذلك بايام ان الكواكب الثابتة نزلت الى الارض في صورة طيور بيض وكأنها تختطف الناس وتلقيهم بين جبلين عظيمين وكان الكواكب المنيرة صارت مظلمة مكسوفة فانتبه فزعا مرعوبا فامر عند ذلك بعمل الاهرام ولما شرع في بنائها أمر بقطع الاسطوانات العظام واستخدام الرصاص من أرض المغرب واحضار الصخور من ناحية اسوان فبنى بها أساس الاهرام الثلاثة الشرقي والغربي والملون وكانوا يعدون البلاطة ويثقبونها ويجعلون في وسطها قضيبا من حديد قائما ويركبون عليها بلاطة أخرى مثقوبة ويدخلون القضيب فيها ثم يذاب الرصاص ويصب في القضيب حول البلاطة الى أن كملت وجعل ارتفاع كل واحد من الاهرام مائة ذراع بالذراع الملكي وهو خمسة أذرع بذراعنا الآن وجعل طول كل واحد من جميع جهاته مائة ذراع بذراع العمل ولما فرغت كساها ديباجا ملونا من أسفلها الى أعلاها وأنشد بعضهم

بعينيك هل أبصرت أعجب منظرا * على طول ما أبصرت من هرمي مصر
أناقا بأكناف السماء وأشرفا * على الجو اشراف السماك على النسر

(وقال آخر)

خليلي ما تحت السماء بنية * تماثل في اتقانها هرمي مصر
بناء يخاف الدهر منه وكل ما * على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر

وذكر القبط في كتبهم ان عليها كتابة منقوشة باليوناني تفسيرها بالعربية أنا سوريد الملك بنيت هذه الاهرام في وقت كذا وكذا وأتممت بناءها في ست سنين فمن اتى بعدي وزعم انه ملك مثلي فليهدمها في ستمائة سنة وقد علم ان الهدم أهون من البناء وأما كسوتها عند فراغها بالديباج فليكسها بالحصر رجعنا الى ما نحن بصدده ثم ان المأمون ولى مصر ابن عبد الله الصفدي المدعو كيدر ومات المأمون سنة ثمان عشرة ومائتين واستخلف المعتصم فاقر كيدرا المذكور ثم مات كيدر المذكور في ربيع الآخر سنة ست عشرة ومائتين بعد ان استخلف ابنه المظفر * ثم تولى ابن أبي العباس من قبل المعتصم في مستهل رمضان سنة تسع عشرة ومائتين وكانت ولايته سنتين وأربعة أشهر * ثم تولى كيدر بن عبد الله الصفدي من قبل المعتصم ولما مات المعتصم وبويع للواثق أقره الى شهر الجمعة سنة ثمان وعشرين ومائتين * ثم تولى عيسى بن المنصور ثانيا من قبل الواثق سنة تسع وعشرين ومائتين ولما بويع للمتوكل صرف عيسى المذكور في شهر ربيع الاول سنة ثلاث وثلاثين ومائتين * ثم تولى منصور بن المتوكل من قبل أبيه المتوكل وضم اليه المشرق والمغرب واستمر الى سنة احدى وأربعين ومائتين فكانت مدته سبع سنوات * ثم تولى يزيد بن عبد الله من قبل المتوكل فدخل مصر سنة اثنتين وأربعين ومائتين وهو الذي بنى المقياس الموجود الآن ولما مات المتوكل وبويع لمحمد المنتصر أقر يزيد المذكور ولما مات المنتصر وبويع للمعتز أقر يزيد المذكور وصرف عنها سنة اثنتين وخمسين ومائتين فكانت ولايته عشر سنوات * ثم تولى أحمد

بويع له بالخلافة بعد موت أبيه العزيز سنة خمس وستين وثلاثمائة وكان جوهر القائد مدبرا له المملكة كما كان في زمن والده فاقام احدى وعشرين سنة وتوفي في حمام بلبيس سنة ست وثمانين وثلثمائة (وتولى الحاكم بامر الله) أبو علي المنصور ابن العزيز كان شر الخليقة لم يل مصر بعد فرعون أشر منه رام ان يدعي الالوهية كما ادعاها فرعون فامر الرعية اذا ذكر الخطيب اسمه على المنبر ان يقوموا اعظاما لذكره واحتراما لاسمه فكان ذلك في سائر ممالكه حتى في الحرمين الشريفين وكان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا كثير التلون في أقواله وأفعاله وله أحكام مشهورة يمجها صاحب العقل السليم والطبع المستقيم وقبائح ينكرها العرف والشرع

ابن مزاحم من قبل المعتز واستمر الى سنة أربع وخمسين ومائتين

(الدولة الطولونية)

أولهم أحمد بن طولون تولى من قبل المعتز فى شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين ولما تولى مصر كان على خراجها أحمد بن المدبر وهو من دهاة الناس وشياطين الكتاب أهدى الى أحمد بن طولون هدايا قيمتها عشرة آلاف دينار وكان ابن طولون قد رأى عند أحمد بن المدبر مائة غلام قد انتخبهم وصيرهم عدة له وكانوا أهل حسن خلق وبأس شديد وعليهم أقبية ومناطق كبار عراض وبأيديهم مقارع غلاظ على طرف كل مقرعة مقمعة من فضة وكانوا يقفون بين يديه فى حافتى مجلسه فاذا ركب ركبوا فى صدره والناس بين يديه فتصير له هيبة عظيمة فى قلوب الناس فتفطن ابن المدبر لقصد ابن طولون وقال من كانت هذه همته لا يؤمن على طرف من الاطراف لنفاذه وكره المقام معه بمصر واتفق مع سفيان الخادم صاحب أحمد بن المدبر على مكاتبة الخليفة بازالة أحمد بن طولون فلم تكن غير أيام حتى بعث أحمد بن طولون الى أحمد بن المدبر يقول له قد كنت أعزك الله أهديت لنا هدية وقع الاستغناء عنها فرددناها عليك توفيرا ونحب أن تجعل العوض عنها الغلمان الذين رأيتهم بين يديك فانا اليهم أحوج منك فقال ابن المدبر لما بلغته الرسالة هذه أخرى أعظم مما تقدم ولم يجد له بدا من بعثهم اليه فتحولت هيبة أحمد بن المدبر الى أحمد بن طولون ونقصت هيبة ابن المدبر بمفارقة الغلمان فكتب ابن المدبر الى الخليفة يحرضه على عزل ابن طولون فبلغه ذلك فكتم ذلك فى نفسه ولم يبده واتفق موت المعتز فى رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وأقام المهدى بالله ابن الواثق فأقر أحمد بن طولون وزاده اعمالا على مصر من جملتها الاسكندرية وتوجه ابن طولون الى الاسكندرية وتسلمها ولم يزل يستأصل الامور شيأ فشيأ الى ان قويت شوكته وكثرت عساكره وتغلب وصار سلطانا بمصر وتحول من دار النيابة بقصر الشمع وبنى بناء بين مصر وجامعه وسماه القطائع وهو أول من تسلطن بمصر وكان حكمه بمصر والشام والفرات والمغرب وكان يشتغل بالعلم والحديث وصرف على الجامع المعروف به الآن مائة ألف وعشرين ألف دينار والنفقة ورسم الصدقة كل يوم ألف دينار ورتب للعلماء وأرباب البيوت كل شهر عشرة آلاف دينار ومما اتفق انه لما تساقطت النجوم فى أيامه راعه ذلك فاحضر من عنده من المنجمين والعلماء وسألهم فما أجابوا اذ دخل الجمل المصرى الشاعر وهم فى الحديث فانشد

قالوا تساقطت النجو * م لحادث فظ عسير * فاجبت عند مقالهم

بجواب محتنك خبير * هذى النجوم الساقطا * ت رجوم أعداء الامير

فتفاءل ابن طولون واستبشر وأمر له بخلعة سنية وصلة وقال للجماعة أف لكم أما كان فيكم من يحسن أن يقول مثل هذا وتوفى أحمد بن طولون ليلة الاحد لعشر بن خلون من ذى القعدة سنة سبعين ومائتين ودفن خارج باب القرافة وكانت مدة سلطنته عشرين سنة وشهرين وخلف ثلاثة وثلاثين ولدا منهم سبعة ذكور وخلف من الذهب عشرة آلاف ألف دينار ومن المماليك عشرة آلاف ومن الغلمان أربعة وعشرين ألفا ومن الخيل عشرة آلاف ومن البغال والحمير ستة آلاف ومن الجمال عشرة آلاف ومن المراكب الحربية مائة مركب قيل انه رؤى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال انما البلاء على من ظلم من لا ناصر له الا الله وما على رؤساء الدنيا أشد من الحجاب لطالب الانصاف وقال بعضهم كنت أرى شيخا يقرأ على قبره ثم تركه فسئل عن ذلك فقال كان له علينا بعض احسان فاحببت ان أصله بالقرآن فاتانى فى المنام وقال لا تقرأ على شيأ فانه لا تمر آية الا قيل لى أما سمعت هذه فاقول بلى والله تعالى أعلم (ثم تولى بعده ولده خمارويه) وبايعه الجند يوم الاحد لعشر بن خلون من ذى القعدة سنة سبعين ومائتين فاقتفى ما كان يفعله والده من الخيرات والصدقات والماكولات والرفاهية والهيبة وزاد على ذلك وأخذ الميدان وجعله كله بستانا وزرع فيه أنواع الرياحين وأصناف الشجر حتى انه شكا الى طبيبه كثرة السهر فاشار عليه بالتكبيس فانف وقال لا أقدر على وضع يد أحد على بدنى فقال له اصطنع لك بركة طولها

القويم حتى انه تعدى قحبه الى أخته وأراد ان يفعل بها الفاحشة فعملت على قتله فركب ليلة الى الجبل المقطم ينظر فى النجوم فاتاه عبدان فقتلاه وحملاه الى أخته ليلا فدفنته فى دارها وذلك سنة احدى وأربعمائة فتصرف خمسا وعشرين سنة وشهرا واحدا وبنى الجامع المعروف به الكائن بالقاهرة فيما بين بابى النصر والفتوح ولما بناه قصد قطع الخطبة بالجامع الازهر فقدر الله انه ما خطب به الا ولده من بعده (وتولى من بعده ابنه الظاهر لدين الله أبو الحسن بن الحاكم) وهو الرابع من الخلفاء العبيدية الفاطمية وكان عمره ست عشرة سنة فاقام فيها وسبعة أشهر وفعل أفعالا تقرب من افعال والده ومات يوم الاحد سنة سبع وعشرين

عشرون ذراعا فى عرض عشرين وأملاها من الزئبق فانفق فى ذلك أموالا عظيمة وجعل فى أركان البركة سككا من فضة وجعل فى السكك زنانير من حرير محكمة الصنعة وجعل فراشا من أدم يحشى بالريح حتى ينتفخ وينام على الفرش فصار يرمى ويتحرك بحركة الزئبق مادام عليه فكانت هذه البركة من أعظم ما سمع به من همم الملوك وكان يرى لها فى الليالى المقمرة منظر عجيب اذا تآلف القمر بنور الزئبق ولقد أقام الناس بعد خراب البركة مدة يحفرون لاجل أخذ الزئبق من شقوق البركة ويبيعونه وبنى أيضا فى داره دار الاسباع وجعل فى كل بيت سبعا ولبوة وعلى تلك البيوت أبواب تفتح من أعلاها وكل بيت مفروش بالرمل وفى جانب كل بيت حوض من رخام يصب فيه الماء وكان من جملة هذه السباع سبع أزرق العينين يقال له زريق وقد أنس بخارويه وصار مطلقا بالدار لا يؤذى أحدا فاذا نصب لخارويه مائدته أقبل زريق معها ووقف على يديه فيرمى اليه بدجاجة أو لحم أو غير ذلك مما على المائدة فيأكله وكان له لبوة لم تأنس كما أنس فكانت فى مقصورة وله وقت معلوم يجتمع معها فاذا نام خارويه قام زريق يحرسه فاذا نام على السرير رابضه زريق مادام نائما وان كان على الارض أقعى قريبا منه وينظر ان يدخل أو يقصد خارويه ولا يغفل عن ذلك لحظة واحدة وكان قد ألف ذلك وكان فى عنق زريق طوق من ذهب وكان لا يقدر أحد يدنو من خارويه مادام نائما لمراعاة زريق به وحراسته حتى أراد الله انفاذ قضائه وقدره فى خارويه لما كان بدمشق وزريق بمصر فقتل اذ لا يغنى حذر من قدر * ومما أفاده الكمال الدميرى فى حياة الحيوان ان للسبع أسماء كثيرة وكنى والمتكلمون على طبائع الحيوان يقولون ان الانثى لا تضع الا جروا واحدا فتضعه لحمة لا حس فيه ولا حركة فتحرسه ثلاثة أيام ثم يأتى أبوه بعد ذلك فينفخ فيه مرة بعد مرة فيتحرك ويتنفس ويتشكل ثم تأتى أمه فترضعه ولا يفتح عينيه الا بعد سبعة أيام من تشكله فاذا مضت عليه ستة أشهر اكتسب التعليم وله صبر على الجوع وقلة الحاجة الى الماء ما ليس لغيره من الحيوان ولا يأكل من فريسة غيره واذا شبع من فريسته تركها ولم يعد اليها ولم يشرب من ماء ولغ فيه الكلب ومع افراط شجاعته يفر من صوت الديك ونقر الطشت ومن السنور ويتحير عند رؤية النار ومتى وضع جلده على شئ من جلود السباع تساقط شعرها ومن علق عليه قطعة من جلده بشعرها أمن من الصرع قبل البلوغ فان أصابه الصرع بعده لم ينفعه ومن لطخ بشحمه جميع بدنه هربت منه السباع ولم ينله مكروه واذا أحرق شعره فى موضع هربت منه سائر السباع ولحمه ينفع الفالج واذا وضعت قطعة من جلده فى صندوق مع ثياب لم يصبها سوس ولا أرضة ومما يناسب ما تقدم من حراسة السبع ان شخصا مغربيا أخبرنى شفاها فى سنة ثلاثين وألف أن شخصا من قرية من قرى جزائر الغرب ذكر له ان شخصا من أقاربه اجتاز ببعض الاودية فرأى جرو سبع منزور العينين قدر القط فالتقطه وجاء به الى منزله وكانت زوجته مرضعة ومعها ولد فالقمت الجرو ثديها فرضعه واستأنس بها فصار الولد والجرو كالتوأمين ولما كبر الولد واشتد وبقى له حركة فى المشى والدخول والخروج فكان الجرو يتبع الولد أينما سار وأينما نام ينام بازائه واذا سرح بغنمه يتبعه ويراعيه ويحرسه اذا نام الى أن صار الولد رجلا والجرو سبعا فقدر الله ان الولد عشق بنتا من بنات قرية قريبة لقريته فكان يتوجه اليها ليلا وهو راكب السبع واذا قرب من القرية التى فيها البنت يقول للسبع اجلس ههنا حتى أقضى مرادى وأعود اليك فيجلس السبع خارج القرية الى أن يعود اليه الولد فاتفق ان أهل البيت فطنوا بالولد المذكور فقبضوا عليه وقتلوه فقام السبع ينتظره الى ان طلعت الشمس فلم يحضر فظن السبع ان الولد توجه الى أمه فكر راجعا الى منزل الولد فلم يجده فقالت أم الولد للسبع يا مشوم أين صاحبك فذرفت عيناه بالدموع وكر راجعا على أثره للقرية التى كان بها الولد فقتل من أهلها فى ساعة واحدة ما يزيد على عشرين نفرا وكلما دخل السبع منزل الولد يجد أمه تبكى فيعود الى القرية ويقتل من أهلها من يظفر به الى ان قتل جملة من أهلها ثم ان الذى بقى من القرية شكوا أمرهم لحاكم الولاية فاستشار الناس فى قتله

وأربعمائة (وتولى من بعده أبو أحمد المستنصر بالله معد ابن الظاهر فأقام ستين سنة بتقديم السين المهملة على المثناة الفوقية وأربعة أشهر ولم يقم هذه المدة خليفة ولا ملك فى الاسلام قبله وحصل فى مدته غلاء عظيم لم يعهد مثله الا ما كان فى زمن يوسف عليه السلام فمكث سبع سنين حتى أكل الناس بعضهم بعضا وبيع الرغيف الواحد بخمسين دينارا وخرجت امرأة بعقد جواهر وطلبت عوضه مد بر فلم تجد فالقته وماتت جوعا فلم يوجد من يأخذه وتوفى المستنصر سنة سبع وثمانين وأربعمائة وبعد موته صار التصرف فى الامور لوزرائهم ولم يبق للخلفاء من الخلافة سوى الاسم (وتولى من بعده المستعلى بالله) أبو القاسم ولد المستنصر المذكور فأقام

فأشاروا عليه بأنه لا يمكن قتله الآن بحضرته أم الولد ويستأنس بها فإذا استأنس بها يضرب برصاصة فيقتل ففعل به ذلك وقتل السبع بهذه الحيلة * ورجعنا الى ما نحن بصدده من أمر خمارويه فإنه لما تكامل * أمره وانتهى أمره توجه الى دمشق فقتل بها على فراشه مذبوحا ذبحه بعض جواريه في ذي القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين وحمل في صندوق الى مصر وكان له يوم عظيم ومن كلام الحكماء ان بطانة الرجل واهله اذا خانوه فسد حاله فكانت ولايته اثنتي عشرة سنة وثمانية عشر يوما والله سبحانه أعلم (ثم تولى أبو العساكر بن خمارويه) في عاشر القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين بدمشق فسار الى مصر واشتمل على أمور منكرة وقتل في جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين ومائتين فكانت ولايته ثمانية أشهر واثني عشر يوما (ثم تولى أبو موسى هرون بن خمارويه) فابتدأ بالاشتغال باللهو واللذات فاجتمع عماه شيبان وعدى ابنا أحمد بن طولون على قتله فدخلا عليه ليلة الاحد عاشر صفر سنة احدى وتسعين ومائتين فقتلاه وكان سنه اثنتين وعشرين سنة وولايته ثمان سنين وثمانية أشهر (ثم تولى أبو المغازى شيبان بن أحمد) بن طولون في عاشر صفر سنة اثنتين وتسعين ومائتين فأنكر عليه قواد هرون بن خمارويه وحالفوا شيبان وبعثوا الى محمد بن سليمان كاتب لؤلؤ غلام أحمد بن طولون فجاء الى مصر في عسكر جرار فخاف شيبان وطلب الامان فأمنه محمد بن سليمان وقبض عليه في ثامن ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين ومائتين فكانت ولايته اثني عشر يوما ودخل محمد بن سليمان في أوائل ربيع الاول المذكور فألقى النار في القطائع ونهب أصحاب السقاط وكسر السجن وأخرج من فيه واستباح الحريم وافتض الابكار وساق النساء وفعل كل قبيح وأخرج بقية أولاد أحمد بن طولون وقوادهم في اهانة وذلة ولم يبق منهم أحد وخلت منهم الديار وآلوا الى البوار فكانت مدة الدولة الطولونية سبعا وثلاثين سنة وسبعة أشهر وعشرين يوما فسبحان المعز المذل ولما خربت القطائع أنشد ابن هشام يقول

يا منزلا لبني طولون قد دثرا * سقاك صوب الغوادي القطر والمطرا

بالله عندك علم من أحبتنا * أم هل عهدت لهم من بعدنا خبرا

ثم عادت الدولة العباسية بمصر في خلافة المكتفي وفي ذلك يقول أحمد بن محمد

الحمد لله اقرارا بما وهبا * قد كان بالامس شعب الحي فانشعبا

الله أصدق هذا الفتح لا كذب * فسوء عاقبة من قال كذبا

قضيه فتح الدنيا بمحمدها * وفرج الظلم والاظلام والكربا

لما أطال بنو طولون خطبهم * بين الحطوب وعادت منهم الخطبا

هارت بهارون من ذكراك بقعته * وشتت الشمل شيبان ومارعيا

فأصبحوا الاثر الامسا كأنهم * كانوا من زمان غابر ذهبا

* ثم تولى عيسى النوشري من قبل المكتفي وقدم الى مصر في سابع جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين ومائتين فتصرف خمس سنين وشهرين ونصفا الى ان توفي بمصر وحمل الى بيت المقدس ودفن به في شعبان سنة سبع وتسعين ومائتين * ثم تولى تكين الخزري من قبل المقتدر في حادي عشر شوال سنة سبع وتسعين ومائتين وفي ولايته جاء حباسة بن يوسف من قبل عبد الله الفاطمي صاحب افريقية واستولى على برقة ثم سار الى الاسكندرية في زيادة عن مائة ألف وذلك في المحرم سنة اثنتين وثلثمائة فقدمت العساكر من العراق مددا لتكين وبرزت العساكر فكانت واقعة حباسة مشهورة قتل فيها آلاف من الناس ورد حباسة ولم يظفر بمراده وكانت مدة تصرف تكين خمس سنين وشهرين وعزل آخر سنة اثنتين وثلثمائة * ثم تولى أبو الحسن ذكى الاعور الرومي من قبل المقتدر في ثاني عشر صفر سنة ثلاث وثلثمائة ثم ان المهدي صاحب افريقية سير عسكرا صحبة أبي القاسم فدخل الاسكندرية في ثامن صفر سنة سبع وثلثمائة وفر الناس الى مصر برا وبحرا وخرج ذكى الاعور والجند الى الجيزة

[illegible] سنة خمس وتسعين وأربعمائة (وتولى من بعده الآمر بأحكام الله) أبو علي المنصور بن المستعلي تولى وعمره خمس سنين فأقام تسعا وعشرين سنة وسبعة أشهر الى ان قتل في الروضة سنة أربع وعشرين وخمسمائة وكان رافضيا خبيثا فاسقا ظالما جبارا متظاهرا بالمنكرات فكانت مدة ولايته تسعا وعشرين سنة وشهرين (وتولى من بعده الحافظ لدين الله عبد المجيد) فأقام تسع عشرة سنة وتوفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة (وتولى من بعده ولده الظافر بأعداء الله اسمعيل) فأقام أربع سنين وسبعة أشهر الى ان قتل بباب الزهومة سنة تسع وأربعين وخمسمائة وهو الذي عمر جامع الفكهانيين

وحفر واخندقا على العسكر فرض زنكى ومات فكانت مدة تصرفه أربع سنين وشهرا ودفن فى ثانى ربيع الاول سنة سبع وثلثمائة * ثم تولى تكين ثانيا فنزل الجيزة وحفر خندقا ثانيا وأقبلت مراكب الغرب فظفر بها وقدم مؤنس الخادم من بغداد فى نحو ثلثمائة ألف فوقع بينه وبين أصحاب المهدى حروب بالفيوم واسكندرية ورجع أبو القاسم تابع المهدى الى برقة وأقام تكين سنة واحدة وشهرا * ثم تولى هلال بن بدر من قبل المقتدر فبعث الجند على هلال وكثر النهب والقتل والفساد بمصر فصرف عنها فى ربيع الآخر سنة احدى عشرة وثلثمائة * ثم تولى أحمد بن كيغلغ من قبل المقتدر فى رجب سنة احدى عشرة وثلثمائة وعزل فى القعدة * ثم تولى تكين ثالثا من قبل المقتدر فى المحرم سنة اثنتى عشرة وثلثمائة فقتل المقتدر فى شوال سنة عشرين وثلثمائة وبويع لابى المنصور القاهر فاقر تكين الى ان توفى فى سنة احدى وعشرين وثلثمائة وحمل الى بيت المقدس ودفن به فكانت ولايته تسع سنين وشهرا * ثم تولى الاخشيد واسمه محمد بن طغج الفرغانى المدعو أبابكر من قبل القاهر فمكث اثنين وثلاثين يوما * ثم تولى أحمد بن كيغلغ ثانيا من قبل القاهر فى شوال سنة احدى وعشرين وثلثمائة فاقام سنة واحدة وبويع الراضى بالله والله تعالى أعلم

(ذكر الدولة الاخشيدية)

ثم ان الاخشيد تغلب وأخذها قهرا عن الراضى فى سنة أربع وعشرين وثلثمائة وقدم أبو الفتح بن جعفر بالخلع للاخشيد ووقع حروب انهزم بها اتباع أبى الفتح الى برقة وسار والى القائم بامر الله محمد بن المهدى بالمغرب وحضروا على أخذ مصر ثم ورد كتاب من بغداد الى الاخشيد بالزيادة فى اسمه ودعى له بذلك على المنبر فى رمضان سنة سبع وعشرين وثلثمائة ولما بويع للمتقى أقر الاخشيد ولما خلع المتقى وبويع للمستكفى ودعى الطائع فاقر الاخشيد وتوفى الاخشيد فى ثالث عشر الحجة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة فمدته احدى عشرة سنة وثلاثة أشهر والله أعلم (ثم تولى أبو القاسم أحمد ولد الاخشيد) من قبل المطيع والكلام لكافور الاخشيدى وفى سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة وقع حريق بمصر فى سوق السراجين وقيسارية العسل ودخل الليل والنار على حالها تتغير وبات الناس على خطر عظيم فركب كافور وأمر بالنداء من جاء بقربة أو كوز فله درهم فكان مبلغ ما صرف عشرة آلاف درهم وكان جملة ما احترق غير البضائع والاقمشة ألف وسبعمائة دار فاقام أبو القاسم أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وتوفى فى ذى القعدة سنة تسع وأربعين وثلثمائة (ثم تولى أبو الحسن على ولد الاخشيد) فاقام خمس سنين وشهرين والكلام لكافور الاخشيدى (ثم تولى كافور المكنى بابى المسك الاخشيدى) وكان خصيا أسود بيع بثمانية عشر دينارا وقد سبقت له من الله السعادة كما قيل فى المعنى

واذا السعادة صادفت عبد الشرا * نفذت على ساداته أحكامه

تولى فى صفر الخير سنة خمس وخمسين وثلثمائة وكان يعطى العطاء الجزيل حتى اتفق أنه وقع فى أيامه زلزلة فدخل محمد بن عاصم الشاعر فانشد قصيدته التى منها

مازلزلت مصر من سوء يراد بها * لكنها رقصت من عدله فرحا

فاجازه بالف دينار ومما اتفق أيضا ان رجلا دخل على كافور ودعا له فقال فى دعائه أدام الله أيام مولانا بكسر الميم فى أيام فتحدث جماعة من الحاضرين فى ذلك وعابوه فقام رجل من وسط القوم وأنشد مرتجلا

لا غرو ان لحن الداعى لسيدنا * أوغص من دهش بالريق أو بهر
فتلك من هيبة جاءت جلالتها * بين الاديب وبين الفتح بالحصر
وان يكن خفض الايام من غلط * فى موضع النصب لا عن قلة النظر
فقد تفاءلت من هذا لسيدنا * والفال تأثره عن سيد البشر
بان أيامه خفض بلا نصب * وان أوقاته صفو بلا كدر

بالشوابين (وتولى من بعده الفائز عيسى بن الظاهر) وعمره خمس سنين فاقام ست سنين ونصفا ومات سنة خمس وخمسين وخمسمائة (وتولى من بعده العاضد عبد الله بن يوسف الحافظ) فاقام احدى عشرة سنة وستة أشهر وخلع ومات سنة سبع وستين وخمسمائة وبموته انقطعت دولة الفاطميين ومدة تصرفهم مائتا سنة وثمان سنين وخمسة أشهر وقد طهر الله منهم البلاد وأراح منهم العباد (ثم) جاءت الدولة الايوبية والكردية السنية أصحاب الفتوحات الذين جددوا الخطبة للعباسية هم أكراد وكان فى خدمة زنكى ثم فى خدمة نور الدين الشهيد وهو الذى أرسلهم الى مصر فاولهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب حضر مصر مع نور

فاجازه كافور بجائزة عظيمة وهذه الجوائز التى حثت أحمد بن الحسين المتنبي الى المجيء الى كافور وقد مدحه أبو الطيب فقال

واخلاق كافور اذا شئت مدحه * وان لم تشأ تملى على فاكتب

ذكر صاحب القاموس ان المتنبي خرج الى بنى كلب وادعى انه حسنى ثم ادعى النبوة فشهد عليه بالشام وحبس ثم استتيب وأطلق وكان المتنبي مع كثرة ماله وأخذه الجوائز العظيمة على جانب عظيم من البخل وكان يقف بين يدى كافور بخفين ومنطقة وبحضر سماطه ويجيء بصحبته غلام أسود ومعه قدور خزف يأخذ فيها فضلات الطعام حكى عنه انه طلب نداما ليعمل له جبابا فاقام عنده سبعة أيام فاعطاه سبعة قراريط من دينار فصعب عليه ذلك فقال له كم ظننت أنى أعطيك فقال سبعة دنانير فقال المتنبي والله لو وضعت رجلا على طور زيتا ورجلا على طور سينا وتناولت قوس قزح وفاطمة العرش وندفت قطن الغمام على جباه الملائكة ما أعطيتك دينارا فضلا عن ان أعطيك سبعة دنانير وان المتنبي لما امتدح كافورا بقصائد طنانة فمن غرر قصائده

فجاءت به انسان عين زمانه * وخلت عيونا خلفها وأماقيا
قواصد كافور توارك غيره * ومن ورد البحر استقل السواقيا

فاجازه كافور بجوائز عظيمة ومما اتفق ان المتنبي دخل على كافور فى وقت من الاوقات وطلب منه شيأ وكان الوقت غير لائق للطلب فحصل من كافور تراخ وتغافل فخرج من عنده مغضبا وهجاه فقال

من علم الاسود المخصى مكرمة * أقومه السود أم أجداده الصيد
وذاك ان الفحول البيض عاجزة * عن الجميل فكيف الخصية السود
العبد ليس لحر صالح بأخ * لو انه فى ثياب الحر مولود
لا تشتر العبد الا والعصى معه * ان العبيد لانجاس مناكيد

روى عن وهب بن منبه انه قال اذا سمعت الرجل يحدثك بما ليس فيك فلا تأمنه أن يحدث بما ليس فيك ومن عجيب ما اتفق للمتنبي مع عبد أسود لسعيد بن مهنا وهو ان العبد جاء الى عطار يطلب منه بضائع وكان المتنبي جالسا بحانوت العطار المذكور فقال العبد هات بذى البيضة طفلا وبذى البيضة حناء فقال له المتنبي عبد من أنت فقال انى عبد سعيد وسعيد بن مهنا ثم ان العبد سال العطار عن المتكلم وقال من هذا فقال له هذا المتنبي الشاعر فتقرب منه وقال

يا نسمة الصالحى * على ظما المتنبي * ويا فقاه تدانى
حتى تصير بقربي * وراحتي اصفعاه * طرطق وطرطق طبى
ان كنت أنت نبى * فالقرد لاشك ربى

فلم يجبه المتنبي وقال للعطار ان هذا العبد يموت بعد ثلاثة أيام لشدة حذقه فكان الامر كذلك * رجعنا الى ما نحن بصدده من أخبار كافور حكى عنه انه كان جالسا فى بعض الايام على تخت ملكه وأرباب دولته وخدمه واقفون بين يديه فسمع سماعا بآلات مطربة وايقاع منسجم فحرك كتفه على ايقاع السماع ففطن به أرباب الدولة فخشى من انتقادهم عليه فاتخذها عادة الى أن مات ولا عجب فى ذلك فقد قيل لو نزل زنجى من السماء لنزل على الايقاع وقيل ان كان السودان لحوم القردة فاورثهم الرقص والغالب على السودان من رجال ونساء التخلع والتصنع فى حركاتهم وجميلاتهم وعلى الخصوص اجتماعهم فى الافراح والزفاف ورقصهم على طبلهم وطنبورهم وذلك مستمر الى الآن بمصر * من الجامع الصغير قال صلى الله عليه وسلم اشتروا الرقيق وشاركوهم فى أرزاقهم واياكم والزنج فانهم قصيرة أعمارهم قليلة أرزاقهم قال الشارح الاسود انما هو لبطنه ان جاع سرق وان شبع فسق وقال جالينوس اختصت السود بعشر خصال تفلفل الشعر وخفة اللحى وفتح المنخرين وغلظ الشفتين وحدة الاسنان ونتن الجلد وسواد اللون وتشقق

الدين الشهيد لما أرسل له العاضد الفاطمى يستعين به على الافرنج الذين حضروا الى مصر وأخذوا مدينة بلبيس وقتلوا وأسروا وامروا أخذ القاهرة فامر شاور الوزير بحرق مصر والنقلة الى القاهرة فالتهبت النار فيها أربعة وخمسين يوما ثم لما توجه نور الدين الشهيد من الشام هرب الافرنج لما سمعوا بوصوله وقتل الوزير شاور لانه كان الذى أطمع الافرنج فى المسلمين وأقام العاضد مقامه وزيرا ومات فاقام مقامه فى الوزارة يوسف صلاح الدين ولقبه بالملك الناصر فقام بالسلطنة أتم قيام وأجلى الافرنج من أرض مصر واستمر وزيرا للعاضد الى أن مات فتولى صلاح الدين السلطنة واستولى على قصر الفواطم بخزائنه فوجد فيه

الكتاب وطول الذكر وكثرة التجارب ومدة تصرف كافور سنتان وأربعة أشهر وتوفي في عشري جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثلثمائة ودفن بالقرافة وله قبر مشهور والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

(ثم تولى أبو الفوارس أحمد بن علي الاخشيدي) وعمره اثنتا عشرة سنة فأقام سنة واحدة وزالت دولة الاخشيدية وكان مدة تصرفهم أربعا وثلاثين سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما

(الباب الخامس في دولة الفواطم ويقال لهم العبيديون)

واختلف المؤرخون في نسبهم وهم ينتسبون الى فاطمة الزهراء رضي الله عنها وطعنوا فيهم بانهم من أولاد الحسين بن محمد بن أحمد القداح وكان القداح مجوسيا وكان ابتداء ظهورهم عبيد الله بن المهدي وثانيهم المنصور وثالثهم المعز لدين الله وهو الذي انتقل من بلاد الغرب الى مصر وملكها من الاخشيديين وكان السبب في ملكها انه لما مات كافور جهز جوهر القائد بعسكر عظيم ومعه ألف حمل من السلاح ومن الخيل ما لا يوصف فملك مصر ذكر المقريزي في خططه ان مصر قبل ان ينتقل كرسي الامارة منها كان بها من المساجد ستة وثلاثون ألف مسجد وثمانية آلاف شارع مسلوك وألف ومائة وسبعون حماما وان حمام جنادة بالقرافة كان لا يتوصل اليه الا بعد عناء شديد من الزحام وكانت قبالته في كل يوم خمسمائة درهم وكان بها من الجهة الشرقية حمام من بناء الروم فدخله شخص وطلب صانعا يخدمه فلم يجد صانعا متفرغا وكان مع كل صانع اثنان أو ثلاثة فسأل كم فيها من صانع فأخبر ان بها سبعين صانعا أقل صانع معه ثلاثة سوى من قضى حاجته وخرج ثم طاف غيره فلم يجد من يخدمه الا بعد أربع حمامات وقيل ان الاسطال الذهب التي كانت تدلى من الطاقات المطلة على النيل وعلائمها كان عددها ستة عشر ألف سطل ولا يخفى ما مضى عليها الا آن من الخراب ودثور الاماكن وان ماء النيل لا يتوصل الى الاماكن المطلة على النيل الا أوان الزيادة فسبحان الحي الذي لا يزول ملكه لا اله الا هو وان جوهر القائد لما انتظم حاله ضاقت مصر بالجند والرعية فاختط سور القاهرة وبنى بها القصور وسماها المنصورية فلما قدم المعز الى مصر من القيروان غير اسمها وسماها القاهرة والسبب في ذلك ان جوهر القائد لما أراد رمي أساس السور جمع المنجمين وأمرهم أن يختاروا طالعا لحفر الاساس وطالعا لرمي الحجارة فجعلوا قوائم من خشب بعدما حفر والاساس بين القائمة والقائمة حبل فيه أجراس وأمر والبنائين حال تحريك الاجراس أن يرموا ما بأيديهم من الطين والحجارة فوقف المنجمون لتحرير هذه الساعة وأخذ الطالع فاتفق وقوع غراب على خشبة من تلك الخشب فظن الموكلون بالاجراس ان المنجمين حركوها فالقوا ما بايديهم من الحجارة والطين في الاساس فصاح المنجمون لا لا القاهر في الطالع فمضى ذلك وفاتهم ما طلبوه وكان الغرض أن يختاروا طالعا لا يخرج البلد عن نسلهم فوقع ان المريخ كان في الطالع وهو يسمى عند المنجمين القاهر فعلم ان الاتراك لابد أن يملكوا هذه البلدة واتفقوا وسموها القاهرة وغيروا اسمها الاول ويأبى الله الا ما أراد وان جوهر القائد دبر أرض مصر أربع سنين وبنى الجامع الازهر وكان نهاية بنائه في سابع رمضان سنة احدى وستين وثلثمائة وتوفي المعز سابع ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلثمائة ودفن في قصره بالقاهرة وكان أحضر معه توابيت آبائه وأجداده ودفنهم في قصره فمدة تصرفه في القاهرة ثلاث سنوات والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى العزيز أبو النصر نزار بن المعز) فأقام احدى وعشرين سنة ونصفها وتوفي في حمام بلبيس سنة ست وثمانين وثلثمائة والله أعلم (ثم تولى الحاكم بامر الله) أبو علي المنصور وكان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا وكان يروم أن يدعي الالوهية كما ادعاها فرعون قال الشيخ عماد الدين بن كثير في تاريخه كان الحاكم أمر الرعية اذا ذكر الخطيب اسمه على المنبر أن تقوم على أقدامهم صفوفا اعظاما لذكره المخصوص وكان يفعل ذلك في سائر الممالك حتى في الحرمين الشريفين وكانت أموره متضادة لانه كان عنده شجاعة واقدام وجبن واحجام ومحبة للعلماء وانتقام من العلماء وميل الى أهل الصلاح وقتلهم وكان عنده السخاء ويبخل بالقليل وقتل

من الاموال ما لا يحصى وشرع في نصر أهل السنة وتوهين أهل البدعة والانتقام من الروافض وكانوا أكثر من في أرض مصر يومئذ وعزل قضاة مصر كلهم منهم لانهم كانوا شيعة وقطع الاذان بحي على خير العمل أول جمعة في المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة ثم تحركت همته لغزو الافرنج فمكنه الله تعالى منهم ويسر فتح بلاد الشام كلها وفتح بيت المقدس سنة ثلاث وسبعين خمسمائة بعد استيلاء الافرنج عليه وعلى الخليل احدى وسبعين سنة وهدم ما أحدثوه من الكنائس وبنى موضع كنيسة منها مدرسة للشافعية وكان يقدمهم لكونه كان شافعيا وأبطل المكوس والمظالم وأخلى ما بين الشام ومصر من الافرنج ثم

من العلماء مالا يحصى وأمر بسب الصحابة ومنع صلاة التراويح مدة ثم أباحها وكان يعمل الحسبة بنفسه فيدور في الاسواق على حمار فمن وجد من البياعين وزن بخسا أو غش في صنعته أمر عبدا أسود معه يقال له مسعود أن يفعل به الفاحشة العظمى في وسط السوق وأمر أن يعلق في أعناق النصارى الصلبان وأن يكون طول الصليب ذراعا وزنته خمسة أرطال وأمر أن يجعل في أعناق اليهود الاجراس اذا دخلوا الحمام ليعرفوا من المسلمين وأن يلبسوا العمائم السود وصنف له بعض الباطنية كتابا وكتب فيه ان روح آدم انتقلت الى علي وان روح علي انتقلت الى الحاكم وقرئ هذا الكتاب في الجامع الازهر بالقاهرة فقصد الناس قتل مؤلفه فسيره الحاكم الى جبال الشام واستمال الناس اليه وأعطاهم المال وأباح لهم الخمور والزناحتى ان جماعة الى الآن يعتقدون رجوع الحاكم ولابد أن يعود ويمهد الارض وتلك خيالات كاذبة وظنون فاسدة والكتاب بجبال الدروز الى الآن ذكر الامام الحافظ شمس الدين الذهبي في تاريخه ان الحاكم لما زاد ظلمه عن له أن يدعى الربوبية فادعى علم المغيبات فكان اذا صعد المنبر يقول فلان فعل في بيته كذا وكذا وأكل كذا وكذا وكان ذلك باتفاق اعتمده مع العجائز اللواتي يدخلن بيوت الامراء وغيرهم فرفعت اليه في أثناء ذلك رقعة مكتوب فيها

بالجور والظلم قد رضينا * وليس بالكفر والحماقه
ان كنت أوتيت علم غيب * بين لنا صاحب البطاقه

فلما رآها سكت عن الكلام في المغيبات وكان هو وأسلافه بمصر يدعون الشرف ويريدون بذلك الافتخار على بني العباس خلفاء بغداد ويقولون أبونا علي وأمنا فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم وكان الحاكم يقول ذلك على المنبر وكانت الرقاع ترفع اليه وهو على المنبر فرفعت اليه رقعة فيها مكتوب

انا سمعنا نسبا منكرا * يتلى على السامع في الجامع
ان كنت فيما قلته صادقا * فاعد لنا بعد الاب الرابع
فصف لنا نفسك كالطائع * أو كان حقا كل ما تدعى
أو فدع الاشياء مستورة * وادخل بنا في النسب الواسع

فرماها من يده ولم ينتسب فيما بعد أقول وما عليه بعض الناس الآن وقبل الآن من الدخول في الانساب الشريفة والانتفاء من الانساب الخبيثة هذا مما لا يحتاج في دعواه الى بينة وقد شاهدنا كثيرا من الناس ممن هو ليس بشريف ولا أخذ الشرف لا عن أبيه ولا عن جده قد ادعوا الشرف وعلقوا على رؤسهم العصائب الخضر بل العمائم الخضر فقويت شوكتهم وزادت شرتهم وصار كل منهم يقول أنا من أبناء الرسول يقصدون بذلك الرفعة وهم في الحقيقة موضوعون فانا لله وانا اليه راجعون وفي المعنى

فتى لما رأى الانساب فخرا * تناول غير نسبة والديه
ويرضى أن يقال له شريف * ومن يرضى اذا كذبوا عليه

روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر بالله من تبرأ من نسب وان دق وادعى نسبا لا يعرف رواه أحمد والطبراني في الصغير وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادعى الى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادعى الى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعون رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه وعن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ادعى الى غير أبيه أو انتمى الى غير مواليه فعليه لعنة الله المتتابعة الى يوم القيامة وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادعى نسبا لا يعرف كفر بالله ومن تبرأ من نسب وان دق كفر بالله رواه الطبراني في الاوسط ولولا خوف الاطالة في هذه العجالة لبسطت القول الى الغاية وفيما أوردناه كفاية والله أعلم وفي سنة ثمان وأربعمائة ظهرت سمكة بدمياط طولها مائتان وستون ذراعا وعرضها مائة ذراع وكانت

افتتح الحجاز واليمن وتسلم دمشق بعد موت نور الدين وفتح عسكره طرابلس الغرب وبرقة وتونس وخطب بها لبني العباس وصار سلطان مصر والشام والحجاز واليمن والمغرب ولم يل مصر بعد الصحابة مثله كانت مجالسه منزهة عن اللغو والهزل كثير الذكر محافظا على الصلوات في الجماعة وما وجبت عليه زكاة لان الجهاد وصدقة التطوع استغرقا أمواله كلها ورحل بولديه العزيز والافضل لسماع الحديث من السلفي بالاسكندرية وهذا لم يعهد لسلطان من زمن هرون الرشيد فانه رحل بولديه الامين والمأمون لسماع الموطا من مالك بالمدينة وفي زمنه جاءت الافرنج الى ثغر دمياط بمائتي مركب مملوأة بالعساكر فسار اليهم صلاح الدين بعساكر كثيرة

حجر الملح تدخل فيها محلة فتفرغ وتخرج ووقف خمسة رجال ومعهم الجاريف يجرفون الشحم من جوفها ويناولونه الناس وأقام أهل تلك النواحي مدة يأكلون من لحمها ذكر ذلك المقريزي في خططه عند ذكر دمياط أقول اذا ضربت عرض هذه السمكة في طولها بطريق المساحة فتبلغ ما قدره ستة وعشرون ألف ذراع فيكون ذلك ستة أميال ونصفا فان الثلاثة أميال فرسخ والميل ألف ذراع والبريد أربعة فراسخ فيكون طولها ثلاثة أرباع بريد فسبحان الخالق المصور لا اله الا هو وحكي انه كان في زمن الحاكم بمصر رجل يسمى وردان وكان جزارا متعيشا بلحم الضأن وكان كل يوم تأتيه امرأة بدينار مصري يقارب وزنه دينارين ونصفا وتقول له اعطني خروفا وتحضر معها حمالا بقفص فتأخذه وتروح الى ثاني يوم تأتي وتأخذ خروفا فكان كل يوم يكتسب منها دينارا فاقامت مدة طويلة على ذلك فتفكر وردان ذات يوم في أمرها وقال هذه امرأة كل يوم تشتري مني بدينار ما غلطت يوما بدرهم هذا أمر عجيب فسأل وردان الحمال في غيبة المرأة فقال له أنت كل يوم تروح مع هذه المرأة الى أين فقال له أنا في غاية العجب منها كل يوم تحملني الخروف من عندك وتشتري الحوائج والفاكهة والنقل والشمع بدينار آخر وتأخذ من شخص نصراني مروقتين نبيذا وتعطيه دينارا وتحملني الجميع الى بساتين الوزير ثم تعصب عيني بحيث اني لا أنظر موضع قدمي وتأخذ بيدي فما أعرف أين تذهب بي ثم تقول لي حط هنا وعندها قفص آخر فتعطيني الفارغ وتعود تمسك بيدي الى الموضع الذي شدت عيني بالعصابة فيه فتحلها وتعطيني عشرة دراهم فقلت له الله يكون في عونها وقد تزايد عندي الفكرة والوسواس وبت في قلق عظيم فلما أصبحت أتتني على العادة وأعطتني الدينار وأخذت الخروف وحملته للحمال وراحت فأوصيت صبيي على الدكان وتبعتها بحيث لا تراني وأنا أعاينها الى أن خرجت من مصر وأنا أتوارى خلفها الى أن وصلت الى بساتين الوزير فاختفيت حتى شدت عيني الحمال وتبعتها من مكان الى مكان الى أن وصلت الجبل فوصلت الى مكان فيه حجر كبير وحطت عن الحمال وصبرت الى أن عادت بالحمال ورجعت فنزعت جميع ما كان بالقفص وغابت ساعة فأتيت ذلك الحجر فوجدته محاذيا بالطابق نحاس مفتوح ودرج داخله فنزلت الى تلك الدرج قليلا قليلا فوصلت الى دهليز طويل فمشيت فيه وهو كثير النور حتى رأيت صفة باب قاعة فارتكنت في زوايا الباب فوجدت صفة بها سلالم خارج باب القاعة فتعلقت بها فوجدت صفة صغيرة بها طاقات تشرف على القاعة فتدليت على القاعة فوجدت المرأة قد أخذت الخروف وقطعت منه أطايبه وعملته في قدر ورمت الباقي الى دب كبير عظيم الخلقة فأكله عن آخره وهي تطبخ فلما فرغت أكلت كفايتها ومدت الفاكهة والنقل ووضعت النبيذ وصارت تشرب بقدح بلور وتسقي الدب بطاسة من ذهب حتى انتشت فنزعت لباسها ونامت فقام اليها الدب فواقعها وهي تعاطيه من أحسن ما يكون لبني آدم من الغنج والشهيق حتى أفرغ وجلس ثم وثب عليها ولم يزل كذلك حتى واقعها عشر مرات ووقع ووقعت وهما مغشيان عليهما لا يتحركان فقلت هذا وقتي وأيش انتظر فنزلت ومعي سكين تبري العظم فوجدتهما لا يضرب لهما عرق لما قد نالهما من الشدة فلم اتردد ان جعلت السكين في نحر الدب واتكيت عليه ففصلت رأسه عن بدنه فبقي له شخير قلب المكان فانتبهت المرأة مرعوبة فرأت الدب مذبوحا وأنا واقف والسكين بيدي فزعقت زعقة ظننت ان روحها قد خرجت وقالت يا وردان هذا جزاء الاحسان فقلت لها يا عدوة نفسها أعدمت الرجال حتى تفعلي هذا الفعل الذميم فأطرقت الى الارض لا ترد جوابا وتأملت الدب وقد نزعت رأسه فقالت يا وردان أيما خير لك ان تسمع الذي أقول لك ويكون سبب سلامتك وغناك الى آخر الدهر أو أهلاكك فقلت قولي قالت تذبحني كما ذبحت هذا الدب وخذ من هذا الكنز حاجتك وروح فقلت لها أنا خير من هذا الدب فارجعي الى الله وتوبي وأنا أتزوجك ونعيش باقي عمرنا بهذا الكنز قالت يا وردان ان هذا بعيد ما بقيت أعيش بعده والله لئن لم تذبحني لأتلفن روحك فلا تراجعني تتلف والسلام فقمت اليها وجذبتها بشعرها فذبحتها ووجدت من الذهب والفصوص واللؤلؤ والجواهر ما لا يقدر

من مصر وقاتلهم فانهزموا ورجعوا الى بلادهم وكانت مدة ولايته اثنتين وعشرين سنة وشهرين وتوفي سنة تسع وثمانين وخمسمائة بمحروسة دمشق وعمره سبع وخمسون سنة وقبرها ظاهر يزار (ثم تولى من بعده ولده عثمان) وأعطيت دمشق لأخيه الملك الافضل علي وحلب لأخيه غياث الدين غازي فأقام عثمان خمس سنين وعشرة أشهر ومات سنة خمس وتسعين وخمسمائة ودفن بداره في القاهرة ثم نقل الى تربة الامام الشافعي قبل بناء القبة (ثم تولى من بعده الملك المنصور محمد بن عثمان) وهو الثالث من ملوك بني أيوب فأقام سنة واحدة وشهرين وعزل لصغره فانه ولي وعمره تسع سنين ثم وضع في السجن بقلعة الجبل حتى مات

عليه أحد فأخذت قفص الجمال ووضعت فيه من الجواهر واليواقيت والذهب ما أطيق حمله وسترته بقماشي الذي كان علي وطلعت ولم أزل سائرا الى باب مصر واذا بعشرة من رسل الحاكم والحاكم معهم فقال يا وردان قلت لبيك قال قتلت الدب والمرأة قلت نعم قال حط عن رأسك وطيب قلبك فانك هذا الاينازعك فيه أحد فوضعت القفص بين يديه فكشفه ورآه وقال حدثني حتى كأني حاضر فحدثته بجميع ما جرى وهو يقول صدقت ثم قال يا وردان قم سر الى الكنز فأتيت به اليه فوجدت الطابق مغلقا فقال الحاكم شله يا وردان فقلت والله لا أطيقه فقال يا وردان هذا الكنز لا يقدر أن يفتحه أحد غيرك فهو باسمك بطلسم قال فتقدمت اليه وسميت الله تعالى ومددت يدي الى الطابق فانشال أخف ما يكون فقال الحاكم انزل واطلع ما فيه فانه لا ينزل له الا من هو باسمك وهذا على اسمك من حين وضع وقتل هؤلاء على يديك وهو مؤرخ عندي وكنت أنتظره حتى وقع قال وردان فنزلت فنقلت له جميع ما في الكنز ودعا بالدواب وحمله وأعطاني قفصي بما فيه فأخذته وعمرت به السوق المعروف بسوق وردان وعاش وردان في أرغد عيش وهذا اتفاق عجيب روي عن محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي ان أبا عبيد وردان مولى عمرو بن العاص كان روميا يقال انه من سبي أصبهان ويقال انه من روم أرمينية ويقال من روم الشام ويقال من روم طرابلس الغرب حضر فتح مصر واختط دار عمر بن مروان واختط له دارا في القضاء وعمر بجانبها سوقا وعرف به فصار السوق يعرف بسوق وردان ومما يحكى عن الاصمعي أنه قال كان عمرو بن العاص ذات يوم عند معاوية ومعه وردان مولاه فقال معاوية لعمرو ومابقي من لذتك يا أبا عبد الله قال محادثة أخ صديق مأمون على الاسرار ثم أقبل على وردان فقال وأنت يا أبا عثمان مابقي من لذتك قال النظر في وجه كريم أصابته نكبة فاصطنعت له فيها يدا حسنة فقال معاوية أنا أولى منك بذلك وقتل وردان بالبرلس سنة ثلاث وخمسين قتلته الروم في خلافة معاوية بن أبي سفيان وعقبه بمصر ولعل وردان الجزار صاحب الكنز المتقدم ذكره من عقب وردان مولى عمرو بن العاص والله أعلم ذكر في حياة الحيوان ان الدب يحب العزلة اذا جاء الشتاء ولا يخرج حتى يطيب الهواء واذا جاع مص يديه ورجليه فيندفع عنه الجوع ويخرج في الربيع أسمن مما كان وفي طبعه فطنة عجيبة لقبول التاديب لكنه لا يطيع معلمه الا بعنف وضرب شديد ومن خواصه انه اذا ألقي نابه في لبن المرأة المرضع وسقي للصبي نبتت أسنانه بسهولة وشحمه يزيل البرص طلاء واذا اكتحل بمرارته مع ماء الرازيانج وهو الشمار أذهب ظلمة البصر واذا حشي بشحمه الباسور نفعه قيل كان لبعض السلاطين ابنة أحبت عبدا أسود فافتضها بكارتها وأولعت بالنكاح فكانت لا تصبر عنه ساعة واحدة فشكت أمرها لبعض القهرمانات فأخبرتها بأن لا شيء ينكح أكثر من القرد فاتفق ان جاء قراد تحت طاقتها بقرد كبير فأسفرت عن وجهها ونظرت الى القرد وغمزته بعينها فقطع وثاقه وطلع لها فخبأته في مكان عندها وصار معها ليلا ونهارا على أكل وشرب ونكاح ففطن أبوها بذلك وأراد قتلها فتزيت بزي المماليك وركبت فرسا وأخذت لها بغلا وحملته من الذهب والمعادن مالا يوصف وحملت القرد معها الى أن وصلت الى مصر فنزلت في بعض بيوت بالصحراء وصارت كل يوم تشتري من شاب جزار لحما لكن لا تأتيه الا بعد الظهر وهي مصفرة الوجه فقال الجزار لابد لهذا الشاب من أمر فتبعه من حيث لا يراه وهو يتوارى من محل الى محل الى أن وصل الى مكانه الذي بالصحراء فتسلق عليه من بعض جهاته فلما استقر الشاب بمكانه أوقد النار وطبخ اللحم وأكل منه كفايته وقدم الباقي للقرد كان معه فأكل القرد كفايته ثم ان الشاب نزع ثيابه ولبس ثيابا أفخر ما يكون من ملابس النساء قال الجزار فعلمت انها أنثى ثم انها أحضرت خمرا وشربت منه وسقت القرد الى ان انتشيا وبعد ذلك اضطجعت للقرد فواقعها نحو عشر مرات حتى غشي عليها ثم ان القرد أسبل عليها ملاءة حرير وذهب الى محله ثم ان الجزار نزل الى وسط المكان فلما أحس به القرد أراد افتراسه فبادره بسكين كانت معه فقد كرشه فانتبهت الصبية فزعة مرعوبة فرأت القرد على هذه الحالة فصرخت صرخة كادت

(وتولى من بعده عمه أبو بكر بن أيوب) سنة ست وتسعين وخمسمائة وهي السنة التي ولد فيها سيدي أحمد البدوي رضي الله تعالى عنه ولقب بالملك العادل ودعي له ولولده الكامل في الخطبة وفي زمنه انتقلت السلطنة من دار الوزارة بالدرب الاصفر الى قلعة الجبل في سنة أربع وستمائة وأول من سكنها الكامل نائبا عن أبيه ثم توفي العادل سنة خمس عشرة وستمائة فكانت مدته تسع عشرة سنة وأربعين يوما (وتولى من بعده ولده الكامل أبو الفتح ناصر الدين محمد) فعمر قبة الامام الشافعي والمدرسة التي بين القصرين المعروفة بالكاملية وأقام عشرين سنة وشهرين وتوفي سنة خمس وثلاثين وستمائة ودفن بدمشق (وتولى من بعده

أن تزوج وحواتم أفاقت وقالت للجزار ما حملك على ذلك لكن بالله عليك الا ما أخفيت به قال الجزار فلا زلت ألاطفها وأضمن لها ان أقوم بما قام به القرد من كثرة النكاح الى أن سكن روعها وتزوجت بها وأقمت معها مدة فما صبرت على ذلك فشكوت أمري لبعض العجائز وذكرت لها ما كان من أمرها فالتزمت لي بتدبير هذا الامر وقالت ائتني بقدر واملأها من الخل البكر ورطل من عود القرح فأحضرت لها ما طلبته ثم علقت القدر على النار وألقت العود القرح على الخل الذي بالقدر وغلت تلك القدر غليانا قويا ثم أمرتني بنكاح الصبية فنكحتها الى أن غشي عليها فحملتها العجوز وهي لا تشعر وجعلت فرجها على فم القدر فصعد دخانه الى داخل فرجها فنزل من فرجها شيء في القدر يعمله حس ثم بعد ذلك نزل شيء آخر من فرجها فاذا هما دودتان احداهما سوداء والاخرى صفراء فقالت العجوز الدودة الاولى تربت من العبد والاخرى من القرد فلما أفاقت من غشيتها مكثت مدة لم تطلب النكاح فأعلمتها بالقضية وصرف الله عنها تلك الحالة ومكث الجزار معها في أرغد عيش وأحسن معيشة واتخذت الصبية العجوز مقام والدتها ذكر في حياة الحيوان ان القرد حيوان ذكي سريع الفهم وان ملك النوبة أهدى الى المتوكل قردا خياطا وآخر صائغا وهذا الحيوان شبيه بالانسان في غالب حالاته فانه يضحك ويطرب ويتناول الشيء بيده ويقبل التلقين والتعليم ويألف الناس وله غيرة على الاناث وفي عجائب المخلوقات من تصبح بقرد عشرة أيام أتاه السرور ولا يكاد يحزن واتسع رزقه وأحبه الناس حبا شديدا ذكر القاضي ناصر الدين البيضاوي في تفسيره في قوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين روي ان الناهين لما أيسوا من اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فأصبحوا يوما ولم يخرج اليهم أحد من المعتدين فقالوا ان لهم لشأنا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا أنسابهم لكن القردة عرفتهم فجعلت تأتي الى أقاربهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاثة أيام (ويحكى) ان بعض الناس دخل على شخص ولي الوزارة فاظهر سرورا وافرطا حتى رقص وصفق بيديه ايهاما لغلبة الفرح عليه فأمر ذلك الوزير باخراجه واهانته فقال له بعض جلسائه ما جنيته فقال انما أراد قولهم * وارقص للقرد في دولته * قال بعضهم

وارقص لقرد السوء في زمانه * وداره مادمت في مكانه

ذكر في كتاب رجوع الشيخ الى صباه اذا كان القمر في الميزان يؤخذ فص كهرباء وزنه تسع عشرة شعيرة وينقش عليه صورة قرد جالس على قرافيصه ماسك احليله بيده الشمال وينقش حوله هذه الاحرف النارية وهي ا ه ط م ف ش ذ ثم يجعل الفص تحت لسانه عند الجماع فانه يرى عجبا في قوة الجماع (وحكي) فيه عن بعض الملوك أنه كان عنده ثلثمائة وستون جارية وكان لكل واحدة منهن يوم في السنة قال فحضرت عنده ذات يوم باجمعهن وكان يوم عيد فصف الجميع بين يديه واستدعى بالشراب فشرب وسكر فغنى من جواريه من غنى ورقص من رقص وطاب المجلس فقال الملك لجواريه ويحكن تتمنى على منكن كل واحدة ما في نفسها الا بلغتها مرادها فتمنت كل واحدة ما في نفسها ما خلا واحدة منهن فانها قالت أيها الملك لا تقدر على ما أتمنى فاغتاظ الملك وقال تمني قالت تمنيت عليك ان أشبع نكاحا قال فغضب الملك غضبا شديدا وأمر كل من في القصر من الغلمان والمماليك ان يجامعها وكان عدة من جامعها ألف رجل ولم تشبع فاستدعى بعض الحكماء وقص عليه قصة الجارية فقال أيها الملك اقتل هذه الجارية والا أفسدت أهل بيتك فان هذه قد انعكست أحشاؤها ولو نكحت مدة حياتها ما شبعت ولا رويت وأكثر ما يعرض ذلك للجواري الروميات والنساء اللاتي أعينهن زرق فانهن يحببن النكاح ذكر البيضاوي في تفسيره في سورة طه عند قوله تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا العيون وصفوا بذلك لان الزرقة أسوأ ألوان العين وأبغضها الى العرب لان الروم كانوا أعداءهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في العدو أسود الكبد أزرق العين (قيل) لمعاذة الاعرابية كم تعشقين فقالت

والده العادل أبو بكر) وعمره ثمان عشرة سنة فأقام سنة وشهرين وأياما وقيل أكثر ثم خلع وسجن سنة تسع وثلاثين وستمائة وقتل بعد ذلك ودفن عند الامام الشافعي (وتولى من بعده أخوه الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل فأقام عشر سنين الا أربعة أشهر وبنى المدارس الاربعة بين القصرين وعمر قلعة بالروضة واشترى ألف مملوك وأسكنهم بها وسماهم المماليك البحرية وهو الذي أكثر من شراء الترك وعتقهم وتأميرهم وفي أيامه في سنة سبع وأربعين هجمت الافرنج على دمياط فهرب من كان فيها وملكوها والملك الصالح مقيم بالمنصورة فقاتلهم فأدركه أجله ومات فأخفت جاريته شجرة الدر موته وصارت تعلم بعلامته سرا وحمل من المنصورة الى

ثلاثون ألفا كل يوم أصبهم * ومافخوادى منهم واحد يبقى

قيل ان سقراط خرج مسافرا فرأى امرأة قد أخرجت معه فقال أما أنا فقد عرفت القرين فما بال هذه قالوا زنت وهي محصنة قال الآن قد حرتم في القضية قالوا وكيف ذلك قال ليس العجب لامرأة كيف تزني وانما العجب ان تعف لانها مخلوقة بطباع الشهوة (قال بعض الحكماء) ان الرجل كلما طعن في السن ضعفت حركته و بطلت شهوته وعز نكاحه وقال جالينوس المرأة مخلوقة بخلاف طبع الرجل وقال غيره المرأة كلما طعنت في السن تزايدت شهواتها وطابت النكاح لذاتها وقيل ان جماعة من اللصوص دخلوا بيتا يعتقدون ان فيه كسبا فلما دخلوا لم يجدوا شيأ سوى شيخ وعجوز وشاة مربوطة بالدار فندموا على عبورهم وقعدوا يتشاورون فيما يفعلون وقد خاب أملهم فقال بعضهم لبعض نذهب لغير هذا المكان أم كيف يكون العمل قال بعضهم نذبح هذا الشيخ والشاة ونشوي لحمها ونأكله وننكح هذه العجوز بأجمعنا الى وقت السحر هذا والشيخ والعجوز يسمعان كلامهم فقال الشيخ للعجوز سمعت ما قالوا قالت نعم قال وكيف يكون العمل قالت تصبر يا رجل لقضاء الله تعالى قال أما أنت فتصبرين لمصلحتك وأنا والشاة يا عجوز فالحس ما نصبر قال فضحك اللصوص وخرجوا وتركوهما فانظر الى هذه العجوز من شدة شهوتها للنكاح لم تكترث بذبح زوجها ولاشتغالها بذلك عن بلوغ وطرها (قيل) تفاخرت قينة وعشيقها فقالت القينة حري أنعم من كفي وأحر من خفي أبيض نقي شفاف عريض السواعد والاكتاف أقطس أملس حامي نامي أصلع أقرع مؤلف من جنبين فردته الواحدة قدر ركبتين عص الابر أنعم من الحرير كافوري صرار ضيق دافق عصارا كبير من عمامة قاضي قد ملأ ما بين أفخاذي من عظمه فع سيقاني ومن قوة حركتي تحتك تطلبني ما تلقاني مقبب سمين غاية الحلاقات قد جمع صفات السبع كافات عص مص الكاس أحر وأحمى من كانون الهراس أدفا من كساء في زمن الشتاء فقال العشيق قد كشفت عن مكنون سرك وأحسنت لكن حسنت شيأ وغابت عنك أشياء أما تعلمين ان لي ايرا باسمه حلق الزير أقوى من زنار وأطول من أشبار وأعظم من فيشلة حمار مجرد الراس بسد الانفاس كأنه متراس قوي العروق يسد الحروق كأن مجراه بوق يسع عشرين فولة مبلولة ان قام وصل الى السحاب وخرق الثياب ومرق من الباب كأنه الاسد الوثاب ان حل هد وان دخل سد يخرج كالعير ولا عند انتزاعه ينكسر شديد الرهزه يقوم من غمزه أطول من دكشاب ينفض شهوته مثل النشاب سالم من جميع العلل والآفات قد جمع صفات العشر كافات كما قال الشاعر

أتذكر يا سلمى حسين بتنا * ورأسك عن ذراعي ما يزول

واري كالعمود له عروف * تعرض في قفاه وتستطيل

والعشر كافات كف وكوع وكرسوع وكتف وكاهل وكفل وكبد وكلى وكعب وكرة (وفي المعنى مواليا)

ايش قلت في كس أنعم من فرا السمور * أحمر موترنا كي الحرفي البلور

ضيق وعنده حراره تشبه التنور * سالم من الشعر والعرعور والزنبور

(الجواب) ايش قلت في زب يشبه عود النور * يصلح لهذا الذي أنعم من السمور

ان قلت جار وف كان جار وف للتنور * وان كان رصاع يكن رصاع للزنبور

ومما يدل على قوة شهوة النساء ان الجارية يربيها أبوها صغيرة و يصونها كبيرة ولا تراعى هذه الحقوق مع وجود عقلها بل انها تختار من تريد لشهوتها وتصطفيه على أبيها للذتها وهي تعلم فرض حقوق الوالدين وكثير ممن تربت في النعم الجليلة والعطايا الجزيلة تركت ذلك وتبعت الاوطان وسافرت البلدان ونكست العمائم وتجرأت على العظائم والقت نفسها للقتل كل ذلك متابعة لشهوتها وانها تتجمل بالحلي والطيب فتضع نفسها للمقت الوسخ الذفر القذر فترمي نفسها عليه وهذا مشاهد في زماننا هذا فنسأل الله العزيز الغفار الحليم الستار ان يسترنا في ذريتنا انه على ما يشاء قدير ولقد أنصف من قال

القاهرة ودفن بقبة بنيت له بجوار مدرسته وساست شجرة الدر الناس أحسن سياسة وأعلمت أعيان الامراء فارسلوا الى ابنه توران شاه وأحضروه وكان بديار بكر فملكوه فركب في عصائب الملك وقاتل الافرنج وكسرهم وقتل منهم ثلاثين ألفا وأسر الفرانسيس ملك الافرنج وحبس مقيدا ووكل بحفظه طواشيا يقال له صبيح وبقي أسيرا الى ولاية شجرة الدر فاتفقت مع الامراء على اطلاقه بشرط ان يردوا دمياط الى المسلمين ويعطوا ثمانية آلاف دينار وضا عما نهب من دمياط ويطلقوا أسرى المسلمين التي بأيديهم ففعلوا وأقام توران شاه في المملكة شهرين ثم قتل وتولت من بعده شجرة الدر أم خليل سرية الملك الصالح لحسن سيرتها

أحب بنتى بكل جهدى * تكون بنتى فى قعر لحدى

(وقال آخر)

أود بان بنتى باصحابى * تكون عندهم دة بلحدى
وماهو بغضة فيها ولكن * مخافة ان تقاسى الذل بعدى
اذا عاشت وفاز بها اللئيم * فيلعن والدى ويسب جدى
وان يظفر بها رجل غنى * يرانى عنده فى زى عبدى
وان يلز وجها رجلا فقيرا * فيدعها ويبقى الهم عندى
وان وافاها فى الآجال قصر * نجى بها سكر من غير جندى
سألت الله يأخذها قريبا * وان كانت أعز الناس عندى

(عدنا الى ما نحن بصدده) من أمر الحاكم فلما أراد الله سبحانه وتعالى هلاك الحاكم وكان السبب فى ذلك انه أراد قتل أخته سيدة الملوك وهم ان يرسل لها القوابل فانه بلغه ازالة بكارتها وقال لبعض قهرماناتها سمعت انكن تجوعن الجوع ويدخل اليكن الرجال ولابد من قتلكن جميعا وكرر هذا القول فعلمت أخته أنه يقتلها لامحالة فاخذت فى تدبير الحيلة والعمل فى قتل أخيها وخرجت ليلا وأتت الى دار الامير يوسف سيف الدولة بن دواس وكان الحاكم قد عزم على قتله فدخلت عليه متخفية واختلت به فعظمها وأكرمها فقالت له أنت تعلم ما جرى من أخى فى سفك الدماء وقتل وجوه الدولة وقد صمم على قتلى وقتلك فقال لها كيف الحيلة فى قتله فقالت الرأى عندى أن تجهز له رجالا يقتلونه عند خروجه الى حلوان فانه ينفرد بنفسه وأنت تكون المدبر للدولة ولده فاتفقا على ذلك ومضت الى قصرها فلما كان صبيحة النهار وخرج الحاكم على عادته وانفرد بنفسه فى الجبل المقطم وكان سيف الدولة قد أحضر له عشرة عبيد وأعطى كل واحد منهم خمسمائة دينار وعرفهم كيف يقتلونه فسبقوا الى الجبل وكمنوا فيه فلما أقبل خرجوا عليه وقتلوه بالقرب من حلوان فخرج الناس على عادتهم يلتمسون رجوعه ومعهم دواب الموكب فلم يأت ففعلوا ذلك سبعة أيام ثم خرجوا ثامن يوم فى طلبه فبينما هم كذلك اذ أبصروا حماره الاشهب المدعو بالقمر قد قطعت يداه وعليه سرجه ولجامه فاتبعوا أثره الى ان انتهى الى القصبة التى شرقى حلوان فنزل رجل فوجد ثيابه وهى مزرورة وفيها آثار السكاكين وكان ذلك فى سابع شوال سنة احدى عشرة وأربعمائة وتصرف خمسا وعشرين سنة وشهرا وبنى فى مصر الجامع المعروف به الكائن بالقاهرة فيما بين بابى النصر والفتوح وهو الموجود الآن ولما بناه قصد قطع الخطبة من الجامع الازهر فقدر الله انه لم يخطب فيه الا ولده وانشد بعض الادباء مواليا فى الجامع المذكور فقال

لجامع الحاكم اسمع قول ياسامع * أنا الذى قد ظهر نورى بغى لامع
لمولى الذكرانى للعدا قامع * والنصر والفتح عربى بينهم جامع

(ثم تولى الظاهر أبو الحسن على بن الحاكم) فاقام خمس عشرة سنة وثمانية شهور وتوفى بالقنطرة بشكة القس سنة سبع وعشرين وأربعمائة (ثم تولى المستنصر بالله أبو تميم بن الظاهر) فاقام سنة وأربعة أشهر وفى زمنه سنة سبع وخمسين وأربعمائة حصل بمصر غلاء شديد وعم مع الغلاء وباء شديد فاقام سبع سنين والنيل يمتد وينزل فلم يوجد من يزرع وانقطعت الطرقات برا وبحرا وآل الامر الى أن بيع الرغيف من الخبز الذى وزنه رطل بار بعة عشر درهما وبيع الاردب القمح بثمانين دينارا وأكلت الناس الكلاب والقطاط ثم تزايد الحال الى أن أكلت الناس بعضهم بعضا ذكر ذلك المقريزى فى خططه ثم توفى المستنصر فى شهر ذى الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة وفى أيامه فى سنة خمس وثمانين وأربعمائة بنى أمير الجيوش بدر الجمالى الارمنى باب زويلة الموجود الآن (ثم تولى المستعلى بالله أبو القاسم أحمد بن المستنصر) وكان الكلام فى مملكته للافضل أمير الجيوش ابن البدر الجمالى المذكور وهو الذى بنى الجيوشى بسفح المقطم وبنى جامع الجيزة وكان المستعلى سنيا وفى أيامه أخذت الافرنج بيت المقدس

و جودة تدبيرها ودعى لها على المنبر بعد الدعاء للخليفة العباسى ونقش اسمها على الدراهم والدنانير ولم يل مصر فى الاسلام امرأة قبلها فاقامت فى المملكة ثلاثة أشهر ثم عزلت نفسها وتولى الملك الاشرف موسى ابن الملك الكامل وكان يخطب له وللمعز ايبك التركمانى معا على المنابر لانه كان تولى قبله بخمسة أيام فقال الناس لابد من سلطان غير هذا يكون من بنى أيوب فارسلوا الى الاشرف وأحضروه وسلطنوه ولم يعزلوا ايبك بل كانا شريكين وكان آخر الدولة الكردية الايوبية ومدة ولايتهم احدى وثمانون سنة * ثم جاءت الدولة التركية مماليك الاكراد فى حدود خمسين وستمائة فاولهم المعز عز الدين أيبك التركمانى الصالحى فاقام ست سنين

فى ضحوة يوم الجمعة سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة وكان مدة المستعلى سبع سنين وتوفى سنة خمس وتسعين وأربعمائة (ثم تولى الآمر باحكام الله أبو على المنصور بن المستعلى) وفى أيامه بنى الجامع الاقمر فكانت مدته تسعا وعشرين سنة وثمانية أشهر الى أن قتل بالجزيرة سنة أربع وعشرين وخمسمائة (ثم تولى الحافظ لدين الله عبد المجيد) فأقام تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وتوفى سنة أربع وأربعين وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الظافر باعداء الله اسمعيل بن الحافظ) وفى أيامه عمر الجامع المعروف بالظافر كهانى داخل باب زويلة الموجود الآن وهو عامر مقام الشعائر الاسلامية قيل ان السبب فى عمارته ان محله كان مجزرة يذبح فيها الاغنام وبوسط المجزرة حفرة يجتمع فيها ماء من غسالة الذبائح وكان لامير من أمراء الظافر بيت مجاور للمجزرة المذكورة وبه محل مشرف على تلك المجزرة فجاء جزار بخروفين فذبح الاول وشرع يذبح الثانى فطرق طارق باب المجزرة فوضع الجزار سكينه عند الخروف الذى لم يذبح وتوجه للباب ينظر طارقه فاخذ الخروف السكين بفمه وألقاها فى بركة الماء فاتفق ان الامير رب البيت المذكور كان جالسا بالمكان المشرف على المجزرة وهو ينظر أخذ الخروف السكين وألقاءها فى الماء فلما جاء الجزار لم يجد سكينه فاراد أن يذبح الخروف بسكين كانت معه فقال له الامير أمسك يدك ولا تذبح الخروف فتوجه الامير الى الظافر وأخبره بذلك فتعجب ثم استأذنه فى عمارة المجزرة جامعا فاذن له فعمره وكانت مدة تصرف الظافر أربع سنين وسبعة أشهر الى ان قتل بدار الوزارة المعروفة بالسيوفية الموجودة الآن بباب الزهومة سنة تسع وأربعين وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب (ثم تولى الفائز عيسى بن الظافر باعداء الله) وعمره خمس سنوات وفى أيامه تولى الوزارة الملك الصالح طلائع بن رزيك الذى بنى الجامع خارج باب زويلة فاقام الفائز ست سنوات ونصفا ومات سابع رجب سنة خمس وخمسين وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب (ثم تولى العاضد عبد الله بن يوسف الحافظ) فاقام احدى عشرة سنة وستة أشهر وخلع ومات فى حادى عشر المحرم سنة ست وستين وخمسمائة وبموته انقطعت دولة الفاطميين كما انقطعت دولة من قبلهم ومدة تصرفهم بمصر مائتا سنة وثمان سنين وخمسة أشهر ولله در القائل

وبادوا جميعا فلا مخبر * وماتوا جميعا ومات الخبر
فمن كان ذا عبرة فليكن * دليلا فتى من مضى معتبر

(الباب السادس فى الدولة الايوبية السنية أصحاب الفتوحات أولهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب)

وكان سلطانا مهيبا من الله عليه بالفتوحات ومكنه من الكفار الفجار ومن أعظم فتوحاته بيت المقدس فتحه يوم الجمعة ثالث عشر رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة بعد ان استولت الافرنج عليه احدى وتسعين سنة ومنها فتح الشام كلها واستنقاذها من أيدى الافرنج ذكر صاحب الانس الجليل فى فضل القدس والخليل ان السلطان صلاح الدين لما فتح حلب مدحه محيى الدين زكى قاضى دمشق بقصيدة منها

وفتحكم حلبا بالسيف فى صفر * مبشر بفتوح القدس فى رجب

فكان كما قيل وهذا اتفاق عجيب ثم ان السلطان صلاح الدين بنى خانقاه سعيد السعداء وقلعة الجبل وبئر الحلزون وسور باب الوزير المدرسة التى بجوار تربة الامام الشافعى وسور باب البحر وسواقى القاهرة وله الخيرات الكثيرة الى يومنا هذا وفى أيامه ظهر باليمن خارجى استولى على بلاد اليمن وكان يدعى مذهب القرامطة وينتمى الى صاحب مصر الفاطمى ويستتر بالاسلام فقتل خلقا كثيرا وشق بطون الحوامل وذبح الاطفال الرضعان وملك ولده بعده ففعل أشد ما فعل أبوه وبنى على قبر أبيه قبة عظيمة صفح حيطانها بالذهب والجوهر وعلق بها قناديل الذهب والستور والحرير التى لم يعمل فى الدنيا مثلها ومنع أهل اليمن من الحج الى الكعبة وأمرهم بالحج الى القبة وكانوا يحملون اليها من الاموال فى كل سنة ما لا يحصى ويطوفون بها ومن لم يحمل شيأ قتله وأقام على الفسق والفجور وذبح الاطفال وسبى النساء وسفك الدماء فكاتب

وتزوج شجرة الدر ثم تزوج بنت صاحب الموصل فغارت شجرة الدر فقتلته فى شهر ربيع الاول سنة خمس وخمسين وستمائة ثم حدثت أمور أدت الى قتلها فقتلت بايدى مماليك المعز وهو الذى بنى المدرسة المعزية برحبة الحناء وفى أيامه ظهرت النار بالمدينة المنورة وصارت هكذا وهكذا كأنها الجبال واستمرت أكثر من شهر واحترق منها المسجد النبوى وكان صلى الله عليه وسلم أخبر من ظهورها ولما صفا الوقت لايبك وكثرت عساكره قبض على شريكه فى السلطنة وسجنه بالقلعة وانفرد وحده وكان مدة ملكه سبع سنين ومدة شريكه سنة وشهرا (ثم تولى من بعده ولده الملك المنصور نور الدين على الثانى من ملوك الترك وكان عمره نحو خمس عشرة سنة) فاقام

أهل اليمن السلطان صلاح الدين يوسف فسير اليه أخاه شمس الدولة ففتح اليمن وقتل الخارجي وكان اسمه عبد الله بن المهدي وهدم القبة وأخذ ما فيها من الاموال والجواهر فكان جملة ما أخذه ستمائة حمل ونبش القبر وأخرج عظام الخارجي وأحرقها (حكى) الشيخ عماد الدين في تاريخه البداية والنهاية ان السلطان صلاح الدين بن أيوب لما استعرض حواصل القصرين بعد وفاة العاضد وانقراض دولة الفواطم وجد بالحواصل أمتعة وآلات وملابس وثيابا فاخرة وشيأ باهرا وأمرا هائلا من جملة ذلك طبل اذا ضرب عليه صاحب القولنج خرج منه ريح الى أن ينصرف ما يجده من القولنج ويزول عنه في الحال فاتفق ان بعض الاكراد أخذه في يده ولم يدر ما شأنه فلما ضرب عليه ضرط فالقاه من يده فانكسر وبطل أمره وتوفي السلطان صلاح الدين في سابع صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة فكانت مدة تصرفه اثنتين وعشرين سنة وشهرين (ثم تولى الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان) فتصرف في الملك خمس سنين وعشرة أيام وتوفي في المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة ودفن بداره بالقاهرة ثم نقل الى تربة الامام الشافعي قبل بناء القبة (ومما يحكى) ان الملك العزيز كان يميل الى القاضي الفاضل في حياة أبيه فاتفق ان العزيز هوى قينة شغلته عن مصالحه وبلغ ذلك والده فأمره بتركها ومنعها منه فشق ذلك عليه فلما طال ذلك بينهما أرسلت له مع بعض الخدام قطعة عنبر مبرومة فكسرها فوجد فيها زر امن ذهب فلم يفهم المقصود فاطلع القاضي الفاضل على ذلك فانشد يقول

أهدتك العنبر في جوفه * زر من التبر رقيق العظام
فالزر والعنبر تفسيره * زر هكذا مختفيا في الظلام

وفي زمن العزيز قدم ابن عنين الشاعر من عند الملك العزيز سيف الدين بن شادي ملك اليمن وقد أجزل صلته عندما وفد عليه فلما قدم الى مصر بما معه من المال حط البوح بالزكاة فقال

ما كل من يتسمى بالعزيز لها * أهلا ولا كل برق سحبه غدقه
بين العزيزين فرق في فعالهما * هذاك يعطي وهذا يأخذ الصدقه

* (ثم تولى الملك الافضل) * نور الدين علي بن السلطان صلاح الدين يوسف وكان متاديا حسن الصورة وقل ان عاقب على ذنب يكتب الخط الحسن وله المناقب الجميلة وهو أكبر اخوته ما صفاله الدهر ولا هناه بالملك ثم تعصب عليه عمه العادل أبو بكر وأخوه عثمان فاخرجاه من دمشق وفي ذلك كتب الى الناصر ببغداد يقول

مولاي ان أبا بكر وصاحبه * عثمان قد غصبا بالسيف حق علي
وهو الذي كان قد ولاه والده * عليهما واستقام الامر حين ولي
فخالفاه وحلا عقد بيعته * والامر بينهما والنص فيه جلي
فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقي * من الاواخر ما لاقى من الاول

فكتب اليه الناصر الجواب يقول فيه

وافى كتابك يا ابن يوسف معلنا * بالصدق يخبر ان أصلك طاهر
غصبوا عليا حقه اذلم يكن * بعد النبي له بيثرب ناصر
فاصبر فان غدا على جزاؤهم * وابشر فناصرك الامام الناصر

فلم ينصره بل توفي الافضل بجاه رحمه الله تعالى فاقام سنة وشهرين وتوفي حادي عشر شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة ومن كلام الملك الافضل علي في المعنى

اما آن للسعد الذي أنا طالب * لادراكه يوما يرى وهو طالبي
ألا هل يرى بني الدهر أيدي شيعتي * تمكن يوما من نواصي النواصب

وفي المعنى

أقول الدهر قد توالت صروفه * أليس لهذا يا زمان زوال
فقال اصطبر كم دولة قد تغيرت * لكل زمان دولة ورجال

ستتين وثمانية أشهر ثم حبس بأمر قطز المعزي لصغره وعدم صلاحيته لقتال التتار وتملك مكانه ولقب بالملك المظفر قطز المعزي فلم يلبث ان جاءه رجل وبيده كتاب فيه من ملك الملوك شرقا وغربا الخاقان المعظم هلاكو خان ووصف نفسه بأوصاف عظيمة وسطوة شديدة وفيه يا أهل مصر لا تقابلوني فانه ليس لكم قدرة على ملاقاتي فصونوا دماءكم ولا تكونوا مثل أهل بغداد وأهل حلب وغيرهم وقد كان قد قتل من تلك البلاد خلائق لا تحصى وقتل الخليفة المستعصم بالله ببغداد كما مر فلما سمع الملك المظفر قطز هذه الالفاظ عسر عليه ذلك ثم جاءه الخبر بان التتار قد وصلوا البلاد الشامية وجاء أهلها الى مصر يطلبون النجدة وأراد قطز ان يأخذ

من كلام القاضي الفاضل وأنا على دفع الايام وهي تدافعني ولسان الليالي وهي تخاطبني

مفردبعده قالوا ترلت خفلت الدهر أقسم بي * لا وجه للرفع في الجرور بالقسم

(ثم تولى الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب) ودعي له ولولده الكامل في الخطبة وفي أيامه انتقلت السلطنة من دار الوزارة بالدرب الاصفر الى قلعة الجبل في سنة أربع وستمائة وأول من سكنها الكامل نائبا عن أبيه احدى عشرة سنة ثم توفي العادل في جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة فكانت مدته تسع عشرة سنة وأربعين يوما والله أعلم *(ثم تولى الملك الكامل أبو الفتح ناصر الدين محمد)* فعمر قبة الشافعي والمدرسة التي بين القصرين المعروفة بالكاملية قال نور الدين بن الشرف ان صاحب حصن حيفا الماجاه الشتاء ببروده وهجم عليه بخيله وجنوده وقوس الشتاء يرشق بسهام القطر من جودها والريح يزمر كما دقت طبول الرعد من جوها والثلج قد نتف بابشه وجعل الارض فراشه والجليد قد أذاب الاجسام وماذاب وكما مالت الشمس توارت بالحجاب وبتنه فارغ من المشارب والمآكل وقال يشكو حاله للملك الكامل

أحن الى الارز المفلفل بالتبل * ويشتاق قلبي للسماسم بالعسل
وارتاح ان هبت رياح شرائح * وان حضر اللحم السمين فلا تسل
وان تقلوا تحوي خروفا من الشوى * ترى وقعتي فيه ولا وقعة الجمل
أشمر عن كف بخمس أصابع * وابعثه فيه الى أينما وصل
أميل على الاطراف ميلة هائم * وأنزل في الاضلاع مع كل من نزل
وأعمل في الكشكا اذا زادذهنها * ويا فوزمن حيا على خير ذا العمل
وأي فتى يشري الدجاج أزوره * هو المشتري لكن يصادفه زحل
ورقاصة في الصحن تطربني اذا * تجلت لنا من غارق السمن والعسل
ولوزينج مثل البروق قر وصه * وكم من هلال في المشبك بالأمل
وان خبيص الرنجز تم قبلغوا * تحية صب في هواه قد اتصال
فلوسابت عقلي مشوشة الشتا * وأما طعام الكشك مالي به قبل
سكنت بظل الكهف والبرد حائر * فياليت شمس الافق عادت الى الحمل
وكم نظرة منها أروم تقول لن * ترانى لهذا الفضل وانظر الى الجبل
ومالي سوى ملك يسابق فعله * مقالي ومامن قال شيأ كمن فعل
فان رمت مأرجو وتبليغ مقصد * أتاك الذي ترجو وقصدك قد حصل
وأما ارتداد الشمس لست بيوشع * ترد اليه الشمس يوما كما فعل

وفي زمنه في شهر شوال سنة أربع وعشرين وستمائة أحضرت من الاسكندرية امرأة خلقت من غير يدين وفي موضع ثديها مثل الحلمتين فعجب بها بين يدي الوزير رضوان فعرفته انها تعمل برجلها ما تعمله النساء بأيديهن من خط ورقم وغير ذلك فأحضر لها دواة فتناولت برجلها اليسرى قلما فلم يرض شيأ من الاقلام المبرية التي أحضروها فأخذت السكين وبرت لنفسها قلما وشقته وقطته وأخذت ورقة فامسكتها برجلها اليسرى وكتبت باليمنى أحسن ما تكتبه الكتاب بينهم وناولت الرقعة للوزير فاذا فيها السؤال بالزيادة في رواتبها فزادها وأعادها الى بلدها وقد أخبرني شخص ان لها قبرا مشهورا بالاسكندرية يزار وهو موجود الآن بباب رشيد على يمين الداخل ويعرف بمقام بنت خداوردي واها أوقاف وأطيان ويصرف لها من ديوان الاسكندرية في كل سنة ثلاثة آلاف نصف فضة ذكر ابن كثير وغيره انه كان بطرابلس بنت تسمى نفيسة تزوجت بثلاثة أزواج وهم لا يقدرون على افتضاض بكارتها وظنوا ان بها رتقا فلما بلغت خمس عشرة سنة غار ثدياها ثم جعل يخرج من محل الفرج شئ قليلا قليلا الى أن برز منه ذكر قدر الاصبع

من الناس شيأ يستعين به على قتالهم فجمع العلماء وحضر الشيخ عز الدين بن عبد السلام فقال لا يجوز أن يؤخذ من الرعية شئ حتى لا يبقى في بيت المال شئ وتبيعوا أموالكم من المواشي والآلات ويقتصر كل منكم على فرسه وسلاحه فاتفق أنه أخذ من كل رأس دينارا وأخذ من الاملاك أجرة شهرين ومن الغيطان كذلك فكان جملة ما جمعه ستمائة ألف دينار ثم جمع الامراء والعساكر والعربان وخلقا لا تعد ولا تحصى وصرف عليهم الجوامك وخرج في آخر شعبان سنة ثمان وخمسين وستمائة وجد في السير الى أن وصل عين جالوت من أرض كنعان فالتقى مع التتار هناك ووقع بينهم القتال فقتل منهم خلق كثير وانكسر

وأثبات وكتب بذلك محضر وقد ذكر الشيخ محمد الدلميني في كتابه عين الحياة قال كان لنا جارة بنت
سمهاصلية بلغت من العمر خمس عشرة سنة ثم طلع لها ذكر ونبتت لها لحية فكان لها فرج ذكر وفرج
امرأة ومما شاهدناه ان بنتا تصابدى على الشيخ عمر المعروف بابي دبه يقرأ القرآن ويحفظه حفظا جيدا
ويؤدب الاطفال وله يدان طول كل يد شبر ونهاية ما يبلغ بهما من جسده وجهه وصدره وأما استنجاؤه
فباحدى رجليه ورزقه الله ولدين أحدهما يداه مثل يدي أبيه والثاني بلا يدين وهم موجودون الى الآن
وكل من شاهدهم يحنن عليهم بالصدقات ويتعجب من صنع الله تعالى فأقام الكامل عشرين سنة وشهرين
وتوفي في رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة ودفن بمدينة دمشق *(ثم تولى الملك العادل أبو بكر ولد
الكامل)* قيل ان عبد الله بن طاهر كان هو وبعض الزهاد بايوان العادل فقال عبد الله للزاهد كم تبقى
هذه الدولة فينا وتدوم بيننا فقال مادام بساط العدل في هذا الايوان ثم تلى قوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بانفسهم ذكر الشيخ أحمد بن عبد السلام المنوفي في كتابه النصيحة بما أبدته القريحة قال
رأيت في كتاب آداب القضاء لابن أبي الدنيا اتفق لقاضي القضاة شرف الدين محمد بن عين الدولة لما تولى
القضاء بالديار المصرية فيما حكاه السبكي في طبقاته ان الملك العادل شهد عنده وهو في دست ملكه في
واقعة مرارا والقاضي يسوف في قبولها ففطن العادل لذلك فقال له هل تقبلني أم لا فقال لا أقبلك
وكيف أقبلك وفلانة تطلع اليك بجنكها كل ليلة وتنزل ثاني يوم سكرى على أيدي الجواري وتنزل فلانة
من عندك أنحس مما نزلت الاولى فتناوله الملك العادل بكلمة شتم فردها عليه في وجهه ثم عزله ونزل الى
بيته معزولا فخشي العادل من رد شهادته بسبب فسقه وخشي أن يذكر ذلك عند الملوك ووجوه الناس
فنزل بنفسه الى منزل القاضي وترضاه وأعاده الى القضاء وذكر أيضا في كتاب النصيحة المذكور ان عبد
الصمد الدمشقي ناب في القضاء عن ابن عصرون بدمشق ثم تولى قضاء دمشق استقلالا وانه تداعى لديه
خصمان جاءه أحدهما بكتاب العادل بالوصية عليه فلم يفتحه وظهر الحق لخصم حامل الكتاب فقضى له
ثم فتح الكتاب وقرأه ورمى به الى حامله وقال كتاب الله قد حكم على حامل الكتاب فبلغ العادل ذلك
فقال صدق كتاب الله أولى من كتابي وذكر القطبي في اعلامه ان الامام العالم أبا حازم بالحاء المهملة
والزاي وهو من أكابر العلماء أهل الدين والتقوى كان قاضيا فمن بعض ورعه في الدين ان شخصا انكسر
عليه مال كثير وثبت ذلك عند القاضي المذكور وأمر بتوزيع ماله على غرمائه بالمحاصصة وكان قد انكسر
على المديون مال للخليفة المعتضد فأرسل المعتضد الى القاضي المذكور يقول أشركني مع غرماء هذا
المديون بالمحاصصة فان لي أيضا مالا بذمته فاجعلني كأحد غرمائه فقال أبو حازم لا أحكم لمدع بدون بينة عادلة
فارسل وكيلا وبينة أرضاها لتكون باسوة غرماء هذا المديون فاحكم لك بعد سماع الدعوى والبينة
سرا وجهرا فأقام المعتضد شهودا فشهدوا عند القاضي وكانوا من أكابر أمرائه فما حضر أحد منهم
خوفا من رد شهادتهم فأعجب المعتضد ديانة القاضي المذكور وثباته على الحق وتصميمه على ذلك وقد
روي ان قوما تقدموا واختصموا لهم الى الحاكم فقالوا لنا عليه مال فقال صدقوا أيها القاضي سلهم المهلة الى
أن أبيع ما كان لي من عقار ورقيق وابل وشياه فقالوا كذب أعزك الله ليس له شيء واعتمادنا هذا
بذلك فقال أيها الحاكم قد شهدوا بالاعسار فخلى سبيله أقول وفي زماننا هذا اذا كان شخص عليه ديون
ثابتة للناس وله موجود وعليه شيء من المال الميري يقدم المال الميري بالوفاء ولا يشترطون ثبوته عند
قاض بل يكتفون بقول كتبة الديوان فالحكم لله العلي الكبير (حكي) صاحب النكت اللطيفة ان
العباس بن المعلى الكاتب كتب الى القاضي محمد بن عبد الرحمن البغدادي المعروف بابن قريعة ووفاته
سنة سبع وستين وثلثمائة ما يقول القاضي في يهودي زنا بنصرانية فولدت ولدا جسمه للبشر ووجهه
للبقر وقد قبض عليهما فما ذا يقول القاضي فيهما فكتب له الجواب هذا من أكبر الشهود على الملاعين
اليهود فانهم أشربوا حب العجل في صدورهم حتى خرج من ايورهم وأرى ان يناط هذا اليهودي برأس

هلاكو ومن معه من التتار
وهربوا ثم رجعوا واقتتلوا
حتى قتل منهم النصف
ورجعوا هاربين وغنم
المسلمون منهم غنائم عظيمة
وكان بيبرس من أعيان
دولة الملك قطز وقد ساق
وراء التتار الى حلب
وطردهم عن البلاد ووعده
السلطان بحلب ثم رجع في
ذلك فتنافر بيبرس ووقعت
الوحشة بينهم فاضمر كل
لصاحبه الشر فاتفق
بيبرس مع جماعة من
الامراء وقتلوا المظفر في
الطريق بين الغزالي
والصالحية فعظم على
الناس قتله لحصول النصرة
على يده وذلك سنة ثمان
وخمسين وستمائة (ثم تولى
من بعده الملك الظاهر ركن
الدنيا والدين بيبرس العلائي
البندقداري الصالحي)
صاحب الفتوحات وهو
الرابع من ملوك الترك

العجل ويصلب على عنق النصرانية الساق مع الرجل ويسحبان على الارض وينادى عليهما ظلمات بعضها فوق بعض قيل ان امرأة شكت زوجها الى القاضي من كثرة النكاح فسأله عن ذلك فقال تكف ضرسها او اكف ايرى من كسها أترانى أعلفها ولا أركب وحكى ان رجلا شكا امرأته الى القاضي من كثرة شعرها وطول عانتها فنتفتها وكتبت اليه تقول

قد بنتك سهات السبيل الذى اشتكى * جوانك فيه العطاو خشونته

فان كنت تهوى ان تزور جنابنا * فلا تبطا عنا فالهلال ابن ليلته

وحيث انجر الكلام فى ذكر من ولى القضا ولم يخش فى الله لومة لائم بالحق قضا فلا باس بايراد نبذة مفيدة في عاية يتعظ بها من على هذه الوظيفة سالك اعلم ان يسلك أعدل المسالك مراقبا لقوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون أقول وبالله التوفيق من ولى القضاء ألقى نفسه فى بحر عميق وصار فيه كالغريق وفى المعنى

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجرى على اليبس

قال صلى الله عليه وسلم لا قدست أمة لا يقضى فيها بالحق وقال صلى الله عليه وسلم من ولى القضاء فقد ذبح بغير سكين قال العلامة ابن الرفعة كناية عن شدة الالم فان الذبح بالسكين فيه سرعة وبغيرها تعذيب روى الامام الحافظ من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بالقاضي يوم القيامة فيلقى من الهول قبل الحساب ما يود انه لم يقض بين اثنين فى تمرة ذكر الكمال الدميرى فى حياة الحيوان عند ذكر البقرة كانت القضاة فى بنى اسرائيل ثلاثة فمات احدهم فولوا غيره مكانه فبعث الله ملكا فتحنه فوجد رجلا يسقى بقرة على ماء ومعها عجلة فدعا الملك وهو راكب فرسا فتبعها العجل فتخاصما فقال بيننا القاضي فتوجها الى القاضي الاول فدفع الملك اليه درة كانت معه وقال له احكم بان العجل لى فقال القاضي كيف أحكم بذلك قال أرسل الفرس والبقرة والعجل فان تبعت الفرس فهو لى فتبعتها فحكم له بها فلم يرض صاحب البقرة فأتيا القاضي الثاني فحكم له بذلك وأخذ الدرة وأتيا القاضي الثالث فدفع اليه الدرة وقال احكم بيننا فقال انى حائض فقال الملك سبحان الله يحيض الذكر فقال القاضي سبحان الله أتلد الفرس بقرة وحكم بها لصاحبها وهؤلاء كما قال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قاضيان فى النار وقاض فى الجنة قال الشاعر

قضى بمذهب الكيس قاض * وقد قضى بالعمى اثنان

وفى رواة الحديث قالوا * فى الحشر قاض وقاضيان

(ولبعضهم فى المعنى)

ولما ان وليت وصرت قاض * وقاض الظلم من كفيك فيضا

ذبحت بغير سكين واما * انا رجو الذبح بالسكين أيضا

(ولبعضهم)

قضاة الدهر قد ضلوا * فقد بانت خسارتهم فباعوا الدين بالدنيا * فما ربحت تجارتهم

(ولبعضهم)

قضاة زماننا صاروا لصوصا * عموما فى البرية لا خصوصا

يرون الغنم أموال اليتامى * كأنهمو تلوا فيها نصوصا

فنخشى منهمو اذ صافحونا * يسلوا من أناملنا الفصوصا

(ولبعضهم يهجو قاضيا جاهلا متكبرا)

الا قل لمن قد طيشته رياسة * رويدا ومهلا فيك قد غلط الدهر

ركبت بلا أصل ولا طيب عنصر * حكمت بلا علم فهذا هو الكفر

تأن وراجع دهرنا بك ما مضى * فما سدت الا والزمان به سكر

كتب بعض الافاضل الى بعض القضاة قد فشت المعاصى ووصل الاذى للدانى والقاصى وتعاظم الباطل

أصله تركى اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب وأعتقه ولا زالت الاقدار تساعده حتى وصل الى ما وصل وكان ملكا شجاعا مقداما يباشر الحروب بنفسه له الوقائع الهائلة مع التتار ثم الافرنج وهو الذى بنى المدرسة بالقاهرة تجاه البيمارستان عام اثنتين وستين وستمائة والجامع الكبير بالحسينية سنة خمس وستين وستمائة وتم فى سنة سبع وهو الآن أعنى سنة ثلاث عشرة بعد المائتين والالف قلعة للافرنج اختاروه لصلابته واتقان بنائه وقطعوا ما حوله من الاشجار وهدموا البنيان الذى حول الاشجار فلا حول ولا قوة الا بالله وبنى أيضا قناطر أبى المنجى بالقليوبية وقناطر السباع بطريق مصر وغير ذلك من قلاع وحصون

وأصبح وجه الحق عاطل وأكلت الرشوات وحكم بالشهوات وعرى الاكثر من لباس تقواه وباع دينه بدنياه ولبعضهم

عندى حديث ظريف * لمن به يتغنى * فى قاضيين يعزى * هذا وهذا ابهنا
وذا يقول غصبنا * وذا يقول استرحنا * ويكذبان جميعا * ومن يصدق منا

(ولبعضهم فى قاض فى ولايته فعزلوه)

عزلوه لما ظلم * فغدا كئيبا مدنفا * ويقول لم أحزن لذا * لكن ولم أكن متأسفا
قالوا كذبت لقد بدت * ودموع نت مصحفا

أى خزيت فينبغى لمن ابتلى بالقضاء والحكم بين العباد أن يكون عاقلا عفيفا مرضيا يغلب خيره على شره فان الحكم مبنى على ميزان الاعتدال فى رد أو مال تلفت به نفس أو مال وان القاضى اذا كان أمره نافذا للاحكام الشرعية بين الرعية تصير أحواله مرضية واذا كان أمره غير نافذ فى رعيته وهن أمره وتلاشى حكمه ومنشأ هذا التطاول على الطمع وقد كان السلف الصالح يمتنعون من الدخول فى القضاء مع تأهلهم وورعهم ومراقبتهم لله خوفا مما عساه أن يحصل من هفوة ونحوها

قضاة زماننا احكموا بعلم * ومالهم على ذاك اجتماع
وأضحى العلم منظرا ينادى * أضاعونى وأى فتى أضاعوا

ومن المصائب العجيبة استنابة الجهلة بالارياف فى القضاء يقضون بين الناس بما يلبس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ومن ذلك ما يأخذون من الرشوة جهرا من غير نكير ولا يكتفون منها باليسير ثم يقدمون على ابطال الحقوق البينة ولا يلتفتون للذى معه الحق وان تمسك بقيام البينة واعلم أن اثم ما يفعلونه يكتب فى صحائف من فوض الامر اليهم وان كثيرا من أرباب الدنيا الذين يسعون للناس فى الولايات لاغراض دنيوية يكتب فى صحائفهم كل السيئات التى فعلها من يسعون له وما يترتب عليه الى يوم القيامة وقد كتب الشيخ ولى الدين العراقى فى وصية الى نوابه كتابا فيه اعلموا معاشر النواب أن من ولى أمرا فعليه بالتقوى فى السر والنجوى وليحضر كل منكم قرب أجله ووقوفه بين يدى الله عز وجل مسؤل عن عمله فيا خجلة المقصر وفوز غيره ويا ندامة من اعتاد وجد أعماله محصلة مملة واجتنبوا أخذ المال من غير حله فما تساوى لذة الانتفاع غضب الله من أجله فقد بلغنا أن الدانق وهو سدس الدرهم اذا أخذ من غير وجه أخذت به يوم القيامة سبعمائة صلاة مقبولة واحذروا الظلم البين واسلكوا الطريق المستقيم فقد قمت بما وجب من النصيحة وستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد وقد حصل الاكتفاء بما ذكرناه وفقنا الله لجميع الطاعات وقانا جميع الآفات بمنه وكرمه انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير رجعنا الى ما نحن بصدده من أمر العادل فانه تصرف سنتين وثلاثة أشهر وخلع فى القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة والله سبحانه وتعالى أعلم *(ثم تولى الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل)* وفى ولايته أرسل له رأس الذى يقال له ريدافرنس كتابا يذكر فيه (أما بعد) فانه لا يخفى عليك ان عندنا اخوان الاندلس وما يحملون الينا من الاموال والهدايا ونحن نسوقهم سوق البقر ونقتل منهم الرجال ونرمل النساء ونستأثر بالبنات والصبيان ونخلى منهم الديار وأنا قد أبديت لك الكفاية وبذلت لك النصيحة الى الغاية والنهاية فلو حلفت لى بكل الايمان ودخلت على بالقسس والرهبان وحملت الشمع قدامى طاعة للصلبان لكنت واصلا اليك وقاتلك فى أعز البقاع عليك فاما ان تكون البلاد لى فيا هدية حصلت فى يدى واما ان تكون البلاد لك والغلبة على وبدك اليمنى ممتدة الى وقد عرفتك وعرفت ما قاتلك وحذرتك من عساكر حضرت فى طاعتى تملأ السهل والجبل وعددهم كعدد الحصى وهم مرسلون اليك باسياف القضا فلما قرأ الصالح كتاب الفرنس بكى واسترجع وأمر القاضى شهاب الدين محمد بن زهيران يكتب الجواب فكتب بسم الله الرحمن

وقناطر وخانات بالشام وغيرها وأكمل عمارة المسجد النبوى من الحريق وحج سنة سبع وستين وستمائة فغسل الكعبة بيده بماء الورد وله فتوحات كثيرة فتح النوبة ودنقلة ولم تفتح قبله مع كثرة غزو الخلفاء والسلاطين لها وملك الروم وجلس بقيسارية ولبس التاج وضرب باسمه الدراهم والدنانير وجدد عمارة الجامع الازهر بعد ان خرب وانقطعت منه الخطبة مدة طويلة فاعادها كما كانت وله صدقات وأوقاف كثيرة ولما خرج الى قتال التتار بالشام استفتى العلماء فى أخذ أموال من الرعية فافتوه الا النووى فانه امتنع وكلمه كلاما شديدا فغضب منه وأمره بالخروج من الشام فخرج الى بلده نوى ثم رسم برجوعه فامتنع

الرحيم وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه (أما بعد) فقد ورد كتابك وأنت تهدد فيه بكثرة جيوشك وعدد أبطالك ونحن أرباب السيوف وما قتل منا قرن الا جددناه ولا بغى علينا باغ الا دمرناه فلو رأت عينك أيها المغرور حد سيوفنا وعظم حروبنا وفتحنا منكم الحصون والسواحل وتخريبنا منكم الاواخر والاوائل لكان لك أن تعض على أناملك بالندم ولابد أن تزل بك القدم من يوم أوله لنا وآخره عليك فهنالك تسيء الظنون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون فاذا قرأت كتابي هذا فتكون منه على أول سورة النحل أتى أمر الله فلا تستعجلوه وتكون أيضا على آخر سورة ص ولتعلمن نبأه بعد حين ونعود الى قوله تعالى وهو أصدق القائلين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقول الحكماء الباغي له مصرع وبغيك يصرعك والى البلاء يسلمك وكان الامر كذلك فلما وصل الكتاب الى ريدافرنس بادر فورا بالحضور الى دمياط بعساكره وضربوا خيامهم فاستقبلهم المسلمون وتحاربوا معهم فاستشهد يومئذ الامير نجم الدين والامير حسام الدين أزبك فلما مضى الليل رحل الامير فخر الدين بعساكر الاسلام الى جهة طناح فخاف من كان في دمياط وخرجوا منها على وجوههم وتركوا المدينة خالية من الناس ولحقوا بالعساكر وهم حفاة عراة حيارى بمن معهم من النساء والاولاد فشنعوا على الامير فخر الدين وعدوا جميع ما نزل بالمسلمين من البلاء بسبب هزيمته فان دمياط كانت مشحونة بالمقاتلة والازواد والاسلحة وغيرها ولما أصبح الصباح قصد الافرنج دمياط فاذا أبواب المدينة مفتحة ولا أحد بها فظنوا ان ذلك مكيدة فلما تحققوا خلوها وانه خلوها من غير مانع استولوا على ما بها من الاسلحة والاقوات فانزعج الناس في مصر انزعاجا عظيما وكل ذلك مع شدة مرض السلطان الملك الصالح نجم الدين وعدم حركته وقد اشتد حنقه على الامير فخر الدين فأمر بشنق من كان في دمياط من الامراء والمقاتلين فشنق منهم في ساعة واحدة ما يزيد على خمسين أميرا ويقال ان شنقهم كان بفتوى من العلماء فانتقل الملك الصالح الى المنصورة بعد ان سورها وشرع العسكر في تجديد الابنية هناك وقدمت المراكب تجاه المنصورة وفيها الاسلحة والعدد فلما كانت ليلة الاحد لاربع عشرة ليلة مضت من شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة مات الملك الصالح بالمنصورة ولم يظهر موته وحمل في تابوت الى القلعة فان شجرة الدر زوجة الملك الصالح لما مات أحضرت الامير فخر الدين والطواشي جمال الدين محسن فاعلمتهما بموته فكتماه ذلك خوفا من الافرنج فارسل الامير فخر الدين الى الملك المعظم توران شاه وهو بحصن كيفا لاحضاره وكانت العلامات تخرج من الدهاليز السلطانية بالمنصورة الى سائر الممالك الاسلامية المصرية فلما علم الافرنج بموت الملك الصالح خرجوا من دمياط بفارسهم وراجلهم ومراكبهم تحاربهم في البحر حتى نزلوا فارسكور فارسل المسلمون كتابا الى القاهرة فقرئ على منبر الجامع الازهر يوم الجمعة انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وفيه مواعظ وحث على الجهاد فارتجت مصر والقاهرة وظواهرهما بالبكاء والعويل وأيقن الناس باستيلاء الافرنج على البلاد لخلو الوقت من ملك يقوم بالامر فخرج الناس من مصر والقاهرة وسائر الاعمال فاجتمع عالم عظيم ونزل الافرنج شارمساح والبرمون ووصلوا تجاه المنصورة ونصبوا المجانيق على المسلمين وصارت مراكبهم بازائهم في البحر والتحم القتال وكان في البحر بعض مخائض فدل من لا دين له الافرنج عليها فركبوا معدها فلم يشعر المسلمون الا وقد هجم عليهم الافرنج وكان الامير فخر الدين قد دخل الحمام فأتاه الخبران الافرنج قد هجموا على المسلمين فركب دهشانا وأخذ يحرض المسلمين على القتال فاستشهد الامير فخر الدين ووصل ريدافرنس الى باب القصر السلطاني ولم يبق الا أن يملكه فاذن الله تعالى ان طائفة من المماليك البحرية الذين استخدمهم الملك الصالح ومن جملتهم الملك الظاهر بيبرس البندقداري حملوا على الافرنج حملة صدقوا بها اللقاء حتى أزالوهم عن مواقفهم فانهزموا وبلغت عدة من قتل من الفرنج الخيالة في هذه النوبة ألف وخمسمائة فارس وهذه الواقعة كانت بين الازقة والدروب

وقال لا أدخلها والظاهر بها فمات الظاهر بعد شهر سنة ست وسبعين وستمائة بدمشق وفي أيامه انتقلت الخلافة الى الديار المصرية فكان أول خليفة بمصر المستنصر ووصل الى مصر في سنة تسع وخمسين وستمائة فاجتمع بالملك الظاهر بيبرس وأثبت نسبه عند قضاة الشرع وبايعه بالخلافة وأجرى عليه نفقة وليس له من الامر الا اسم الخليفة وأولاده من بعده على هذا المنوال ويأتون الى السلاطين الذين يريدون توليتهم ويقولون وليناك السلطنة وهكذا كانوا بالقاب الخلفاء واحدا بعد واحد وكانت سلاطين الاقاليم تتبرك بهم ويرسلون اليهم أحيانا يطلبون السلطنة باللسان فيكتبون لهم تقليدا وكان آخر الخلفاء بمصر أبو عبد الله

ولولا ضيق المجال لما انفلت من الفرنج أحد وفي أثناء هذه المدة حضر السلطان المعظم توران شاه واستقر بقصر المنصورة فأحاط بالفرنج وظفر منهم باثنتين وخمسين مركبا وقتل وأسر ألف رجل وانقطعت الميرة عن الفرنج وقد أحاط المسلمون بالفرنج وقتل وأسر منهم كثير والذين نجوا من القتل تركوا خيامهم وأموالهم وقصدوا دمياط هاربين ومازال السيف يعمل في أدبارهم وقد حل بهم الخزي والويل حتى قتل منهم ماينوف على ثلاثين ألفا غير الذي ألقى نفسه في البحر وأما الاسارى فحدث عن البحر ولا حرج ونهب المسلمون من أموالهم ودوابهم وذخائرهم مالا يحصى والتجأ الفرنسيس الى المنية الجاور وتلاه طائفة ممن بقي معه واستسلموا للقتل وسألوا الامان فأمنهم السلطان المعظم ونزلوا مشاة حفاة وسيقوا الى المنصورة وقيد دز بدافرنس واعتقل بالدار التي كان بها القاضي فخر الدين بن لقمان كاتب الانشاء ووكل به الطواشي صبيح واعتقل معه أخوه وزوجته ومن بقي معه من أصحابه ولما انهزم الفرنسيس سقطت قلنسوته عن رأسه وهم يسمونها غفارية وكانت من قطيفة حمراء بفروسنجاب فأخذها الامير جمال الدين بن يعمر فلبسها فقال الشيخ نجم الدين بن اسرائيل

وغفارية الفرنسيس لما * غدت تشالسيد الامراء

كبياض القرطاس لونا ولكن * صبغتها سيوفنا بالدماء

وتسلم المسلمون دمياط ورفع العلم السلطاني على سورها وأعلن فيها كلمة التوحيد والاسلام وشهادة الحق بعد أن أقامت في يد الفرنج أحد عشر شهرا وسبعة أيام وأفرج عن الفرنسيس وأخيه وزوجته ومن بقي معهم وتوجهوا الى بلادهم وفي ذلك يقول جمال الدين بن مطروح

قل للفرنسيس اذا جئته * مقال صدق من وزير نصيح

أتيت مصر اتبتغي ملكها * تحسب ان الزمر والطبل ريح

فساقك الدهر الى أدهم * ضاق به عن ناظريك الفسيح

وكل أصحابك أودعتهم * بسوء تدبيرك بطن الضريح

خمسون ألفا لا يرى منهم * الا قتيل أو أسير جريح

وفقك الله لامثالها * لعل عيسى منكم يستريح

ان كان بابا كم بذا راضيا * فرب غش قد أتى من نصيح

قل لهم ان أضمروا عودة * لاخذ ثار أو لعقد صحيح

دار ابن لقمان على عهدها * والقيد باق والطواشي صبيح

فقدر الله تعالى أن الفرنسيس بعد خلاصه من هذه الواقعة جمع عدة جموع وقصد تونس وأخذ يحاصرها فقال له شاب من أهل تونس يقال له أحمد بن اسمعيل الزيات

يافرنسيس هذه أخت مصر * فتأهب لما اليه تصير

لك فيها دار ابن لقمان قبر * وطواشيك منكر ونكير

وكان هذا فأل سنافهلاك الفرنسيس على محاصرة تونس وكفى الله المؤمنين القتال فكانت مدة الصالح بمصر عشرين سنة وعشرة أشهر وتوفي بالمنصورة وحمل الى القاهرة كما تقدم ودفن بقبة بنيت له بجوار المدرستين والملك الصالح هو الذي بنى قلعة الروضة وأقام بها اجنادا وسماهم المماليك البحرية ومقدمهم الفارس قطاي وبنى قنطرة بالسد والمدرسة التي بين القصرين التي هي محكمة الآن والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الملك المعظم توران شاه ابن الملك الصالح) ووصل الى المنصورة في سابع عشر ذي القعدة سنة سبع وأربعين وستمائة وقتل بعد شهرين في محرم سنة ثمان وأربعين وستمائة وكان السبب في قتله انه أخذ يهدد زوجة أبيه شجرة الدر ويطالبها بمال أبيه فخافت وكاتبت مماليك الملك الصالح وأخذت تحرضهم عليه وكان الملك المعظم فيه هوج وخفة وميل على المكوف بلاذ فنفرت منه النفوس وأخذ في ابعاد مماليك أبيه وكان اذا سكر أوقد الشموع وضرب رؤسها بالسيف وقال هكذا أفعل بالمماليك البحرية فاتفقوا على قتله فدخلوا عليه وفي أيديهم السيوف مجردة فهرب الى برج خشب كان في خيمته

محمد بن يعقوب ولقب بالمتوكل ولما دخلت الدولة العثمانية وافتتحت مصر أخذ المرحوم السلطان سليم فاتح مصر الخليفة المذكور متبركا به فلما توفي السلطان سليم عاد الى مصر واستمر بها الى أن توفي بها سنة خمسين وتسعمائة في زمن المرحوم داود باشا وبموته انقطعت الخلافة العباسية فرحم الله تلك الارواح الطاهرة ومتعها بالنظر الى وجهه الكريم في الدار الآخرة وبعد ان توفي السلطان بيبرس المذكور سنة ستمائة وستة وسبعين (تولى من بعده ولده محمد بركة خان) وكان سنه ثمان عشرة سنة وكان أبوه عقد له الولاية في حياته ولقبه بالملك السعيد واستنابه على مصر أيام سفره واستقل بالسلطنة بعد أبيه الى سنة ثمان وسبعين فاختلف

التى نصبها على شاطئ بحر النيل فادركوه وضربوه بالسيوف فدخل البرج وأغلق بابه فاطلقوا النار فى البرج وهو يقول لما أريد هلاككم دعونى أرجع الى الحصن يا مسلمين فلم يجبه أحد فخرج ورمى نفسه فى البحر فاخرجوه وقطعوه بالسيوف فمات قتيلا غريقا حريقا وترك على ساحل البحر ثلاثة أيام ثم دفن بعد ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولت شجرة الدر بنت الملك الصالح) باتفاق مع الامراء وحلفوا لها واستحلفوا جميع العساكر المصرية والشامية ورتبوا الامير عز الدين أيبك التركمانى على العساكر فاقامت ثلاثة شهور الى ان خلعت فى ربيع الاول سنة ثمان وأربعين وستمائة وكانت آخر الدولة الايوبية ومدة ولايتهم اثنان وثمانون سنة وأربعة أشهر خارجا عما تخلل فى المدة وهو سنة وثمان شهور ولله در القائل

كانوا ملوكا لايرام حماهم * فى كل ملحمة وكل هياج
فانظر الى آثارهم تلقى لهم * علما بكل ثنية وفجاج
فعليهم ما عشت لا أدع البكا * مع كل ذى نظر وطرف ساج

وما أظرف قول القاضى الفاضل فى ذكر الدولة الايوبية ان الذهب الابريز لم تدخل عليه آفة وأنتم يا بنى أيوب أيديكم آفة الاموال كما ان سيوفكم آفة الرجال فلو ملكتم الدهر لاعطيتم ليالية أداهم وقلائد ايامه صوارم وأفنيتم شموسه وأقماره فى الهبات دنانير ودراهم فأيامكم أعراس ومآتم فيها على الاموال مآتم والجود فى أيديكم خواتم ونقش حاتم تحت نقش ذلك الخاتم رحمة الله تعالى عليهم أجمعين

(الباب السابع فى الدولة التركية المعروفين بالمماليك البحرية)

كان ابتداؤها فى ربيع الاول سنة ثمان وأربعين وستمائة أولهم الملك المعز أيبك التركمانى الصالحى أقام سنتين وأحد عشر شهرا الى أن قتل فى ربيع الاول سنة خمسين وستمائة وكان السبب فى قتله انه لما تزوج شجرة الدر وكان مملوك زوجها الملك الصالح وخلعت نفسها من المملكة وسلمتها اليه خطب على بنات بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فبلغ شجرة الدر ذلك فاخذها ما يأخذ النساء من الغيرة فتغيرت عليه وتغير عليها وكرهها لانها كانت تمن عليه بأنها ملكته مصر وسلمت اليه الخزائن والاموال وكانت تتصرف فى مملكته وتأمر وتنهى ومنعته من الاجتماع بزوجته التى هى أم ولده نور الدين حتى ألزمته بطلاقها ولما تمكن الغيظ منه نزل الى مناظر اللوق وأقام بها أياما فبعثت اليه من حلف عليه ولاطفه وسكن غيظه فطلع الى القلعة وكانت قد أعدت له من يقتله اذا صعد اليها فلما صعد اليها ودخل الحمام ليلا قد خلت عليه ومعها خمس من الخدم فاخذ بعضهم بانثييه وبعضهم بخناقه فاستغاث بشجرة الدر فقالت لهم اتركوه فاغلظوا فى القول عليها فقالت اتركوه فقالوا متى تركناه لا يبقى علينا ولا عليك ثم قتلوه فتولى بعده ولده نور الدين المنصور فقبض على شجرة الدر ودخل بها على أمه فقتلتها الجوارى بالقباقيب ورموها فى الخندق وهى عريانة على باب القلعة و بعد أيام دفنت فى التربة التى كانت قد أعدتها لنفسها لدهر قد جازاها من جنس العمل لانها سعت فى قتل الملك المعظم فقتل غريقا حريقا كما تقدم وترك ثلاثة أيام على شاطئ البحر كذلك قتلت ورميت فى الخندق وهى عريانة قال الله تعالى من يعمل سوأ يجز به وقال الشاعر

من يحتفر حفرة يوما يصير لها * فان حفرت فوسع حين تحتفر

والله تعالى أعلم (ثم تولى الملك المنصور نور الدين على ابن الملك المعز) فاقام سنة واحدة وثمان شهور الى أن أمسك وقتل بعين جالوت فى رابع عشر ذى القعدة سنة خمس وخمسين وستمائة والله أعلم (ثم تولى الملك المظفر قطز المعزى) وفى أيامه قطعت التتار الفرات ووصلوا الى حلب وبذلوا السيف فيها ثم وصلوا الى دمشق قال سبط ابن الجوزى أول ظهور التتار سنة خمس وعشرين وستمائة فاخذوا بخارى وسمرقند وقتلوا أهلها وحاصروا خوارزم شاه ثم بعد ذلك عبروا النهر فلم يعدوا أحدا فى وجوههم فابادوا البلاد قتلا وسبيا وساقوا الى أن وصلوا الى همدان وقزوين فى تلك السنة وقد ملكوا أكثر المعمور من الارض وأحسنها وأمرها فى سنة ولم يبق أحد فى البلاد التى لم يطؤها الا وهو خائف يترقب وصولهم ثم انهم لم

عليه الامراء وقاتلوه فخلع نفسه من السلطنة وأشهد بذلك ثم ذهب الى الكرك ومات بها سنة ثمان وسبعين وستمائة فكانت مدة اقامته سنتين وثمانية أشهر (وتولى من بعده أخوه بدر الدين الملك العادل سلامش) وكان يسمى ابن البدوية فاقام خمسة أشهر ثم جاءت الدولة القلاوونية الصالحية وهى من الدولة التركية المتقدمة فاولهم (الملك المنصور أبو المعالى قلاوون الصالحى النجمى) وقيل له الالفى لانه اشترى بالف دينار فاقام احدى عشرة سنة وعشرة أشهر وتوفى بالقرب من المطرية سنة تسع وثمانين وستمائة وهو الذى بنى البيمارستان وجعل مبا المقبر والامير والمدرسة المنصورية التى دفن بها وله الفتوحات بساحل البحر الرومى منها

يحتاجوا الى ميرة لانهم معهم الاغنام والبقر والخيل يأكلون لحومها لا غير اما خيلهم فانها تحفر الارض بحوافرها وتأكل عروق النبات ولا تعرف الشعير وأما بناتهم فانهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرمون شيأ و يأكلون جميع الدواب و بنى آدم ولا يعرفون نكاحا بل المرأة يأتيها غير واحد ولما دخلت سنة ست وخمسين وستمائة وصل التتار الى بغداد في مائتى ألف يقدمهم هلاكو فدخلوا بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم كما ذكرنا ذلك سابقا في محله ثم لما دخلت سنة ثمان وخمسين وستمائة والوقت بلا خليفة قطعوا الفرات ووصلوا الى دمشق كما تقدم أرسل هلاكو كتابا الى الملك المظفر يذكر فيه نحن جنود الله ننتقم ممن عصى وتجبر وطغى وتكبر و بأمر الله ما ائتمر ونحن قد أهلكنا البلاد وآذينا العباد وقتلنا النساء والاولاد فيا أيها الباقون أنتم بمن مضى لاحقون ويا أيها الغافلون أنتم اليهم تساقون ونحن جيوش الهلكة لا جيوش المملكة مقصودنا الانتقام وملكنا لا يرام ونزيلنا لا يضام وعدلنا في ملكنا قد اشتهر ومن سيوفنا اين المفر أين المفر وفي المعنى

أين المفر ولا مفر لهارب * ولنا البسيطان الثرى والماء
ذلت لهيبتنا الاسود وأصبحت * في قبضتي الامراء والخلفاء

ولما وصل الكتاب الى دمشق أقبل المظفر بالجيوش وشاليشه بيد بيبرس البندقدارى فالتقوا هم والتتار عند عين جالوت ووقع بينهم حرب شديد فهزم التتار شر هزيمة وانتصر المسلمون ولله الحمد والمنة وقتل من التتار مقتلة عظيمة وولوا الادبار وتبعهم العسكر يقتلون وينهبون وطمع الناس فيهم يتخطفون وساق بيبرس وراء التتار الى بلاد حلب وطردهم من البلاد ثم ان الملك المظفر وعد بيبرس بحلب ثم رجع عن ذلك فتأثر بيبرس من ذلك وكان ذلك سبب الوحشة بينه و بين المظفر فاتفق بيبرس و جماعة من الامراء على قتل المظفر فقتلوه في الطريق في سادس عشرى ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة ودفن بالقصير بأرض الشام فكانت مدته أحد عشر شهرا وسبعة عشر يوما والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الملك الظاهر بيبرس العلائى) البندقدارى الصالحى صاحب الفتوحات والهمم العلية والشيم الزكية والاخلاق المرضية ومن آثار خيراته انه أنشأ المدرسة التى بين القصرين تجاه البيمارستان والجامع الذى بالحسينية وقناطر أبى المنجى بالقرب من قليوب وغير ذلك * ومما يحكى عنه انه بلغه ان الشريف محمد بن يحيى بن سعيد حاكم مكة والمدينة المنورة يحصل منه ظلم للتجار والحجاج والمجاورين والواردين الى الحرمين الشريفين وتجاوز الامور وخرج عن الحد فكتب اليه أما بعد فان الحسنة في نفسها حسنة وهي من بيت النبوة أحسن والسيئة في نفسها سيئة وهي من بيت النبوة أقبح وقد بلغنا عنك أيها السيد انك بدلت حرم الله بعد الامن بالخيفة وفعلت ما يحمر الوجه و يسود الصحيفة فكيف تفعلون القبيح وجدك الحسن وتضيع الفرض ومن بيتكم عرفت الفروض والسنن وتقاتل حيث لا تكون فتنة وأنت من أهل الكرم وساكن الحرم فكيف آويت المجرم وسفكت دم المحرم ومن يهن الله فما له من مكرم فان لم تقف عند حدك أغمد فيك سيف جدك والسلام فكتب اليه الجواب أما بعد فان المملوك معترف بذنبه تائب الى ربه فان آخذت فانت الاقوى وان تعفوا أقرب للتقوى * حكى ان الملك الظاهر بيبرس لما عرض عليه الامير بدر الدين بيليك الخزندار ليشتريه قال التاجر يا خوند هو يكتب و يقرأ فاحضر له دواة وقلما و ورقة ليكتب شيأ يراه فكتب

لولا الضرورة ما فارقتكم أبدا * ولا تنقلت من ناس الى ناس

فاعجبه الاستشهاد بهذا البيت و رغب في شرائه * وحكى ان انسانا رفع قصة الى الصاحب كمال الدين بن العديم فاعجبه خطها فامسكها وقال لرافعها هذا خطك قال لا ولكن حضرت الى بابه ولا نائب وجدت بعض مماليكه فكتبها الى فقال على به فلما حضر وجده مملوكه الذى كان يحمل نعله وكان عنده في حالة غير مرضية فقال له هذا خطك قال نعم قال هذه طريقتى فمن ذا الذى أوقفك عليها قال يا مولاى كنت

طرابلس وكانت بايدى الافرنج من سنة ثلاث وخمسمائة وعكا وبيروت وصيدا وغير ذلك وبلغت مماليكه اثنى عشر الفا وفي أيامه وصل عسكر التتار الى الشام وحصل الرجف والخوف فالتقاهم بعساكره وهزمهم شر هزيمة وحصلت مقتلة عظيمة ثم وقع الصلح مع التتار بعد أمور طويلة (وتولى من بعده ابنه الاشرف خليل) فاقام ثلاث سنين وشهرين ومات سنة ثلاث وتسعين وستمائة ودفن بمدرسته التى أنشأها بجوار مشهد السيدة نفيسة وقد خرج الافرنج سنة أربع عشرة ومائتين بعد الالف وفي أيامه توجه فحاصر عكا وفتحها وفتح غالب سواحل الشام وافتتح قلعة الروم بهسنا ومرعش وفتح حصن صور المسمى الآن بحصن منصور وكان من

اذا وقعت لاحد على قصة أخــذتها منه وسألته المهلة على حتى أكتب على طريقتها ســطرين أو ثلاثة فامره أن يكتب بين يديه ليراه فكتب يقول

وما تنفع الآداب والعلم والحجا * وصاحبها عنــد الكمال يموت

فكان اعجاب الصاحب بالاستشهاد أكثر من الخط فرفع منزلته *(تنبيه)* لايخفى ما فى هــذا البيت الذى تمثل به المملوك من التورية التى من أنواع البديع والتمثيــل أيضا المافيه من المعنى ومطابقــة الالفاظ كانه يقول ان الله من على بحسن الخط بان ضاهيت ســيدى فى كتابته التى صار بها رئيسا فى زمانه وأنا عنــده غير محظوظ كانى ميت عنــد الكمال ويقال الناس فى ذلك على ثلاثة أقسام قسم أعطى حظ الاحظا وقسم أعطى خط الاحظا وقسم أعطى خطا وحظا

لاتحسبن بان الخط يسعــدنى * ولا فصاحة شعر الحاتم الطائى

بل انما أنا محتاج لواحــدة * انقــل نقطة حرف الخاء للطاء

(فائدة) قال الفخر الرازى حد البلاغة بلوغ الرجــل بعبارته كنه ما يقول فى قلبه مع الاحتراز عن الايجاز المخــل والتطويل الممل وقيــل البليغ من يحول الكلام على حسب الامانى ويحفظ الالفاظ على تردد المعانى ويقال الكتابة صناعــة شريفة تجلس الحقــير مجالس الملوك وهى آلة قانونيــة محلها آلة جسمانية تضعف بالترك وتقوى بالادمان قال علــى كرم الله وجهه عليكم بحســن الخط فانه من مفاتيح الرزق وقيــل ما حسن خط انسان الا وطلب الرياســة وما حســن صوت انسان الا وطلب الشحاذة (فائدة) لاباس بذكرها عنــد الاحتياج اليها وهى قال المنصورى فى اعتبار عــلامات المماليك والجوارى عنــد المشــترى تدل على أســقام ظاهرة وباطنــة وعلى أحوال فى الجماع من النساء وهو نوع تام من أنواع الفراسة محتاج اليه جدا احذر اللون الاصفر فانه يدل على علة فى الكبد والطحال أو المعــدة أو يكون له بواســير تنزف الدم احــذر الكمد الرقيق البياض أو الرقيق الســواد والمخالف للون البدن كله فانه قد يكون مبادى بهق أو برص لم يستحكم احــذر الخشونة الخفيفــة التى تراها فى موضع من البدن فانه ربما يكون مبادى قوباء ولم تستحكم احذر أيضا الشامة وشــبهها أو ما تراه فى البــدن كالكى أو الوسم فانه ربما يكون على موضع برص واذا أشكل عليك شئ منه فادخــل بالمملوك الحمام وادلك ذلك الوسم أو الشامة بالاشنان والبورق والخل فانه يتبين لك أمره احذر كدرة بياض العين وظلمتها فانهما ينــذران بالجذام احــذر الصفرة فى العــين فانها دالة على رداءة الكبد وان كان فى العــين عروق ظاهرة دلت على السبل احذر غلظ الاجفان وبطء حركتها فانه ربما كان مبادى جرب فيها احذر عظم الانف واعوجاجه فانه ربما دل على نواســير فى داخــله فاطر فيها فى الشمس وربما سال منها رطوبة عنــد الغمز فانه تدل على نواسير احذر قلة أشــفار العيون وقلة شعر الحاجبين فانه دال على الجــذام واعتــبر حال الانفاس والنكهة من الفم والانف فانه ربما دل على البخر واعتــبر حال الاســنان فان القوى منها طويل البقاء دال على العمر وعلى صحة البدن وقوة الدماغ وبالعكس واعتــبر وضعــها فى مغارســها فان كانت تدمى أو فيها خلــل فى اصطفافها وكذلك رائحة النكهة فاحــذره واحــذر ما ركب بعضها من الفلج كاللون الاخضر والاصفر والاسود وشبيه الحرق بالنار فانه يدل على فساد المعــدة والنكهة احذر أيضا من قلة صبغ الشفتين أو بياض لون اللسان وغلظه أو تغير لون عقبــه أو خضرة أو سواد بــه فانه منــذر بمرض قريب أو بان الكبد ضعيف والطحال معتل احــذر النتوء فى البطن والمكان الموجع منه والالم عنــد الغمز له فانه يدل على مرض فى المعدة أو فيها احــذر النتوء فى العنق وان كان صغيرا أو أثر قرحة فيــه فانه يدل على أن يكون هناك خنازير وغدد أو نتوء يتولد منه بسرعة ولا بأس ان تامر المملوك أن يجرى شوطا ثم تتفقد المشى منه هل فيه ربو أو سعال ثم تتفقد حال مفاصله فى سلامتها للحركات وتتفقد الساق منــه هل فيه عروق ثخان كبار واسعة فانه ربما يدل على داء الفيل أو عرق النسا واعتــبر ضعف العصب وقلة الجلد

والرعشة

آخــرين الاماكن بحيث عجز عنه السلطان صــلاح الدين ومن يومئذ قطع دابر الافرنج من سواحل الشام وصار أمرهم فى ادبار فالله تعالى يرحمه رحمــة واسعة (وولى بعــده أخوه الملك القاهر بيدر) الذى كان نائبا عنه فاقام يوما واحدا وقتل (وولى بعده أخوه الملك الناصر محمــد بن قلاوون) سنة ثلاث وتســعين وستمائة فاقام سنة واحــدة ثم خلع لصغره فانه كان ابن تسع سنين (وولى بعده نائبه المنصور حسام الدين لاجين المنصورى) ثم قتل سنة ثمان وتسعين وستمائة فاقام سنتين وعاد السلطان محمد ابن قلاوون الى السلطنة ثانيا ســنة سبعمائة فاقام سبع سنين ثم حصل بينــه وبين العسكر وحشة فخلع نفسه وذهب الى الكرك وفى مدة أولايتــه سنة تسع

والرعشة عند الاعمال القوية والضعف عند الجماع والاسترخاء بعد شرب الماء البارد واعتبر اطالة المفاصل ورقة الاوتار ورقة الجلد والبشرة فانك تنتفع بهذه العلامات فى اقتناء المماليك فلعاجيد ذا (القول فى اعتبار أحوال الجوار) بعلامات تدل على أحوال مستورة (منها) اذا كان فم المرأة واسعا كان فرجها واسعا واذا كان ضيقا كان مثله واذا كان مدورا كان كذلك واذا كانت كبيرة الارنبة من الانف غليظة الشفتين كانت غليظة حافتى الفرج وان كان لسانها شديد الحمرة كان فرجها شديد الرطوبة وان كانت حدباء الانف فهى قليلة الرغبة فى النكاح وان كانت طويلة العنق فهى رابية الفرج قليلة نبات الشعر وان كانت كبيرة الوجه غليظة العنق دل ذلك على صغر العجز وصغر الفرج وضيقه وان كانت صغيرة الحنك كانت غليظة الفرج وان كان لحم ظاهر قدميها صلبا كانت عظيمة الفرج وان كانت نبيلة مكتنزة لحم اليدين والقدمين تكون كثيرة الشبق لاصبر لها على النكاح وان كانت حارة المجلس فى كل وقت حمراء الشفتين والاشفار صلبة العجز فتكون شديدة الطلب للنكاح وان كانت حمراء اللون زرقاء العينين فتكون شديدة الشهوة وان كانت كثيرة الضحك خفيفة الروح سريعة الحركة فتكون قوية الشهوة للنكاح وان كانت كحلاء العينين مع كبرهما فتكون شديدة العلة ضيقة الفرج وان كانت كبيرة الاذنين صغيرة العجز فتكون عظيمة الفم وان كانت ناتئة العقبين الى ناحية الظهر دل على سعة الفرج وان كان لحم المرأة عبلا متزهلا ولونها أبيض بصفرة يسيرة والعين منها كالجامدة ليس عليها ماء وظاهر دل على رطوبة الفرج وبرودته واعلم ان النساء على ضروب ورتب سبعة ولكل ضرب ورتبة منزلة فى الشهوة لايحصل لها كمال اللذة الا بها ولا تنقاد للرجل بالطاعة والمحبة وحفظه فى الغيبة الا بها وهى شعماء وزلفة وجوفاء وقعراء وبلجاء وهوجاء وسكفاء فأما الشعماء فالعبلة الفرج مع صلابته وامتلائه شحما وهذه لايكمل لها لذة الجماع الا بالذكر الطويل الذى يصل الى باب الرحم ويحمل الولد الا على الفرج (سئل) عمر بن عثمان القاضى عن جارية اشتراها فقيل له كيف وجدتها فقال فيها خصلتان من الجنة البرد والسعة وذكر الهندى ان مقدار الذكر الطويل اثنا عشر اصبعا فما فوقها والوسط تسع أصابع فما دونها والصغير ستة أصابع فما فوقها وأما الزلفة فهى مضمومة الفرج الى ماحوت جوانبه وهزل بعد سمنه ولايحصل لها كمال اللذة الا بالذكر القصير الغليظ جدا وأما الجوفاء فهى مضمة أول عنق الفرج ومجوفة لداخل منه وهذه لايكون لها لذة الجماع الا بالذكر الوسط الرأس بجوانب الفرج وأما القعراء فهى طويلة عنق الفرج بعيدة باب الرحم وهذه لايوافقها الا الذكر الطويل المفرد دون غيره وأما البلجاء فهى التى فرجها معتدل يوافقها كل ماذكرنا وأما الهوجاء فهى واسعة الفرج يوافقها الذكر الطويل الغليظ والوسط كذلك وأما السكفاء فهى التى فى فرجها عظمان يكادان يلتقيان فى عنقه ويمنعان من الايلاج وهذه لايوافقها الا الذكر الطويل الرقيق وقل ان تحمل الا وتموت عند الولادة قبل خروج الولد لضيق الفرج ومن أراد الاستلذاذ بالجماع فعليه بالقصيرة من النساء رجعنا الى مانحن بصدده من أمر السلطان بيبرس فانه أقام فى السلطنة سبع عشرة سنة وشهرين ونصفا ومات بالقصر بدمشق ودفن فى سابع عشرى محرم الحرام سنة ست وسبعين وستمائة *(ثم تولى الملك السعيد بركة ناصر الدين محمد ابن الملك الظاهر بيبرس)* فتصرف سنتين وثلاثة شهور وكان الافرم نائبه فى الامور ثم خلع وتوجه الى الكرك فى سابع عشر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وستمائة *(ثم تولى أخوه الملك العادل بدر الدين سلامش)* وعمره سبع سنين وكان يدعى له ولقلاوون وضربت السكة باسمهما فاقام مائة يوم وعزل فى رجب سنة ثمان وسبعين وستمائة *(ثم تولى الملك المنصور أبو المعالى قلاوون الصالحى الالفى)* وهو الذى بنى البيمارستان بين القصرين بمصر والقبة التى دفن بها وله الفتوحات بساحل البحر الرومى منها طرابلس وبيروت وصيدا وغير ذلك ومما اتفق له انه بعث سيف الدين عبد الله وكان من خيار جنده وعقلائهم وأمنائهم بهدية الى ملك الغرب فلما رجع من عنده لملك الغرب أخبر الملك المنصور قلاوون أنه لما كان مقيما

وتسعين وستمائة قدم غازان ملك التتار فى مائة ألف الى دمشق فخرج الناصر الى قتاله فى نحو عشرين ألفا فانهزم عسكر الناصر وقتل جماعة من الامراء وملك غازان دمشق ماخلا قلعتها وخطب له بها وحصل لاهلها من التتار المشقة العظيمة ثم أخذ الناصر فى التجهيز لقتالهم لان ابن تيمية جاءه على البريد وحثه على ذلك فخرج اليهم وهزمهم ومن يومئذ انكسر شرهم وصار أمرهم فى ادبار ولما ذهب الى الكرك ولى مكانه السلطان بيبرس الجاشنكير فاقام سنتين ثم عاد السلطان الناصر محمد قلاوون ثالثا الى مصر من الكرك وهى التولية الثالثة وكان بيبرس قد هرب الى الصعيد ثم هرب منه الى جهة الشام فاحضره الناصر

عند سلطان الغرب بجاية رسالة من بعض ملوك الافرنج الكبار المعادين للمسلمين أن يشفع له في تزويج بنت بعض ملوك الفرنج لولده وكان والده مهادنا للملك الغرب ومعدودا من أصحابه وكان الملك المستشفع قبل ذلك معاديا للمسلمين ومؤذيا لهم ولكن حمله هوى ابنه على أن يبعث الى ملك الغرب في ذلك فاحتاج الى ارسال رسول الى ملك الفرنج بسبب ذلك فقال لي تذهب في هذه القضية فتمنعت فقال لي هذه مصلحة فيها للمسلمين راحة وأرى أنك تذهب فيها فلم يزل يلح حتى ذهبت فاديت الرسالة الى ملك الفرنج وقضيت أربه وأقمت عند ملك الفرنج مدة فاعجبه حالي وأحبني حبا شديدا وعرض علي المقام عنده مبقى على ديني دين الاسلام فقلت لا سبيل الى ذلك فاجازني وأكرمني فلما أردت الانصراف من عنده قال أريد أن أتحفك بأمر عظيم لم يحصل لاحد من المسلمين مثله فتعجبت من ذلك وقلت من أين ذلك فاخرج لي صندوقا مصفحا بالذهب ففتحه وأخرج منه مقلمة من ذهب ففتحها فاخرج منها كتابا قد زال أكثر حروفه وقد ألصق عليه خرقة حرير وقال أتدري ما هذا قلت لا قال هذا كتاب نبيكم الى جدي قيصر ومازلنا نتوارثه ملكا بعد ملك وكل ملك كان عنده حفظه وقد أوصانا أجدادنا انه مادام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا وهذه الوصية متلقاة من جدنا قيصر فنحن نحفظ هذا الكتاب غاية الحفظ ونعظمه غاية التعظيم ونتبرك به ولا يعرف ذلك أحد من النصارى الآخرين ولولا عزتك وكرامتك لم نتق بمقالك ما أطلعتك عليه قال فاخذته وعظمته وتبركت به ولم يقدر على قراءته أحد لتقطع أجزاء حروفه من طول الزمان وبسبب هذه الرسالة كف الله شر هذا الملك المعادي للمسلمين فكانت مدة ولاية الملك المنصور قلاوون احدى عشرة سنة وشهرين ونصفا ثم توفي بمنزله بمسجد التبن بالقرب من المطرية عند خروجه على نية الجهاد في سادس شهر ذي القعدة الحرام سنة تسع وثمانين وستمائة (ثم تولى الملك الاشرف صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور قلاوون) قال محمد بن غانم في الملك الاشرف خليل وفي السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب

ملكان قد لقبا بالصلاح * فهذا خليل وذا يوسف

فيوسف لاشك في فضله * ولكن خليل هو الاشرف

ومما يحكى عن الملك الاشرف خليل انه كان جالسا في بعض الايام والقراء يقرؤن القرآن وكان والده المنصور قلاوون محاصرا لطرابلس فقال نصره الله في هذه الساعة أخذت طرابلس فشاع هذا الخبر وذاع وملا الافواه والاسماع فلم تمض الامسافة الطريق حتى وردت الاخبار بفتح طرابلس في الساعة المذكورة وذلك الامر قد كشفه الله من ذهنه وحكى القاضي محب الدين بن عبد الظاهر ان الشيخ شرف الدين البوصيري رأى في منامه قبل مسير الاشرف خليل الى حصار عكا قائلا يقول

قد أخذ المسلمون عكا * وأشبعوا الكافرين صكا

وساق سلطاننا اليهم * خيلا تدك الجبال دكا

وأقسم الترك منذ سارت * لايتركوا للفرنج ملكا

فاخبر بذلك جماعة شهدوا بصحة ذلك فسافر الاشرف في أثناء ذلك ففتحها وفيه يقول القاضي محب الدين المذكور

يابني الاصفر قد حل بكم * نقمة الله التي لاتنفصل

نزل الاشرف في ساحتكم * فابشروا منه بصفع متصل

فاقام الاشرف خليل ثلاث سنين وشهرين وقتله مملوكه الامير سيف الدين بندار بالبحيرة في ثالث عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة ونقل الى تربته التي أنشأها بجوار مشهد السيدة نفيسة (ثم تولى الملك الناصر محمد بن قلاوون) وعمره تسع سنين وخلع في المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة *(ثم تولى الملك العادل كتبغا المنصوري)* واستقر لاجين نائبا فاقام سنتين وهرب الى الشام في المحرم سنة ست وتسعين وستمائة والله تعالى اعلم (ثم تولى الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري) الذي كان نائبا

وخنقه ودفن بمدرسته البيبرسية بالدرب الاصفر داخل باب النصر واستمر الملك الناصر في السلطنة وتمكن منها وعمر مساجد ومدارس وفي أيامه انقطعت الخطبة باسم العباسيين والدعاء لهم على المنابر واكتفي باسم السلطان وكانت وفاته يوم الاربعاء تاسع عشر ذي الحجة سنة احدى وأربعين وسبعمائة ودفن عند والده بالقبة وكانت مدته الاخيرة اثنين وثلاثين عاما وسبعة أشهر ونصفا فصارت جملة ولايته أربعا وأربعين سنة وخمسة عشر يوما لم يبلغ هذه المدة أحد من سلاطين مصر (وولي بعده ولده الملك المنصور أبو بكر) وكان سيء السيرة فخلع وقتل سنة اثنتين وأربعين وكانت مدة ولايته شهرين وأياما (فولي بعده أخوه

فأقام سنتين وسبعة وأربعين يوما وقتل فى القلعة حادى عشر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وستمائة ودفن بالقرافة ثم عاد الملك الناصر محمد بن قلاوون ثانيا بعد ان تعطلت السلطنة أحدا وأربعين يوما الى أن حضر الى القلعة فى سادس جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وستمائة فأقام عشر سنين ثم عزم على الحج فى شهر رمضان سنة ثمان وسبعمائة وعرج على الكرك وأرسل يخبر الامراء أنه أقام بها ورجع عن السلطنة لما قصرت يده فى مملكته بوجود سلار وبيبرس وكان ذلك تدبيرا منه وذلك فى شوال سنة ثمان وسبعمائة والله تعالى أعلم *(ثم تولى المظفر بيبرس جاشنكير المنصورى) استدار الناصر محمد بن قلاوون ويعرف بالعثمانى فأقام أحد عشر شهرا وخلع نفسه وهرب الى الصعيد وهو الذى بنى البيبرسية بالدرب الاصفر ودفن بها وجدد جامع الحاكم بعد الزلزلة ومات فى سادس رمضان سنة ست عشرة وسبعمائة ووجد بعد موته ختمة شريفة مكتوبة بالذهب فى سبعة أجزاء فى قطع البغدادى كتبها له شرف الدين بن الوحيد بقلم الشعر وأخذ لها ليقة ذهب بألف وسبعمائة دينار وأنفق عليها جملة أموال والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب ثم عاد الملك الناصر محمد بن قلاوون ثالثا وجاء من الكرك قال الشاعر

الملك الناصر قد أقبلت * دولته تشرق كالشمس
عاد الى كرسيه مثل ما * عاد سليمان الى الكرسى

وان الملك الناصر عمر فى زمنه الجامع المعروف بالجديد بمصر القديمة بجوار الجراة وعمر جامعا بالقلعة وعمر المدرسة التى بين القصرين وسافر بالحج سنة تسع عشرة وسبعمائة وسافر أيضا بالحج سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وحفر الخليج الناصرى المتصل الى سرياقوس وعمر عليه القناطر وعمر قناطر الجيزة وله عمارات كثيرة من ميادين وقصور وغير ذلك (قيل) انه رأى فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم فأمره ببناء خانقاه تجاه سرياقوس وقال له هناك علامة بالرمل تهتدى بها فبادر فورا الى المحل المذكور فوجد العلامة فبنى هناك خانقاه وجعل بها خلاوى للمتزوجين وخلاوى للعزاب وحمامين وبينهما بيمارستان ومدرسة عظيمة ووضع بها أربع عشرة ربعة ومن جملتها ربعة مكتوبة بالذهب المموه كتابة بالقلم المحقق بالتحرير والاتقان وكل حرف مشعر بالسواد الرقيق الذى لاقطع به ولا وصل وفاتحة كل سورة من ليقة مجدولة بالذهب وبآخر كل جزء كتبه وجدوله وذهبه وجلده محمد بن محمد الهمدانى وهى من مفردات الدهر واجزاؤها ثلاثون جزأ ذكران مصرف كل جزء مائتا دينار والناس يأتون من الاقطار ويتفرجون عليها وقد شاهدتها مرارا وان الناس عمروا بجوار الخانقاه المذكور جوامع ومساجد وأسواقا وبيوتا وغير ذلك حتى صارت مدينة من مدائن مصر المشهورة وهى عامرة الى الآن ومما اتفق فى أيام الملك الناصر المشار اليه ان مغربيا كان جالسا بباب القلعة عند سلار فحضر بعض كتاب النصارى بعمامة بيضاء فقام له المغربى وتوهم انه مسلم ثم ظهر انه نصرانى فدخل على الملك الناصر وفاوضه فى تغيير زى أهل الذمة ليمتاز المسلمون منهم فأمر أن تلبس النصارى الازرق واليهود الاصفر والسامرة الاحمر ليقل اذاهم ويعرف المجرمون بسيماهم ومات الملك الناصر يوم الاربعاء سابع عشر ذى الحجة سنة احدى وأربعين وسبعمائة ودفن مع والده بالقبة المنصورية فكانت مدة ولايته فى الثلاث مرات أربعا وأربعين سنة وخمسة عشر يوما خارجا عما بين ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الملك المنصور أبو بكر) وهو أول أولاد الناصر محمد بن قلاوون فأقام شهرين وأياما وخلع سنة اثنتين وأربعين وستمائة وقتل بقوص والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب (ثم تولى الاشرف علي كوجك بن الناصر محمد) وعمره ست سنوات فأقام ثلاثة شهور والامر فى دولته ودولة أخيه لقوصون وبشبك والله أعلم وتوفى بقوص (ثم تولى الملك الناصر أحمد بن الناصر محمد) وكان مقيما بالكرك فحضر الى مصر فى عاشر شوال سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة فأقام ثلاثة شهور وخلع نفسه فى تاسع عشر المحرم سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة والله أعلم (ثم تولى الملك الصالح اسمعيل بن الناصر محمد) فأقام ثلاث سنين وشهرين وخمسة عشر يوما الى

السلطان) كجك وعمره ست سنين فأقام ثمانية أشهر والامر فى دولته الى قوصون وبشبك فخلعوه وتوفى بقوص بعد أربع سنين (وولى بعده أخوه أحمد) فأقام أربعين يوما ثم خلع وقتل سنة خمس وأربعين وسبعمائة (وولى الملك الصالح عماد الدين اسمعيل أخوه) فأقام ثلاث سنين وشهرين وخمسة عشر يوما وتوفى سنة ست وأربعين وسبعمائة وعمره نحو العشرين سنة وهو الذى وقف قريتين لكسوة الكعبة بيسوس وسندبيس (وولى بعده أخوه الاشرف شعبان) فأقام سنة وشهرا وسبعة عشر يوما وقتل (وولى بعده السلطان حاجى أخوه) فأقام سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام ثم خلع وقتل وكان سيئ السيرة (وولى بعده أخوه السلطان حسن

انه توفى فى رابع ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة والله أعلم (ثم تولى الملك الناصر شعبان ابن الناصر محمد) فى ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة وفيه يقول جمال ابن نباتة

طلعة سلطاننا بدت ❊ بطالع السعد فى طلوع

فاعجب لها كيف أبدت ❊ هلال شعبان فى ربيع

فاتفق انه كان للسلطان شعبان أخ يدعى أمير حاج وكان محبوسا فعمل لأخيه طعاما يأكله فى الحبس وعمل للسلطان طعاما يأكله على تخت الملك فقدر الله سبحانه وتعالى أن خلع السلطان شعبان وحبس مكان أخيه أمير حاج وجلس أمير حاج على تخت الملك فالمتولى أكل طعام المعزول والمعزول أكل طعام المتولى فمدة تصرف السلطان شعبان سنة وسبعة عشر يوما والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى السلطان أمير حاج) ولقب بالمظفر فأقام سنة واحدة وثلاثة أشهر وعشرة أيام وأمسك ومات فى ثانى عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الملك الناصر أخو أمير حاج) فأقام ثلاث سنين وتسعة شهور وعشرة أيام وخلع فى ثالث عشرى جمادى الاولى سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الملك الصالح صلاح الدين) أخو الناصر حسن فأقام ثلاث سنين وثلاثة أشهر وأمسك فى شهر شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة والله أعلم ثم عاد السلطان حسن ثانيا وجلس على تخت السلطنة الشريفة وتمكن وتصرف وبنى مدرسته التى بالرميلة بمصر وهى من أحسن المدارس بحكمة البناء ليس لها نظير وقد سمعت من بعض الافاضل ان السلطان حسنا لما تم بناء مدرسته المذكورة رتب لها وظائف لاقامة الشعائر الاسلامية ووقع الاتفاق ان السلطان حسنا يجلس بالمدرسة يفرق وظائفها المستحقيها بحضرته وحصل التنبيه على يوم معلوم لمجىء السلطان حسن صبيحة اليوم المذكور بعد ان فرشت المدرسة بالفرش الفاخرة وجلس السلطان بالمدرسة وجلس من له عادة بالجلوس وكان بازاء السلطان حسن فرجة وبجوارها وسادة متكئ عليها السلطان حسن فاتفق ان الشيخ الامام العلامة الهمام قوام الدين الاتقانى العجمى صاحب الاتقان فى فقه الحنفية والنهاية شرح الهداية وغير ذلك من التصانيف وكان فى زمانه أوحد الدهر باتفاق وشيخ الحنفية على العموم والاطلاق وكان حالة قدومه الى مصر صورة قرندلى وعلى رأسه طرطور فبلغه هذه الجمعية فبادر الى المدرسة ودخلها فرأى السلطان فى هذا المحفل العظيم فمازال يتخطى الرقاب الى أن جلس فى تلك الفرجة فنظر اليه السلطان حسن شزرا وقال له ما الفرق بينك وبين الحمار قال هذه الوسادة فهابه السلطان وأمر من حضر من العلماء والافاضل أن يمتحنوه فى علوم شتى فاجاد وأفاد وأخرست الالسن وفتحت الآذان لما أبداه من العلوم فاعجب به السلطان حسن وأنعم عليه بالمشيخة بمدرسته وتوجه السلطان حسن الى تخت ملكه وأمر أن يركبوا الشيخ قوام الدين المذكور على مركوب السلطان حسن بسرجه وعدته فركب ومشى امامه أكابر الدولة من جملتهم الامير صرغتمش الى أن طلع الديوان فتعجب بعض من حضر من ذلك الموكب فقال الشيخ قوام الدين لا تعجبوا فى ذلك فقد مشى تحت ركابى سبع سلاطين من سلاطين العجم فسبحان المنعم على عبيده ولقد أحسن من قال فى المعنى

العلم يرفع بيتا لا عماد له ❊ والجهل يخفض بيت العز والكرم

وفى أيام السلطان حسن بنى شيخون جامعه وخانقاه وبنى صرغتمش مدرسته وقرر الشيخ قوام الدين فى تدريسها وكانت مدة تصرف السلطان حسن فى الولايتين عشر سنين وأربعة أشهر ثم أمسك وقتل عند مملوكه يلبغا فى شهر جمادى الاولى سنة اثنتين وستين وسبعمائة والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الملك المنصور بن حاجى بن الناصر محمد بن قلاوون) فأقام سنتين وخمسة أشهر وخلع وأقام بالقلعة الى ان مات فى خامس شهر شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة والله سبحانه وتعالى اعلم (ثم تولى الملك الاشرف شعبان ابن السلطان حسن) وهو الذى بنى الاشرفية برأس السور تجاه القلعة وهدم غالبها

ابن محمد بن قلاوون) وعمره يومئذ احدى عشرة سنة فأقام ثلاث سنين وتسعة وخمسين يوما ثم خلع وحبس بالقلعة (وولى فى محله أخوه صالح) وهو الثامن ممن تسلطن من أولاد الملك الناصر محمد قلاوون وأقام ثلاث سنين وثلاثة أشهر ثم عاد السلطان حسن سنة خمس وخمسين وسبعمائة فأقام ست سنين وسبعة أشهر وأياما وجملة مدته عشر سنين وأربعة أشهر وأيام وفى أيامه بنى جامع الامير شيخون وخانقاه الامير صرغتمش ومدرسة السلطان حسن بالرميلة بناها فى ثلاث سنين وأرصد لمصروفها كل يوم نحو ألف مثقال ذهبا (ثم تولى من بعده ابن أخيه الملك المنصور محمد حاجى) فأقام سنتين وثلاثة أشهر وخلع سنة أربع وستين وحبس

بعده فأقام أربع عشرة سنة وشهرين ونصفا ثم خلع وقتل فى خامس ذى القعدة سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وتوفى زمنه فى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة كان ابتداء خروج تيمورلنك وكان أصله من ابناء الفلاحين ونشأ يسرق ويقطع الطريق الى ان انضم الى خدمة خيل السلطان ومازال يترقى الى ان وصل ما وصل (ثم تولى الملك المنصور على ابن الملك الاشرف) فأقام خمس سنين وأربعة أشهر وكان محجورا بالصغر سنه والكلام لبرقوق وتوفى الملك المنصور يوم الاحد ثالث عشرى صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة وفى زمنه فى سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة ورد كتاب من حلب يتضمن ان اماما قام يصلى فعبث به شخص فى صلاته فلم يقطع الامام الصلاة حتى فرغ فلما سلم انقلب وجه العابث وجه خنزير وهرب الى الغابة فتعجب الناس من ذلك وكتب بذلك محضر بواقعة الحال والله تعالى أعلم بالصواب (ثم تولى الملك المنصور حاجى بن الاشرف) فأقام سنة وستة أشهر وكان عمره ست سنين والامر فى ذلك لبرقوق ثم خلع فى ثانى عشر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة وقد انقضت دولة الاتراك كما انقضت دولة من قبلهم ولله البقاء وكان مدة تملكهم مائة واثنين سنة وسبعة شهور ولله در القائل

وصار واأحاديثا لمن جاء بعدهم * وكان بهم فى ملكهم يضرب المثل

(الباب الثامن فى دولة الجراكسة)

وهم طوائف سواذج ولهم سماحة وحماسة وصدقات وكانت أرزاق مصر بايديهم فكانت أهل مصر تتلاعب بهم فيما بيدهم من الارزاق وكانت خدامهم تبيع جميع ما يحصل من طعامهم للناس من لحم ودجاج ونفائس وغير ذلك وكان لهم سوق يباع فيه ما يفضل من أطعمتهم التى أخذتها خدامهم من أسمطتهم وكانوا يتفاخرون ببناء البيوت الفاخرة والمدارس والجوامع والترب وكان لهم خيرات وقد نظم بعضهم فيهم فقال

قوم اذا أقبلوا كانوا ملائكة * لطفا وان قوتلوا كانوا عفاريتا

الى أن فشا الظلم والعدوان وكثرت فيهم المصادرات وغلبت سيآتهم على حسناتهم ومالوا الى العوانية والمفسدين وأخلوا شعائر الدين فاستجاب الله فيهم دعاء المظلومين ومزقهم كل ممزق ودار الظالمين خراب ولو بعد حين وان الملك لله يؤتيه من يشاء والعاقبة للمتقين (أولهم السلطان الظاهر برقوق) وكان اسمه من قبل الطنبغا فسماه أستاذه يلبغا الكبير برقوق تسلطن يوم الاربعاء تاسع عشر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة فأقام ست سنين وعشرة أيام واختفى فى جمادى الآخرة سنة احدى وتسعين وسبعمائة ثم ظهر بالكرك وكان قد بدأ بعمارة مدرسته التى بين القصرين والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم عاد الملك المنصور حاجى بن الاشرف) فأقام سبعة شهور الى أن خلع نفسه من السلطنة عند مجىء برقوق من الكرك فدخل مصر والملك المنصور عن يمينه والخليفة عن يساره والله سبحانه وتعالى أعلم ثم جلس برقوق على تخت السلطنة الشريفة فاتم بناء مدرسته وهى من محاسن مدارس مصر قال الشاعر

قد أنشأ الظاهر السلطان مدرسة * فاقت على ارم مع سرعة العمل

يكفى الخليل بان جاءت لخدمته * صم الجبال بها تمشى على عجل

وبنى أيضا تربة بالصحراء وهى مسكونة معمورة الى الآن وكان مدة تصرفه ست عشرة سنة وأربعة أشهر وتوفى فى شوال سنة احدى وثمانمائة ودفن بتربته المذكورة وضبط ما خلفه برقوق فكان من الذهب ألفى ألف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار ومن القماش والخز والاثاث ما قيمته ألف ألف دينار ومن الخيول المسومة والبغال ستة آلاف ومن الجمال البخت خمسة آلاف وكان عليق دوابه فى كل شهر عشرة آلاف أردب والله أعلم (ثم تولى الملك الناصر أبو السعادات) فرج بن برقوق فأقام ست سنين وخمسة أشهر وعشرة أيام ثم اختفى بعد ذلك والله أعلم (ثم تولى الملك المنصور عبد العزيز بن برقوق) فأقام سبعة وأربعين يوما وظهر الملك أبو السعادات وأمسك أخاه وحبس بالاسكندرية وقتل

بالقاعة الى أن مات فى سنة احدى وثمانمائة (وولى بعده الاشرف شعبان ابن السلطان حسن) فأقام أربع عشرة سنة ثم قتل وهو الذى أحدث العمامة الخضراء للاشراف ومكث الى سنة خمس وسبعين وسبعمائة وكان احداث العمامة الخضراء سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وفى تلك السنة كان ابتداء خروج الطاغية تيمورلنك الذى خرب البلاد وأباد العباد (ثم تولى من بعده ولده على) فأقام أربع سنين وشهورا وكان محجورا بالصغر سنه والكلام لبرقوق وتوفى سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة (وولى بعده أخوه السلطان صقر خان حسين ابن السلطان حسن) فأقام سنة وستة أشهر وكان عمره ست سنين وكان أمره لبرقوق كأخيه ثم خلع سنة

بها ثالث عشر جمادى الاولى سنة ثمان وثمانمائة والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم عاد الملك الناصر أبو السعادات فرج) الى السلطنة فأقام ست سنين وتسعة أشهر وجملة ولايته أولا وثانيا ثلاث عشرة سنة وشهران وعشرة أيام و كان ما كان بينه وبين جنده فقتلوه شر قتلة بدمشق وألقى على مزبلة وهو عريان من اللباس يمر به الناس و ينظرون الى جسده وذلك من أعظم العبر وأ كبر المحن الى ان حن الله عليه بعض الناس بعد مدة أيام فحمله وغسله وأدرجه فى كفن وواراه فى التراب والرجاء من الكريم الوهاب أن يكون قد غفر له انه على كل شئ قدير (ثم تولى الملك العادل أبو الفضل العباسى بن المتوكل) فأقام ستة شهور وأياما وخلع فى مستهل شعبان وكان استناب المؤيد وشاركه فى الخطابة والامر للمؤيد والله أعلم (ثم تولى الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى) وحبس الخليفة بالقلعة الى أن أرسله الى الاسكندرية فى المحرم سنة تسع عشرة وثمانمائة ومعه أولاد الناصر فرج وهم محمد وفرج وخليل وكان المؤيد شيخ بنى مدرسته الموجودة الآن فبدأ فى عمارتها سنة سبع عشرة وكملت فى سنة عشرين وليس بمصر من مدارس السلاطين أحسن منها ولا أ كلف ولا أبهى منظرا قيل ان سلطة بنائها أمر المهندسين ان يعملوا بابها مثل باب مدرسة السلطان حسن فبنى كما أمر ولما تم بناؤها أشار واعليه انه لا يصلح لباب مدرسته الا الباب المركب على مدرسة السلطان حسن فقلعه وركبه على بابها وجعل لوقف السلطان حسن فى نظير الباب قرية بالقليوبية تسمى قهافة كان ذلك سببا لنموّ وقف السلطان حسن وادرر يعها اجزل منفعة وهى مستمرة الى الآن ذكر القطبى فى اعلامه انه فى سنة خمس عشرة وثمانمائة زمن السلطان المؤيد ان شخصا بمكة المشرفة يدعى بالقارونى كان له جمل حمله فوق الطاقة فهرب الجمل من صاحبه ودخل البيت ولم يزل يطوف بالبيت والناس حوله يريدون امساكه فيعضهم ولم يقدر أحد ان يمسكه الى أن أتم ثلاثة أسابيع ثم جاء الى الحجر الاسود فقبله ثم توجه الى مقام الحنفية و رزف تحت الميزاب الشريف فبرك عنده وبكى وألقى نفسه على الارض ومات فحمله الناس الى ما بين الصفا والمروة ودفنوه هنالك ومما يحكى ان السلطان سليما فاتح مصر لما كان بمصر دخل مدرسة السلطان حسن فقال هذا احصار عظيم ودخل مدرسة المؤيد فقال هذه عمارة الملوك ودخل مدرسة الغورى فقال هذه قاعة تاجر وكان مدة السلطان المؤيد ثمان سنين وخمسة شهور وتوفى يوم الثلاثاء ثامن محرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة والله تعالى أعلم (ثم تولى الملك المظفر أبو السعادات بن المؤيد) وعمره ست سنين وتسلطن يوم الخميس تاسع محرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة فكانت مدته سبعة أشهر وعشرين يوما والامر لططر فأقام سبعة شهور وأياما قلائل ثم خلع بعد ذلك والله تعالى أعلم *(ثم تولى الملك الظاهر أبو الفتح ططر) فى تاسع عشرى شعبان سنة أربع وعشرين وثمانمائة فأقام ثلاثة وتسعين يوما وتوفى فى خامس عشر ذى الحجة سنة تاريخه والله تعالى أعلم (ثم تولى الملك الصالح محمد بن الظاهر ططر) فأقام أربعة شهور ويومين وخلع تاسع ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة وأقام بقلعة مصر مكرما فى أحسن عيش الى أن مات بالطاعون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة فى دولة الاشرف برسباى (ثم تولى الملك الاشرف أبو النصر برسباى) التركمانى يوم الاربعاء ثامن ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة وكان سلطانا مهيبا ذا شهامة وتدبير وفتح قبرس سنة تسع وعشرين وثمانمائة وأحضر ملكها أسيرا ذليلا حقيرا حتى وقف بين يديه بخضوع وانكسار فمن عليه وأعاده الى مملكته بمن اختاره من أتباعه وجعل عليه جزية فى كل سنة يرسلها حتى عن مانه لما سافر سفرته المشهورة الى آمد سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة نزل بالخانقاه السرياقوسية بمكان خال من البناء فنذر لله تعالى نذرا تبررا وتقربا ان أحياه الله تعالى وظفره بعدوه ورجع سالما ليعمرن فى هذا المكان سبيلا ومدرسة فلما توجه الى آمد ظفره الله بعدوه فقتل ملكها واستأصل أمواله وأحضر خوذته وعلقها بسلسلة فى دهليز مدرسته التى أنشأها بمصر برأس الوراقين والخوذة باقية مرئية الى الآن مشاهدة وان الاشرف أوفى نذره وعمر بخانقاه سرياقوس بالموضع الذى كان نزل به عند ذهابه الى آمد جامعا عظيما مفروشة

أربع وثمانين وسبعمائة بانقرضت بموته دولة الاتراك ومن الغرائب انه تولى من ذرية الملك الناصر اثنا عشر سلطانا لم تبلغ مدتهم مدة الناصر انه أقام أربعا وأربعين سنة ونصف شهر كامل ومدة هؤلاء ثلاثة وأربعون سنة ومدة ولاية الاتراك مائة سنة وثلاثون سنة وسبعة أشهر ثم جاءت دولة الجراكسة قال بعضهم لهم سماحة وحماسة وصدقات وكانت أرزاق مصر بايديهم وكانت أهل مصر تتلاعب فيما بايديهم من الارزاق وخدمهم تبيع ما يتحصل من طعامهم للناس من لحم ونفائس وغير ذلك وكان لهم سوق تبيع فيه خدمهم ما يتحصل من أطعمتهم التى يأخذونها من اسمطتهم وكانوا يتفاخرون ببناء البيوت

أوضع بالرخام الملون بجوار سبيل وقيل ان بمحراب الجامع المذكور تسع شعرات من شعر النبي صلى الله عليه وسلم وفي معنى ذلك قال الشاعر

الاشرف السلطان عمر جامعا * بالخانقاه لسيرغتمش بشوابه
وأتى بآثار النبي محمد * شعراته قد قيل في محرابه
وامامه بين البرية محسن * وكذا القضاة مع الشهود ببابه

وان الاشرف عمر أيضا تربة خارج باب النصر بجوار تربة الظاهر برقوق (ومما يحكى) عنه ان شخصا مؤذنا كان قاطنا بمدرسته التي برأس الوراقين وكان مولعا بشرب الخمر ويؤذن ويسبح وهو سكران فبينما هو ذات ليلة قبيل الفجر وهو نائم مخمور اذ رأى رجلا جليل المقدار ذا هيبة ووقار وخلفه ثلاثة أنفار غلاظ شداد ومع أحدهم فلكة وكرابيج فقال للمؤذن ما السبب الداعي في جراءتك على شرب الخمر في هذه المدرسة فقال له المؤذن من تكون أنت فقال أنا السلطان برسباي منشئ هذه المدرسة ثم قال لاتباعه اطرحوه فطرحوه ووضعوا الفلكة في رجليه وأمر بضربه فضرب ضربا شديدا الى أن غاب عن وجوده فلما أفاق لم ير أحدا ووجد ألم الضرب برجليه وأراد الانتصاب فوجد نفسه مقعدا ثم انه تاب الى الله تعالى عن شرب الخمر واستمر وهو مقعد الى ان مات وتوفي السلطان برسباي في يوم السبت ثالث عشر الحجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة وكانت مدة تصرفه ست عشرة سنة وثمانية شهور وخمسة أيام والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الملك العزيز يوسف بن برسباي) فأقام ثلاثة شهور وستة أيام وخلع في سادس عشر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة وأقام أياما وجهز الى الاسكندرية ومات في أيام خشقدم والله تعالى أعلم (ثم تولى الملك الظاهر أبو سعيد جقمق العلائي اينال) وعمر في أيامه عمارات كثيرة من مساجد وجوامع وقناطر وجسور وغير ذلك وكان مغرما بحب الايتام والاحسان اليهم ولغيرهم (ومما يحكى) عنه أنه كان مقيدا بخدمة العارف بالله تعالى الشيخ شمس الدين محمد الحنفي عمت بركاته وكانت خدمته عند محل مطهرة زاوية الشيخ فخرج الشيخ من خلوته ذات يوم فوجد جقمق بلا عمامة على رأسه وكان الشيخ في ساعة تجل فقال له أين عمامتك يا جقمق قال سقطت في البئر يا سيدي فتبسم الشيخ محمد الحنفي وقال له أما يكفيك يا جقمق في عمامتك سلطنة مصر فقبل أقدام الشيخ على هذه البشارة ولم يزل جقمق يترقى في المناصب الى ان ولي سلطنة مصر فأقام في السلطنة أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وتوفي ليلة الثلاثاء ثالث صفر الخير سنة سبع وخمسين وثمانمائة بعد ان فوض أمر السلطنة لولده في ابتداء توعكه ودفن بتربة الامير قايتباي أمير خور والله أعلم (ثم تولى الملك المنصور أبو السعادات عثمان بن جقمق) فأقام أربعين يوما وخلع يوم الاثنين مستهل ربيع الاول سنة سبع وخمسين وثمانمائة وجهز الى الاسكندرية والله تعالى أعلم (ثم تولى الملك الاشرف أبو النصر اينال العلائي الناصري) في يوم الاثنين تاسع ربيع الاول سنة سبع وخمسين وثمانمائة وكان قليل السماع في الناس فأقام ثمان سنين وشهرين وستة أيام وتوفي يوم الجمعة خامس عشر جمادى الاولى سنة خمس وستين وثمانمائة بعد ان فوض الامر لولده بيوم ودفن بتربته التي أنشأها بالصحراء (ثم تولى أبو الفتح أحمد بن المؤيد) فأقام أربعة أشهر وأربعة أيام الى ان خلع يوم الاحد تاسع عشر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة (ثم تولى الملك الظاهر أبو سعيد خشقدم الناصري) ثم المؤيدي وهو السلطان الاول من الاروام بمصر ان لم يكن المعز ايبك التركماني ولاجين من الاروام فأقام ست سنين وخمسة شهور واثنين وعشرين يوما وتوفي يوم السبت عاشر ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة ودفن بالتربة التي أنشأها بالصحراء (ثم تولى الملك الظاهر أبو سعيد بلباي العلائي) ثم المؤيدي يوم وفاة السلطان خشقدم فأقام سبعة وخمسين يوما وخلع يوم السبت عاشر جمادى الاولى وجهز الى الاسكندرية فأقام بها الى أن مات رحمه الله تعالى (ثم تولى الملك الظاهر تمربغا الظاهري) يوم خلع بلباي فأقام ثمانية وخمسين يوما وخلع يوم الاثنين سادس رجب سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة

القاهرة والمدارس والجوامع والترب وكان لهم خيرات ومبرات ولهم بشاشة ولطف وشجاعة الى أن فشا فيهم الظلم والعدوان وكثرت فيهم المصادرات وغلبت سيآتهم على حسناتهم ومالوا الى العوانية والمفسدين وأخلوا بشعائر الدين فاستجاب الله فيهم دعاء المظلومين ومزقهم كل ممزق ولم يزل ذلك في مماليكهم الى الآن وأولهم السلطان برقوق وكان اسمه من قبل الطنبغا فسماه أستاذه يلبغا الكبير برقوق وكان أبوه ملكا ولقب بالظاهر باشارة السراج البلقيني تولى سنة أربع وثمانين وسبعمائة فأقام ست سنين وثمانية أشهر وستة وعشرين يوما واختفى في جمادى الآخرة سنة احدى وتسعين وسبعمائة ثم ظهر بالكرك وكان

وجاز الى دمياط وخرج لاهل لم يباغ سنه قاصدا الى الاسكندرية ليسكن بها الى أى مكان شاء فسكن بها الى ان مات رحمه الله تعالى (ثم تولى الملك الاشرف قايتباى المحمودى) فى سادس رجب سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة قيل انه حصلت له البشارة بالسلطنة من عدة من أولياء الله الصالحين قبل ان يليها وكان محبا للخير معتقدا للصالحين *(حكى)* عنه أنه لما جلبه الخواجا محمود الى مصر وكان معه رفيقه أحمد المماليك الذى جلب معه فتحدث تابع الجمال الذى هو قائد الجمل الذى هو حاملهما فى ليلة مقمرة من شهر رمضان فقال والعمل هذه الليلة النيرة ليلة القدر ولعل الدعاء فيها مستجاب فليدع كل منا بما يحبه فاما قايتباى فقال أنا أطلب سلطنة مصر من الله تعالى وقال الثانى وأنا أطلب أن أكون أميرا كبيرا والتفتا الى الجمال وقالا له أى شئ تطلب أنت فقال أطلب من الله حسن الخاتمة فصار قايتباى سلطانا وصار صاحبه أميرا كبيرا فكانا اذا اجتمعا يقولان فاز الجمال من بيننا وللسلطان قايتباى محاسن لا تحصى من خيرات وعمارات ومساجد ورباطات ومدارس وأسبلة وغير ذلك منها انه أمر ببناء مسجد الخيف فبنى بناء محكما وبوسطه قبة عظيمة وبالمسجد خوخة صغيرة يتوصل منها الى الجبل الذى فى سطح غار المرسلات وهو الموضع الذى نزل فيه سورة المرسلات على النبى صلى الله عليه وسلم * وفى سنة اثنتين وعشرين وألف حج مؤلف هذا الكتاب ودخل الغار المذكور وشاهد به نقرة بحيث يبقى على رأس الجالس فيه ذكر ان النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار وجلس فيه وكان الجالس لا يستطيع أن يرفع رأسه فلما رفع النبى صلى الله عليه وسلم رأسه الشريف لان الحجر وارتفع فالناس يضعون رؤسهم فى تلك النقرة تبركا ومما شاهده المؤلف المرقوم فى الحجة المذكورة من الامر المهول أن الامير قايتباى أمير الحاج الشريف دخل بالحاج المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام يوم الاثنين والغالب ان الحجاج يصلون الجمعة عند النبى صلى الله عليه وسلم والعادة أنهم لا يزيدون فى المقام بالمدينة زيادة عن ثلاثة أيام فاراد أمير الحاج الرحيل بالحجاج يوم الخميس فابرم عليه جماعة من أكابر الدولة بصلاة الجمعة فى الحرم النبوى فوافق على ذلك وكان حصل من عرب العنزة عند قدوم الحاج بجبل مفرح مطاردة وضرر للحجاج فخاف أمير الحاج على الحجاج فى التقدم قبله من غير حرس يقدمهم من العسكر المنصورى فنادى أن لا أحد من الحجاج يتقدم بالسير قبل صلاة الجمعة ولا يتأخر بعدها فلما قضيت الصلاة وأراد الانصراف من صلى الجمعة بالحرم الشريف من الحجاج لاجل التأهب للمسير حصل ازدحام فى باب السلام والرحمة فقتل فى تلك الساعة بالبابين خلق كثير والذى ضبطه شهود الحمل من القتلى ما يزيد على سبعين نفرا خارجا عن المكسورين ومن هو الى الموت أقرب وتركوا بحالهم الى أن عفى الله عليهم من يواريهم فى التراب وهذه مصيبة عظيمة ومن أثر عمارة السلطان قايتباى مسجد نمرة الذى بجبل عرفات ومن آثاره أيضا أنه أمر تاجره الخواجا شمس الدين بن الزمن أن يبنى مدرسة ملاصقة للحرم المكى فبنى له مدرسة وأحكم بناءها بالرخام الملون والسقف المذهب وبها شبابيك مطلة على الحرم الشريف وهى على يسار الداخل من باب السلام وقرر بها خدمة وطلبة علم للمذاهب الاربعة وهى باقية عامرة لم يحصل بها خلل فى أوضاعها ولا بنائها وينزل بها أمير الحاج المصرى ومما وقع فى زمن السلطان قايتباى من الامر المهول والحادث العظيم حريق المسجد الشريف النبوى على ساكنه أفضل الصلاة والسلام وذلك فى ثالث عشر رمضان سنة ست وثمانين وثمانمائة فارسل أمير المدينة قاصدا الى مصر لاجل عرض ذلك على السلطان قايتباى فتهول لتلك الحادثة العظيمة وتوجه الى عمارة المسجد الشريف وعرف نعمة الله تعالى عليه بتأهيله لهذا الشرف العظيم فارسل نحوا من ثلثمائة من أرباب الصنائع وكثيرا من البغال والحمير وسائر مؤنتهم ومبلغا نحو مائة ألف دينار أو أكثر وجهز المؤن الكثيرة حتى امتلأت البنادر من الخيرات وأمر بعمارة المسجد الحرام وان تبنى له مدرسة ملاصقة للحرم الشريف ولما تمت العمارة أرسل الى المدينة المنورة خزانة كتب وجعل مقرها بالمدرسة وأرسل عدة

قد بدأ فى عمارة مدرسته التى بين القصرين ثم عاد من الكرك وأتم بناءها وهى من أحسن مدارس مصر وبنى أيضا تربته بالصحراء وهى مسكونة مشهورة الى الآن فكانت مدة تصرفه فى المرة الثانية تسع سنين وثمانية أشهر وتوفى سنة احدى وثمانمائة ودفن بتربته المذكورة (وولى من بعده ولده السلطان الناصر فرج بن برقوق) فاقام ست سنوات واختفى (وولى بعده أخوه عبد العزيز) سنة ثمان وثمانمائة وأقام عاما واحدا ثم عاد الناصر فرج ثانيا وأقام الى أن قتل وامتهن فى قتله سنة خمس عشرة وثمانمائة وكان أفرس ملوك الترك بعد الاشرف خليل تجهز سبع مرات للخروج الى الشام وتمهيدها وقهر متغلبيها كالمؤيد شيخ وغيره وفى

مصاحف ووقف عدة قرى بمصر تحمل غلالها الى جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم والمدرسة باقية الى الآن فى غاية الانتظام وهى على يسار الداخل الى الحرم الشريف النبوى وينزل بها أمير الحاج الشريف المصرى قال بعض الشعراء

لم يحترق حرم النبى لريبة * تخشى عليه ولا هناك عار
لكنما أيدى الروافض لامست * ذاك الضريح فطهرته النار

وبالسلطان قايتباى حجة عظيمة * وعن الملوك فلا تسل * وكان واسطة عقد ملوك الجراكسة وأكثرهم ميلا الى قلوب الرعية وأكملهم عقلا وعاشت الرعية فى أيامه عيشا رغيدا الى ان غدر به الزمن الجائر واستيقظت له عيون الليالى الغوافل فقدم على ماقدم من عمله وترك ما جمعه من متاع الدنيا وراء ظهره وأدرج فى أكفان عمله بعدما غسل بدموع فقره وأنزل من سريره الى قبره وكان انتقاله الى رحمة الله تعالى فى آخر يوم الاحد لثلاث بقين من شهر ذى القعدة سنة احدى وتسعمائة وصلى عليه يوم الاثنين ودفن بتربته التى أنشأها بالصحراء فى حال حياته وهى فى غاية الحسن وبها مساكن للفقراء وأرباب الوظائف ولها أوقاف جارية وهى مسكونة معمورة الى الآن ليس بالصحراء أعمر منها وكانت مدة سلطنته تسعا وعشرين سنة وأربعة أشهر ولم يملك أحد من الجراكسة قدر مدته وقيل انه تقلب قبل موته والله أعلم (ثم ولى الملك الناصر أبو السعادات ابن السلطان قايتباى) وكان شابا يغلب عليه السفه والجنون وما كانت له التفات الى ملك ولا الى سلطنة بل كان يغلب عليه اللهو وكان والده فى حال حياته يود أن لا يتولى السلطنة * ويأبى الله الا ما أرادا * حكى عنه أمور شنيعة قيل ان والدته كانت من أعقل النساء وأجلهن فهيأت له جارية وجعلتها له فى بيت خال من غير أحد ثم انها دخل بها وقفل الباب على نفسه وعليها وربطها من رجليها ويديها وصار يسلخ جلدها كالجلادين وهى حية فلما سمعوا صراخها أرادوا الهجوم عليه فلم يمكنهم لانه قفل الباب وأحكم قفله من داخل واستمر كذلك الى أن سلخها وحشى جلدها بالثياب وخرج ولم يرا استفادته فى السلخ وان الجلادين يعجزون عن صنعته واستمر فى أفعاله الشنيعة الى ان قتل فى بر الجيزة وجاؤا به مقتولا الى القاهرة ودفنوه فى تربة أبيه فى سنة أربع وتسعمائة فكانت مدة سلطنته ثلاث سنوات والله سبحانه وتعالى أعلم *(ثم تولى الظاهر أبو النصر قانصوه وهو خال الناصر بن قايتباى)* وكان ساذجا أميا لا يعرف الا لسان الجركس قريب العهد ببلاده لان السلطان قايتباى جلبه من بلاده وهو كبير وصار يرقيه بواسطة وجته خوند أم الناصر لانه أخوها وهى التى أقامته مقام ولدها وبذلت له الاموال وأرادت أن تقوى به * وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر * فخلعوه بعدان سلطنته سنة وسبعة أشهر وأخرجوه من الملك فى أواخر سنة خمس وتسعمائة والله تعالى أعلم *(ثم تولى جانبلاط أمير كبير ولقبوه بالملك الاشرف جانبلاط)* فى أوائل سنة ست وتسعمائة ولم يتهنا بالملك وما وافقه عليه أحد وخلع نفسه بعد مدة ستة أشهر والله تعالى أعلم *(ثم تولى الملك العادل طومان باى)* فلم يستكمل يوما واحدا بل هجم عليه العسكر وقتلوه ظلما فلم يقدر أحد على السلطنة واتفقوا على أن يولوا قانصوه الغورى لانهم رأوه ليس العريكة سهل الازالة أى وقت أرادوا عزله عزلوه لانه كان أقلهم مالا وأضعفهم حالا وأوهنهم قوة فقال لا أقبل الا بشرط أن لا تقتلونى اذا أردتم خلعى من السلطنة فاخبرونى وأنا أوافقكم وأنزل لكم عن الملك فعاهدوه على ذلك فقبل منهم والله سبحانه وتعالى أعلم *(ثم تولى قانصوه الغورى ولقبوه بالملك الاشرف)* وذلك فى سنة سبع وتسعمائة وفرح العسكر بولايته وكان قانصوه كثير الدهاء ذا فطنة ورأى الا انه كان شديد الطمع كثير الظلم محبا للعمارة ولما سكنت الفتنة بهذا التدبير الذى ذكره المؤلف قبل ولايته فاستقلوا عنه وأهملوا أمره فصار يلقى الفتنة بينهم ويأخذ هذا بهذا ويدس لهم السم فى الطعام ونحوه حتى أفنى كبراءهم ودهاءهم الا قليلا منهم ثم اتخذ مماليك لنفسه مجلبا وأعدهم جندا فصاروا يظلمون الناس

أيامه وصل تيمورلنك البلاد الشامية فسفك دماء المسلمين وسبى ذراريهم وأسر أمير الشام وقتله فخرج الناصر لقتاله فوجده قد ترك البلاد وتوجه للروم فرجع الناصر الى مصر وكثرت الفتن (وولى بعده السلطان الملك المؤيد) أبو النصر شيخ المحمودى مملوك الظاهر برقوق فاقام ثمان سنين وخمسة أشهر وتوفى سنة أربع وعشرين وثمانمائة وخرج الى الشام مرتين ومهدها ثم خرج الى بلاد العثمانى وافتتح قلاعا كثيرة وكان شجاعا مقداما عارفا بانواع الفروسية وعسكرا الحروب معظما للشرع محبا للفقهاء والعلماء وبنى مدرسته المعروفة بباب زويلة بدأ فيها سنة سبع عشرة وكملت فى سنة عشرين وثمانمائة (وولى بعده ولده

وأظهروا الفساد وأهلكوا العباد وهو يتغافل عنهم وصار هو يصادر الناس ويأخذ أموالهم بالقهر والباس وكثرت العوانية في زمنه لكثرة ما يصغي اليهم وصاروا اذا رأوا انسانا كثير المال وشوا به الى السلطان فيرسل اليه الاعوان ويأخذ أمواله ويسلمه الى من يعاقبه حتى يأخذ ما أعطاه من دنياه الى أن يصير فقيرا بعد غناه وجمع من هذا الباب أموالا عظيمة ذهبت في آخر الامر سدى وتفرقت بيد العدا وهكذا كل مال يؤخذ على هذا الاسلوب ويجمع على هذا الطريق المذكور وأما الميراث فبطل في زمانه ولما اشتد ظلمه وطمعه استغاث الناس فيه الى الواحد القهار وتضرعوا فيه آناء الليل وأطراف النهار فاستجاب الله دعاء المظلومين فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (حكي) عن شخص مجاب الدعوة من أولياء الله الصالحين انه رأى جنديا من الجند أخذ متاعا من دلال ولم يرضه في قيمته فتبعه الدلال يطالب حقه وهو ممتنع فقال الدلال بيني وبينك شرع الله فضربه بدبوس فشج رأسه وسقط على الارض مغشيا عليه فرفع يده الى السماء ودعا على الجندي المذكور وعلى سلطانه فصادفت ساعة اجابة فقام الرجل فرأى فيما يرى النائم ان ملائكة نزلت من السماء وبأيديهم مكانس وهم يكنسون الجراكسة فاستيقظ واذا بقارئ يقرأ قوله تعالى فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين فعلم ان الله يأخذهم أخذا وبيلا ولم يمض الا قليل حتى برز الغوري بجنوده وأمواله وخزائنه لقتال السلطان سليم خان الى حلب فلما التقى الجمعان انكسرت عساكره وفقد هو وتحت سنابك الخيل في مرج دابق وهرب بقية الجراكسة الى مصر وسير وا طومان باي الدويدار أخا الغوري سلطانا وأزال السلطان سليم في أثر الجراكسة يفتح البلاد ويضبطها الى أن وصل الريدانية فخرج طومان باي ومن معه لقتال السلطان سليم فلم يثبت هو ومن معه الا ساعة واحدة وانكسروا وهرب وا وهرب طومان باي وأمسك وجيء به الى السلطان سليم فأمر بصلبه في باب زويلة فصلب لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة تسع وتسعمائة وكان الناس يزعمون أنه اختفى حتى يجد فرصة ويعود فلما صلب سكنت الفتنة ✻ وللسلطان الغوري مآثر من عمارات وخيرات وغير ذلك منها عمارة مدرسته التي برأس ٢ الشوايين وكان الفراغ من بنائها في ربيع الاول سنة تسع وتسعمائة والمدفن الذي هو مقابلها وسبيل بجوار المدفن يعلوه مكتب للايتام وكان يود أن يدفن فيه وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت ومنها عمارة منارة بالجامع الازهر ومنها عمارة جامع المقياس بالروضة وما جاوره من قاعات ومساكن وغير ذلك ومنها عمارة سبيل المؤمنين بالقرافة ومنها عمارة بندر عقبة أيلة وتمهيد جبالها للسالك فيها ومنها سحابة للفقراء بطريق الحاج الشريف في كل سنة وهي مستمرة الى الآن ومنها السواقي بمصر العتيقة والجرات المتصلة من السواقي الى القلعة وهي باقية الى الآن ومنها القبة التي بالقلعة بالقرب من المطبخ وما يليها من المكشك والمجالس المطلة على القلعة ومنها انه عمر بركة المشرفة بباب ابراهيم وبيوتا حوله ومنها بناء فسقية خارج باب ابراهيم على يمين الخارج ومنها ترخيم في حجر البيت الشريف ومنها بناء سور جدة فانها كانت بلا سور وكانت مدة تصرف الغوري في السلطنة ست عشرة سنة وثلاثة أشهر تقريبا ومدة تصرف الجراكسة مائة سنة واحدى وعشرون سنة وملوك الجراكسة اثنان وعشرون ملكا أولهم برقوق وآخرهم طومان باي وقد انقطعت دولة الجراكسة كما انقطعت دول من قبلهم ولله البقاء كما قيل

عمروا الارض مدة ✻ ثم صاروا الى الحفر ✻ يا بني جركس كنتم ✻ خبرا فانقضى الخبر

وقد سمعت من بعض الافاضل ان المرحوم السلطان سليما لما ملك مصر أنشأ يقول

يا بني جركس هينوا ✻ ملك الامر سليم	ملككم كان معارا ✻ والعواري لا تدوم
ظلمكم أوجب هذا ✻ انه فعل ذميم	قد ملكتم فقهرتم ✻ فلهذا لم تقيموا
ولهذا قد ذهبتم ✻ ما لكم خل حميم	قد حمى الله حمانا ✻ انه البر الرحيم

أبو السعادات أحمد وعمره دون سنتين وكل أمره مفوضا الى ططر ثم خلعه ططر واستقل بالامر تلك السنة وأقام ثلاثة أشهر وتوفي ودفن بجوار الليث ابن سعد في القرافة (وولي بعده ولده محمد) وعمره نحو عشر سنين فأقام نحو أربعة أشهر وخلع سنة خمس وعشرين وثمانمائة (وولي بعده الملك الاشرف) أبو النصر برسباي الدقماقي وهو ثامن ملوك الجراكسة فأقام ست عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة أيام وتوفي سنة احدى وأربعين وثمانمائة وفي أيامه بني المدرسة الاشرفية التي بالعنبرانيين بالقاهرة والشركسية خارج باب النصر والمدرسة بالخانقاه السرياقوسية وأرسل الى قبرس وفتحها وأحضر ملكها أسيرا ومن عليه

٢ وفي نسخة الجرابيين

عليك فاق كسرى * اذله الملك العظيم اسمه في الذكر يتلى * فافهمه يا حكيم
والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

(الباب التاسع في ظهور ملوك آل عثمان خلد الله ملكهم الى آخر الزمان)

أول جلوس السلطان عثمان الغازي على تخت السلطنة الشريفة في سنة تسع وتسعين وستمائة فبدأ بالجهاد وافتتاح البلاد وقتل الكفار أهل الفساد وكان للسيف والضيف كثير الاطعام فاتك الحسام شجاعا مقداما فعاش حميدا ومات شهيدا فكانت مدة سلطنته ستا وعشرين سنة وتوفي سنة خمس وعشرين وسبعمائة (ثم تولى السلطان أورخان الغازي ابن السلطان عثمان) وجلس على تخت السلطنة الشريفة في سنة ست وعشرين وسبعمائة وسنه خمس وثلاثون سنة وهو الذي افتتح بروسا وجعلها مقر سلطنته وكان مثل والده في الجهاد وفتح عدة حصون واتسعت مملكته ونفذت كلمته وله حروب مشهورة مع النصارى فكانت مدة سلطنته خمسا وثلاثين سنة والله أعلم (ثم تولى السلطان مراد الغازي ابن السلطان أورخان) وجلس على تخت السلطنة الشريفة في بروسا سنة احدى وستين وسبعمائة وعمره أربع وثلاثون سنة وافتتح عدة قلاع وحصون من جملتها أدرنه وهو الذي اتخذ المماليك وسماهم ع ينكجري يعني العسكر الجديد وألبسهم البركة وكانت له صولة عظيمة على الكفار فلما ظهر أحد ملوك النصارى الطاعة وكان اسمه بلواش وتقدم ليقبل يد السلطان لما قرب منه أخرج خنجرا كان أعده في كمه فضرب السلطان مراد فاستشهد الى رحمة الله تعالى فصار القانون العثماني من يومئذ أن لا يدخل على السلطان أحد بسلاح وان يدخل بين رجلين يكتفانه فكانت مدة سلطنته احدى وثلاثين سنة والله أعلم (ثم تولى السلطان يلدرم بايزيد ابن السلطان مراد) وعمره ثنتان وأربعون سنة وجلس على تخت السلطنة الشريفة في سنة احدى وتسعين وسبعمائة وقد استولى على كثير من بلاد النصارى وقلاعهم وأراضيهم وصارت النصارى تنتمي الى بعض ملوك الطوائف في بلاد الروم فقبض على جماعة منهم ابن قرمان فأخذه وحبسه فهرب من الحبس ومضى الى تيمورلنك وحسن له الوصول الى بلاد الروم وشكاه من السلطان بايزيد فاستمر تيمورلنك يفسد في الارض الى أن وصل الى ادربيجان فخرج السلطان بايزيد الى لقائه فلما التقى الفريقان هرب من عسكره طائفة التتار وعسكر منتشا وعسكر كرمان وتركوا السلطان بايزيد وهربوا الى تيمورلنك ووقع الحرب فشرع عسكر بايزيد في الانهزام وثبت هو وقاتل معه واستمر السلطان بايزيد يقاتل الى أن وصل الى تيمورلنك بسيفه وهو مشهور وقد عجز واعتذر واعليه بساطا وأمسكوه وحبسوه فلحقته الحمية العظيمة فتوفي الى رحمة الله تعالى فكانت مدة سلطنته ست عشرة سنة (ثم تخلف من بعده أولاده) وهم عيسى ومحمد وموسى وسليمان وقاسم وصار بينهم النزاع والقتال ثنتي عشرة سنة وقتل بينهم خلق كثير الى أن استقر بالسلطنة السلطان محمد ابن السلطان يلدرم بايزيد في سنة ست عشرة وثمانمائة وعمره تسع وثلاثون سنة وكان شجاعا مقداما مجاهدا في سبيل الله افتتح عدة بلاد وبذل نفسه في الغزو والجهاد ومهد البلاد أعظم مهاد ومما افتتحه قلعة اصطمونيه وقلعة أسكب وقلعة أقشهر وغيرها وهو أول من عمل الصرة لاهل الحرمين الشريفين من آل عثمان وفي أيامه ظهر بدر الدين ابن قاضي سماوات وادعى السلطنة وجمع جماعة من مريديه فأرسل له السلطان محمد العسكر فقتل من مريديه نحو ثلاثة آلاف نفر وامسك بدر الدين وقتل وفي أيامه أيضا خرج محمد بن قرمان وولده مصطفى عن الطاعة واحرقا بروسا فخاف السلطان محمد من يلدرم وملي ووصل الى قونيه ووقع بينه وبين محمد بن قرمان حروب عظيمة مشهورة وأمسك محمد ابن قرمان وولده مصطفى وأتى بهما أسيرين الى السلطان محمد فعاتبهما وأنعم عليهما بملكهما فكانت مدة سلطنته تسع سنين وتوفي بمرض الاسهال فكانت له مرتبة الشهادة وذلك في سنة خمس وعشرين وثمانمائة (ثم تولى السلطان مراد الثاني ابن السلطان محمد) وجلس على تخت السلطنة سنة خمس

ع وفي بعض النسخ ينشري

وأعاده الى بلاده بعد ما شاء من جماعته وصار يرسل الجزية في كل سنة (ثم تولى من بعده ولده عبد العزيز أبو المحاسن يوسف) فأقام ثلاثة أشهر وستة أيام وخلع سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة وأقام أياما وجهز الى الاسكندرية ومات في أيامه خشقدم (ثم تولى بعده الملك الظاهر أبو سعيد جقمق العلائي) فأقام أربع عشرة سنة وتوفي سنة سبع وخمسين وثمانمائة وعمر في أيامه عمارات كثيرة من مساجد وقناطر وجسور وغير ذلك وكان محبا للفقراء والايتام والاحسان اليهم (ثم تولى بعده ولده عثمان) فأقام أربعين يوما وخلع وجهز الى الاسكندرية (وولي بعده الملك الاشرف أبو النصر اينال العلائي) فأقام ثمان سنين وشهرين وستة

وعشرين وثمانمائة وعمره ثمان عشرة سنة وكان ملكا عظيما مقداما فاتكا فتح الفتوحات ومهد الممالك وأمن السالك وأذل الكفار والملحدين وأعز الاسلام والمسلمين الى ان انشا ولده محمد فرأى نجابته وعرف اقباله وشهامته فاجلسه على سرير السلطنة واختار لنفسه التقاعد والفراغ بحسن رضاه فكانت مدة سلطنته احدى وثلاثين سنة والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى السلطان محمد خان ابن السلطان مراد) فى سنة ست وخمسين وثمانمائة وسنه عشرون سنة وكان من أعظم سلاطين آل عثمان وأقواهم اقداما واجتهادا وأكثرهم توكلا على الله واعتمادا له غزوات كثيرة من أعظمها فتح القسطنطينية الكبرى وساق اليها السفن رخاء تجرى برا وبحرا وحاصرها خمسين يوما وفتحها فى اليوم الحادى والخمسين وهو الرابع والعشرون من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وثمانمائة وصلى فى أكبر كنائسها صلاة الجمعة وهى آياصوفية وقد عمل بعض الفضلاء لفتح القسطنطينية تاريخا وهو (بلدة طيبة) سنة ٨٥٧ ذكر علماء التاريخ ان مدينة القسطنطينية كمل بناؤها فى أربعين سنة وكان اسمها قبل ذلك م البزنطية وبانيها قسطنطين فى منتصف سنة ست وعشرين وستمائة من تاريخ الاسكندر وهى مدينة مثلثة الشكل جانبان فى البر وجانب فى البحر وأساس سمكه أحد وعشرون ذراعا والآن صارت القسطنطينية معدن الفخار والعلا ومقر السلطنة الشريفة العثمانية واجتمع فيها أهل الكمالات من كل فن فعلماؤها الآن أعظم علماء الاسلام وأهل حرفها أدق الصناع فى الانام وقد ضبطت أماكنها زمن المرحوم زكريا أفندى شيخ الاسلام سنة ٩٩٤ فوجد بها من محلات المسلمين ثلاثة آلاف وتسعمائة وثمانون محلا ومن الجوامع أربعمائة وثمانية وثمانون جامعا ومن المساجد أربعة آلاف وخمسمائة وستة وتسعون مسجدا ومن مكاتب الاطفال ألف وستمائة وأربعة وخمسون مكتبا ومن المدارس خمسمائة وخمس وثمانون مدرسة ومن التكايا مائة تكية ومن الخانات مائة وخمسة وخمسون خانا ومن الزوايا ثمانمائة وست وثمانون زاوية ومن الشيشمات تسعمائة وخمسة وسبعون شيشمة وهى الصهاريج للشرب بلغة الترك ومن الحنفيات أربعة آلاف وأربعمائة وثمانون حنفية ومن الافران ألفان ومائتان وخمسة وثمانون فرنا ومن أسواق الاسباب تسعمائة وخمسة وثمانون سوقا ومن القبانية اثنا عشر ألف قبانى ومن الحمامات ألف حمام ومن البوطات ثمانمائة وخمسة وثمانون بوظة ومن القهاوى ألفان وثلثمائة واثنان وخمسون قهوة ومن محلات النصارى أربعة آلاف وتسعمائة ومن محلات اليهود أربعة آلاف وتسعمائة وخمسة وثمانون محلا ومن الكنائس مائة وخمسة وأربعون كنيسة ومن المجانات أربعة آلاف وخمسمائة وثمانية وخمسون مجانة وذلك خارج عما تجدد بعد ذلك من المحلات والجوامع وحمامات البيوت وغير ذلك * وقد ضبط فى مملكة آل عثمان من قضاة القضيات ما جاتهم خمسة آلاف وتسعمائة وستون قاضيا وما هو بقضاء أناضولى خمسة آلاف وستمائة وما هو بقضاء الروملى ثلثمائة وستون قاضيا وذلك خارج عن الموالى والدشمانية والملازمين وقد جمعت من تخص من العسكر المنصورات بالقسطنطينية الآن من العسكر المنصور وما هو من الينشرية أربعون ألفا ومن الاسباهية ستون ألفا ومن عجم أوغلان أربعة وعشرون ألفا ومن السراجين ثلاثة عشر ألفا ومن الجبجيات ثلاثة عشر ألفا ومن العربان اثنا عشر ألفا ومن الطوبجية سبعة آلاف وذلك خارج عن الموالى والوزراء والجاويشية والمقيمين والمتفرقة والعلماء والمتقاعدين والصنايق والقابوجية والاغوات والطباخين والبازرجيدان والخواتين والنساء والماسحين وأرباب الآلات وما لهؤلاء من الاتباع والخدم وما لكل مملكة من ممالك آل عثمان مثل مصر والشام واليمن والحجاز والثغور والبنادر والحصارات والشرق والغرب من العساكر والاجناد مما يعجز عنه الوصف وأخبرت أيضا انه فى يوم جلوس المرحوم السلطان عثمان ابن المرحوم السلطان أحمد صرف الترق العسكر المنصور فبلغ قدر خزينة مصر سبع مرات فسبحان مالك الملك جل جلاله وقد اطلعنا على بعض

*فى بعض النسخ البزنطية

أيام وتوفى سنة خمس وستين وثمانمائة ودفن بتربته التى أنشاها فى الصحراء (وولى بعده ولده أبو الفتح أحمد) فأقام خمسة أشهر وأربعة أيام وخلع ظلما مع كثرة محاسنه (وولى بعده الملك الظاهر خشقدم الناصرى) فأقام ست سنين وخمسة أشهر واثنين وعشرين يوما وتوفى سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وكان له شح وطمع ودفن بتربته التى أنشأها بالصحراء (وولى بعده الملك الظاهر أبو سعيد بلباى العلائى) فأقام سبعة وخمسين يوما وخلع وجهز الاسكندرية فأقام بها الى ان مات (وولى بعده الملك الظاهر تمربغا الظاهرى) فأقام ثمانية وخمسين يوما وخلع وذهب الى دمياط ثم أعيد الى الاسكندرية ومات بها (وولى بعده الملك الاشرف

تواريخ الدول السابقة والملوك السالفة فيما سمعنا فما رأينا مثل دولة بني عثمان ولا أحسن نظاما منها ولا أحفظ قانونا منها الاسيما طاعتها الشرع الشريف وتوقيرها أهل العلم وحملة القرآن واسداء الخيرات للفقراء والمساكين وسكان الحرمين الشريفين ومجاوريهما على ما سيأتي بيانه فيه قريبا فنسأل الله الحنان المنان أن يديم دولة بني عثمان الى آخر الزمان فكانت مدة مولانا السلطان محمد احدى وثلاثين سنة وتوفي سنة ست وثمانين وثمانمائة والله أعلم (ثم تولى السلطان بايزيدخان ابن السلطان محمد) وجلس على تخت السلطنة الشريفة في تاسع عشر ربيع الاول سنة ست وثمانين وثمانمائة وعمره اذذاك ثلاثون سنة وهو من أعيان سلاطين آل عثمان تفرع من شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وورث سرير السلطنة كابرا عن كابر وتزينت باسمه صدور المنابر وافتتح الفتوحات وغزا في سبيل الله أعظم الغزوات وظهر في أيامه من بلاد العجم اسمعيل ابن الشيخ حيدر الصفوي في سنة تسعمائة وخمسة وكان له ظهور عجيب واستيلاء على ملوك العجم بعد من الاعاجيب فقتل في البلاد وسفك دماء العباد وأظهر مذهب أهل الرفض والالحاد وغير اعتقاد أهل العجم الى الفساد وأخرب ممالك العجم وأزال من أهلها حسن الاعتقاد والله يفعل ما أراد وصارت فتنة في غالب البلاد *(حكاية عجيبة)* وهي ان السلطان بايزيد حذره منجم حاذق من أهل عصره ان هلاكه يكون على يد ولد يولد له بعدما ولد له عدة أولاد فكان التحذير قبل ان يولد له السلطان سليم فطالب السلطان بايزيد قابلة كان يعتمد صدقها وكانت من الصالحات الخيرات وقال لها اذا وضعت جارية من الجواري ذكرا فاقتليه ولا تدعيه حيا وان ولدت أنثى فاتركيها وأكد عليها في ذلك غاية التأكيد واستمرت على ذلك الى أن ولد السلطان سليم فتناولته القابلة لتقتله فرأت صورته جميلة فرق قلبها وقالت في نفسها بأي وجه ألقى الله تعالى في قتل هذا الطفل المعصوم والله لا أقدم على قتله وقالت لأبي يزيد جاءتك بنت جميلة حسنة الصورة فلما أخبر بذلك صار سليمة واستمر الحال مكتوما لا يعلمه غير القابلة وأمه والله تعالى وكان كلما كبر وانتشى ظهرت عليه سمة الغلبة والقهر واذا اجتمعت أخواته البنات وجلس بينهن لطم من بجانبه وضرب ونهب ما بأيديهن من المأكل وغيرها وكانوا يحذرونه فدخل السلطان بايزيد الى السرايا في يوم عيد وأمر بالكل أن يطيب ويزين واستدعى بنباته وأجلسهن بين يديه وأمر ان يوضع بين يدي كل واحدة منهن أنواع الحلوى والفواكه وبينهن السلطان سليم فشرع السلطان سليم في سطوته وعادته وخطف ما بأيديهن من الحلوى والفواكه ووضع الكل بين يديه فصار الكل خائفات منه فتعجب السلطان بايزيد وصار يتأمل في ذلك وصار السلطان سليم يضرب البنات ويؤذيهم فقال السلطان بايزيد للنساء الواقفات هذا لا يكون أنثى اكشفوا عنه فبادرت القابلة وقالت نعم هو ذكر وايس بأنثى فقال لها وكيف خالفت أمري وما قتلتيه فقالت خفت الله وخلاصت ذمتك من قتل هذا الولد المعصوم ولا ذنب له فتفكر طويلا ثم قال ما قدره الله فهو كائن لا مفر منه وأمر بالكف عنه وتربيته الى ان كان من أمر الله ما كان ولما استولى على بايزيد مرض النقرس ضعف عن الحركة وترك السفر سنين فبطر العسكر لكثرة راحتهم وطلبوا سلطانا قوي الحركة كثير الاسفار لجهاد في سبيل الله ورأوا السلطان سليما ذا قوة وشهامة أجلد من سائر اخوته وعاين السلطان بايزيد من أركان الدولة والعسكر ميلهم الى السلطان سليم فاشار عليه وزراؤه ان يفرغ عن السلطنة بقلب سليم لسليم ويختار المقام في ادرنه في عز وتعظيم فابرموا عليه في ذلك فاجابهم الى سؤالهم وفرغ له عن السلطنة وتوجه الى أدرنه فلما وصل اليها انتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى في سنة ثمان عشرة وتسعمائة فكانت مدة سلطنته اثنتين وثلاثين سنة والله سبحانه وتعالى أعلم *(ثم تولى السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد)* كاسر العجم وفاتح ممالك العرب وذلك في سنة ثمان عشرة وتسعمائة وكان سلطانا مهيبا قهارا كثير السفك للدماء قوي البطش والفحص عن أخبار الناس عظيم الكشف عن أخبار الممالك والملوك وكان يغير زيه ولباسه في الليل والنهار ويتجسس ويطلع على الاخبار وكان له عدة مصاطب تحت القلعة وفي الاسواق

أبو النصر قايتباي الظاهري المحمودي) نسبة للخواجا محمود وللظاهر جقمق معتقه وهو السادس عشر من ملوك الجراكسة والحادي والاربعون من ملوك الترك بويع له يوم خلع الظاهر تمربغا سادس رجب عام اثنين وسبعين وثمانمائة فاقام تسعا وعشرين سنة وأربعة أشهر وعشرين يوما وتوفي سنة احدى وتسعمائة ودفن بقبته بالصحراء وقبره ظاهر يزار وكان ملكا جليلا له اليد الطولى في الخيرات وكانت أيامه كالطراز المذهب وهو واسطة عقد ملوك الجراكسة وسار في الممالك بشهامة ماسارها أحد قبله من عهد الناصر محمد بن قلاوون وله العمارات الكثيرة من مساجد ومدارس ورباطات وغيرها وهي باقية الى الآن (ثم تولى بعده ولده

والجعبات والمحافل ومهما سموه وذكروه في محل المصاحبة ولما استقر السلطان سليم على سرير الملك بدأ بقتال العجم وتوجه بخيله ورجله وعساكره المشهورة الى ان وصل تبريز وتصادمت عساكره مع عسكر قزلباش ونزل النصر من عند الله والفتح القريب وانهزمت عساكر اسمعيل شاه وساقت العساكر المنصورة خلفه وكادوا يقبضون عليه فطار من بين أيديهم وهم ينظرون اليه وترك ما حوله من خيمه وأثاث تجملاته فاغتنمها عساكر السلطان سليم ووطئت حوافر خيله أرض تبريز ونهى وأمر وأمروا أعطى الرعية تمام الامان وأراد التمكن من بلاد العجم فما أمكنه ذلك لكثرة القحط والغلاء بحيث بيعت العليقة بمائة درهم وبيع الرغيف بمائة درهم وسبب ذلك انقطاع القوافل التي كان أعدها السلطان سليم لتتبعه بالمؤن والعليق فتخلفت عنه في محل الاحتياج اليها وما وجد في تبريز شيأ من المأكولات والحبوب لان شاه اسمعيل أمر باحراق أجران الحبوب من شعير وغيره ذلك فاضطرب السلطان سليم لذلك فتفحص عن انقطاع القوافل فأخبر ان سبب ذلك سلطان مصر قانصوه الغوري فانه كان بينه وبين اسمعيل شاه محبة ومودة ومراسلات وغير ذلك فلما استقر ركاب السلطنة الشريفة في تخت ملكه الشريف تأهب لاخذ مصر وازالة الجراكسة عنها فتوجه بعسكره الجرار الى حلب سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ولما بلغ السلطان الغوري قدوم السلطان سليم جمع عساكره من الجراكسة وغيرهم وبرز الى قتال السلطان سليم فتلاقى العسكران قرب حلب بمرج دابق وكان الغوري يتوهم ويخاف على نفسه من خير بك والغزالي وكانا يكرهانه في الباطن ويكرههما كذلك فأمرهما أن يتقدما لقتال السلطان سليم وجعلهما وعسكرهما أمامه ووقف الغوري بخواص عسكره الذين يعتمد عليهم من الجلبان وقصد بذلك قتل خير بك والغزالي وعسكرهما بالبنادق في أول مرة ويسلم هو ومن معه فخاب ظنه ورد الله مكره عليه قال الله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله وقيل في المعنى للامام علي كرم الله وجهه

الحذر ينفع ما لم يأتك القدر * فان أتى قدر لم ينفع الحذر

من يحتفر حفرة يوما يصير لها * فان حفرت فوسع حين تحتفر

ان الشباب لهم عذر اذا جهلوا * وليس يقبل من ذي شيبة عذر

فتفطن خير بك والغزالي لذلك وكانا أرسلا للسلطان سليم وطلبا منه الامان ووثقا منه ان لا يقتلهما بل يكرمهما وينعم عليهما فارسل السلطان سليم لهما الامان وعهد لهما بان يطيب خاطرهما وان يعطي خير بك مصر والغزالي الشام فقبلا منه ذلك وواتفقا على ذلك فلما تراآى الجمعان واضطربت نيران المدافع والبنادق في مرج دابق فر خير بك بمن معه من الميمنة وفر الغزالي بمن معه من الميسرة وبقي السلطان الغوري بمن معه من خواص أتباعه في القلب وأطلقت البنادق والزربطانات فهلك من هلك وهرب من هرب وانقلب النهار ليلا بالدخان وامتلأ وجه الارض بشعل النفط والنيران وغار الغوري تحت سنابك الخيل ومحى نور العدل ظلام الجراكسة كما محو النهار الليل وانقلبت رايات السلطان سليم على قلعة حلب الشهباء فطلب أهلها الامان فاجابهم بالقبول لطلبهم واكرمهم وحضر صلاة الجمعة وخطب الخطيب باسمه الشريف ودعا له ولاسلافه وبالغ في المدح والتعريف وعند ما سمع السلطان سليم الخطيب يقول في تعريفه خادم الحرمين الشريفين سجد لله شكرا وقال الحمد لله الذي يسر لي ان صرت خادم الحرمين الشريفين وأظهر الفرح والسرور بتلقيبه بخادم الحرمين الشريفين وخلع على الخطيب خلعا متعددة وهو على المنبر وأحسن اليه احسانا كثيرا وتمام بحلب أياما وهو يمهد الممالك ويجري أحكام العدالة والسياسة والاحسان الى الرعايا ثم ارتحل بالجيوش المنصورة الى الشام فخرج أهل الشام الى لقائه وطلبوا منه الامان والامن فاجابهم الى ما سألوه وبسط لهم ما طلبوه وأملوه وخلع على من يستحق خلع الرضا والاكرام ودخل الشام بموكب عظيم وأقام لتمهيد أمور المملكة برأيه الشريف وخطب له الخطباء فخلع عليهم وأكرمهم وأمر بعمارة مقام الاكبر الاعظم مولانا الشيخ محي الدين بن العربي ورتب له

محمد أبو السعادات) وهو في سن البلوغ سنة احدى وتسعمائة فاقام ستة أشهر ويومين ثم خلع في ثامن عشري جمادى الاولى بعد ثبوت عجزه عن السلطنة بحضرة القضاة والخليفة المتوكل على الله ولو أبدله الملك الاشرف قانصوه مملوك والده قايتباي فاقام أحد عشر يوما ثم وقعت فتنة وهرب ولم يعلم حاله فاعيد السلطان محمد بن قايتباي ثانيا للسلطنة بعد ثبوت رشده فاقام سنة وستة أشهر ونصف شهر ثم شرع في اللهو واللعب ومخالطة الاوباش وارتكاب الفواحش وارتكاب أمور لا تليق منها أن والدته جهزت له جارية وأدخلتها عليه فقفل الباب وربطها من يديها ورجليها وصار يسلخ جلدها كالجلادين وهي حية فلما سمعوا

أوقافا كثيرة وهو باق الى الآن واستمر السلطان سليم بارض الشام حتى مهد أمورها وضبط حصونها ثم توجه الى مصر فوصل الى غزة ثم عدل بطرده الى زيارة القدس والخليل فى نفر يسير بقصد الزيارة فأحسن الى أهل القدس والخليل وعاد الى عسكره فصار كلما مر ببلدة أو قصبة أو قرية فى طريقه أحسن الى أهلها وفر بقية الجراكسة الى مصر وجعلوا الدوادار طومان باى سلطانا ولقبوه بالاشرف واجتمعوا عليه وألقوا مقاليد سلطنتهم اليه وساروا بموكبهم بين يديه وجند الجنود وعقد الالوية والبنود وبرزوا الى الريدانية خارج باب النصر ونصبوا المدافع الكبار والاحجار وهيؤها بالقوة اذا أقبلت العساكر العثمانية فلما أخبر الجواسيس السلطان سليما بذلك عدل هو وعسكره وجاؤا من خلف الجبل المقطم من وراء عسكر الجراكسة واستمرت مدافع الجراكسة مركوزة ان يأتى من امام الريدانية وقاتل السلطان طومان باى ومن ثبت معه من الجراكسة قتالا شديدا وأظهر طومان باى شجاعة قوية عرف بها وشهد له المصاف وهو يغوص فى العسكر ويكر ويطر وقتل من وزراء السلطان سليم سنان باشا فأسف عليه وقال أى فائدة فى مصر بلا يوسف ووجه التنكتة ان يوسف يلقب بسنان فى عرفهم وبعد ساعة انكسر الجراكسة وانهزموا وهرب طومان باى وامسك وصلب فى باب زويلة كما ذكرنا ذلك سابقا واستمر السلطان سليم يدبر أمور مصر ويضبط خراجها ومحصولاتها الى ثالث عشرى رجب سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وكان مقام السلطان سليم بالروضة وبنى له كشكا فوق قاعات المقياس وهو مشرف على بحر النيل والروضة والمقياس ولما دخل السلطان سليم منه قفل ومنع من يجلس فيه حرمة لمولانا السلطان سليم (ذكر) القطبي فى اعلامه قال رأيت جماعة من مصاحبى السلطان سليم وسمعت منهم حسن سيرته ولطف معاشرته وشدة تيقظه ودقة فهمه مع كثرة مطالعته للتواريخ وتمرسه فى اللغة الفارسية والرومية بحيث انه فاق الطائفتين ورأيت بخطه الشريف بيتين كتبهما بابا على المقياس فى الكشك الذى أمر ببنائه لما افتتح مصر وسكن الروضة وكان الكشك هذا محترما مقفلا لا يصل اليه أحد لعظم بانيه فدخلت مصر سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة وكان يوم كسر النيل السعيد فتحوا هذا الكشك لباشة مصر خسرو باشا وكنت مصاحبا للعلامة عبد الكريم العجمى فطالع وأطلعنى صحبته فرأيت مكتوبا على الرخام الابيض كتابة خفية لا تكاد تظهر الا بالتأمل هذين البيتين وهما

الملك لله من يظفر بنيل منى * يردده قسرا ويترك بعده الدركا

لو كان لى أو لغيرى قدر أنملة * فوق التراب لصار الامر مشتركا

ومرقوم تحتهما كتبه الفقير سليم ولعمرى ان كان هذان البيتان من نظم المرحوم فهما فى غاية البيان والبراعة ونهاية فى الشعر العربى الفصيح المنسجم وان كان قد تمثل بهما فهو أيضا مرتبة عليه فى حسن التمثيل ولطف الاستحضار رحمه الله تعالى وكان أشيع بمصر فى جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين وألف ان السلطان عثمان ابن المرحوم السلطان أحمد يحل ركابه السعيد الى مصر المحروسة بقصد الحج أو غير ذلك على ما قيل فجددما انهدم من الكشك المذكور وزخرف وزين بناء على ان السلطان عثمان اذا قدم الى مصر يقيم بالكشك المذكور ويأبى الله الا ما أراد (ومما) أفاده مولانا شيخ الاسلام الشيخ محمد حجازى الواعظ الشعراوى خادم السنة النبوية بالديار المصرية فى فتوى أفتى بها على سؤال رفع اليه فى سنة احدى ثلاثين وألف فيمن يتعرض للرزق وأوقاف المسلمين فمن جملة جوابه انه قال سمعت من أستاذنا المؤرخ من ألحق الاصاغر بالاكابر شهاب الدين أحمد الجركسى عن أبى وكثيرا من مشايخى مشافهة ان مولانا السلطان سليما لما أخذ مصر من الجراكسة ووضع رجله فى الركاب ليتوجه الى الروم قدم اليه خيربك مفاتيح البلد فردها عليه وولاه عليها الى أن يموت ثم استشاره على ان ابناء الجراكسة يريدون الدخول فى جملة الاجناد فاجابه الى ذلك وشاوره على ابقاء أوقاف الجراكسة وهى نحو عشرة قراريط من أراضى مصر فاجاز بابقائها على ما كانت عليه فتشوش وزيره وقال فتح مالنا وعساكرنا

صراخها أرادوا الهجوم عليه فما أمكنهم لانه قفل الباب وأحكم قفله من داخل واستمر كذلك الى أن سلخها وحشا جلدها بالثياب ثم خرج يفتخر بحسن صنعته ومعرفته بالسلخ واستمر فى حركاته الشنيعة الى ان قتل فى بحر الجيزة وجاؤا به وهو مقتول الى القاهرة ودفن فى تربة أبيه فى سنة أربع وتسعمائة (وولى بعده الملك الظاهر قانصوه الاشرف القايتبايى خال محمد بن قايتباى) بذلت له أخته مالا كثيرا وولته وبويع له بالسلطنة بحضرة الخليفة والقضاة سابع عشر ربيع الاول سنة أربع وتسعمائة وكانت سيرته جيدة ورتب لاهل الازهر فى أيام رمضان الخبز والحرمزة وضاعفها الغورى وزادها فاقام فى

وتسلمهم بلادهم وندخلهم فى عساكرنا وتبقى لهم أوقافهم يستعينون علينا بذلك فقال السلطان سليم أين الجلاد فضرب عنق الوزير المذكور ووضع رجله الثانية فى الركاب ولما نزل الخانقاه السرياقوسية لاطفوه فقال عاهدناهم على انهم ان مكنونا من بلادهم أبقيناهم عليها وجعلناهم أمراءها فهل يجوز لنا أن نخون العهد ونغدر واذا أدخلنا أبناءهم فى جندنا فهم مسلمون أولاد مسلمين ويغارون على ديارهم وأما أراضيهم فأصلها املاك الفاتحين ومنهم من وقف ومنهم من ماتت ذريته من بعده فهل يجوز أن ننازع الملاك فى أملاكها وانما أردت الوزير كراهة أن يغير على اعتقادى بتكرار كلامه فرحم الله هذا الملك العظيم وهكذا شان الملوك ولما رحل السلطان سليم بعساكره المنصورة ظهرت فى ظهره جراحة منعته الراحة وعجزت عن علاجه حذاق الاطباء وتحيرت فى دائه عقول الالباء وكانت توضع الدجاجة فى جرحه فتذوب وشوهدت معاليق أكباده من خلف ظهره وأنشبت المنية أظفارها فما نفعته التمائم والرقى وفدى بالاموال فلم يقبل الفدا كما قيل فى المعنى

ولو قبل الفداء لكان يفدى * وان جل المصاب عن التفادى
ولكن المنون لها عيون * تكد لحاظها فى الانتقاد
فقل للدهر أنت أصبت فالبس * برغم بنيك أثواب الحداد

وكان السلطان سليم قصده العود ثانيا الى العجم فما ساعدته القدرة الربانية ولما وصل الى تخت ملكه الشريف وهو متوعك استمر الى ان لحق بربه فكانت وفاته سنة ست وعشرين وتسعمائة ومدة سلطنته تسع سنين ولم يعمر أكثر من ذلك ولم تطل سلطنته لانه كان سفاكا للدماء كثير القتل وهذه عادة الله فى السلاطين والامراء اذا أكثروا سفك الدماء *(ثم ولى السلطان سليمان خان ابن السلطان سليم خان بعد وفاة والده)* فى سنة ست وعشرين وتسعمائة وجلس على تخت السلطنة الشريفة ولا أدمى أنف أحد ولا أريق محجمة دم ومدته ست وعشرون سنة وكان سلطانا مهيبا سعيدا أيده الله لنصرة الاسلام برغم أنوف أعدائه وكان مؤيدا فى حروبه ومغازيه مسعودا فى حركاته ومعانيه أينما توجه فتك وأنى سافر سفك *(ذكر غزواته)* أول غزواته انكروس سنة ٩٢٧ ثانى غزواته رودس سنة ٩٢٨ وعمل الناس لذلك تواريخ ألطفها (يفرح المؤمنون بنصر الله) ثالث غزواته انكروس ثانيا سنة ٩٢٩ رابع غزواته غزوة مسج سنة ٩٣٥ خامس غزواته غزوة العجم سنة ٩٣٩ سادس غزواته غزوة الماني سنة ٩٤١ سابع غزواته غزوة الونية سنة ٩٤٤ ثامن غزواته غزوة بغداد سنة ٩٤٥ تاسع غزواته غزوة اسطابور سنة ٩٤٨ عاشر غزواته غزوة سيج واسترعون سنة ٩٥٠ حادى عشر غزواته غزوة القماس سنة ٩٥٤ ثانى عشر غزواته سفره الى المشرق سنة ٩٦٠ ثالث عشر غزواته غزوة سكتوار وهى آخر غزواته وتوفى فيها سنة ٩٧٤ *(ذكر وزرائه العظام)* أول وزرائه بيرى باشا الصديق صادفه وزير الوالده فابقاه ثم استعفى من الوزارة لكبر سنه فاجيب ثانى وزرائه ابراهيم أودا باشا حرمه الخاص ثالث وزرائه اياس باشا الخادم وكان من الارنؤت رابع وزرائه لطفى باشا وكان من الارنؤت خامس وزرائه سليمان باشا الخادم وكان من الارنؤت سادس وزرائه رستم باشا وكان من الارنؤت سابع وزرائه أحمد باشا ثم أعيد رستم باشا ثامن وزرائه على باشا وكان من ٢ البوسنه تاسع وزرائه محمد باشا وهو آخر وزرائه وكان متصرفا متمكنا فى الوزارة العظمى مع التدبير الحسن والتصرف العام على الخاص والعام وكانت وزارته فى سنة ٩٧٢ واستمر بقية مدة السلطان سليمان وكان مدة السلطان سليم الثانى الى ان استشهد فى زمن المرحوم السلطان مراد وكان السلطان سليمان يحب الخيرات واجراء الصدقات * من جملة آثاره الجيدة السحابة الكبرى بطريق الحاج الشريف ولها أوقاف بكثرة يشترى من ريع أوقافها فى كل سنة جمال لحمل الفقراء والمنقطعين والعواجز والماء والزاد وغير ذلك ومقررها من المغاربة أربعون نفرا ومن المطاوعة أربعون

السلطنة سنة وثمانية أشهر ثم خلع (وولى بعده الملك الاشرف جانبلاط) فاقام نصف سنة وخلع سنة خمس وتسعمائة وبنى المدرسة الجنبلاطية خارج باب النصر وهدمها الفرنسيس فى سنة أربع عشرة ومائتين بعد الالف وكان فيها قبتان ليس لهما نظير فى مصر (وولى بعده الملك العادل طومان باى) وكان من أعيان مماليك قايتباى وكان بالشام فبويع له هنالك ثم جاء الى مصر وبويع له أيضا بقلعة الجبل وكانت مدته أربعة أشهر ونصفا وبنى مدرسته العادلية خارج باب النصر ثم هجم عليه العسكر وقتلوه ودفن بمدرسته وقد خربها الفرنسيس أيضا (وولى بعده الملك الاشرف قانصوه الغورى) يوم الاثنين يوم عيد الفطر سنة ست وتسعمائة بعد اختلاف

٢ فى بعض النسخ من السرايا

نظرا ذهابلوابابلوذلك مستمر الى الآن وانضم الى أوقاف التكية الكبرى أوقاف أخر فصارت الآن خمسة أوقاف وقف السلطان قايتباى ووقف السلطان جقمق ووقف السلطان تمر ووقف السلطان سليمان ووقف خوندو والقرى الموقوفة عليها وهى بالقليوبية ناحية سرياقوس وطحانوب وناحية سندوه وناحية نوى والقشيش وناحية اميای وبالمنوفية ناحية البجور وناحية المقاطع وناحية اسدود وناحية الصفراء وناحية معدون وبالغربية ناحية شبرابسيون وناحية القضابة وناحية كفرشبرابسيون وناحية محلة المرحوم وكفرها وناحية منية الليث هشام وناحية قلولة وناحية قويسنه وناحية دمتنو وبالدقهلية ناحية بدويه وناحية قيبده وناحية منية شرف وناحية منية القرشى وناحية أبو داود العرب وناحية طوانيس وناحية منشاة عنبر وناحية منية العز ساعد وناحية الجديدة ناحية شبرامنت وناحية بنتبودا وبالبحيرة ناحية مطوبس الرمان وناحية منية المرشد وناحية شبيرة وناحية عزبة عمرو وناحية القنى وبالجيزة ناحية صقيل وناحية منية قادوس وناحية صيده وناحية الكنيسة وناحية وسيم وبالبهنسا ناحية منية ابن خصيب والاسيوطية والوجه القبلى وناحية الفيوم وناحية زاوية عباس وناحية طرشوب وناحية حاف وناحية شمسطا وناحية براوه وناحية سنجرج وناحية أبو الهدر وناحية طعاذات الاعدة وناحية طوخ بنى ابراهيم وناحية منشاة التركمانى وناحية أبو الهر وناحية ضبوا وكفورها وسهواج وكفورها وناحية طمية وناحية اللاهون وان المتحصل من النواحى فى كل سنة ما هو من المال سبعون كيسا ومائة ومن الغلال ثلاثة وثلاثون ألف أردب وثمانمائة وثمانون أردبا وذلك خارج عن أجرة الاماكن الكائنة بمصر وغيرها وهو فى كل شهر هلالى أربعة وأربعون كيسا فكانت مدة تصرف السلطان سليمان فى السلطنة تسعا وأربعين سنة والله أعلم *(ثم تولى السلطان سليم الثانى ابن السلطان سليمان خان)* وجلس على تخت السلطنة الشريفة تاسع ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وتسعمائة وسنه ست وأربعون سنة وعمل بعض الفضلاء تاريخا لتوليته فقال (سليم تولى الملك بعد سليمان) سنة ٩٧٤ وبعد ثلاثة أيام من جلوسه توجه الى سكتوار لملاقاة عساكر الاسلام المجاهدين فى سبيل الله فسار مسيرا حثيثا الى أن وصل ركابه السعيد الى حرم فتلقاه الوزير محمد باشا المتقدم ذكره وأعلمهم بجميع ما شاهدوه وتيسير قلعة سكتوار والتمس الاذن الشريف بعود العسكر المنصور الى الاوطان واستمرار الركاب بذلك المكان الى أن يصل هو وبقية الوزراء ووجوه الدولة الى الركاب الشريف وبعد ذلك يعودون فى خدمته الى مقر التخت الشريف بالقسطنطينية الكبرى فأجيب حضرة الوزير الاعظم الى ما أشار واستمر ركاب السلطنة الشريفة بذلك المحل الى أن ورد عليه الوزير الاعظم وباقى الوزراء وقبلوا الركاب وهنؤه بالملك وعادوا فى خدمته الى القسطنطينية الكبرى بغاية البشر واليمن والقبول وجهزت البشائر الى الممالك الشريفة وأتت اليه الهدايا والتحف من الملوك والاشراف ثم تحسن آثاره الشريفة البلاد واطمأن فى زمنه العباد ودمر أهل الكفر والالحاد وله غزوات مشهورة دمر بها ديار الكافرين وقطع دابر الفاسدين وهو جالس بمكانه الشريف منها فتح قبرس ومنها فتح تونس وحلق الوادى ومنها فتح ممالك اليمن واسترجاعها من العصاة *(ومما يحكى عنه)* أنه كان لوالده المرحوم السلطان سليمان مصاحب يسمى شمسى باشا العجمى ولا يخفى ما بين آل عثمان والعجم من العداوة المحكمة الاساس الراسخة الاوتاد فأقر السلطان سليم شمسى باشا مصاحبا على ما كان عليه زمن والده وكان شمسى باشا له مداخل عجيبة وأمور غريبة يلقيها فى قالب مرضى يسحر بها ذوى العقول فقصد أن يدخل شيأ منكرا فى سلطنة بيت آل عثمان يكون سببا لهلاكه وقبول الرشا من أرباب الولايات والعمال فلما تمكن من مصاحبة السلطان سليم قال له على سبيل العرض عبدكم فلان المعزول من منصب كذا وليس بيده منصب الآن وقصده من فيض فضلكم أنعامكم عليه بالمنصب الفلانى ويعطى كذا وكذا فلما سمع السلطان سليم ما أبداه شمسى باشا

بين العسكر ثم اتفقوا على توليته لانهم رأوه لين العريكة سهل الازالة متى أرادوا ازالته أزالوه لانه كان أقلهم مالا وأضعفهم حالا فقال أقبل التولية بشرط أن لا تقتلونى فان أردتم خلعى من السلطنة فأخبرونى وأنا أنزل لكم عنها فعاهدوه على ذلك وبويع له بقلعة الجبل بحضرة الخليفة المستنصر بالله هو وأصحاب الحل والعقد فأقام سلطانا خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وخمسة وعشرين يوما وكان ذا رأى وفطنة كثير الدهاء والفسوق قمع الامراء وآذى المعاندين حتى اشتد ملكه وهيبته فهابته ملوك الروم والمشرق والافرنج وفك الاسرى منهم وكان له المواكب الهائلة ومهد طريق الحج بحيث كان يسافر اليه من مصر النفر القليل وكان فيه خصال

وعلم أنها مكيدة منه على ادخال الرشوة لبيت آل عثمان تغير مزاجه الشريف وقال له يا قاضي تريد أن تدخل الرشوة بيت السلطنة حتى يكون ذلك سببا لازالتها وأمر بقتله فتلطف به وقال له لا تعجل أيها الملك هذه وصية والدك لي فانه قال لي ان السلطان سليم صغير السن وربما يكون عنده ميل للدنيا فاعرض عليه هذا الامر فان جنح اليه فامنعه بلطف فان امتنع فقل له هذه وصية والدك قدم عليها ودعا له بالثبات في ترك الرشوة التي هي من الامور المستصعبات فخلص من القتل بهذه الحيلة وكانت مدة سلطنة السلطان سليم تسع سنين وكانت وفاته في سابع رمضان سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة والله أعلم ﴿ثم تولى السلطان مراد ابن السلطان سليم﴾ وجلس على تخت السلطنة الشريفة في عاشر شهر رمضان سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة وسنه ثلاثون سنة وكان يحب الخيرات ووجوه المبرات فمن جملة خيراته أنه أنشا تكية بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وبالطابقية ظاهر المدينة المنورة وقرر بها أرباب وظائف ومجاورين ورتب بالتكية طعاما يطبخ صباحا ومساء ورتب حبا لاهل الحرمين الشريفين ووقف على ذلك قرى من قرى مصر المحروسة وهي باقليم الجيزة ناحية نكلا وناحية الضاهرية وبالمنوفية ناحية سبك الاحد وناحية شبراز نجى وبالقليوبية ناحية طنان وناحية كفر زريق وناحية طوخ المالق وناحية سد طنان وناحية سنهرا وبالدقهلية ناحية سندوب وناحية منية سمنود وناحية أبو الحسن وبالجيزة ناحية كوم براوناحية نهيا وبالبهنساوية والوجه القبلي ناحية بلغيا وناحية دنديل وناحية العتامنة وناحية دبشنا وناحية الضوابط وناحية اهناس الخمراوى كل سنة يجهز الى بندر السويس من متحصل النواحي المذكورة في كل عام من الحب قدر ألفي أردب ومائتي أردب تحمل في مراكب في وقف الدشايش العادية الى الينبع برسم التكية المذكورة ومجاوري الحرمين الشريفين وأما ما يجهز من النقد من متحصل النواحي المذكورة في كل عام صحبة أمير الحاج الشريف المصري فقدره سبعة عشر كيسا توزع على أربابها من مجاوري الحرمين الشريفين وتوفي السلطان مراد في سابع عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وألف فجملة تصرفه في السلطنة عشرون سنة وتسعة أشهر وستة أيام والله أعلم ﴿ثم تولى السلطان محمد ابن السلطان مراد﴾ وجلس على تخت السلطنة الشريفة يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وألف وقد نظم بعضهم تاريخا لجلوسه فقال

مراد في الفردوس والملك زانه * محمد الآتي بخير معاد
بإثر أبيه قد تولى فأرخوا * محمد تولى عين ملك مراد

وقد نظم أيضا بعضهم تاريخا لجلوس السلطان محمد المومى اليه فقال

بولاية المولى المبارك محمد * عم الهنا والكون بابشر انشرح
ومحا الشقا سقم الوجود فأرخوا * بمحمد قد شرف الملك وصح

ونظم بعضهم أيضا تاريخا لجلوسه فقال

محمد خان سلطان علي * أدم يا رب دولته وأبق
أيا أهل الممالك أرخوه * محمد خان سلطان بحق

وتوجه بذاته الشريفة وصحبه عساكره المنصورة الى غزو الكفار وحصل هناك قتال ونزال يطول شرحه ألف المؤرخون لهذه الغزوة تواريخ بالتركي والعربي وحصلت النصرة ولا ناحضرة السلطان محمد وعاد سالما مؤيدا منصورا ومن آثار خيراته أنه رتب حبوبا تحمل في مراكب من بندر السويس الى الينبع لفقراء الحرمين الشريفين ووقف على ذلك قرى من قرى مصر المحروسة وهي باقليم المنوفية ناحية البتنون وناحية مليج وناحية شنوان وبالغربية ناحية الهياتم وناحية منية محلة ونامية بهوت وبالقليوبية ناحية صنافير وناحية مجول البيضة وبالشرقية ناحية شاشامون وبالدقهلية ناحية نقيطا وناحية صهرجت المش وبالفيوم ناحية نقاليفة وناحية بنقمين وبالبهنسا والوجه القبلي ناحية نويرة

حميدة وميل الى الخير وكان يصرف في شهر رمضان الى مطبخ الجامع الازهر كل سنة ستمائة وسبعين دينارا ومائة قنطار من العسل وخمسمائة أردب قمح وبنى معابر للخير كثيرة الا انه كان شديد الطمع كثير الظلم والعسف يصادر الناس في أموالهم واذا مات أحد أخذ جميع ماله واتخذ مماليك فصاروا يظلمون الناس ظلما كثيرا فتوجه الناس فيهم وفي سيدهم الى الله تعالى فأزال الله ملكه بسبب فتنة بينه وبين السلطان سليم خان ملك القسطنطينية فقصد كل منهما الآخر واجتمعا بعسكرين عظيمين في موضع يقال له مرج دابق شمالي حلب بمرحلة في شهر رجب سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة فانهزم عسكر الغوري ولم يعلم حال الغوري فأقام السلطان سليم بالشام

وناحية سلاوة وناحية بها وناحية قاى وناحية الرينة وناحية بهداد وناحية تلومنة وناحية صفت الحلارة وناحية اهناس المدينة وناحية كفر حبدره وناحية القيس وناحية انسوخ وناحية تريدة والذى يجهز من محصولات القرى المذكورة الى المدينة المنورة وفقراء الحرمين الشريفين ومجاوريهما ماقدره من الحب اثناعشر ألف أردب ومن المال النقد ماجملته اثنا عشر كيسا فكانت مدة تصرف السلطان محمد فى السلطنة تسع سنين وخمسة عشر يوما وتوفى فى رجب سنة اثنتى عشرة وألف *(ثم تولى السلطان أحمد ابن السلطان محمد)* وسنه ثمان عشرة سنة وجلس على تخت السلطنة الشريفة فى ثالث رجب سنة اثنتى عشرة وألف وكان مالكا هيابا وله التفات الى السلطنة الشريفة وقتل جماعة من وزرائه من جملتهم نصوح باشا فانه لما آلت اليه الوزارة العظمى وتصرف فيها مع نفوذ الكلمة كثرت اتباعه وتمالكه حتى خرج عن طوره ووقع فى ألسنة العامة والخاصة وأشيع عنه مايوجب التيقظ لامور ه كما قيل * وعند صفو الليالى يحدث الكدر * فقتل ولله عز وجل البقاء ومن جملة محاسن السلطان أحمد انه عمر جامعا بالقسطنطينية لم يعمل مثله فى اتساعه واحكام بنائه ودقة صنائعه وغير ذلك مما يعجز عنه الوصف ومنها أنه أرسل حجرا من الماس قيمته اثناعشر ألف دينار أو أكثر الى المدينة المنورة وأمر أن يوضع بالحجرة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وهو موجود الى الآن ومنها أنه حصل فى بناء الكعبة الشريفة ميلان فى بعض أحجارها فارسل عمدا من فولاذ مطلية بالفضة مموهة بالذهب فطوقت بها الكعبة الشريفة من جوانبها الاربع وحفظت الاحجار من السقوط * ومن آثار خيراته أيضا انه أرسل ميزابا من فضة مموها بالذهب ووضع موضع الميزاب العتيق وتسلم أمير الحاج الشامى الميزاب العتيق ووضعه فى تختروان وأسبل عليه كسوة المحمل الشريف الشامى وخرج أمير الحاج الشامى أمامه وخلق كثير من العسكر المنصور ركبانا ومشاة بالطبل التركى وكان يوم خروجه من مكة يوما مشهودا وذلك فى سنة اثنتين وعشرين وألف وكان مؤلف هذا الكتاب حاجا فى السنة المذكورة وشاهد خروج الميزاب المذكور وأرسل الميزاب العتيق الى القسطنطينية ووضع بالخزائن العامرة تبركا ومن خيراته أيضا انه عمل سحابة بركب الحاج الشريف المصرى يحمل بها الماء للفقراء والمساكين ووقف عليها أوقافا وهى مستمرة الى الآن وبها النفع العام ومن آثاره أيضا انه رتب من ريع أوقافه أيضا لفقراء الحرمين الشريفين وأرباب وظائفهما زيادة فى معلومهم فى كل سنة ماقدره اثنا عشر كيسا يحمل اليهم صحبة أمير الحاج المصرى ولا يخفى على أولى البصائر وذوى العقل الباهر ما لآل عثمان من الخيرات والطول الكامل فى اسداء المبرات وكثرة احسانهم وتواتر انعامهم واسعافهم واكرامهم لاهل الحرمين الشريفين جيران الله وجيران نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى هذين البلدين العظيمين المنيفين والتصدق عليهم والرأفة اليهم بكثرة الانعام فى كل عام فلا غرو أن نطقت بحمدهم أفواه الدفاتر وخطبت بذكرهم الاقلام على انها خطباء والانامل انها منابر وشدت بذكرهم الاطيار فى أوكارها وأجابهم عاصى الصوادح طائعا أوكارها فلازالت الوية تصرفهم منشورة الذوائب مشرقة كالشمس فى المشارق والمغارب ظاهرة السطور حالية عاطل طروس السطور والذى ضبطه جامع هذه الاوراق المرتجى عفو ربه الخلاق فقير رحمة ربه محمد بن اسحق ورقمه بطريق التقريب فى هذا الكتاب ورسمه حسبما وصل اليه علمه من أفواه المباشرين والكتاب ان الذى يجهز الى فقراء الحرمين الشريفين ومجاوريهما فى كل عام من صدقة آل عثمان وخدمتهم وممن يأتى ذكره فيه من الديار المصرية حماها الله تعالى من كل ضر وبلية ماهو من المال النقد المسمى بالصرة مائة كيس وأربعة وستون كيسا بيان ذلك ماهو من أوقاف الدشيشة الكبرى أربعة وستون كيسا وماهو من أوقاف السلطان مراد سبعة عشر كيسا وماهو من وقف السلطان محمد اثناعشر كيسا وماهو من وقف السلطان أحمد اثناعشر كيسا وماهو من وقف الخاصكية عشرة أكياس وماهو من وقف الحرمين عشرة أكياس وماهو من وقف الاشرف خمسة

شهرا ثم رحل الى مصر فوجد عسكر مصر ولوا عليهم الملك الاشرف طومان باى ابن أخى الغورى ووقع بينهم حروب كثيرة فرأى طومان باى فى نومه النبى صلى الله عليه وسلم وقال له ياطومان أنت ضيفنا بعد ثلاثة أيام فخلع آلة القتال وذهب الى السلطان سليم طائعا مختارا فقتله وشنقه وأبقاه فى باب زويلة مشنوقا ثلاثة أيام ثم دفن عند دفن الغورى المشهور وبموت طومان باى انقطعت دولة الجراكسة وارتفعت السلطنة من مصر وعادت الى النيابة كما كانت وكانت مدة الغورى ست عشرة سنة وثلاثة أشهر تقريبا ومدة تصرف الجراكسة مائة واحدى وعشرون سنة وجملة ملوكهم اثنان وعشرون ملكا أولهم برقوق وآخرهم طومان باى ثم جاءت الدولة العثمانية

عشر ألف نصف فضة وماهو من وقف الخدم ثمانون ألف نصف فضة وماهو من وقف رستم باشا اثنا عشر ألف نصف فضة وماهو من وقف اسكندر باشا عشرة آلاف نصف فضة وماهو من وقف سنان باشا عشرون ألف نصف فضة وماهو من وقف علي باشا اثنان وثلاثون ألف نصف فضة وماهو من وقف علي باشا اثنان وثلاثون ألف نصف فضة وماهو من الحب في كل عام ثمانية وأربعون ألف أردب وثمانمائة وثمانون أردبا كما هو مذكور في محله في هذا الكتاب وذلك خارج عن صدقات البلاد الرومية والحلبية والشامية وغالب البلاد الاسلامية وذلك ببركة دعوة سيدنا ابراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام حيث قال ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون فأجاب الله تعالى دعاءه وجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء فان أودية مكة حجرية لا نبات بها قال البيضاوي في تفسيره عند قوله تعالى فاجعل أفئدة من الناس ومن للتبعيض ولذا قيل لو قال أفئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى وتوفي السلطان أحمد في عاشر شهر القعدة سنة سبع وعشرين وألف وكانت مدة تصرفه أربع عشرة سنة وأربعة شهور وعشرة أيام والله أعلم (ثم تولى السلطان مصطفى ابن السلطان محمد) وهو أخو السلطان أحمد وجلس على تخت السلطنة الشريفة في ثالث عشر ذي القعدة سنة سبع وعشرين وألف وكان في مدة ولاية أخيه السلطان أحمد في محل داخل السراية وهو ممنوع التصرف والاجتماع بالناس لا يمكن من الخروج من السراية وعنده بعض أطفال يخدمونه وهو موصوف بالصلاح لا التفات له الى سلطنة ولا الى تصرف في أمر من الامور وكان كلما اجتمع بأخيه السلطان أحمد يقول له لا حاجة لي بسلطنة مطلقا وكان يشاع ان السلطان أحمد كلما خطر بفكره شيء من قبل أخيه السلطان مصطفى يقول له ارجع عما تقصده فكان ذلك سببا للكف عنه ثم خلع مولانا السلطان مصطفى ليلة الاربعاء ثالث ربيع الاول سنة ثمان وعشرين وألف وأودع في جب داخل السراية وسد بابه ما عدا روزنة لطيفة ينزل منها طعامه وشرابه وكانت مدة ولايته ثلاثة أشهر وعشرة أيام والله أعلم (ثم تولى السلطان المظلوم الشهيد عثمان ابن السلطان محمد) وجلس على تخت السلطنة الشريفة يوم الاربعاء ثالث ربيع الاول سنة ثمان وعشرين وألف وسنه احدى عشرة سنة وهو مع صغر سنه ملك همام وأسد ضرغام ولما تمكن وتصرف واستقام له الحال توجه بذاته الشريفة وعساكره المنيفة الى غزوة طائفة من النصارى الملاعين البالية من جنس الروس فانه بلغه عنهم أمور قبيحة وخروج عن الطاعة وايذاء للمسلمين فوطئ بلادهم بخيله ورجله وقتل منهم من قتل وأسر من أسر فاذعنوا له ووافقوا على ان يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وعاد الى تخت ملكه مؤيدا منصورا فمكث مدة يسيرة وبعد ذلك شاع الخبر من الداخل ان السلطان عثمان قصد الحج الى بيت الله الحرام والفوز بزيارة قبر خير الانام عليه أفضل الصلاة والسلام وبعد تمام الحج يحصل ركابه السعيد بمصر المحروسة لاجل احتياطه بامورها فبلغ ذلك الخبر مولانا محمود افندي الولي العارف وبعض الوزراء وأكابر الدولة فأشاروا على مولانا السلطان عثمان بترك هذا الوارد وبانه ما تقدم لاحد من أكابر سلاطين آل عثمان مثل هذه الحركة وان فيها ضررا عاما للرعايا والبرايا والعساكر المنصورة فلم يقبل لاحد منهم اشارة ولم يلتفت لما قالوه وصمم على هذا الامر أشد تصميم لامر أراده العزيز العليم ثم في يوم الاربعاء سابع رجب سنة احدى وثلاثين وألف أثيرت فتنة بالقسطنطينية بسبب هذه الحركة المتقدم ذكرها فقتل بها خلق كثير من الاكابر والاماثل وغيرهم من جملتهم سليمان أغا دولار وأغا الوزير الاعظم واختفى السلطان عثمان ونزل من السراية الى اسطودار لاجل الاجتماع بمحمود أفندي المشار اليه فطرق عليه الباب فلم يمكنه من الاجتماع به بسبب عدم قبول نصيحته أول مرة وكان ذلك قبيل الغروب ثم عاد الى السراية الكبرى فوجدها مقفولة فلم تفتح له فرجع على أثره لمنزل حسين باشا وبات به ثم توجه بكرة النهار هو وحسين باشا الى منزل أغات الينشرية وأبرم السلطان عثمان على حسين باشا وأغات الينشرية بالتوجه الى العسكر المنصور وأخذ خواطرهم وان

ذات الصولة الباهرة البهية التي هي غرر جباه الايام ألبسها الله تعالى حلة الدوام فأولهم في ولاية مصر (السلطان سليم خان فاتح مصر) وقد ملكها مستهل سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وتوفي سنة ست وعشرين وتسعمائة وكان سلطانا مهيبا قهارا كثير السفك للدماء قوي البطش والفحص عن أخبار الناس عظيم الكشف عن أحوال الملوك وكان يغير زيه ولباسه ويتجسس بالليل والنهار ويطلع على الاخبار وتوجه لقتال العجم ونصره الله عليهم لكنه لم يتمكن من بلادهم شدة التمكن للغلاء والقحط الذي وقع هناك بسبب انقطاع القوافل التي كان أعدها لتتبعه بالمؤن فتفحص عن انقطاع ذلك فأخبر ان سببه سلطان مصر قانصوه الغوري لانه كان بينه وبين

بسليم مابرحوا يدبرون ويدفعون ما يتضررون منه ويكرهونه فقالوا لا يتيسر ذلك الا ان بعثتني انهم اخرجوا السلطان مصطفى من الجب وأجلسوه على تخت السلطنة الشريفة فأبرم السلطان عثمان على أغات الينشرية في ايصال هذا الكلام الى العسكر المنصور رفقا وسعيه في الفتنة وسلم الامر الى الله تعالى لانفاذ القدر المقدور فلما وصل اليهم وذكر لهم ما ذكره له السلطان عثمان فما كان جوابهم الا ان قطعوه بالسيوف اربا اربا وتوجهوا فورا الى بيت أغات الينشرية وأخرجوا السلطان عثمان وجاؤا به السلطان مصطفى فلما تلاقيا تباكيا وعم الحاصل لا تسل وأخذوا السلطان عثمان ونزلوا به في قائق وتوجهوا به الى المكان المعروف بيدي قله فبات به فلما أصبح الصباح عاد به داود باشا بالقائق وهو ميت لا روح به ولا حركة وأدخل الى السرايه الكبرى وأذن الناس اذا عاما في الصلاة عليه ثم دفن بتربة والده المرحوم السلطان أحمد التي أنشاها عند جامعه وكان له مشهد مشهود تباكت عليه الرعايا والعساكر المنصورة ونم بعضهم على بعض في الذي كان سببا لذلك ونشأ بعد ذلك فتن كقطع الليل المظلم من قال وقيل وغير ذلك مما يجب كتمه ولا يستحب اذاعته وبعد ذلك قتل داود باشا أشر قتلة وقتل معه جماعة من الاكابر ولا يعلم ما يحدث بعد ذلك الا الله تعالى وكانت وفاة السلطان عثمان يوم الخميس تاسع رجب سنة احدى وثلاثين وألف ومدة تصرفه أربع سنوات وأربعة أشهر وأربعة أيام وقد نظم بعضهم تاريخ القتلة فقال

قتلتم عثمانكم * وخنتم امامكم أما تخافون فتنة * تاريخها ظلامكم

١٠٣١

وقد نظم بعضهم أيضا تاريخا فقال

مات سلطان البرايا * وهو في الاخرى سعيد * قال لي الهاتف ارخ * ان عثمانا شهيد

١٠٣١

(ثم أعيد مولانا السلطان مصطفى الى الملك ثاني مرة) وجلس على تخت السلطنة الشريفة يوم الخميس ثامن رجب سنة احدى وثلاثين وألف خلد الله تعالى ملكه على الاسلام والمسلمين وجعل ظل سلطانه قويا متين وأمام الانام في ظل أمانه وعدله المكين لا زالت ان شاء الله تعالى دولته ماشية وآية ملكه تتلو هل أتاك حديث الغاشية وأبقاه على سرير السلطنة الباهرة دهرا طويلا وثبته على منهج الكتاب والسنة ولن تجد لسنة الله تحويلا وجعل السلطنة باقية في عقبه الى يوم التناد وأنار بنور عدله ظلم الظلم والفساد بجاه سيدنا محمد أفضل العباد انه كريم جواد لطيف بالعباد

(الباب العاشر فيمن تصرف في مصر من جانب آل عثمان العظميين من الوزراء والبشوات المفخمين وايراد أخبارهم ومدة اقامتهم بالديار المصرية وأحكامهم بها)

(أول من تقرر باشا بمصر خير بك أمير الامراء) بعهد سابق له في ذلك من المرحوم السلطان سليم وذلك في أوائل رجب سنة أربع وعشرين وتسعمائة وجعلها طعمة له الى ان يموت فتوفي في عاشر شهر صفر سنة ست وعشرين وتسعمائة فمدة تصرفه سنتان وتسعة أشهر وثلاثة أيام (ثم تولى مصطفى باشا) وكان دخوله في أوائل شهر رجب سنة سبع وعشرين وتسعمائة وعزل في سادس عشر شهر الحجة سنة ثمان وعشرين وتسعمائة فمدة تصرفه سنة واحدة وعشرة أشهر ويومان اثنان والله أعلم (ثم تولى قاسم جزل باشا) فكان دخوله سنة تسع وعشرين وتسعمائة وخرج من مصر في أوائل سنة ثلاثين وتسعمائة فكانت مدة ولايته سنة واحدة والله تعالى أعلم (ثم تولى أحمد باشا الخائن) في شهر صفر سنة ثلاثين وتسعمائة والسبب في توليته ان المرحوم السلطان سليمان لما جلس على تخت الملك صادف وزير والده المرحوم السلطان سليم وهو محمد باشا الصديقي فأبقاه على الوزارة العظمى وكان محمد باشا كبير السن بطيء الحركة في قيامه وقعوده وتصرفه والملوك لا يليق بخدمتها الا من يكون له حركة ومبادرة للامور فاستعفى من الوزارة وولي مكانه أودا باشا وكان أقدم منه في الخدمة المذكورة أحمد باشا وكان مؤملا ان الوزارة العظمى لا تتعداه فزاحم ابراهيم باشا وجلس فوقه لقربه من السلطان فشكا ابراهيم باشا السلطان فدبر

اسمعيل شاه كبير العجم مودة ومراسلات فلما استقر في تخت السلطنة استعد لاخذ مصر فكان منه ما كان وكان مستقره في مدة اقامته بمصر الروضة وبنى له كشكا عند قاعة المقياس وهو مشرف على بحر النيل والروضة ولما أراد التوجه الى الروم تقدم اليه خير بك بمفاتيح البلاد فردها عليه وولاه عليها الى أن يموت فشاوره على ان ابناء الجراكسة يريدون الدخول في جملة الاجناد فأجازه بذلك وشاوره على ابقاء أوقاف الجراكسة وهي نحو عشرة قراريط من أرض مصر فأجازه بابقائها على ما كانت عليه فتشوش وزيره وقال في مالنا وعساكرنا وتبقى لهم أوقافهم يستعينون علينا بها فقال السلطان سليم اين الجلاد وكانت احدى رجليه في

فبارزاته وأعطاه باشوية مصر ليستجلب بذلك خاطره وصار ابراهيم باشا يتعقبه بالعداوة السابقة وبرميه بما يوجب قتله فبرز الامر الجليل السلطاني للامراء الحافظين بمصر أن يجتمعوا عند ديوانه ويقتلوه في محله بالامر الشريف ويولوا أحدهم مكانه الى أن يرد الامر الشريف باقامة باشا وأرسلت الاحكام الى الامراء بمصر فوقع الامر في يد أحمد باشا قبل أن يصل الى الامراء فسولت له نفسه العصيان وانه يقاتل بجيش يلفقه من مصر فابدى الطغيان وادعى السلطنة وضرب السكة باسمه على الدنانير والدراهم وعصى بقلعة الجبل وكان قد حبس عنده بالقلعة أمير ين كبير ين وهما جانم الجزاوي ومحمود بك وأراد قتلهما وقد أخر الله تعالى أجلهما فسمع بانه دخل الحمام فكسرا الحبس وخرجا ونصبا صنجقا سلطانيا ونادي من أطاع الله ورسوله والسلطان فليقف تحت الصنجق فوقف تحت الصنجق السلطاني خلق كثير وجم غفير وسار مردارهم جانم الجزاوي ومحمود بك وتوجها بالعسكر الى الحمام فكبسا الحمام على أحمد باشا وكان قد حلق نصف رأسه وأعجله من حلق النصف الثاني هجوم العسكر فهرب الى سطوح الحمام وتسلق من مكان الى مكان الى أن وصل الى الرقيه واجتمع ما عنده من السلاح وغيره ثم انهم اقتفوا أثره فادركوه بمنية جناح بالغربية فقتلوه في أواخر سنة ثلاثين وتسعمائة وحزوا رأسه وجيء بها الى مصر وعلقت في باب زويلة ثم جهزت الى الاعتاب الشريفة فكانت مدة تصرفه بمصر سنة واحدة والله تعالى أعلم (ثم تولى ابراهيم باشا) * الذي صار وزيرا أعظم وكان دخوله في أوائل سنة احدى وثلاثين وتسعمائة وخرج من مصر في شهر شعبان من السنة المذكورة فمدة تصرفه سبعة أشهر (ثم تولى سليمان باشا الخادم) في تاسع شعبان سنة احدى وثلاثين وتسعمائة وفي زمنه حررت الدفاتر الروزنامجية وعقد ديوان مصر المحروسة وفي سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة عين الامير كيوان لمساحة قرى مصر وضبط أراضيها كل اقليم على حدته من الاطيان السلطانية والرزق والاوقاف والاقطاعات وغير ذلك وكتب بذلك دفاتر محررة ووضعت بديوان مصر المحروسة وهي معول عليها الآن ومشار اليها وتسمى دفاتر تربيع سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة وعمر أيضا جامعا بقلعة الجبل وعمر سليمان باشا جامعا ببولاق القاهرة وعمارة وكائل وأسواقا وربوعا وغير ذلك ولما تولى المرحوم الامير محرم بك أمير اللواء بالديار المصرية ناظرا على أوقاف سليمان باشا زاد في الجامع المذكور زيادة حسنة ورفع سقفه فصار الآن في غاية الحسن والكمال لمقام الشعائر الاسلامية وعمر أيضا الجامع سارية بقلعة الجبل وعمر أيضا وكائل برشيد وغير ذلك ثم ورد عليه أمر شريف بالتوجه الى اليمن فكانت مدة تصرفه بمصر تسع سنين وأحد عشر شهرا وستة أيام (ثم تولى خسرو باشا) في عشري شهر رمضان سنة احدى وأربعين وتسعمائة وعمر في ولايته صهريجا بين القصرين بمصر وبه النفع للشاردين والواردين فتصرف الى سادس جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنة وثمانية شهور وستة أيام والله أعلم (ثم عاد سليمان باشا الخادم الى باشوية مصر) عند عوده من اليمن في حادي عشر شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة فتصرف الى حادي عشري محرم سنة خمس وأربعين وتسعمائة فكانت مدته سنة واحدة وخمسة أشهر وأحدا وعشرين يوما (ثم تولى داود باشا) في سابع محرم سنة خمس وأربعين وتسعمائة وبنى في ولايته مدرسة عظيمة محكمة البناء بسويقة عصفور اللالة بمصر المحروسة ووقف لها أوقافا وهي باقية الى الآن لاقامة الشعائر الاسلامية فتصرف الى ثالث عشر ربيع الاول سنة خمس وخمسين وتسعمائة فكانت مدته احدى عشرة سنة وشهرا واحدا وعشرين يوما وتوفي بمصر المحروسة ودفن بالقرافة (ثم تولى مصطفى باشا صفغان) في خامس ربيع الاول سنة ست وخمسين وتسعمائة ومكث الى رجب من السنة المذكورة فكانت ولايته أربعة شهور ونصف شهر والله أعلم (ثم تولى علي باشا) في خامس شعبان سنة ست وخمسين وتسعمائة وتصرف الى غاية محرم سنة احدى وستين وتسعمائة فكانت مدته أربع سنوات وخمسة أشهر وستة وعشرين يوما ولما انصرف من باشوية مصر توجه الى الاعتاب الشريفة فتنقلت به الاحوال الى أن تولى الوزارة العظمى فأحسن فيها السلوك

الركاب فضرب عنق الوزير ووضع رجله الثانية في الركاب ولما نزل الحلاقة لاطلوه فقال عاهدناهم على انهم ان مكنونا من بلادهم أبقيناهم عليها وجعلناهم أمراءها فهل يجوز لنا أن نخون العهد ونغدر واذا أدخلنا أبناءهم في جندنا فهم أولاد مسلمين ويغارون على دارهم وأما أراضيهم فاصلها املاك الفاتحين ومنهم من وقف ومنهم من قامت ذريته من بعده فهل يجوز أن ننتزع الاملاك في أملاكهم وأما ازالت الوزير كراهة أن يغير على اعتقادي بتكرار كلامه فرحم الله هذا الملك العظيم وهذا شان الملوك وكانت مدة ملكه تسع سنين وثمانية أشهر وتوفي (وولى بعده ولده السلطان سليمان خان) ابن السلطان سليم خان سنة ست وعشرين وتسعمائة فاقام تسعا

وساوى بين الغنى والصعلوك وصار محمود الحال بجميع تصرفاته مع الثناء عليه (ثم تولى محمد باشا الشهير بدوقه كين زاده) فى أول صفر سنة احدى وستين وتسعمائة وتصرف الى عشرى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وتسعمائة فكانت مدته سنتين واحد وشهرين وتسعة عشر يوما (ثم تولى اسكندر باشا) فى جمادى الاولى سنة ثلاث وستين وتسعمائة وتصرف الى غاية رجب سنة ست وستين وتسعمائة فكانت مدته ثلاث سنوات وثلاثة أشهر وثمانية أيام وفى ولايته عمر المدرسة التى بباب الخرق المطلة على الخليج وهى مشيدة محكمة البناء وعمر تكية تجاهها وسبيلا بجوار المدرسة وقد عمل له بعض الفضلاء تاريخا وهو رحم الله من دنا وشرب ٩٦٦ ووقف على ذلك أوقافا وهى فى غاية الحسن والانتظام ولله الحمد والمنة (ثم تولى على باشا الخادم) فى سابع عشر شعبان سنة ست وستين وتسعمائة فتصرف الى سادس صفر سنة ثمان وستين وتسعمائة فكانت مدته سنتين وستة أشهر (ثم تولى شاهين باشا) فى ثانى ربيع الاول سنة ثمان وستين وتسعمائة فتصرف الى غاية جمادى الآخرة سنة احدى وسبعين وتسعمائة فكانت مدة ولايته ثلاث سنين وثلاثة أشهر والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى على باشا الصوفى) فى أول رجب سنة احدى وسبعين وتسعمائة وتصرف الى غاية رمضان سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة فكانت مدته سنتين وثلاثة شهور (ثم تولى محمود باشا المقتول) وكان دخوله يوم الاربعاء تاسع عشر رمضان سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة فتصرف الى ان قتل يوم الاحد تاسع عشرى شهر جمادى الآخرة سنة خمس وسبعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنة واحدة وتسعة شهور وعشرين يوما وقد نظم بعض الفضلاء تاريخا لقتله فقال

موت محمود حياة * فيه للعالم رحمه * قتله بالنار نور * وهو فى التاريخ ظلمه

(وقال بعضهم) ٩٧٥

أتى محمود باشا يوم خمس * فساقته منيته غصيبه * تجاه الناصرية خاف حيطا
بقبط جاءه منه مصيبه * ببندقة رماه كف رام * فخر رها لجاءته مصيبه

(ثم تولى سنان باشا) فى ثالث عشرى شهر شعبان سنة خمس وسبعين وتسعمائة وتصرف الى ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ست وسبعين وتسعمائة فمدة تصرفه تسعة أشهر وأربعة وعشرون يوما ثم ورد عليه أمر شريف من الملك بان يتوجه الى فتح بلاد اليمن واستخلاصها من الزيدية العصاة فتوجه ومعه جماعة من أكابر صناجق مصر وكان يقال ان استصحابه للصناجق لامر نسبوه اليه وهو قتل محمود باشا ولم يرجع من الصناجق أحد ولله البقاء وفتح سنان باشا اليمن واستنقذها من أيدى العصاة وشتت شملهم وقطع دابرهم وقد ألف القطبى تاريخا لهذا الفتح وسماه البرق اليمانى فى الفتح العثمانى لم ينسج على منواله فى حسن انسجامه وفكاهته فمن أراد أن ينزه طرفه ويطلع على ما أودعه فيه من الدر المكنون فليطالعه وبه قصيدة لا بأس بايراد أبيات منها أولها

لك الحمد يا مولاى فى السر والجهر * على عزة الاسلام والفتح والنصر
كذا فليكن فتح البلاد اذا سعت * لها الهمم العليا الى أشرف الذكر
جنود زهت من كوكبان خيامها * وآخرها بالنيل من شاطئ المصر

(ومنها)

سنان عزيز القدر يوسف عصره * ألم تره فى مصر أحكامه تجرى
تدلى الى أقصى البلاد بجيشه * ومهد ما كان قد غرق بالشر
وشتت شمل الملحدين وردهم * مثال ذر ودق الجبال من الذعر
وطاح رؤسا من كبار رؤسهم * له باطن السرحان والطير كالقبر
وكان عصى موسى تلقف كلما * بدا من صنيع الملحدين من السحر

(ومنها)

وما حسن الاعمال تبع * وناهيك من ملك قديم ومن فخر

وأربعين سنة وتوفى سنة خمس وسبعين وتسعمائة وكان سلطانا سعيدا لم يل مصر من بنى عثمان مثله وصلت سراياه الى أقصى المشرق والمغرب وغزا بنفسه ثلاث عشرة غزوة وبنى مدرسة عظيمة مشهورة بالسليمانية وله بيمارستان للمرضى وما زال منذ ولى قائما بنصر الدين وتأييد الشريعة الى ان توفاه الله تعالى وكانت أيامه من غرر الزمان وجملة وزرائه بمصر خمسة عشر وزيرا (وولى بعده ولده السلطان سليم خان الثانى) فاقام فى السلطنة ثمان سنين وشهرا واحدا وأربعة عشر يوما ومات فى شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وكان حليما عظيما وسلطانا حكيما شهما مطاعا أحيا سنة الجهاد وجد فى فتح البلاد منها جزيرة قبرس وكان

وتملكها آل عثمان انفحت ۞ بنو طاهر أهل الشآم والكر
فهل يطمع الزيدي في ملك تبع ۞ ويأخذها من آل عثمان بالمكر
أبى الله والاسلام والسيف والقنا ۞ وسر امام المسلمين أبي بكر

(ثم تولى اسكندر باشا الملقب) الجركسي في رابع جمادى الآخر سنة ست وسبعين وتسعمائة فتصرف الى غاية المحرم سنة تسع وسبعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنتين وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم عاد سنان باشا من اليمن) وتصرف في باشوية مصر من أول شهر صفر سنة تسع وسبعين وتسعمائة فنقول ما أثر جليلة وآثار جيدة وخيرات جسيمة لا تنقطع على توالي الايام وعدة مساجد ودور بطوائف كالربع وجوامع بالديار المصرية والرومية والشامية والثغور والبنادر ولم يكن أحد من خدمة آل عثمان أنشأ خيرات مثله ثم توجه بذاته الى زيارة القطب العلوي سيدي أحمد البدوي في تاسع شهر ذي القعدة سنة تسع وسبعين وتسعمائة فانه بلغه ان الامير منصور بن بغداد أمير ولاية المنوفية صغير السن مثلاعب لايلتفت الى التصرف في ولايته وهو منهمك على اللذات واتباع الشهوات واستولى على عقله جماعة من السفهاء من المنسوبين اليه وهم متصرفون في ولايته كيف شاؤا وعنده غرور وفي نفسه وهو متوسل بحبل ظهره الوزير الاعظم سياوش باشا فانه مكث عنده بالقسطنطينية مدة وكان عهده ان لا قدرة لاحد على عزله فخشي سنان باشا من ضياع الاموال الديوانية وخال بخلل باقليم المنوفية فقبض على الامير منصور وعزله في رابع عشري شهر القعدة المذكور وولى مكانه الامير غلام بن بغداد واستمر الامير منصور مسجونا في البرج بقلعة الجبل بمصر المحروسة من سنة تسع وسبعين وتسعمائة الى سنة ثمان وثمانين وتسعمائة الى أن قدم حسن باشا الخادم وأطلقه وولاه المنوفية على عادته فكانت مدة حبسه نحو عشر سنوات ومدة تصرفه بالمنوفية الى أن عزله أويس باشا عشر سنوات سنتان قبل حبسه وثمان سنوات بعد الاطلاق من الحبس فولايته معادلة لحبسه وهذا اتفاق عجيب فكانت مدة تصرف سنان باشا في الولاية الثانية سنتين وتوجه الى الاعتاب العالية وتولى الوزارة العظمى وفرحت الناس بولايته والله أعلم (ثم تولى حسين باشا) في سادس عشر محرم سنة احدى وثمانين وتسعمائة فتصرف الى غاية جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة فمدة تصرفه سنة واحدة وعشرة أشهر ونصف وفي زمنه حصل غلاء عظيم وقحط حتى أكلت الناس بزر الكتان وأعقب ذلك موت فجأة حتى ان الرجل والمرأة والخادم اذا توجه من منزله لاجل قضاء مصلحة تدركه المنية فيموت من غير مرض ولا ألم واستمر ذلك مدة والله سبحانه أعلم (ثم تولى مسيح باشا الخادم) في أوائل سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة وكان ذا مهابة متصفا بالعدل والعفة يكره أهل الفساد واللصوص وقطاع الطريق ويتجسس عن أخبارهم ومواطنهم ويرسل الحكام الاقاليم في احضارهم ويقتل منهم من يظفر به ويشنع في قتله وبسبب ذلك جمع أهل الفساد عن فسادهم واختفى أرباب التهم وانتظم الحال في زمانه وامنت الرعايا على أنفسها وأموالها وألقى الله الرعب في قلوب الحكام والكشاف والولاة وانكفت أيديهم عن التجري في الامور الخارجة عن الشرع والقانون وعمل شنكلا من حديد لقتل المفسدين بالرميلة وبولاق وبالشون بمصر العتيقة وظفره الله بالمفسدين ووقعت نادرة غريبة لا بأس بايرادها وهو ان شخصا من الواحات أخبرني شفاها أنه كان بوابا عند القاضي محب الدين الطاهري كاتم أسرار السلطنة الشريفة العثمانية بالديار المصرية ثم ان القاضي محب الدين المشار اليه لما شرع في بناء قاعة تجاور تربيته الكائن بمصر المحروسة بباب سر الصالحية وابتدأ في حفر أساسها فوجد تحت الارض قاعة وبوسطها قبة لطيفة معقودة بالجبس والمونة المحكمة فهدمها فوجد بها صندوقا لطيفا فيه زجاجة تقارب أن تكون ظرفا رطلين زيتا بازائها ثلاثة أرغفة ففحصها فوجدها شيئا يشبه الدهن ولم يعلم جنسه فاطلع عليه بعض جلسائه فلم يعرف أحد ماهو فاشاروا عليه أن يطلع عليها المرحوم الشيخ سري الدين الصائغ الحكيم رئيس الحكماء بمصر فاحضروه

أول من افتتحها أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ثم بعده الملك الاشرف برسباي ثم صاروا عكرون ويقطعون الطريق في البحر على المسلمين فاستفتى السلطان سليم فيهم المفتي أبا السعود فافتاهم بانهم ناقضون للعهد فجهز اليهم وظفره الله بهم وجهز لها وزرائه بمصر أربعة منهم سنان باشا صاحب الخيرات والعمارات (ثم تولى بعده ولده السلطان مراد خان الاول) ابن السلطان سليم الثاني سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة فاقام في السلطنة اثنتين وعشرين سنة وتوفي سنة ثلاث وألف وكان حاكما عادلا وسلطانا ضرغاما وله مدرسة عظيمة بباب الاميول وفي أيامه تحركت عساكر الجر فارسل لها جيوشا كثيرة وافتتح منها المدن

واطلع عليها فعرف ما بها لكن لم يخبره وقال دعني أراجع كتب الحكماء وتركه وطلع من فوره الى مسيح باشا وأخبره أنه وجد كنزا عظيما ولا يأخذه أحد الا كذا وكذا عمل اتباعا لخواص فاجابه لذلك فقال ان القاضي محب الدين الظاهري وجد عنده بقاعة خربة قنينة دهنا كثيرا اذا وضع منه درهم على قنطار من القزدير أو الرصاص صار ذهبا خالصا فاحضر القاضي محب الدين وأمره باحضارها فاحضرها فورا واختبرها فيها فوجدكما قيل ثم ان مسيح باشا جمع كثيرا من الموالي وأكابر الدولة والصناجق وأطلعهم على ذلك ثم أرسل القنينة بعد الختم عليها الى خزانة المرحوم السلطان مراد والقاضي محب الدين لم يتأسف على ذلك ولم يعاتب الشيخ سري الدين بكلمة واحدة وبنى مسيح باشا مدرسة ومدفناله بالقرافة ووقف على ذلك أوقافا وكان يؤمل ان يدفن بالمدفن المذكور وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت فتصرف الى ثاني عشر جمادى الاولى سنة ثمان وثمانين وتسعمائة وكان تصرفه خمس سنوات وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما (ثم تولى حسن باشا الخادم) في سادس عشر جمادى الاولى سنة ثمان وثمانين وتسعمائة وقد نظم بعض الفضلاء لمسيح باشا تاريخا فقال

والله نرجو ان نراه كاسمه * وبه ترى الكربات عنا تنجلي
والطالب التاريخ زين القول خذ * أرخ مسيحا نوره حسن ولي

وفي زمنه لبست اليهود الطراطير الحمر والنصارى البرانيط السود وكان قبل ذلك لبس اليهود العمائم الصفر والنصارى العمائم الزرق وكان حسن باشا محبا لجمع المال من حله ومن غير حله وحصلت منه مصادرات لبعض أكابر مصر من أولاد العرب وعمر وكالة ببولاق القاهرة تجاه الترسخانة وصهريجا مقابلها يعلوه مكتب أيتام وكان قصده ازالة الترسخانة وبنى مكانها جامعا فما تمكن من ذلك فتصرف الى ثالث عشري شهر ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنتين واحد عشر شهرا وثمانية عشر يوما ولما توجه الى الاعتاب الشريفة حصل له مشاق وأهوال وبعد ذلك تنقلت به الاحوال وولي الوزارة العظمى ثم عزل وقتل وهو غير محمود والله تعالى أعلم (ثم تولى الوزير ابراهيم باشا) في رابع عشري ربيع الآخر سنة احدى وتسعين وتسعمائة ودخل مصر في موكب عظيم لم يعهد لاحد غيره وفرحت الناس بقدومه واستبشروا بالخير وكان بيده أمر شريف بالتفتيش على حسن باشا المذكور وكان مؤملا ان يظفر به ويقبض عليه فسبقه بالتوجه ثم انه أقام عنه وكيلا في الدعاوى وأثبت عليه غالب ما أخذه ثم ان ابراهيم باشا توجه بنفسه الى بئر الزمرد فاحاط بها علما وظفر منها بالزمرد النفيس وتوجه الى الاهرام بعد ذلك وأراد الوقوف على ما بها وأنزل جماعة الى الهرم الكبير بشموع مطلية بالقير وبعاية ما بنوه فلم يظهر لذلك نتيجة ثم توجه الى دمياط ثم الى المحلة الكبرى وهدم كنيسة كانت بها وعمرها مدرسة وسماها الوزيرية ثم عمد بعد ذلك الى زيارة القطب الرباني والولي الصمداني سيدي أحمد البدوي عمت بركاته فزاره وأحسن الى مجاوريه ثم توجه الى محلة المرحوم ثم رجع الى مصر فكانت ولايته سنة واحدة وتسعة عشر يوما وتوجه الى الاعتاب الشريفة في شهر شوال سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة (ثم تولى سنان باشا الدفتدار) باقامة ابراهيم باشا الوزير في ثالث عشري شوال سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة فتصرف الى ثالث عشري شهر ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنتين وستة أشهر وعشرة أيام واستمر مقيما بمصر المحروسة الى ان قدم أويس باشا ونزل بناحية شبرا قريبا من بولاق فارسل هدية الى أويس باشا من جملتها حصان أشهب وهو مسرج بسرج مرصع وعدة تليق بالمرسل اليه وكان يؤمل ان أويس باشا حال طلوعه من المركب الى أوطاقه المنصوب له أن يركب الحصان المذكور فعدل عنه وركب اكديشا أشهب كان أحضره معه من الديار الرومية ثم ان سنان باشا قدم الى ناحية شبرا وقابل أويس باشا عند غروب الشمس فشاهد غيظا الانحاف وجه أويس باشا فهاله ذلك وداخله أمور تخوف منها فلما رجع من عنده الى مصر اختفى ولم ير بعد ذلك الا بالديار الرومية (ثم تولى

وجملة وزرائه بمصر ستة أولهم مسيح باشا صاحب المدرسة المسيحية بباب القرافة (ثم تولى بعده ولده السلطان محمد خان الاول) ابن السلطان مراد خان الاول سنة ثلاث بعد الالف فاقام في السلطنة تسع سنين الا شهرا وتوفي في سادس رجب عام اثني عشر وألف وجملة وزرائه بمصر أربعة منهم السيد محمد باشا الذي جدد عمارة الجامع الازهر ورتب له العدس بطابخ كل يوم وعمر المشهد الحسيني (ثم تولى بعده ولده السلطان أحمد خان) ابن السلطان محمد خان في رجب سنة موت والده فاقام في السلطنة أربع عشر سنة وأربعة أشهر ومات سنة ست وعشرين وألف وبلغ من العمر نحو ثمان وعشرين سنة وخلف أربعة ذكور

أويس باشا المشار اليه) في ثالث عشري جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وتسعمائة وفي زمنه حصلت الفتن بمصر المحروسة وتحركت العساكر وقتل من قتل وهرب من هرب ومنعت أولاد العرب من الدخول في العسكر المنصور ومن التشبه بأبناءهم وحدثت المطالب وحصلت المناهب من وجوه شتى وقيل ان هذه الحركة كانت باشارة أويس باشا فسبحان عالم الغيب وفي يوم الاحد المبارك رابع شهر صفر سنة تسع وتسعين وتسعمائة حصلت زلزلة بمصر بعد ظهر اليوم المذكور وكانت درجة وسدسا وسقطت منها منارات وبيوت وربوع وفاض الماء من حيطان الحمامات ومطاهر الجوامع وهدمت عقبة أيلة ونهب العرب جميع ما كان فيها من ذخيرة الحجاج والمحافظين وسقطت صخرات من الجبال بطريق مكة وحال وقوع الزلزلة المذكورة كان مؤلف هذا التاريخ اذ ذاك ببيت نقيب الجيوش بمصر فشاهد جهات حوش البيت المذكورة وهي تتمايل ولها قعقعة وسقط منها بعض أحجار وكان بالحوش المذكور سدرة كبيرة فصارت تتمايل يمينا وشمالا كأنها في فلاة وطردتها ريح عاصف ولم ير مثل تلك الزلزلة وقد نظم بعض الفضلاء تاريخا لها فقال

اقترب الامر فتب * محتثلا للموعظه   زلزلة قد أرعبت * تاريخها وهي عظه

٩٩٦

وفي يوم الاربعاء عاشر جمادى الاولى من السنة المذكورة حصلت زلزلة عند طلوع الشمس مكثت مدة يسيرة وقد ذكر جماعة ان جانبا من الجبل المقطم بالقرب من اليحموم بشرق اطفيح انفرق ثلاث فرق وخرج من كل فرق عين ماء أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأشد ما يكون في الجريان · ذكر الجلال السيوطي في كتابه المسمى بكشف الصلصلة في وصف الزلزلة قال أخرج أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة وابن أبي الدنيا عن ابن عباس قال خلق الله جبلا يقال له قاف محيط بالعالم وعروقه الى الصخرة التي عليها الارض فاذا أراد الله ان يزلزل قرية أمر ذلك الجبل أن يحرك العرق الذي يلي تلك القرية فيزلزلها ويحركها فمن ثم تحرك تلك القرية دون غيرها وان أول زلزلة وقعت في الدنيا حكى المفسرون ان قابيل لما قتل هابيل رجفت الارض سبعة أيام وأخرج الحاكم في صحيحه عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الله عذاب أمتي في الدنيا القتل والزلازل والفتن وفي خلافة المأمون وقعت زلزلة عظيمة بخراسان دامت سبعين يوما وفي سنة خمس وأربعين ومائتين في خلافة المتوكل زلزلت الارض شرقا وغربا وسقطت الحصون والاسوار وخربت المنازل بالغرب وبمصر والشام وانطاكية والمدائن حتى خرج أهلها الى الصحاري وانقطع الجبل الاقرع بانطاكية وسقطت منه قطعة عظيمة في البحر وارتفع منها دخان اسود منتن وفي سنة ثمانين في خلافة المعتضد ورد الى مصر شخص من أهل قرية اردبيل الخبر ان في شهر شوال في السنة المذكورة كسف القمر وأصبحت الدنيا مظلمة الى العصر فهبت ريح سوداء فدامت الى ثلث الليل وأعقبها زلزلة عظيمة أذهبت غالب بنيان المدينة وكان عدة من أخرج من تحت الردم مائة وخمسين ألفا وفي خلافة المطيع لله سنة أربع وأربعين ومائتين زلزلت مصر زلزلة عظيمة أذهبت غالب عامر المدينة هدمت البيوت ودامت ثلاث ساعات وفي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة كانت الزلزلة العظيمة المروفة بزلزلة حماة هدمت ثلاث عشرة مدينة وهي حلب حماة المعرة شيزار كفرطاب أفامية حمص حصن الاكراد عسقلان اللاذقية طرابلس انطاكية الجرب ويستحب عند الزلزلة العتق والدعاء والتضرع والتكبير والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فانه اندفع كل بلية وتزيل كل كرب من كرب الدنيا والآخرة (ذكر الكمال الدميري في حياة الحيوان) قال وهب بن منبه كانت الارض كالسفينة تذهب وتجيء فخلق الله ملكا في نهاية العظم والقوة وأمره ان يدخل تحتها ويجعلها على منكبيه فدخل تحتها وأخرج يدا من المشرق ويدا من المغرب وقبض على أطراف الارض وأمسكها ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله صخرة من ياقوتة حمراء في وسطها سبعة آلاف ثقب يخرج من كل ثقب بحر لا يعلم عظمه الا الله تعالى ثم أمر الصخرة فاستقرت تحت قدمي الملك ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله ثورا عظيما

عثمان ومحمدا ومرادا وأبا يزيد وله خيرات وعمارات بالحرمين وغيرهما وله جامع عظيم بالقسطنطينية أنفق عليه مالا كثيرا وجملة وزرائه بمصر ستة (وتولى بعده أخوه السلطان مصطفى خان) ابن السلطان محمد خان سنة سبع وعشرين وألف وخلع سنة ثمان وعشرين وألف ولم يخلع قبله أحد من سلاطين آل عثمان (وتولى يوم خلعه ابن أخيه السلطان عثمان خان) ابن أحمد خان وهو مراهق فأمر باكرام عمه السلطان مصطفى المخلوع وخرج السلطان عثمان المذكور الى جهاد الكفار بنفسه وغاب نحو سبعة أشهر ثم عاد منصورا مؤيدا ثم عزم على الحج وأفضى الحال الى مثل فتنة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وكانت

له أربعة آلاف عين ومثلها آذان ومثلها أنوف وأفواه وألسنة وقوائم ما بين كل اثنين منها مسيرة خمسمائة
عام وأمر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة فحملها على ظهره وقرونه واسم هذا الثور ركيونا ثم لم يكن
للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا عظيما لا يقدر احد ان ينظر اليه لعظمه وبريق عينيه وكبره حتى قيل لو
وضعت البحار كلها في احدى منخريه لكانت كخردلة في فلاة فأمر الله ذلك الحوت أن يكون قواما لقوائم
الثور واسم هذا الحوت بهموت ثم جعل قراره الماء وتحت الماء ظلمة ثم انقطع علم الخلائق عما تحت الظلمة
هكذا نقله القاضي شهاب الدين بن فضل الله في كتاب مسالك الابصار ومما اتفق في زمن أويس باشا ان
الامير حسين البيرموني انكسر عليه مال السلطنة الشريفة قدره ثلاثون ألف دينار فطالب منه ذلك فتعلل
وذكر ان عنده قصبا سكر يأتي بالقدر المذكور فامتنع من ذلك أويس باشا فحبسه فشفع فيه بعض أرباب
الدولة وطلبوا المهلة ثلاثين يوما فقال أويس باشا كيف يمكن ذلك وهل يتصور أن يجمع من بيع القصب
في كل يوم ألف دينار فقالوا له يرجى ذلك ان شاء الله تعالى فأطلقه من الحبس وسلمه للحوالة ثم انه أحضر
القصب الى ساحل بولاق شيأ فشيأ وأطلق المبيع فيه فما مضى الشهر حتى أوفى الثلاثين ألف دينار وطالع
بها الاويس باشا فتعجب من ذلك وقال مصر يباع فيها قصب برسم المصاص كل يوم بألف دينار فقالوا له هذا
من موجود شخص واحد وهناك ما يباع براو بحرا من القصب ما يزيد عن ذلك فانظر يا أخي الى خيرات
مصر وما أودعه الله فيها من الارزاق والبركات بسماحة أهلها بالمصرف والنفقات وهذا القصب من أعظم
نعم الله على أهل مصر لما فيه من الحلاوة السائغة فسبحان ذي المنة العظمى والحكمة البالغة قال الامام
الشافعي رحمه الله لولا قصب السكر ما أقمت ببلادكم يعني مصر والقصب حار رطب وقيل معتدل وأجوده الحلو
الكثير الماء ويوجد فيه شيء من الصمغ اذا اكتحل به يجلو العين ومصه ينفع الصدر والسعال ويجود ماؤه ويدر
ويدر البول ولكنه يولد أرياحا فينبغي أن يغسل بماء حار بعد تقشيره ليزول ضرره وقد شاهدت في سنة
ست وتسعين وتسعمائة أعجوبة لا بأس بذكرها وان كانت خارجة عن المقصود وهو ان مخصا يدعى
الامير سليمان بن أحمد بن أزدمر المشهور بالاخرس الجركسي الاصل وهو من أعيان عسكر مصر حضر الى
محكمة مف وأرز من يده حبة أرز مكتوب عليها ما قرأته وهو بسم الله الرحمن الرحيم والعصر ان الانسان
لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر بسم الله الرحمن الرحيم ان
أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله
الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد كتبه محمد سنة ٩٩٤ وشاهد ذلك قضاة المحكمة المذكورة
وشهودها وما من شخص منهم الا وقرأ ذلك مرة أو مرتين وأما مؤلف هذا التاريخ فانه قرأها على الارزة
أكثر من ثلاث مرات وتأمل حروفها تأملا شافيا وشاهد حجة كل بسملة والكلمات المبسوطة واسم
الكاتب والتاريخ المكتوب بالاحمر وكتب في خصوص ذلك محضر ورقم به اشهادات من شاهد ذلك ورآه
فرحم الله كاتبها وعامله بفضله وكرمه فانظر يا أخي كيف يلم التراب مثل هذه الانامل فان من سمع ولم
يشاهد فربما يدخله التململ ويجول فكره ويقول كيف يتصور ذلك فسبحان المنعم المتفضل على عبيده
ومن على من يشاء بجودة الخط الذي هو من أعظم موجبات الحظ وأنعم بهذه الصناعة على أهل البراعة
واليراعة وأجرى ذكرهم بالخيرات الى قيام الساعة قال الله تعالى في كتابه العزيز الذي علم بالقلم علم
الانسان ما لم يعلم ذكر ابن الخازن في تفسيره وما قرأ فقال تنبيه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة
لان بها ضبطت العلوم ودونت الحكم وبها يعرف أحوال الماضين وأخبارهم ومقالاتهم ولولا الكتابة
ما استقام أمر الدين والدنيا قال قتادة القلم نعمة من الله عظيمة لولاه لم يقم دين ولم يصلح عيش وسئل بعضهم
من الكلام فقال ريح لا يبقى قال فما قيده قال الكتابة لان القلم ينوب عن اللسان ولا ينوب اللسان عنه
انتهى كلام ابن الخازن * (فائدة) * في معنى حروف المعجم اذا نطق بها من غير تركيب أ الفرد الذي لا مثل
له ب الكثير الجماع ت التراب الذي يتمرغ عليه الحارث ث ابن الحليب ج الجمل المتعلم ح الدليل

مدته أربع سنوات
وأربعة أشهر وعشرة أيام
وجملة وزرائه ستة (ثم تولى
بعده عمه السلطان مصطفى
خان) الذي كان مخلوعا
فأقام في السلطنة سنة
ثم خلع ومات بعد خلعه
بأيام (وتولى بعده ابن أخيه
السلطان مرادخان) ابن
السلطان أحمد خان سنة
اثنتين وثلاثين وألف
فأقام في السلطنة ست
عشرة سنة واحد عشر
شهرا وخمسة أيام ثم مات
تاسع شوال سنة تسع
وأربعين وألف وجملة
وزرائه بمصر ستة أيضا (ثم
تولى بعده أخوه السلطان
ابراهيم خان) ابن السلطان
أحمد خان ووافق تاريخ
توليته (استعنت بالله)
فأقام في السلطنة ثمان
سنين وتسعة أشهر ثم خلع
وفي اليوم الثالث قتل (وفي
ذلك اليوم تولى ابنه السلطان

الجرس خ عرف الديك د الرجل الاكول ذ القرد الصغير ر الشيخ الجليل ز التفاح الاحمر س الديك المرغ منقاره فى التراب ش رجل لايشبع من الجماع ص الهدهد ض المرأة الكبيرة الثديين ط سنام البعير ظ الابل المقطورة ع زبد الماء غ المقدم على أقرانه ف المتوسط فى الصلح ق الشجرة الخضرة ك الفحل ل جمل ذو سنام م الحوت ن الدواة والسيف ه الاطم على وجه الصغير و شراك النعل ى اللبن الباقى فى الضرع وقد اختلف فى لفظ اللسان وخط البنان فقال بعضهم لفظ اللسان لايجاوز الاذان ولايذكر فى كل مكان ولايترجم بكل لسان وأما خط البنان فيوجد فى كل مكان ويترجم بكل لسان وكان صلى الله عليه وسلم ينطق له الخط ولا يكتب فسمى النبى الامى لعدم الكتابة ونطق الخط معجزة فى حقه صلى الله عليه وسلم وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى النجاشى وآمن بعد فاسلم وكتب الى كسرى ولم يترب كتابه فلم يسلم فاذا كتب أحدكم كتابا فليتربه فان التراب مبارك وهو أنجح للحاجة وسمعت وأنا بمكة المشرفة سنة ثمان عشرة وألف ان كاتب الارزة المتقدم ذكره توجه الى بلاد الهند واجتمع على سلطانها فكتب له قل اللهم مالك الملك الى آخر الآية فى فرخ ورق هندى بقلم الثلث الوضاح كتابة تحرير على الاوضاع المرضية والطريقة الياقوتية ثم كتب الآية الشريفة ومطاويه على حبة أرز وأوصل ذلك الى السلطان المذكور فاجله وأنعم عليه بنعمة وافرة من أقمشة وغير ذلك وأعطاه مصرف الطريق ستة وثلاثين دينارا زنة كل دينار عشرة مثاقيل ثم عاد الى مكة المشرفة وقد نظم المرحوم الشيخ الفارضى فى وصف آلات الدواة قصيدة لا باس بايرادها فى هذا المحل وهى هذه

حمدا لمولى أنزل الكتابا * وشرف القرآن والكتابا * ثم صلاة الله تهدى بالقلم
من مدحه فى آى نون والقلم * والآل والصحب ذوى النجابه * والحافظين العلم بالكتابه
فى حديث قيدوا العلم بها * اسناده صحيح جاء بها * واختلفوا هل خط أشرف البشر
أصح قول لا وانما أمر * فدو ردالنص بذا وبسطه * فى قول ذى العرش ولا تخطه
لحكمة بيانها ما غابا * يتلى علينا فى اذا لارتابا * وكان من كتابه معاويه
ومن علت بجنته باساريه * وللدواة أربعون فيها * أثبتها اصطلاحهم قديما
وقد حوتهن دواة باهره * فهن فيها كنجوم زاهره * يحطها يراع كل ناقش
وماسواها ملحق بالهامش * شادية بحسنها وكافيه * ماحكيت وههنا ماناديه
نظامتها فشكل فسرته * وواضح على التوالى سقته * أما الذى لايختفى فالمحبره
مركبة ومنقد ومسطره * ومبرد ومفرز ومكشط * ثم مقص مجمع ومخيط
ومبرد ومحلر ومكتزه * مقلمة ومحوه ومقطره * مطويه ومسديه ومرمله
ممحة ثم محك مصقله * ثم مزم ومسن ومقط * وألحقت مفرشة بها انضبط
ثم ملف ثم محرالذولا * بأس بلقاط وعد المشكلا * فالمبر الخيط حذقى العرف
اقلم وافترقا فى الوصف * ومكبس للضبط والجفف * ورمله من ودة تنعطف
ومركز الاقلام هى وكذا * للحبر مصفاة بها ينفى الاذى * ومقسم وهو بيكار صدق
والزموا ملزمة تحوف الورق * لهم ملاق حقة مشاق * وفى حديث للقط مساق
ولف بالمنديل ما تقدما * وختمه مسك الماقد علما

رجعنا الى ما نحن بصدده من ذكر أويس باشا فانه تصرف فى باشوية مصر الى سادس شهر رجب سنة تسع وتسعين وتسعمائة ومات بمرض السكتة فجاءة ودفن بالقرافة فكانت مدة تصرفه أربع سنوات وشهرا واحدا وثمانية أيام وقد نظم بعضهم تاريخا لوفاته فقال

أهلك الله أويسا انه * جار فى الحكم ولم يخش الوعيد
مذ أتى مصر تجبر واعتدى * وله السلم تبدى فى مزيد

محمد خان) وكان عمره تسع سنين فاقام فى السلطنة احدى وأربعين سنة ثم خلع سنة تسع وتسعين وألف (وتولى ذلك اليوم السلطان سليمان خان) ابن السلطان ابراهيم خان) فاقام ثلاث سنوات وشهرا ومات سنة اثنتين ومائة وألف (وتولى بعده أخوه السلطان أحمد خان ابن السلطان ابراهيم خان) فاقام فى السلطنة ثلاث سنين وتسعة أشهر ومات سنة ست ومائة وألف (وفى هذه السنة) لم يطلع النيل بمصر ولم يجر كعادته فارتفعت الاسعار واشتد الكرب على الناس من الغلاء وخصوصا الفقراء حتى أكلوا الميتة ثم كثر الموت من الطاعون حتى صار الناس المشيعون للجنائز يسقط منهم الكثير فيموتون وهم سائرون فكانت لاتخلو طريق من

هلك الحرث وكم من فتنة * أمها بالجهل فيما لا يفيد
منذ دهاه الموت ما أفلته * لولا كان له عنه محيد
خاب سعيا بوفاة أرخو * هار خاب كل جبار عنيد

٩٩٩

(ثم تولى أحمد باشا حافظ الخادم) في سابع عشر رمضان سنة تسع وتسعين وتسعمائة وكان محبا للعلماء والفقراء ذا رأي وتدبير في تصرفه وعمر وكالة كبرى ووكالة صغرى وسوقا وقهوة ببيوت وربعا ببولاق القاهرة بجوار شون الحطب وعمل مصلى بالوكالة الكبرى مطلة على بحر النيل وقرر بها أرباب وظائف وهي مقامة الشعائر الإسلامية وعمر أيضا برشيد وكالة وقهوة وربعا وعمل حنابة بطريق الحاج الشريف وبها النفع للحجاج ولما صرف من باشوية مصر وتوجه إلى الأعتاب الخاقانية فساعدته العناية الربانية فولي الوزارة العظمى وشكره الناس وحمدوا ولايته ثم إنه استعفى عن الوزارة واستأذن في الحج فأذن له وجاء إلى مصر بحرا وتلقته الأكابر بأحسن ملتقى وأهدت إليه الهدايا وحج ورجع وتوجه إلى القدس وخليل الرحمن فزار ورجع إلى الديار الرومية وتوفي بها إلى رحمة الله تعالى فكانت مدة تصرفه في باشوية مصر إلى أن عزل في تاسع شعبان سنة ثلاث وألف ثلاث سنوات وعشرة شهور واثنين وعشرين يوما والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى قودر باشا) في ثالث عشري رمضان سنة ثلاث وألف وكان أميا ساذجا محبا للهو واللذات لا حيلة له في جمع المال ولا في غيره (ومما يحكى) عنه أنه كان جالسا في محل عال مشرف على حارة درب اليسار فرأى شخصا كان ينكح حمارة فضحك حتى استلقى على قفاه ثم أطلع نفرين كانا عنده من خدمته على ذلك الرجل وأمرهما بإحضاره له وأوصاهما أن لا يشوشا عليه ويترفقا به فنزلا من عنده واجتمعا بالرجل وقالا له نحن ضالون عن باب القلعة ودفعا له نصفين وقالا له دلنا على الطريق فأتى بهما إلى باب القلعة فقالا له لا بد من إكرامك فأدخلاه إلى أن أوقفاه بين يدي قودر باشا فقال له من أي القبائل أنت قال أنا من درب اليسار ثم قال له أنت عازب أم متزوج فقال عازب فقال لأي شيء لم تتزوج فقال له من الفقر فقال له لأي شيء تنكح الحمير فخجل الرجل ونكس برأسه إلى الأرض حياء ثم إن قودر باشا أحضر له جارية بيضاء من جواريه وقال له قد وهبتك هذه بشرط التوبة عن نكاح الحمير فقال تبت إلى الله ثم بعد ذلك أمر أن يعطى له ألف نصف وقال له هذه الدراهم تنفقها القيام الأود أنت وعيالك فأخذ الجارية والدراهم وتزوجها وهو مسرور محظوظ فانظر إلى مكارم أخلاق هذا الرجل وقل من يفعل مثل ذلك في هذا الزمن وأن قودر باشا تصرف في باشوية مصر إلى سابع عشر رجب سنة أربع وألف فكانت مدة تصرفه عشرة أشهر وعشرة أيام وفي سنة أربع وألف توفي مولانا شيخ الإسلام محمد الرملي الشافعي ومولانا شيخ الإسلام الشيخ علي المقدسي الحنفي فنظم بعض الفضلاء تاريخا لوفاتهما فقال

لما قضى الرملي شيخ الورى * من كان على مذهب الشافعي
ثم تلاه المقدسي الذي * حاز علوم الصحب والتابعي
فقلت في موتهما أرخا * مات أبو يوسف والرافعي

١٠٠٤

(ومما يحكى) عن أبي يوسف رحمه الله تعالى أن هرون الرشيد أتى ذات يوم إلى فراشه وقت الظهر فلما رقى سريره وجد منيا طريا بفراشه فهاله ذلك وانحرف مزاجه انحرافا شديدا فسد غاز بيده فلما حضرت بين يديه قال لها ما هذا الملقى على هذا الفراش فنظرت إليه ثم قالت له هذا مني يا أمير المؤمنين فقال لها أصدقيني من سبب ذلك وإلا بطشت بك في هذا الوقت فقالت له يا أمير المؤمنين والله لا أعلم لذلك سببا وإني بريئة مما تتوهمه ثم إنه طلب أبا يوسف ونصب له كرسيا ونصب لزبيدة ستارة خلف السرير فلما حضر أبو يوسف ذكر له القضية فنظر أبو يوسف إلى المني ثم رفع رأسه إلى السقف فرأى فرجة بالسقف ثم قال يا أمير

طرق مصر من أموات مطروحين فيها لا يعرف لهم أهل ولا سكن ووفق الله تعالى بعض الأغنياء لحمل الأموات الذين في الطرقات والحارات ويرسلونهم مع خدمهم إلى المغسل السلطاني فيغسلونهم حتى يصيروا مائتين في آخر النهار فيغسلونهم ويكفنونهم ويضعون كل ثلاثة أو أربعة في نعش واحد ويرسلونهم إلى المقبرة ووفق الله تعالى وزير مصر إسمعيل باشا فكفن الوفا من الأموات وبعد موت السلطان أحمد خان ابن السلطان ابراهيم خان سنة ست المذكورة (تولى ابن أخيه السلطان مصطفى خان) ابن السلطان محمد خان فأقام في السلطنة ثمان سنين وشهرا وخلع سنة خمس عشرة ومائة وألف (وتولى بعده أخوه السلطان أحمد خان ابن السلطان

المؤمنين ان الخفاش منيا كمني الرجال وهذا مني خفاش وطلب بحا فاحضر فاخذه بيده و وضعه بالفرجة التي بالسقف فطار منها خفاش والمني يقطر منه فوق الفراش فاندفع الوهم عن هرون الرشيد وظهرت براءة زبيدة فزغرتت فرحا ببراءتها وامرت لابي يوسف بجائزة وافرة وقالت له يا امام أيما أحب اليك حلاوة التمر و زج أم حلاوة الفالوذج فقال لها انا ذهبنا لا نحكم على غائب فاحضر له الحلوتان فاكل من هذه ومن هذه ولم يفرق بينهما فقالت له فما الفرق بينهما فقال لها كلما أردت أن أعجل على أحدهما أقام الآخر الى حجته فضحك هرون الرشيد وأمر له بصلة وافرة فاخذ الصلتين وانصرف من عنده فرحا مسرورا والله أعلم (ثم تولى الشريف محمد باشا) في ثالث عشر شوال سنة أربع بعد الالف وكان حاكما بهيا ذا بسيرة وسطوة وعند قدومه تكاثرت الشكاوى في كوسى حسن الشاغرت وأحمد المسلماني بسبب خيانة حصلت في الاموال الديوانية والشون السلطانية وثبت ذلك عليهما فامر بشنقهما فشنقا فنظم الامير باكير الناظر تاريخا لشنقهما فقال

بالعدل رب الخلق أجرى حكمه * في خائنين خالفا أهل التقى
وان ترد في الحال تاريخا يكن * كوسى حسن والمسلماني شنقا

١٠٠٤

وكان نية الشريف محمد باشا أن يبطش ببعض أناس ولما أشيع عنه ذلك حصل التيقظ لخاطره الغرور وقد خاب ظنه كما قال الطغرائي

والدهر يعكس آمالي و يقنعني * من الغنيمة بعد الكد بالقفل

(وقال أبو اسحق المعري)

مصاحبة المنى خطر وجهل * وكم شرق تولد من زلال

(وقال غيره) قد يدرك المتاني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

(وقال أمية بن أبي الصلت)

تجري الامور على حكم القضاء وفي * طي الحوادث محبوب ومكروه
فربما سرني ما بت أحذره * وربما ساءني ما بت أرجوه

ثم ان الشريف محمد باشا عزم على التوجه الى الربيع فاشار عليه جماعة من ذوي الآراء بترك التوجه للربيع فنبذ كلامهم للامر المقدور وصمم على التوجه للربيع فتحرك عليه جماعة من العسكر المنصور وتعرضوا له عند انصرافه من الربيع وهو بباب الوزير بموكبه الخاص وعسكره وطائفة من السلمانية وهم معدون بالبنادق الجزائرية فلما عاين من معه كثرة العسكر المنصور تفرقوا في الازقة وتركوا محمد باشا في نفر قليل من أتباعه فدعاه العسكر الى المحاكمة على يد الشرع الشريف بمدرسة السلطان حسن فاوهمهم الانقياد لما دعوه اليه فتوجه معهم الى أن وصل الى الرميلة فركض حصانه نحو باب السلسلة ودخل القلعة وأغلق الباب بينه وبين العسكر المنصور واندفعت تلك الثائرة وقتل بعض من كان يكثر التردد على محمد باشا واستمر بالقلعة وهو مكفوف التصرف قاصر الكلمة الى أن صرف في خامس عشر الحجة سنة ست بعد الالف فكانت مدة تصرفه سنتين وشهرين وثلاثة عشر يوما وفي ولايته غير أستار الاروقة بالجامع الازهر التي كانت من حصر قديمة وجعلها من خشب مدهون بالدهان الاخضر ورمم أيضا سقف الجامع الازهر ودهن بالدهان الاخضر ورتب عدة سماطين الجامع الازهر للفقراء والمجاورين وهو مستمر الى الآن وكان له احسان الى الفقراء والمساكين وخرج من مصر في موكب عظيم وعلى رأسه عمامة خضراء وركب معه خاصة العسكر وعامته وكان يوما مشهودا ولما توجه الى الاعتاب الشريفة مكث مدة يسيرة وعين لسفر قول باش فامره الشام واستمر وهو محصور عنده الى أن مات ببلاد العجم رحمة الله تعالى عليه (ثم تولى خضر باشا) في عشر ذي الحجة سنة ست بعد الالف فتصرف الى خامس عشر شهر محرم

محمد خان) سابع عشر ربيع الاول من السنة المذكورة وله مسجد عظيم باسلامبول يعمل فيه مولد النبي صلى الله عليه وسلم وأول وزرائه الوزير محمد باشا رامي رئيس الكتاب حضر الى مصر أول سنة سبع ومائة وألف ثم عزل وحضر بعده لوزارة مصر الوزير حسن باشا السلحدار سنة تسع عشرة ومائة وألف ثم عزل سنة احدى وعشرين ومائة وألف وحضر بعده لوزارة مصر ابراهيم باشا القابودان ثم عزل سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف وحضر بعده لوزارة مصر الوزير خليل باشا ووقع في زمنه فتنة عظيمة سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف بين العسكر وتقفلت حارات مصر وأسواقها اثنين وسبعين يوما والمدافع تضرب ليلا و نهارا وتعطلت سائر الاسباب وآل الامر الى قتل

الحرام سنة عشرة وألف فكانت مدة تصرفه ثلاث سنوات وخمسة أيام والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى علي باشا) في تاسع صفر الخير سنة عشر وألف وعند قدومه الى الاسكندرية تكاثرت عليه الشكاوى من الكشاف وأكثر ذلك من برويز كاشف المنوفية فقتله حالة مقابلته ويقال ان شيخي أفندي لما انصرف عن ولاية قضاء المنوفية اجتمع بعلي باشا على رودس فسأله عن الاحوال فقال له برويز كاشف المنوفية مستحق القتل وعدد له جرائم وقبائح وعند وصول علي باشا الى كفر الخضر احصلت شكاوى في محمد بن نجا حاكم النحراوية فقتله بكفر الخضر فهابه الحكام والكشاف ودخل مصر في هيبة وجلالة ولقبوه بالنمر ولما استقر بالقلعة أرسل قوسا وأمر ان يعلق على باب زويلة بالرماه وألصق به تذكرة ذكر أنه مكتوب فيها ان كل من أوفى هذا القوس يعطى ما هو مقيد بالتذكرة فلم يجسر أحد أن يمسك القوس تأدبا واستمر وهو معلق ثم رفع وكان قصد علي باشا بذلك اظهار نتاج واستقامة بعض أمور فما ساعدته القدرة على ذلك

ما كل ما يتمنى المرء يدركه * تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن

(وما أحسن قول ابن أسيد الحاربي)

شفى المؤمل يوم الحيرة النظر * ليت المؤمل لم يخلق له نظر

ثم ان علي باشا قصد زيارة الشريف العلوي سيدي أحمد البدوي عمت بركاته ونزل في المركب الى طندتا وزار سيدي أحمد البدوي وأحسن للفقراء المقام الاحمدي وقصد العود فتعرض له طائفة من العسكر المنصور مشاة وركبانا وهم معددون بآلات السلاح وطلبوا منه أشياء كان توقف معهم في اعطائها فاجابهم الى ما طلبوه وأعطاهم ما سألوه ودخل مصر وهو مغموم مقهور فأعقبه ذلك مرضا شديدا فارسل الى الاعتاب الخاقانية يستعفي فاذن له في سادس ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وألف وفي زمنه ظهر الدخان المضر بالابدان اليابس الطباع الذي لا شيء فيه من الانتفاع المبطل لحركة الجماع المسود للاسنان المهرب لملائكة الرحمن بل ذكر أكثر من أكثر منها ان عاقبته وخيمة ومداومة شربه ذميمة يورث النتن في الفم والمعدة ويظلم البصر ويطلع بخاره على الافئدة ومن زعم ان شربه محرق للبلغم فقد أخطأ فيما زعم بل عم وقوله في ذلك غير صحيح وانما هو من تحسين القبيح والعلامة اللقاني ذمه وقبحه وألف فيه نبذه توجب على من أقبل عليه نبذه ولو لم يكن من دناءته الا ولع السودان به والاجلاف لكان ذلك مما يكف عنه الاشراف فكيف باصل لا نفع فيه ولا أثر بل شوهد منه القبح والضرر ذكر القاضي ناصر الدين البيضاوي في تفسيره في سورة الانعام عند قوله تعالى أو يأتي بعض آيات ربك يعني أشراط الساعة عن حذيفة بن أسيد والبراء بن عازب رضي الله عنهما قالا أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر الساعة فقال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ابن مريم ونارا تخرج من قعر عدن وذكر الكواشي في تفسيره عند قوله تعالى واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون أي وقع القول على الكفار وقيل على جميع الناس والمراد بالقول العذاب قال ويروى ان الدابة لها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل ولون نمر وصدر أسد وخاصرة هر وقرن أيل وذنب كبش وقوائم بعير بين كل مفصل اثنا عشر ذراعا وقيل ان لها وجها كوجه الانسان وسائر جسدها كالطير وقيل لها زغب وريش وجناحان رأسها يمس السحاب ورجلاها في الارض وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بينما عيسى عليه الصلاة والسلام يطوف بالبيت تضطرب به الارض وتنشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة ملمعة أول ما يخرج رأسها ذات وبر وريش لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب معها عصى موسى وخاتم سليمان بن داود عليهما الصلاة

أمراء لا يحصون منهم أحمد باش أوطه باش مستحفظان الشهير بافرنج وبه اشتهرت تلك الوقعة وهرب من مصر أمراء لا يحصون منهم رئيس القوم أيوب بك أمير الحاج الشريف ونهبت أموال كثيرة وسبيت ذراري كثيرة وعزل خليل باشا صاحب الفتنة وحضر بعده لوزارة مصر الوزير ولي باشا الشريف فمكث الى سنة سبع وعشرين ومائة وألف ثم عزل وحضر بعده لوزارة مصر الوزير عابدين باشا وهو الذي قتل أمير اللواء قيطاس بك يوم الاربعاء ثامن شهر رجب الاصب من السنة المذكورة وضعفت بقتله شوكة القفارية بارض مصر وقويت شوكة القاسمية ثم عزل عابدين باشا (وتولى بعده وزارة مصر علي باشا الازميري) ومكث واليا بمصر الى سنة ثلاث

والسلام وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال لو أشاء أن أضع قدمى مكانها اليوم لفعلت وجاء انها تختم أنف الكافر بالخاتم وتجلو وجه المؤمن بالعصا حتى ان أهل البيت ليجتمعون فيقولون انه هذا مؤمن ولهذا كافر وعنه صلى الله عليه وسلم انها تسم الكافر بين عينيه كافرا والمؤمن بين عينيه مؤمنا وذكر الكواشى أيضا فى تفسيره عند قوله تعالى ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض أنهم ثلاثة أصناف صنف كأمثال الارزة وهو شجر بالشام طوله مائة وعشرون ذراعا وصنف طوله وعرضه سواء مائة وعشرون ذراعا وهذا الصنف لا تثبت له الجبال ولا الحديد وصنف يفترش احدى أذنيه و يلتحف بالاخرى لا يمرون بشجر ولا فيل ولا وحش الا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال يأجوج ومأجوج عشرة أجزاء و بنو آدم كلهم جزء واحد وعن حذيفة بن اليمان مرفوعا ان يأجوج ومأجوج أمتان وكل أمة أربعمائة أمة لا تشبه بعضها بعضا لا يموت الرجل حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه قد حملوا السلاح وهم من ولد ياغوث بن يافث بن نوح يسيرون الى خراب الدنيا وخروجهم بعد عيسى عليه الصلاة والسلام وقتله الدجال وجاء ان الترك سرية منهم خرجت للفساد فسد ذو القرنين دونهم فجميع الترك منهم وقال قتادة هم اثنان وعشرون قبيلة سد ذو القرنين على احدى وعشرين قبيلة وترك واحدة فلذلك سموا تركا وفسادهم فى الارض انهم يفعلون فعل قوم لوط ومناسبة ما ذكرناه من أمر الدخان قال جالينوس لاصحابه اجتنبوا ثلاثا وعليكم بأربع ولا حاجة لكم الى طبيب اجتنبوا الغبار والدخان والنتن وعليكم بالدسم والطيب والحلوى والحمام ولا تأكلوا فوق شبعكم وقال الحكيم الرئيس موسى بن عبد الله الاسرائيلى القرطبى لو دبر الانسان نفسه كتدبيره بهيمته التى يركبها لكان يسلم من أمراض كثيرة وذلك أنه لا يلقى العلف لبهيمته جزافا من غير قدر معلوم بل يتفقد حالها لكى لا تعطب والعجب كل العجب ان الانسان لا يفعل ذلك لنفسه ولا يتفكر فى رياضة الجسم التى هى الركن الاكبر ودوام الصحة ودفع أكثر المفاسد والامراض ولا ينام من بعد كلة على غذاء وذكر الفخر الرازى فى كتابه برء ساعة ان أصعب العلل الزكام قال الحكيم الزكام هو سيلان الرطوبة من باطن مقدم الدماغ الى المنخرين فان كان معه صداع والتهاب فى الرأس وحمرة الوجه فعلاجه الفصد فى القيفال و يسقى شراب البنفسج بدهن اللوز وان لم يكن معه دلائل كالحرارة ولم يحدر معه بلغم غليظ فان تحدر معه بلغم أصفر أو أبيض فيترك حتى ينقطع من ذاته وان كان أبيض رقيقا يكمد الرأس بالمناديل المسخنة و يستنشق بالرياحين الحارة وذكر بعض الحكماء ان شم البنفسج والتجربها ينفع من الزكام والنزلة وشم اللاذن ينفع من الزكام وكذلك شم التفاح وأكل تمره ينفع الصداع و ينوم ولا سيما كل من به غم حموضة واعلم ان آفة القلب الهم والغم وهو ظهور الحرارة الغريزية الى ظاهر البدن عند الاهتمام بالامور وقال الامام على كرم الله وجهه أقوى خلق ربى ابن آدم وأقوى منه السكر الذى يزيل العقل وأقوى من السكر النوم وأقوى من النوم الهم والغم وذكر العارف بالله تعالى فى كتابه المسمى بالانسان الكامل فقال اعلم أنه يكون وجه القلب دائما الى نور فى الفؤاد يسمى الهم وهو محل نظر القلب وجهه لو جهه اليه فاذا جاءه الاسم أو الصفة من جهة الهم نظره القلب فانطبع بحكمة ثم يزول فيعقبه اسم آخر اما من جنسه أو من جنس غيره فيجرى معه ما جرى له مع الاول وهكذا مع الدوام وأما ما كان من قفا القلب فلا ينطبع ثم اعلم ان القلب ليس له قفا ينص عليه بل كله وجه لكن موضع الهم منه يسمى وجها وموضع الفراغ منه يسمى قفا وهذه المدائح فيها كيفية ما ذكر وقال بعض الحكماء ان استعمال اللاذن ورد يصفى دم القلب و ينفع من الوحشة والغم والهم والامراض السوداوية ومن خاصية لسان الثور تفريح القلب وازالة الهم والغم وروى ان عائشة رضى الله عنها لما حصل لها من الافك أصابها هم وغم لا يوصف فكانت تدعو وتقول فى دعائها يا سابغ النعم و يا دافع النقم و يا فارج الهم و يا كاشف الغم و أعدل من حكم وحسيب من ظلم وولى من ظلم و يا أول

وثلاثين ومائة وألف ثم عزل وجاء بعده لوزارة مصر فى السنة المذكورة رجب باشا فسجن على باشا المعزول ثم خنقه فى قصر يوسف وأظهر محمد بك جركس الذى كان مختفيا ثلاث سنين وباطش باعدائه فقتل اسمعيل كتخدا جاويشان وقتل اسمعيل بك دفتردار حالا وأرسل تجريدة الى أمير الحاج اسمعيل بك بن أيواز بك فهرب من بندر عجرود ودخل مصر مختفيا ثم أعمل الحيلة فاصطلح أمير الحاج اسمعيل بك بن ايواز مع عدوه محمد بك جركس ووقع الاتفاق على عزل رجب باشا فنزل من القلعة محتقرا وكانت مدته بمصر مائة يوم وحضر بعده لوزارة مصر محمد باشا النشنجى فمكث الى سنة احدى وأربعين ومائة وألف

بلا بداية وآخر بلا نهاية ويا من له اسم بلا كناية اجعل لي من أمري هذا فرجا ومخرجا فأزال الله تعالى
برأفته الفرج همها وغمها وذكر البوني في اللمعة النورانية وأما اسمه الفعال فهو اسم المغلوبين بالخواطر
والوساوس واغتمام القلب فمن ذكره وأكثر من ذكره ذهب ذلك عنه وهو من الاسرار البديعة فان من
داوم على ذكره فرج الله عنه ما نزل به وفرح بعد حزنه وسر بعد نكده وقد حصل لي هم وغم ووسواس
وتزايد ذلك علي الى ان كدت ان انتقل من حالة الى حالة وقل نومي فاستعملت له أدوية كثيرة وأورادا شتى
فلم يذهب عني وكلما تقادم تجدد ولازمني هذا الحال نحو سنة فلما استعملت هذا الاسم الشريف وهو فعال
خف عني هذا الوارد ببركة هذا الاسم الشريف قال الحكيم ولا تسرعوا الى الفصد فانه مخاطرة الموت
ولا بتقايا من تولمه عيناه ولا تأكلوا في الصيف لحما كثيرا لان الهضم في الصيف ضعيف لتحلل الحار
الغريزي وكلما برد الهواء زاد في المقدار فان الهضم في الشتاء كثير لوفور الغريزي في الاجواف لانسداد
المسام وأفضل اللحوم لحوم الضان الحولي السمين وأفضل لحمه مقدمه وما كان لاصقا بالعظم وكل ما في
البطن ردي والشحوم كلها رديئة تشبع وتتخم وتسقط شهوة الطعام وتولد اخلاطا بلغمية وكذلك رأس
كل حيوان والخرفان الرضيعة كثيرة الفضلات لا خير فيها وأما العناق الرضيع جيد الغذاء سريع
الانهضام * ومن حكمة لقمان ان سيده أعطاه شاة وأمره ان يذبحها ويأتيه بأطيب ما فيها فذبحها وأتاه
بقلبها ولسانها ثم أعطاه في يوم شاة أخرى وأمره بذبحها وان يأتيه بأخبث ما فيها فأتاه بقلبها ولسانها فسأله
عن ذلك فقال هما أطيب ما فيها ان طابا وأخبث ما فيها ان خبثا وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان في
الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب وذكر الدميري في
عين الحياة انه يجلب من الهند نوع من الضان في صدره ألية وعلى كتفه أليتان وعلى ذنبه ألية وربما تكبر
أليته حتى تمنعه من المشي * وفي الامثال كل شاة برجلها معلقة وأول من قال هذا المثل وكيع بن سلمة بن
زهير بن اياد وكان ولي البيت بعد جرهم فبنى صرحا باسفل مكة وجعل فيه أمة وكان يرقاه ويزعم انه
يناجي ربه تعالى وكان يفعل الخير وكان علماء العرب يقولون انه من الصديقين فلما حضرته الوفاة جمع
ايادا فقال لهم اسمعوا وصيتي من رشد فاتبعوه ومن غوى فارفضوه كل شاة برجلها معلقة فارسلها مثلا أي
كل أحد يجزى بعمله ولا تزر وازرة وزر اخرى ولحوم الطير على العموم أخف من لحوم المواشي وأسرع
انهضاما *(فائدة)* لحم الدجاج معتدل يربي في الدماغ ويزيد في المني ولحم الديك حار يابس يضر
بالمعدة مرقه ينفع القولنج ومن أسماء الديك الصارخ روى البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن
مسروق قال سألت عائشة عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يحب الدائم من العمل قال
قلت أي حين كان يصلي قالت كان اذا سمع الصارخ قام يصلي قال النووي الصارخ هنا الديك باتفاق
العلماء وسمي بذلك لكثرة صياحه في الليل قال في الاحياء وهذا الوقت يكون سدس الليل فما دونه وقد
ألف العلامة الجلال السيوطي رحمه الله تعالى كتابا سماه الوديك في فضائل الديك (لحم الحمام) حار
رطب يضر بالامراض الحارة ولحم العصفور حار يابس يقوي الظهر ويزيد المني ولحم الكركي بارد
يابس بطيء الهضم ولحم الماعز بارد يابس سريع الهضم ولحم البقر يابس وقيل بارد يصلح للمعدة القوية
ويولد السوداء ولحم الغزال حار يابس ينفع من القولنج والفالج واللقوة والامراض الباردة *(فائدة)*
لسان الغزال اذا جفف في الظل وأطعم المرأة السليطة تزول سلاطتها واذا احرق بعر الغزال وجلده
وسحقا وجعلا في طعام صبي نشأ ذكيا فصيحا حافظا ذاكرا ولحم ابن عرس ينفع من الصرع لحم الجمل حار
يابس يولد القولنج والماليخوليا لحم الفرس حار يابس كثرة أكله تولد البواسير ولا ينام صاحب الحمى
الباردة في الشمس *(فائدة)* قال بعض الحكماء النوم له أربع حالات الحالة الاولى النوم على
الشق الايمن الحالة الثانية النوم على الشق الايسر الحالة الثالثة الاضطجاع على الظهر الحالة الرابعة
الاضطجاع على الوجه * فالحالة الاولى وهي الاضطجاع على الشق الايمن فهي السنة ولكن غير محمود طبا

وحضر بعده لوزارة مصر
الوزير بكر باشا فمكث
شهرا وعزله العسكر وحضر
بعده لوزارة مصر عبد الله
باشا التكفور لي سنة
ثلاث وأربعين ومائة وألف
ومدحه شعراء مصر لفضله
وميله الى الادب وله ديوان
شعر جيد على حروف
المعجم وقال بعض شعراء
مصر في بعض قصائده
ولما جاء مصر أرخوه
لقد سعدت بعبد الله مصر
وفي مدته جاء الخبر بخلع
السلطان أحمد من السلطنة
فكانت مدة سلطنته
ثمانية وعشرين سنة ومكث
مدته ثلاثة أعوام (وتولى
بعده ابن أخيه السلطان
محمود خان ابن السلطان
مصطفى خان سنة ثلاث
وأربعين ومائة وألف
وله مسجد مشهور بالمحمودية
ثم عزل عبد الله باشا عن
وزارة مصر (وتولى بعده
محمد باشا السلحدار) على
وزارة مصر قدم من البصرة
وأقام واليا بها الى سنة
ست وأربعين ومائة وألف
(وتولى بعده وزارة مصر
الوزير عثمان باشا الحلبي)

وهو ان القلب متعلق بالجانب الايسر فاذا نام على الجانب الايسر ثقل نومه لانه يكون في دعة واستراحة واذا نام على الشق الايمن تعلق القلب وخف نومه وطاب مستقره وميله اليه * الحالة الثانية النوم على الجانب الايسر فانه أهنأ لانه مستقر القلب بسبب ميل الاعضاء فتصيب المراد من الراحة من هضم الطعام وخلافه * الحالة الثالثة الاضطجاع على الظهر فانه محمود اذا كان من غير نوم لان البدن يستريح بذلك ويحصل للظهر راحة بسبب ذلك * الحالة الرابعة الاضطجاع على الوجه فانه مذموم لانه نوم أهل جهنم ومن نام على وجهه نكسه الشيطان وقد ورد في سنن ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم مر على رجل في المسجد منبطح على وجهه فضربه برجله وقال له قم أو اقعد فانها نومة جهنمية والى هذا المعنى أشار سيدي على وفا ابن سيدي محمد وفا في قوله عيني تنام ولكن قلبي والله لا ينام وكيف ينام عاشق ناظر الى وجه الحبيب مني في الحب مستهام شاخص على الدوام ومن شرب كل يوم في الشتاء قدحا من ماء حار أمن من الاعتلال ومن دلك جسمه في الحمام بقشر الرمان أمن من الجرب والحكة بانواعها وروي عن امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه انه قال أربعة تقوي البدن أكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان وأربعة توهن البدن كثرة شرب الماء على الريق وكثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة أكل الحموضة وأربعة تقوي البصر الجلوس مستقبل القبلة والكحل عند النوم والنظر الى الخضرة وتنظيف المجلس وأربعة توهن البصر النظر الى المقتول والنظر الى المصلوب والنظر الى فرج المرأة والكتابة بالليل والقعود مستدبر القبلة وأربعة تزيد في الجماع أكل العصافير وأكل الاطريفل وأكل الفستق وأكل الجرجير وأربعة تزيد في العقل ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة العلماء ومجالسة الصالحين (وعن) عبد الله بن المبارك رضي الله عنه قال مررت في سياحتي بالشام بطبيب يصف لكل من سأله عن مرضه فقلت له يا طبيب أعندك دواء الذنوب قال نعم فلما تفرق الناس قال لي يا هذا عليك بورق الفقر وعروق الصبر واهليلج الصفا وبليلج الرضا وغاريقون الكتمان وسقمونيا الاحزان وحرمتاه الاجفان ودعه في طاجن القلق وقد تحته نار الحدق وصفه بمنخل الارق واشربه على الحرق فانه شفاؤك وأنشد يقول في وقت الاسحار

يا طبيبا بذكره يتداوى * وصلوه لكل داء غريب

ليس حزني عليك شيئا عجيبا * انما الصبر عنك شيء عجيب

رجعنا لما نحن بصدده وفي زمن علي باشا المذكور حصل فناء بالطعن والطاعون عم الامصار والقرى ومكث مدة ورفعه الله وكانت مدة تصرف علي باشا بمصر المحروسة سنتين وستة أشهر وعشرين يوما ولما وصل علي باشا الى الاعتاب الخاقانية قلد الوزارة العظمى وفرح الناس بولايته فوجه لسفر البحر فنقض عليه المرض السابق فمات ولعله بلغ مرتبة المجاهدين في سبيل الله تعالى *(ثم تولى بيري بك أمير الحاج الشريف)* باقامة علي باشا فانه أحضر له اجازة من الاعتاب الشريفة بالتصرف في باشوية مصر فتصرف من عاشر ربيع الاول سنة اثنتي عشرة وألف وتوفي يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان فكانت مدته أربعة شهور ودفن بالقرافة رحمة الله عليه *(ثم أقيم بعده عثمان بك أمير الامراء)* بمصر المحروسة في سابع عشر شعبان المذكور باتفاق من الامراء وأكابر الدولة الى ان يرد من الاعتاب الشريفة من يتصرف وكان الامير عثمان مشهورا بالعفة والاستقامة وله جلالة وهيبة لا يخشى في الله لومة لائم وله خط مليح فاق به العرب والعجم وحاز فضيلة السيف والقلم فتصرف ثلاثة شهور وثلاثة وعشرين يوما وكانت مدته حسنة والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى ابراهيم باشا) المقتول في يوم السبت ثاني عشر ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وألف وكان مستقلا برأيه لا ينقاد الى نصح ولا يهتدي لقول مشير سواء كان بالكناية أو بالتصريح وكان يريد انما هو شيء يستحسنه وهو في نفس الامر قبيح كما قيل

كان لا يدري مداراة الورى * ومداراة الورى أمر مهم

ومن كلام الحكماء من علامات العاقل بره باخوانه وحنينه لاوطانه ومداراته لاهل زمانه قال أبو قتادة

قدم من طرابلس وأقام واليا بمصر الى سنة ثمان وأربعين ومائة وألف (وتولى بعده وزارة مصر الوزير بكر باشا) وهي توليته الثانية فقدم من جدة الى السويس في البحر لانه كان واليا بجدة وأقام بمصر واليا الى سنة تسع وأربعين ومائة وألف ثم وقعت فتنة بمصر وقتل فيها محمد بك قيطاس وعلى بك وصالح بك وعثمان كتخدا مستحفظان ويوسف كتخدا عزبان وامراء كثيرون وقامت الجند على بكر باشا فعزلوه وحضر الامير مصطفى أغا أمير اخور كبير بخط شريف من الدولة العلية بضبط تركات المقتولين فمكث بمصر ثم حضر خط شريف بتوليته مصطفى أغا وأن يكون وزيرا بمصر فأقام واليا بمصر الى سنة اثنتين وخمسين ومائة وألف (وتولى بعده وزارة مصر سليمان باشا الشامي الشهير بابن العظم) فأقام واليا على مصر الى شهر جمادى الاولى سنة ثلاث

البحترى

اذا المرء لم يرض ما أمكنه * ولم يأت من أمره أزينه
وأعجب بالعجب فاقتاده * وتاه به التيه فاستحسنه
فدعه فقد ساء تدبيره * سيضحك يوماً ويبكى سنه

ومن كلام الحكمة فلم يغن ذلك التدبير عمارة قلم التقدير فى لوح القادير والله على كل شئ قدير فأخذ يتتبع عثرات العسكر المنصور ويتجسس عن أخبارهم وعن اجتماعهم بالاماكن خصوصاً مجالس الانس فأشار عليه أهل العقول بترك هذا الوارد وقالوا له هذا مشرع لا يعقبه الا التعب وربما تولد من ذلك مفاسد ومضرات فلم يلتفت الى قولهم وركب فرس الغرور لانفاذ أمر الله المقدور والمثل المشهور من أحسن السياسة دامت له الرياسة واستمر على ماهو عليه حتى بلغه ان جماعة من العسكر المنصور بالغيط التى قناطر السباع فبادر وأبنفسه وغير لباسه ومعه ثلاثة أنفار وهم عليهم وهم بالغيط المذكور فلما تحققوه فروا هاربين مع انه كان فى قدرتهم البطش به وبمن معه خصوصاً من دب الشراب فى رأسه ولحقته حمية الجاهلية ولولا لطف الله لهلك هو ومن معه فى تلك الساعة ومن كلام الحكمة من قاتل بغير نجدة وخاصم بغير حجة وصارع بغير قوة فقد أعظم الخطر وأكثر الضرر ومن كلام الحكمة أيضاً من الحبة تكون الشجرة العظيمة ومن الجمرة تكون النار العميمة * ثم ان ابراهيم باشا بعد ذلك عزم على التوجه لقطع جسر أبى المنجا والقدر يقول له ليت اليوم المنجا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله تعالى انفاذ قضائه وقدره سلب ذوى العقول عقولهم حتى ينفذ قضاؤه وقدره ومن كلام القاضى الفاضل رحمه الله المقدور كائن والهم فضل والجاهل من سخط على الاقدار ويقلب الله الليل والنهار اذا دار الفلك دعا بك أودعا لك لاحذر من قدر ولا ملام على الايام (مفرد)

اذا عقد القضاء عليك أمراً * فليس يحله الا القضاء

ذكر العارف بالله تعالى سيدى عبد الكريم الجيلى رحمه الله فى كتابه المسمى بالانسان الكامل ان القضاء المحكم هو الذى لا تغيير فيه ولا تبديل والقضاء المبرم هو الذى يمكن فيه التغيير ولهذا استعاذ النبى صلى الله عليه وسلم من القضاء المبرم لانه يعلم انه يمكن أنه يحصل فيه التغيير والتبديل قال الله تعالى يمحوا الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب بخلاف القضاء المحكم فانه المشار اليه بقوله وكان أمر الله قدراً مقدوراً * ثم ان بعض أكابر الدولة عرف ابراهيم باشا انه ماسبق لاحد من الباشات التوجه لقطع الجسر المذكور والعادة المعتادة ان زعيم مصر يباشر ذلك واذا كان مشغولا يرسل أحداً من اتباعه لقطعه فلم يلتفت الى ذلك الكلام ثم طلع له بعض المنجمين يوم الجمعة قبل صلاتها وذكر له ان فى اليوم الذى يلى يوم الجمعة المذكور قران النحسين ولابد فيه من اهراق دم والحركة فيه مذمومة منحوسة فلم يكترث بكلامه وكان من جوابه ماقدره الله سيكون كما قيل

خليلى لا تستعجلا وا نتظرا غداً * على أن يكون المكث فى الامر أرشدا

وما أحسن قول محمد الخفاجى

وكم طالب أمراً وفيه حمامه * وسائرة تسعى الى مايضرها

(وقال آخر)

اذا ماحمام المرء كان ببلدة * دعته اليها حاجة فيطير

سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن الهدهد كيف يبصر الماء من تحت الارض ولا يرى الفخ اذا غطى عليه بقدر اصبع من تراب فقال اذا نزل القضاء عمى البصر وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن مولود يولد الا وقد ذرّ عليه من تراب حفرته وروى عن ابن مسعود ان الملك الموكل بالرحم يأخذ النطفة من الرحم ويضعها فى كفه ثم يقول يارب مخلقة أم غير مخلقة فان قال له مخلقة قال يارب ما الرزق ما الاجل ما الاثر فيقول الله انظر فى أم الكتاب فينظر فى اللوح المحفوظ فيجد فيه

وخمسين ومائة وألف (وتولى بعده وزارة مصر على باشا حكيم أوغلى) وهى توليته الاولى بمصر فدخلها فى جمادى سنة أربع وخمسين ومائة وألف (وتولى بعده محمد باشا اليدكشى) فأقام والياً بمصر الى سنة ثمان وخمسين ومائة وألف (وتولى بعده الوزير محمد باشا راغب رئيس الكتاب) فأقام والياً بمصر الى سنة احدى وستين ومائة وألف وعزله العسكر المنتهوقعت فتن فيها خليل بك أمير الحاج وعلى بك الدمياطى وهرب فيها ابراهيم بك غيطاس الى أرض الصعيد مع طائفة من صناجق مصر وهرب أيضاً عمر بك ابن على بك مع طائفة من الصناجق الى أرض الحجاز (وتولى بعده والياً بمصر الوزير أحمد باشا) فدخل مصر أول يوم من شهر محرم افتتاح سنة اثنتين وستين ومائة وألف وأقام والياً بها الى عاشر شوال سنة ثلاث وستين ومائة وألف (وتولى بعده وزارة مصر الوزير شريف عبد الله باشا)

رزقه وأجله وأثره وعمله ثم يأخذ التراب الذي يدفن في بقعته ويعجن به نطفته وفي رواية فيقال للنطفة من ربك فتقول الله ثم يقال لها من رازقك فتقول الله فتخلق فتعيش في أجلها وتأكل رزقها وتطأ أثرها فاذا جاء أجلها ماتت فدفنت في المكان الذي أخذ منه التراب ويعجن به ماؤها وذلك قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى وروي عن أبي هريرة أنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف ليلة في بعض نواحي المدينة واذا بقبر يحفر فاقبل حتى وقف عليه فقال لمن هذا فقيل لرجل من الحبشة فقال لا اله الا الله سيق من أرضه وسمائه حتى دفن في الارض التي خلق منها وفي المثل أنشد والابن عمران الزاهد رحمة الله عليه في هذا المعنى فاجابهم عن ذلك بقوله

اذا أراد الله أمرا بامرئ * وكان ذا عقل ورأي وبصر
وحيلة يفعلها في دفع ما * يأتي به محتوم أسباب القدر
غطى عليه عقله وسمه * وسله من ذهنه سل الشعر
حتى اذا أنفذ فيه حكمه * رد عليه عقله ليعتبر
فلا تقل لما جرى كيف جرى * فكل شئ بقضاء وقدر

ثم ان ابراهيم باشا ركب من وقته فورا وأسرع والمنية تسوقه حتى أدرك صلاة الجمعة ببولاق ولما قضيت الصلاة هيئت له سفينة عظيمة وزينت له بالستائر والبيارق والفرش وغيرة لائق بمثله ونزل وهو محفوظ وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت وتوجه وصحبته الامير محمد بن خسرو أمير اللواء بمصر المحروسة بمركب عظيمة وبعض من أكابر خدمة الديوان وسارت المراكب أحسن سير الى أن وصلت الى محل القطاع وقطع الجسر المذكور وفي يوم السبت مستهل جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة وألف وكان ابراهيم باشا قد هيأ طعاما بالغيط الذي أنشأه محمود باشا تجاه قناطر أبي المنجا فدخل الغيط ومن معه وصحبته الامير محمد بن خسرو والمرقوم ومصطفى أفندي عزمي زاده قاضي مصر المحروسة اذ ذاك وحصل لهم الصفا والبسطة قبل الطعام وعند صفو الليالي يحدث الكدر * الى أن قدر الله ما قدره في الازل ودنا منه وقت حلول الاجل ولكل شئ حد محدود وأمر من المقدور ممدود فلما قدم الطعام وشرع وافي الاكل هجم عليهم طائفة من العسكر المنصور وهم مدججون بآلات السلاح وأحاطوا بالغيط احاطة الخاتم بالاصبع وطالبوا من ابراهيم باشا في تلك الساعة شيئا كان يمكن الاجابة به لتخميد هذه الفتنة فامتنع وأغلظ عليهم فأخذهم الامير محمد بن خسرو وأراد دفعهم بلطف فلم يهتدوا وتقدموا واقدموا وقتلوا أولا بالامير محمد بن خسرو وثم من بعده بابراهيم باشا وقطعوا رؤسهما والمتلأت جفان الطعام دما وانقلب النهار ليلا ورفعوا رؤسهما على حربتين من الغيط الى باب زويلة وكان يوما عبوسا قمطريرا فيه مصر المحروسة وقد نظم بعضهم تاريخا لقتله فقال ان ابراهيم باشا * قد سعى في الخير سعيا * قتله قد أرخوه * وأرى التاريخ بغيا

١٠١٣

وكانت مدة تصرفه أربعة أشهر وثمانية أيام والله تعالى أعلم (وفي) سنة ثلاث عشرة وألف كانت وفاة مولانا شيخ الاسلام الشيخ صالح البلقيني الشافعي وقد نظم بعضهم تاريخا في وفاته فقال

شيخنا صالح اذيق المنايا * ومن الهم والغموم استراحا
قلت مع غاية المصائب أرخ * صالح المؤمنين مات ورحا

١٠١٣

(ثم أقيم بعده مصطفى أفندي عزمي زاده) في ثالث جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة وألف فتصرف الى سادس رجب فكانت مدة تصرفه بمصر شهرين وثلاثة عشر يوما والله أعلم *(ثم تولى حاجي محمد باشا الخادم)* في سابع رجب المذكور سنة ثلاث عشرة وألف ورمته الرياح عند قدومه الى دمياط ولم يتقدم لاحد من الباشوات أنه قدم من دمياط ولما استقر بمصر أخذ في طلب من كان سببا لاثارة فتنة

عزل مصر في شهر رمضان سنة أربع وستين ومائة وألف ومكث الى سنة ست وستين ومائة وألف ثم عزل (وتولى بعده وزارة مصر محمد باشا أمين) فسار مستمرا على ولاية مصر من خامس شهر شعبان المكرم سنة ست وستين ومائة وألف حتى توفي خامس شهر شوال من السنة المذكورة فكانت مدة توليته شهرين مريضا ودفن بجانب قبة الامام الشافعي رضي الله عنه (وتولى بعده الوزير مصطفى باشا) فطلع القلعة ثالث شهر ربيع أول سنة سبع وستين ومائة وألف وفي مدته توفي السلطان محمود خان بن السلطان مصطفى خان ثامن عشر صفر الخير سنة ثمان وستين ومائة وألف (وتولى السلطنة بعد موته بيومين أخوه السلطان عثمان خان) ابن السلطان مصطفى خان وله عمارة عظيمة قريبة من آيا صوفية واستمر الوزير مصطفى باشا واليا بمصر حتى ورد الخبر في أول شهر ربيع

ابراهيم باشا فانه أخبر بما تقدم مفصلا ومجملا فلما تحققوا الطلب تشتتوا فى البلاد فبعض طائفة من الاكتاف والاطراف فمنهم من جىء به حيا فقتل ومنهم من تلقته العربان فقتل أشر قتلة ولم تطل مدة محمد باشا بل عزل فى يوم الاحد ثانى عشر شهر ربيع الاول سنة أربع عشرة وألف فكانت مدة تصرفه سبعة أشهر وسبعة عشر يوما وتنقلت به الاحوال الى ان ولى الوزارة العظمى فى مدة السلطان مصطفى فتصرف مدة يسيرة وصرف عنها ومنع من الاقامة بالقسطنطينية ثم رجع الى مصر وأقام بها وهو مكفوف البصر *(ثم تولى حسن باشا الدفتردار) بعد صرفه من اليمن فانه لما قدم من اليمن صحبة الحاج الشريف الى مصر المحروسة نزل ببيت المرحوم داود أغا الكائن بجامع قوصون فتردد عليه الناس من جليل وحقير وأمير وفقير وهم يشاهدون منه الملاطفة والمصاحبة الحسنة والسكون والاخلاق المرضية فاتفق الاجماع على محبته وحسن أخلاقه وهم يطلبون من الله أن يلى باشوية مصر وأن يصلح الله الاحوال على يديه والله الفعال لما يريد ومدة اقامة حسن باشا وهو يتجسس عن أخبار مصر من كليات وجزئيات وذكر لبعض المترددين عليه انه اذا تولى مصر يرجو من الله أن يكون الصلاح على يديه فوردت الاخبار الخاقانية الى مصر يوم الاثنين المبارك ثالث ربيع الاول سنة أربع عشرة وألف بولاية حسن باشا باشوية مصر وقد نظم الشيخ حسن الشامى تاريخا لولايته فقال

قد جاء وزير العدل لنا * من بعد عكة بعد عن
ولسان الحال يؤرخه * ملك مصر بجمال حسن ١٠١٤

ثم ان حسن باشا لما أسند اليه الامر وتصرف فى مصر لم يحصل منه نفع للعباد ولا دفع ضرر عن البلاد ولم يمنع ولم يدفع وتلاشت أحواله وقصرت كلمته وعمت البلوى وانقفل باب الشكوى والامر يومئذ لله ثم صرف حسن باشا عن باشوية مصر فى يوم الاربعاء رابع صفر سنة ست عشرة وألف فكانت مدته سنة واحدة ونصفا وستة وعشرين يوما ولما توجه الى الاعتاب الشريفة بما جمعه من ولاية اليمن من تحف وأحجار وأموال وأثاث وغير ذلك فانه تصرف فى ولاية اليمن نحو خمس وعشرين سنة ثم مكث بالقسطنطينية مدة يسيرة ومات هو وولده وعياله ولم يعقب وارثا سوى بيت المال وترك ما خوله خلف ظهره وقدم على رب رحيم كريم غفور حليم يستر الذنب العظيم *(ثم تولى محمد باشا) * فى يوم الخميس خامس شهر صفر الخير سنة ست عشرة وألف وفيها توفى مولانا شيخ الاسلام الشيخ سالم السنهورى المحدث فنظم بعضهم تاريخا لوفاته فقال

مات شيخ الحديث بل كل علم * سالم ذو الكمال أفضل عصر
فأت من غير غاية لبكاه * أرخوه قد مات عالم مصر ١٠١٦

وعند قدومه تراكمت عليه القصص والشكاوى بالاسكندرية ورشيد وفى طرقاته الى أن وصل الى مصر المحروسة وهو ساكن الجنان ثابت الاركان لا يردجوابا لاحد واشتد الحال على الرعايا من كثرة الطلب ووقعت الناس فى المهالك والعطب الى غاية جمادى الاولى من السنة المذكورة فعند ذلك طلب محمد باشا سليمان بن درمت كاشف المنوفية وبرويز محمر كاشف الغربية وكوسى على كاشف البحيرة ورمى رقابهم وأراح الله منهم البلاد والعباد وولى مكانهم كشافا وأخذ عليهم العهود أن لا يتعدوا الحدود فمن جملة الكشاف الخاوجى عين لكشف الغربية فتوجه لبولاق لقضاء مصالحه فاتاه طائفة من العسكر المنصور وتكلموا معه فى أمر من الامور فلم يوافقهم وأغلظ عليهم فضرب فى رأس بعضهم حمية الجاهلية فطرعوا عليه بالسلاح فنزل الى مركب فى البحر فالقى الله الرعب فى قلبه فرمى بنفسه فى البحر فاثقلته أثوابه فغرق ومات شهيدا ان شاء الله تعالى وكان ذلك سببا لازالة الطلب فبلغ الخبر محمد باشا فجمع الامراء وأكابر العسكر المنصور بالميدان ونصبوا البيارق السلطانية ونادى مناد من كان مطيعا لله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأولى الامر فليدخل تحت لواء السلطنة الشريفة العثمانية فاجتمع عالم كثير من الامراء وأكابر العسكر المنصور وهم طائعون ممتثلون داخلون فى طاعة السلطنة العثمانية ومكثوا بالميدان ثلاثة

سنة تسع وستين ومائة وألف بعزله وتوليته على باشا حكيم أوغلى وهى التولية الثانية له فحضر وطلع قلعة الجبل يوم الاثنين غرة جمادى الاولى من السنة المذكورة ونشر لواء الاحسان وعم فضله كل انسان وسار فى مصر بسيرته المعهودة وسلك طريقته المشكورة المحمودة (ثم تولى السلطنة السلطان مصطفى خان ابن السلطان أحمد خان) سنة ألف ومائة واحدى وسبعين وله محل عظيم فى اسلامبول وحضر لوزارة مصر فى تلك السنة الوزير محمد باشا سعيد فاقام سنة ثم حضر بعده الوزير مصطفى باشا الصدر فاقام سنتين ثم حضر بعده الوزير أحمد باشا كامل سنة أربع وسبعين ومائة وألف ثم عاد الوزير مصطفى باشا سنة ست وسبعين ومائة وألف ثم حضر بعده الوزير حمزة باشا سنة تسع وسبعين ومائة وألف وعزل ثانى شوال سنة ثمانين وحبس بالكسوة فى قصر يوسف ثم

أيام وبعد ذلك حصل الاتفاق بالخروج الى من أثار تلك الفتنة فخرجوا وقبضوا عليهم وقتلوا فقتل منهم طائفة جهارا وخفية وقد نظم بعض الفضلاء لهذه الواقعة تاريخا فقال

ان البغاة المارقين قدرى * رب العباد كيدهم فى نحرهم
برأس ابراهيم باشا ساباقا * طافوا جهارا ما من يد مكرهم
والحلوجى جرعوه كأسهم * واغرقوه فى بحار شرهم
على الفساد قد بنوا أمورهم * فقد تلوا تاريخهم بظلمهم ١٠١٧

ثم حدث ثالث الثائر باذن الله تعالى ثم ان جماعة من الاشقياء أيقظوا الفتنة وأثاروها فى أوائل القعدة سنة سبع عشرة وألف واجتمعوا من الاقاليم وصار واحزبا واحدا ونصبوا خيامهم بالمرج والزيات وتحالفوا وأظهروا الخارجية والجدال فبلغت هذه الجمعية محمد باشا فأرسل لهم جماعة من الاختيارية المتصفين بالعقل والتدبير فوعظوهم وعرفوهم عواقب الامور وقالوا لهم ان الذى خالف ولى نعمته لا يفلح أبدا فلم ينتهوا ولم يتعظوا لامر أراده الله تعالى ثم ان محمد باشا أرسل الى الاجناد ومشايخ العربان من الاقاليم وصار واحزبا واحدا وجيشا عظيما بالسلاح ونار ومدافع كبار وعين الامير مصطفى بك سردار العسكر المنصور وبرز والمحاربة الخوارج وسار وابعون الله والنصر أمامهم الى أن وصلوا بركة الحاج فلما تراءى الجمعان تماوجدت الخوارج الحرب طاقة وضاقت عليهم الارض بما رحبت فطلبوا الامان واختلطا الجيشان فقبضوا على أشرارهم وعدة منهم ووضع الحديد فى أعناقهم والذى هرب منهم تابعته العربان وقتل أشر قتلة ومزقهم الله كل ممزق ولم ينج منهم الا القليل ودخل مصطفى بك السردار الى مصر المحروسة ومعه من الخوارج المقبوض عليهم وهم مشاة حفاة منكسة رؤسهم موضوعون فى الحديد ورؤس القتلى منهم حالة الاختلاط مرفوعة على رماح ودخلوا جميعا من باب النصر والناس ينظرون اليهم ومروا بالقصبة الى أن وصلوا الى القلعة وكان يوما مشهودا وخطا معهودا وقد نظم بعض الفضلاء لهذه الواقعة أبياتا فقال

يوم نصر الوزير قد كان عيدا * عيد فطر للطرف قلب الحسود
واذا قلت عيد أضحى فصدق * فضحايا ه ضاربات الاسود
ألحدوا فى الانام ثم باو قتلا * فأزيلوا واسكنوا فى اللحود

ثم ان محمد باشا قتل منهم جماعة حالة طلوعهم جهارا وقتل منهم جماعة ليلا وألقوا فى البحر ومن بقى منهم نفى الى اليمن وقد نظم بعضهم تاريخا لهذه الواقعة فقال

انظر انظر الى البغاة ومنهم * لوزير المليك راموا نكالا
وتعدوا طورا وجازوا بافك * طلبوا الغدر حين راموا جدالا
وأتوا بالجيوش من كل فج * واستحقوا القيود والاغلالا
وأتوا مصر صاغرين لقتل * لم يروا منه للفرار مجالا
وعلاهم ذل فأرخت زالوا * وكفى الله المؤمنين القتالا ١٠١٧

وقد نظم العلامة الشيخ عبد الله الدنوشرى تاريخا فقال

بشرى لمولانا الوزير محمد * فهو الذى بذوى المفاسد يفتك
وعلى البغاة له انتصار دائم * تاريخه جمع الخوارج أهلكوا ١٠١٧

واستمر محمد باشا محفوظا ملحوظا منتصرا نافذ الكلمة لا يرد له أمر ولا يعارض فى قضية الى ان اختار التوجه الى الاعتاب الشريفة فخرج من مصر يوم السبت ثانى عشر جمادى الآخرة سنة عشرين وألف فى جلالة وموكب عظيم ما تخلف عنه أحد من العسكر المنصور فكانت مدة تصرفه أربع سنوات وأربعة أشهر واثنى عشر يوما وعمر فى زمنه وكالة برشيد وبجوارها جملة حوانيت وقهوة وسوق صاغة

حضر بعده الوزير محمد باشا واقام سنة احدى وثمانين ومائة وألف ثم حضر بعده الوزير محمد باشا الارفلى أتى من البر سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف ثم حضر بعده الوزير أحمد باشا أتى من الحجاز وسكن بدرب الحجر ومات ولم يطلع القلعة سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف (ثم تولى السلطنة السلطان عبد الحميد خان) ابن السلطان أحمد خان سنة سبع وثمانين ومائة وألف وله مدرسة باسلامبول تسمى المدرسة الجديدة ومسجد فى براسكودار وحضر لوزارة مصر فى تلك السنة الوزير قرا خليل باشا خامس عشر ربيع الاول من تلك السنة وعزل فى محرم سنة ثمان وثمانين ومائة وألف وتوجه لجدة ومات بها (ثم تولى الوزير مصطفى باشا) النابلسى من بركة الفيل يوم الاثنين فى آخر جمادى الثانية من تلك السنة وعزل فى آخر جمادى الثانية سنة تسع وثمانين وتوجه الى جدة

وغير ذلك وأخذ غالب الجرز المقابلة لرشيد وأطيانا بالمنوفية والجيزة وعمل حجابة بطريق الحاج الشريف
وتوجه الى الاعتاب الشريفة فقوبل بمزيد الاجلال والاكرام وولى الوزارة العظمى وفرح الناس
بذلك وكان مؤملا ان يعمل أفعالا تزيد على ما فعل بمصر فوجه لسطر النجم فساعدته الارادة الازلية
على ذلك ولا على نتاج فعل يكون فيه اصلاح وصار كلما دبر أمرا انعكس الى الفساد فرجع من سطرته
غير محمود وما زال الدهر يقهره الى أن أعطوه باشوية حلب فمات بها وهو مغموم مقهور وبعد ذلك حات
أوقافه وبددت وتصرف فيها الغير وهكذا حال الدنيا والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى حاجي باشا) بامر
أحضره له محمد باشا قبل سفره وأعطاه محمدية بالجيزة في يوم السبت ثالث رجب سنة عشرين وألف
فتصرف الى يوم الخميس عشرين من شعبان من السنة المذكورة فكانت مدة تصرفه شهرا واحدا
وسبعة عشر يوما ولما توجه الى الاعتاب الخاقانية مكث مدة يسيرة وتوجه الى باشوية اليمن ولما تمكن منها
احتكر البهار والبن والبضائع وكان التجار لا يأخذون الا ما فضل منه وحصل من هذا القبيل ومن غيره
أموالا لا تحصى غير ما ظفر به من نفائس الاحجار والتحف والاقمشة والماصرف من ولاية اليمن قدم مكة
المشرفة بجميع ما معه ومات وله فور دعليه أمر خاقاني باصلاح العين التي بمكة فادركه الاجل المحتوم فمات
بها وكان يؤمل اذا توجه الى الاعتاب ولما يصل الى مصر تاتيه باشوية مصر * ويابى الله الا ما أرادا *
فكانت وفاته بمكة المشرفة سنة احدى وعشرين وألف وذهب غالب ماله ولم يظفر ولده الا بما قل وأقيمت
فتنة بين الاشراف حكام مكة بسبب متر وكات حاجي باشا وهي باقية الى الآن ونسال الله حسن الخاتمة (ثم تولى
محمد باشا) ثاني عشري شعبان سنة احدى وعشرين وألف وفي شهر ربيع الآخر سنة اثنين وعشرين وألف
ورد على محمد باشا عسكر من البلاد الرومية نحو أربعة آلاف نفر خارج عن الاتباع بقصد الاقامة بمصر فلما
وصلوا الى مصر واستقروا بها ورد حكم خاقاني من الملك بان محمد باشا يجهز العسكر الذي ورد عليه الى اليمن
فشق عليهم ذلك وعلموا انها حيلة عليهم وكان سبب خروجهم من البلاد الرومية انهم كانوا احدثوا فتنة
بالقسطنطينية ولولا لطف الله لحصل ما حصل فدبر لهم محمد باشا الوزير هذا التدبير وأطمعهم بالاقامة في
مصر ولما حضروا أعقبهم الامر بالسفر الى اليمن فلما تحققوا انها مكيدة أظهروا التمرد والعناد وعدم
الانقياد فاعلمهم محمد باشا بالخروج بعد ان صرف لهم جوامك السفر وقدره أحد وثلاثون كيسا وعين لهم
سردارا يوصلهم الى السويس وهو حسن بك دبر زو طاقه يوم الاحد ثالث عشر ربيع الآخر من السنة
المذكورة فلما صار الوطاق بباب زويلة ثم الى باب النصر على طائفة العسكر المذكورين ارموا الخيام من
فوق ظهور الجمال ومنعوهم من الخروج فوصل الخبر الى محمد باشا فجمع من وجد بمصر اذ ذاك من العسكر
المنصور وأمر فندق بك بالخروج الى الريدانية بالعساكر المنصورة واجهار النداء بامان جميع العسكر الذي
ورد من الروم بطالع صحبة السردار ومن خالف وتأخر قبض عليه وجازاه فامتنعوا جميعا ووقفوا بابي النصر
والفتوح ورموا خلف البابين الاحجار وتحفظوا من كل جانب ومنعوا أكابرهم وأغواتهم الخروج الى
الريدانية والطلوع الى الديوان وجعلوا حواجز بالشوارع الموصلة اليهم نحو قامة ونصف حتى صار كل حاجز
مانعا لتوصل الخيول والجمل الحاملة للمدافع وتحصنوا بمتاريس ولبسوا الزرد وأوقدوا البنادق وأشهروا
السلاح وصعد غالبهم على أعالي الخانات والربوع والبيوت والجوامع والمنارات وهم ينتظرون من يقدم
عليهم فلما بلغ محمد باشا هذا التحصن العظيم والتيقظ للاقدام على الموت وانه قد دفع للقوم عين معه لا طاقة
لهم بحاربتهم بجمع الصناجق والكشاف وابن الخبير والقلاوية ومقدمين الخطرا وكانت هذه الجمعة
بالرميلة ثم ساروا الى الخوارج فلما عاينوا ذلك أذعنوا للطاعة وأجابوا ورفعوا الحواجز والمتاريس والاحجار
الموضوعة خلف الابواب وفتحوا الابواب وطلبوا الامان والجمال فاحضر لهم ما يزيد على ثمانين جملا فلما
وصلت اليهم الجمال ضربوها بسيوفهم فنفرت وتشتتت وقفلوا الابواب وتحصنوا أقوى من المرة الاولى
وعاد كل شيء الى محله وأشيع الخبر بانهم قتلوا أغواتهم فامر محمد باشا السردار بالخروج فخرج معه جمع

وعات بالمدينة المنورة (ثم تولى الوزير ابراهيم عرب كيرلي) رابع شعبان سنة تسع وثمانين ومائة وألف ومات قبل طلوع القلعة بالبابة ودفن عند الامام الشافعي رضي الله عنه (ثم تولى الوزير محمد باشا العزتلي الكبير) يوم الخميس سابع عشر ربيع الاول سنة تسعين ومائة وألف وعزل خامس عشر جمادى الثانية ومات رابع ذي القعدة سنة اثنين وتسعين ومائة وألف (ثم تولى الوزير اسمعيل باشا) يوم الاثنين سادس ذي القعدة وعزل ثانيا يوم الخميس رابع رجب سنة أربع وتسعين ومائة وألف (ثم تولى الوزير الصدر ملك محمد باشا) يوم الاثنين ثالث رجب سنة خمس وتسعين ومائة وألف وعزل عاشر شعبان سنة ست وتسعين ومائة وألف (ثم تولى الوزير الشريف علي باشا القصاب) يوم الخميس حادي عشر شوال من تلك السنة وعزل يوم الخميس رابع عشري شعبان سنة سبع وتسعين ومائة

كبير من الامراء وهم الامير قاسم والامير يوسف القطاس والامير ماماى والامير عبدى كاشف
والامير عيسى والامير مصطفى والامير أحمد والامير مراد والامير صالح والامير يوسف زعيم مصر سابقا
والامير عبدى كاشف القليوبية والامير على زعيم مصر حالا وطائفة اليمانية وطائفة من القلاوية
وطائفة من حارة الفوالة وهم معدون بالسلاح والسيوف والدرق والعمد الحديد والقسى وتقدم
الامير يوسف القطاس وأمامه ستة مدافع كبار مملوءة فلم يجدوهم وسار الامير ونودى للرعايا الاصقين
لاماكنهم وبيوتهم بقفل حوانيتهم وبيوتهم فلما وصلوا اليهم وجدوهم متيقظين متحفظين علوا لاسطحة
والمآذن فلما تراءى الجمعان التحم القتال فكان كلما التقى العسكر من الرصاص والنشاب والاحجار لا يصل
الى الخوارج لعلوهم على العسكر وكلما ألقاه الخوارج على العسكر نال منهم فقتل من العسكر سبعة أنفار
وفرس ثم ان الامير على زعيم مصر توصل الى الخوارج من وكالة البطيخ والامير قاسم والامير عبدى من
خلف أماكنهم والامير يوسف القطاس وقع الحواجز والمتاريس وبقية العسكر نقبوا اعلاهم أماكنهم
ودخلوا اعلاهم من محلات متعددة فلما اشتد الحال على الخوارج ولم يجدوا لهم قوة على القتال طلبوا الامان
وأجابوا بالامتثال فى التوجه الى أى محل يريده محمد باشا وخرجوا جماعة ولم يتخلف منهم أحد وتوجهوا
الى السويس واندفعت تلك الفتنة وكفى الله المؤمنين شرهم فاتفق انه عند خروجهم حصلت زلزلة فنظم
بعض الفضلاء فى ذلك فقال

خرج الخوارج للسويس وجمعوا * من أرض مصر لكثرة الافساد
رقصت لهم طربا فقالوا زلزلت * زالوا فزالت جملة الانكاد
حضروا لمولانا الوزير محمد * بشرا ففيها أرغمو الحساد
والله ساعده على اذهابهم * وأمده بنهاية الامداد

وفى زمن محمد باشا حصل رخاء عظيم حتى بيع القمح كل أردب بخمسة وعشرين نصفا فلوسا عددا
والفول كل أردب بخمسة عشر نصفا والعدس والبسلة كل أردب بثمانية عشر نصفا والارز بستة
وتسعين نصفا والجبن الطارى كل قنطار بثلاثين نصفا والسكر كل قنطار بالوزن القوى بمائة وستين نصفا
وأما اللحوم والاسماك فلكثرتها بيعت بأرخص الاثمان فسبحان المتفضل على عبيده وقدر القنطار
القوى بالوزن المصرى مائة رطل واثنان وخمسون رطلا تصير كل خمسة وعشرين رطلا بالوزن المصرى
بستة عشر نصفا فلوسا عددا او كل رطل ونصف رطل ونصف ثمن رطل بنصف فلوسا جددا ثم فى يوم الاربعاء
عاشر ربيع الاول سنة سبع وعشرين وألف وردت أحكام سلطانية بصرف محمد باشا عن ولايته فكانت
مدة تصرفه ثلاث سنوات وستة أشهر وثمانية وعشرين يوما والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى
أحمد باشا الدفتردار) فى يوم الخميس حادى عشر ربيع الاول سنة أربع وعشرين وألف وكان حاكما
سياسيا صاحب تدبير سهل فى أمره قريب من الناس ليس عنده تعجب ولا غلظة ومما اتفق عند قدومه
لما استقبله العسكر المنصور على العادة فدخل مصر يوم الاثنين سادس ربيع الآخر من السنة
المذكورة فى موكب عظيم بجلالته وكان بعمامته ريشتان مكللتان بالمعادن قيل ان قيمة كل ريشة ألف
دينار فلما وصل الى الجوخيين وهو بموكبه سقط على عمامته حجر من طاقة بيت بالربع الذى يعلو حوانيت
الجوخيين فألقى احدى الريشتين على الارض ومزق جانبا من الشاش ونسب رمى الحجر لشخص من
أقارب ابراهيم المنصورى الخياط فقبض على رامى الحجر بعد ان اعتبر الحجر بالوزن فوجد زنته خمسة
أرطال فتطير أحمد باشا من ذلك وأمر بشنق الرامى وكان يوصف بخبال العقل وان أحمد باشا لم ينله من
ذلك مكروه واستمر نافذ التصرف الى ان صرف عن ولايته يوم الخميس ثالث شهر صفر سنة سبع وعشرين
وألف وكانت مدة تصرفه سنتين وأحد عشر شهرا وثلاثة أيام والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم
تولى مصطفى باشا السلحدار) فى ثالث عشر صفر سنة سبع وعشرين وألف فتصرف نصف شهر صفر

وألف (ثم تولى الوزير محمد باشا الصفى) يوم الاربعاء خامس عشر المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة وألف وعزل يوم السبت خامس عشر ذى الحجة ختام السنة المذكورة (ثم تولى الوزير الشريف محمد باشا يكن) يوم الاثنين رابع المحرم سنة مائتين وألف وعزل يوم الاربعاء سادس عشر المحرم سنة احدى ومائتين وألف (ثم تولى الوزير الشريف عبدى باشا) ثانى عشر رجب تلك السنة وعزل ثالث رجب سنة ثلاث ومائتين وألف وفى تلك السنة (تولى السلطنة السلطان سليم الثالث) ابن السلطان مصطفى (وتولى وزارة مصر الوزير اسمعيل باشا) التونسى يوم السبت خامس عشر رجب وعزل يوم الاثنين عشرى شعبان سنة خمس ومائتين وألف (ثم تولى الوزير محمد باشا عزت) فى شوال تلك السنة وعزل فى غرة ذى القعدة سنة ثمان ومائتين وألف (ثم تولى الوزير صالح باشا القيصرلى فى عشرى ربيع

سنة ثمان وعشرين وألف فكانت مدة تصرفه سنة وشهرا وثلاثة أيام (ثم تولى جعفر باشا) * وكان لما قدم من اليمن مكث بمصر مدة والناس يترددون عليه وكان ذا علم وفضل وله قوة في طرح المسائل العلمية ومشاركة في غالب العلوم وأبحاث جيدة وفكرة وقادة ويحب أهل العلم والصالحين ويركن اليهم ويحب الفقراء والمساكين قليل الطمع لا ينظر الى ما في أيدي الناس مستغنيا بما في يده من الدنيا وكان أرسل عرضا للابواب الشريفة في خصوص باشويته مصر وهو منتظر ورود الاخبار وقد كثر لغط الناس من قال وقيل في جعفر باشا وكانت اقامته بمصر في زمن أحمد باشا الدفتدار المتقدم ذكره وكان أحمد باشا مستاما منه وخشي الفتنة فارسل اليه من أكابر الدولة من يحثه على الرحيل من مصر فتوجه برا ولما وصل الى السلطان أنعم عليه بولاية مصر فقدم برا كما توجه فخرج لاستقباله الامراء والعلماء وأكابر العسكر المنصور ودخل مصر في موكب عظيم لم يعهد مثله وفرح العامة والخاصة بقدومه فاستبشروا بالخير وكان قدومه الى مصر في أواسط صفر سنة ثمان وعشرين وألف ولما استقر بمصر المحروسة حصل الطعن والطاعون بمصر المحروسة وقراها ومكث نحو شهرين فاشتغل الناس بموتاهم وقفلت غالب أسواق مصر وحوانيتها ماعدا أسواق الاكفان فانها سالمة وحملت ليلا ونهارا ومنع جعفر باشا عمال الاموات من التعرض للموتى فصار الناس يدفنون موتاهم بغير اذن وحصل بذلك رحمة للعالمين فياسبحان الله عوت اليهودي وهو صاحب مائة ألف قرش فلم يتعرض له أحد من الظلمة ولا يسئل عما خلف واذا مات مسلم لم يدفن حتى يشاور عليه وتأتي الظلمة تخرجه من بيته ويختموا عليه مع ان له أولادا واخوة وزوجة فالحكم لله العلي الكبير ألم يسمعوا قول العزيز الجبار ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا وهنا حكاية لطيفة لا بأس بايرادها وهي اني لما حججت في سنة ثمان وعشرين وألف كان ركب من التكرور وحجاج فعند العود سرت مع رفقة بغالة امام الركب المصري فادركت رجلا من التكرور وقريبا من بندر المويلح راكبا على ناقة وحوله ثمانية أنفار وهم مشاة فسألت رجلا منهم عن الرجل الراكب على الناقة فاخبرني انه شيخ الركب وقد وسع الله عليه دنياه وانه على الكتاب والسنة وله أربع زوجات وما يزيد على ستين جارية كلهن موطوآته فرزقه الله من زوجاته وجواريه مائة وعشرين والداثنين ذكورا وأربعين اناثا وتناسلوا فصار لا يعلم عدة أولاده وأولاد أولاده وان بلادهم مجاورة لبلاد النصارى وفي كل أوان يذهب هو وأولاده وهم معدون بالسلاح ركبانا ومشاة ويقاتلون النصارى ويقتلون وينهبون ويأسرون ولما وصل الركب التكروري الى مصر نزل بقرية من قرى الجيزة تسمى منشية البكاري فادرك شيخ الركب المذكور الاجل المحتوم فمات فاشيع عنه انه ترك مالا كثيرا وتبرا فارسل وكيل بيت المال من يضبط ماله فمنع أولاده وكيل بيت المال وقالوا والله نقتل دون مالنا فبلغ ذلك جعفر باشا فمنع بيت المال من التعرض لهم وسافر أولاده الى بلادهم وتركوا أباهم تحت رحمة الله تعالى ولما ارتفع الوباء واطمأنت العباد أراد جعفر باشا أن يظهر بمصر الآثار الجميلة وينشئ الخيرات الجزيلة وينشر العدل بالديار المصرية ويكف عن الرعايا كل ضر وبلية فما ساعدته القدرة الازلية كما قال الطغرائي في لاميته

والدهر يعكس آمالي ويقنعني * من الغنيمة بعد الكد بالقفل

وفي الواقع ونفس الامر ان الزمان مدبر ما شرع فيه أحد بشئ يكون صلاحا الا انعكس الى الفساد ولله في هذا مراد ثم ان جعفر باشا في أوائل رمضان سنة ثمان وعشرين وألف صرف عن باشوية مصر وتوجه الى الديار الرومية في البحر لعدم تأهبه لآلات السفر برا فان عزله جاء بغتة على حين غفلة وما أمكنه الاستعداد لسفر البر والله يفعل ما يشاء فكانت مدة تصرفه بمصر ستة أشهر وأياما ولما وصل الى الديار الرومية مكث مدة يسيرة ومات وذهب ماله ونواله وهكذا حال الدنيا وفي ذلك عبرة لمن اعتبر وعاد ولده الى مصر وأقام بها فقيرا والله أعلم (ثم تولى مصطفى باشا) في عاشر رمضان سنة ثمان وعشرين وألف وفي

الاول سنة تسع ومائتين وألف وعزل في ذي الحجة سنة عشر ومائتين وألف (ثم تولى السيد أبو بكر باشا) الطرابلسي يوم الخميس الخامس والعشرين من ربيع الاول سنة احدى عشرة ومائتين وألف وتوجه الى غزة يوم السبت سابع صفر سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف وذلك بسبب قدوم طائفة الفرنسيس الى مصر في ذلك الشهر فانهم قدموا الى الاسكندرية في شهر المحرم من تلك السنة ثم قدموا منها الى مصر في شهر صفر فاستقبلهم عسكر مصر عند الرحمانية وهزموا الى الجيزة فالتقوا بهم عند بشتيل قريبا من وسيم وحصلت مقتلة عظيمة وقدر الله ان المسلمين هزموا فمراد بك ومن معه من العسكر الذين يقاتلون في البر الغربي الى جهة الصعيد وفر ابراهيم بك ومن كان معه في البر الشرقي الى الشام وحقيقة حال الفرنساوية الذين حضروا الى مصر انهم فرقة من الفلاسفة الاباحية طبائعية يقال لهم نصارى

ولا يتحصل مناصب لارباب الاموال وكثرت العوانية والوشاة ببابه وصاروا ينقلون اليه أخبار
الناس ويزخرفون له أقاويل كاذبة وأمورا باطلة يتوصلون بها الى أغراضهم الفاسدة فتعبت أرباب
الاموال واختلت الاحوال في زمنه فمن وشى به اليه وبذل ماطلبه منه سلم ومن تقاعس ولم يبذل حقر
وأخذ منه أكثر مما طلب منه وكان مصطفى باشا ذا شجاعة واقدام فقتل مصطفى بقجلي بيده وظن الناس
أن تقام بسببه فتنة فلم يظهر لذلك أثر ولما ازداد طمعه توسلت الرعية بالنبي صلى الله عليه وسلم الى خالق
البرية بكشف هذه البلية فاستجاب الله دعاءهم وورد الخبر بعزله في ثالث شهر رمضان سنة تسع وعشرين
وألف فكانت مدته سنة الا ثلاثة أيام والله أعلم (ثم تولى حسين باشا) في ثالث عشري رمضان سنة تسع
وعشرين وألف وقدم مصر في أقرب وقت وأدرك مصطفى باشا قبل سفره فمنعه من السفر وأنزله من القلعة
الى بيت مراد باشا الذي بالسبع قاعات بمصر وجعل على الباب حرسا فاقتعد به مدة فلم يجده وكان قد
تخلص من ذلك بتدبير بعض أكابر الدولة وتوجه مصطفى باشا الى الديار الرومية وتبعه جماعة ممن صادرهم
وأخذ أموالهم فادعوا عليه ومزقوا عرضه وأخذوا منه جميع ماأخذه منهم وفي زمن حسين باشا في سنة
ثلاثين وألف حصل غلاء عام حتى بيع القمح كل أردب بالكيل المصري بمائتي نصف فضة والشعير
بمائة وعشرين نصفا والفول بمائة وستين نصفا وكذلك البسلة والعدس وأما الارز فبيع بمائتين
وأربعين نصفا وارتفعت الاسعار فوق ذلك وأما النيل فمكث فوق الارض الى غاية هاتور القبطي حتى
كادت الناس تيأس من الزرع والذي زرع شتويا هاف ولم يحصل منه الا القليل لكونه زرع بعد الاوان
وقد من الله على عباده بنمو زرع الذرة فانه أخصب ونما وحصل به النفع لاقاليم مصر وقراها وغيره
من الاقاليم وفي زمنه حصلت بلية عمت وطمت على الرعية وهي رمية الفطرون على المدن والثغور ثارت
الرعية بسبب ذلك وراجعوا حسين باشا في رفعها فلم يرفعها ثم رفعت بعد عزله باذن الله تعالى وقد حصل
في زمنه فساد عظيم وفي عشري ربيع الآخر سنة احدى وثلاثين وألف عزل حسين باشا فكانت
مدة تصرفه سنة واحدة وسبعة أشهر وعشرة أيام ثم توجه الى الديار الرومية فحصلت الفتنة الكبرى
بالقسطنطينية وقتل من قتل وأعيد مولانا السلطان مصطفى وجلس على التخت الشريف وتحرك بعد
ذلك فتن أخر وقتل فيها جماعة من الاكابر وآل الامر الى أن ولى حسين باشا الوزارة العظمى في أحد
الجمادين سنة اثنتين وثلاثين وألف ولما تمكن من الوزارة ظن ان الدهر قد صفاله من الغم والنحوس
فاستبد برأيه المنكوس فتصرف بالجهل والجنون ولم يراع الشرع والقانون وزود في قلبه وسوسة
الشيطان الخناس ومشى بالجور والشدة والباس وركزت بغضته في قلوب الناس فمن جملة مخاطراته
أنه بلغه ان جماعة من العلماء والموالي يجتمعون بجامع السلطان محمد وهم يدعون عليه ويطلبون من
الله ازالته عن المسلمين فأرسل لهم جماعة من أتباعه وأعوانه فقتلوا منهم جماعة ونفى جماعة من العلماء
وشاع ذلك وذاع في سائر الامصار والاقطار ومن جملة مخاطراته أيضا أنه وضع يده على جملة مال الخزائن
العثمانية وصار كلما أخذ مبلغا يرسله خفية الى بعض أكابر الدولة ويأخذ منه تذكرة بوصول المبلغ
المذكور ويكتمه ويضع التذكرة عنده فقدر الله ان السلطان مصطفى خلع نفسه من الملك وفرغ عنه
لولد أخيه السلطان مراد جعل الله جلوسه مباركا على البلاد والعباد انه على مايشاء قدير (فكان
جلوس مولانا السلطان مراد) حفظه الله ونصره بجاه محمد وآله على تخت السلطنة الشريفة العثمانية في
يوم الاحد المبارك رابع عشر ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وألف ختمت بالخير فأمر السلطان مراد
بعود من نفى من العلماء وطلب العسكر المنصور حسين باشا فلما أحس بالطلب وتحقق أنه انما
طلب للهلاك والعطب اختفى وتفرقت أتباعه وتشتتوا وذهبت دولته كأن لم تكن وندم حيث لا ينفعه
الندم وصار في الوجود عدم ثم ان مولانا السلطان مرادا أعاد مصطفى قزل أغا الى مرتبته فأخذ مصطفى أغا
يدبر في تحصيل حسين باشا فبلغه أنه بمكان فأرسل اليه الامان من مولانا السلطان فحضر وقبل أقدام

قالوا بقية يتبعون عيسى
عليه السلام ظاهرا
وينكرون البعث والدار
الآخرة وبعثة الانبياء
والمرسلين ويقولون ان الله
واحد لكن بطريق التعليل
ويحكمون العقل ويجعلون
منهم مدبرين يدبرون
الاحكام يضعونها بعقولهم
ويسمونها شرائع ويزعمون
أن الرسل محمدا وعيسى
وموسى كانوا جماعة عقلاء
وان الشرائع المنسوبة اليهم
كناية عن قوانين وضعوها
بعقولهم تناسب أهل
زمانهم ولذا جعلوا في مصر
وقراها الكبار دواوين
يدبرون مايناسب أهل
البلاد بحسب عقولهم
وكان في ذلك رحمة باهل
مصر فانهم جعلوا من جملة
دواوينها جماعة من المشايخ
وصاروا يراجعونهم في
بعض أشياء لاتليق بالشرع
والسبب الذي أوجب
لاهل مصر وقراها بعض
الانقياد اليهم عجزهم
عن مقاومتهم بسبب هروب
المماليك الذين معهم آلات
القتال ولنهم عند قدومهم
كتبوا كتبا وفرقوها في

السلطان مراد فاظهر له البشر وأعاده الى الوزارة العظمى وخلع عليه خلع الرضا فلما تصرف وزال روعه مكث مدة يسيرة ثم طولب بما وضع يده عليه من مال الخزائن العامرة فاعترف بالاخذ واحضر التذاكر التي أخذها ممن وصل اليه شيء من المال فقتله السلطان مراد شر قتلة وأخذ جميع ما كان بمنزله مما أخفاه وأظهره وأمر أن يلقى حسين باشا على باب منزله والناس يمرون عليه وأمر أن لا يدفن الا بعد ثلاثة أيام فمر عليه شخص ممن كان ظلمه وآذاه فرفسه بجزمة كانت برجله فدخلت في جوفه وصار يلقي في جوفه رملا ودفن بعد مضي ثلاثة أيام ولم يترحم عليه أحد وهكذا حال الظلمة المغرورين ثم ان مصطفى أغا أرسل الى أرباب التذاكر وأحضرهم واحدا بعد واحد واستخلص منهم المال جميعا وكل من أخذ منه ما كان عنده يعاتبه على قبوله من حسين باشا المال ويقول له أما علمت أنه من مال الخزينة وينسب اليه الخيانة بسكوته وعدم اعلامه ثم يقتله ويلقيه في البحر ولم يبق منهم أحد ولله البقاء (ثم تولى محمد باشا السنجي) في حادي عشر ربيع الآخر سنة احدى وثلاثين وألف فقام عنه حسن أفندي الدفتدار ولم يتهيأ له تولية مصر وصرف عنها فكانت مدة تصرف حسن أفندي أربعة شهور وسبعة أيام والله أعلم (ثم تولى ابراهيم باشا السلحدار) ودخل الى رشيد يوم الجمعة ثاني عشر شعبان سنة احدى وثلاثين وألف ووصل الى مصر في أوائل رمضان وحصل في زمنه غلاء يزيد على ما تقدم وقد جاءت الناس من الاقطار الشامية والحجازية وغزة وغيرها الى مصر واتاها بقصد الميرة فمن كان ذا مال امتار ما يحتاج اليه ورجع الى أهله ومن لا مال معه وله قدرة على الكسب أو الخدمة يقتات من كسبه أو من خدمته ومن لا مال معه ولا قدرة له على الكسب أو الخدمة يستعطي حتى امتلأت مصر وقراها منهم والذي ضبط بيعه من الغلة في ثغر دمياط في مدة ثلاثة أشهر يزيد على ستين ألف أردب وتجدد بعد ذلك ما يقاربه وأزيد وذلك خارج عما بيع من الحنطة والشعير والفول وبقية الحبوب وأما ما بيع برشيد فضعف ما بيع بدمياط فان رشيد أكثر واردا من دمياط وأما ما بيع ببولاق والمدائن والقرى فلا حصر له وكل ذلك بعد كفاية أهل مصر وقراها وما ادخروه فسبحان المنعم المتفضل على عبيده فنسأل الله أن يعمر مصر وقراها ويكثر زرعها وخيرها ويهلك من أرادها ولاهلها سوءا انه على ما يشاء قدير وفي زمن ابراهيم باشا حصل من أعوانه وأتباعه اجحاف وطمع وخروج عن الحد في الخدم التي يتوجهون اليها وتعبت الرعايا بسبب ذلك وان ابراهيم باشا رمى بضاعة على التجار ومشايخ الاسواق فحصل لهم خسارة فاحشة فشكوا أمرهم اليه فلم يلتفت لشكواهم فتحركت عليه طائفة من أكابر الدولة ومنعوه من ذلك فتلاشى أمره وقصرت كلمته واستمر الى أن صرف في يوم الاربعاء سابع رمضان سنة اثنتين وثلاثين وألف وكانت مدة تصرفه سنة واحدة وتسعة عشر يوما وبه انتهى ذكر من ورد من أرباب الحكام الى الديار المصرية ووقف عنده القلم طالبا الكمال بهذه الخدمة التاريخية شعر

فما لها في الورى مثل لناظرها * وكم لها نار بين الناس من مثل
يرتاح سامعها حتى يهز بها * من التعجب عطف الشارب الثمل
فلا تمر غيرها سمعا ولا نظرا * في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

ونرجو من الله تعالى بقاء الدولة العثمانية ودوام عزها المعتدة بالعناية الربانية وانتظام أقطار الارض في سلكها داخلة تحت سلطنتها وملكها وتخت مصر عندهم بالالتفات محفوظا وبكمال قدم مفخم واقتضت الحكمة توليته أصبح محظوظا بالسعد محفوفا بجاه سيدنا محمد أفضل العباد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما الى يوم المعاد آمين

(خاتمة)

روى الامام أحمد بن حنبل في مسنده والترمذي عن عمرو بن مرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امام أو وال يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة الا أغلق الله أبواب السماء دون

البلاد وذكروا فيها انهم ليسوا نصارى لانهم يقولون ان الله واحد والنصارى تقول بالتثليث وانهم يعظمون محمدا ويحترمون القرآن وانهم يحبون العثمانلي ولم يأتوا الا لطرد المماليك الظلمة لانهم نهبوا أموالهم وأموال تجارهم ولا يتعرضون للرعايا في شيء لكن لما دخلوا لم يقتصروا على نهب أموال المماليك بل نهبوا الرعايا وقتلوا جملة من الناس لما قامت عليهم أهل مصر بسبب طلبهم تقريد غرامة على البيوت وقتل منهم ما يقرب من الالف وهتكوا بعض الاعراض في مصر وقراها فان كل قرية حاربتهم نهبوا أموالها وقتلوا رجالها وأخذوا نساءها وقتلوا من علماء مصر نحو ثلاثة عشر عالما ودخلوا بخيولهم الجامع الازهر ومكثوا فيه يوما وبعض الليلة الثانية وقتلوا فيه بعض علماء ونهبوا منه أموالا كثيرة وسبب وجودها فيه ان أهل البلد ظنوا ان العسكر

حاجته وخلته ومسكنته ولهذا كان بعض الحكام لا يغيب عن بيته ولا يسكن الا في دهليزه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس من ولي منكم عملا فحجب بابه عن ذوي حاجة من المسلمين حجبه الله يوم القيامة ان يلج الجنة فليس شيء أحب الى الله عز وجل من قضاء حوائج المسلمين ومن كانت همته الدنيا حجبه الله عز وجل من جواري فاني بعثت بخراب الدنيا ولم أبعث بعمارتها وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا بد للناس من امارة برة أو فاجرة فاما البرة فيعدل في القسم ويقسم فيكم بالسوية وأما الفاجرة فيبتلى فيها المؤمن والامارة الفاجرة خير من الهرج قيل يا رسول الله وما الهرج قال القتل والكذب (فائدة) الهرج باسكان الراء الفتنة وكثرة العناد وبفتحها تحير البصر وروي انه صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس بارة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيامة ان عملت خيرا قالت كيف لم أزدد وان عملت شرا قالت ياليتني قصرت وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيلي أموركم من بعدي رجال يطفئون السنة ويعملون بالبدعة ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها (فائدة) تعريف البدعة من ابتدع الشيء أي اخترعه وأحدثه ثم غلب على ما خالف قواعد الشرع وروى الحاكم وصحح اسناده من ولي من أمور أمتي شيأ فاحتجب عنهم احتجبت عنه يوم القيامة وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله عز وجل أقواما اختصهم بالنعم لمنافع العباد ويقرها فيهم ما بذلوها فاذا منعوها نزعها منهم فحولها الى غيرهم أخرجه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية وغيرهم وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة واحدة منها فيها صلاح أمره كله وثنتان وسبعون درجات له يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبلغ حاجة من لم يستطع ابلاغها ثبت الله قدميه على الصراط وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعى لأخيه المؤمن في حاجة قضيت أو لم تقض غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقي أخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك سره الله يوم القيامة رواه الطبراني في الصغير باسناد حسن ومن رسالة الجاحظ مما أتى فيها بالحكمة قوله كن شفيعا الى اذنك حتى تسمعها وشفيع اذنك الى قلبك حتى تفهمها وشفيع قلبك الى نفسك حتى تعمل بها وقال ابن زيدون في رسالته المعروف ثمرة النعمة والشفاعة زكاة المروءة ومن كلام الحكمة بذل الجاه أحد المالين وشفاعة اللسان أفضل زكاة الانسان وبذل الجاه رفد المستعين والشفيع جناح الطالب والشفاعة أمر مندوب اليه نطق به القرآن وحثت عليه السنة قال الله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وقال جابر بن عبد الله من كثرت نعمة الله عليه كثرت حوائج الناس اليه فاذا قام بما يجب لله فيها عرضها للدوام والبقاء وان لم يقم فيها عرض نعمته للزوال نعوذ بالله من ذلك ونسأله التوفيق والعصمة وعن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه وقال اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما أحب متفق عليه وفي مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي هذا من ولي من أمر أمتي شيأ فاشق عليهم فاشقق اللهم عليه ومن ولي شيأ فرفق بهم فارفق اللهم به (فائدة) الرفق هو التوسط واللطافة في الامر مع الناس برفق في تحصيله فمن فعل ذلك ولم يجهد نفسه دام له ما استفاد وأفاد وهدى واهتدى ومن كلف نفسه فوق طاقتها وعامل الناس بصلابة الجانب لم يدم له لجهله فضل وأضل قال صاحب المنفرجة

والرفق يدوم لصاحبه * والخرق يصير الى الهرج

وقد تقدم الكلام على الهرج وقال عبد الله بن طاهر لا ينبغي للملك ان يظلم وبه يدفع الظلم ولا يبخل ومنه يتوقع الجود من الفردوس عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا يدخلها فخولوا فيه أمتعة بيوتهم فنهبوها ونهبوا أكثر البيوت التي حول الجامع ونثروا الكتب التي في الخزائن يعتقدون ان بها أموالا وأخذ من كان معهم من اليهود الذين يترجمون لهم كتبا ومصاحف نفيسة ومكث بونابارته أمير الجيوش الفرنساوية في مصر سبعة أشهر ثم في غرة رمضان من تلك السنة توجه الى الشام لقتال الوزير المعظم أحمد باشا الجزار فحاصره حصارا شديدا في عكا فلم يقدر الله ظفره به وقتل معظم عسكره ورجع الى مصر وترك جانبا من عسكره في العريش وكان قد حصن القاهرة ببناء القلاع حولها ثم جاء عسكر من جهة الروم الى ناحية أبي قير معهم مصطفى باشا فتوجه اليهم بونابارته مع عساكره وغدرهم وقتل منهم جملة وأسر مصطفى باشا المذكور مع بعض العساكر الاسلاميين ورجع الى مصر ومكث مدة قليلة ثم أخذ أمواله التي جمعها من مصر وتوجه الى ناحية أبي

يأتى على أمتى زمان يكون السلطان كالسبع ومن قبله كالذئب ومن قبله كالثعلب ويكون المسلم كالشاة فتى تسلم الشاة بين سبع وذئب وثعلب فتولوا فى ذلك الزمان ياسلام سلم ياسلام سلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن قال الشارح ناظما

ان كنت لا ترحم المسكين ان ظلما * ولا الفقير اذا يشكو لك العدما
فكيف ترجو من الرحمن مرحمة * وانما يرحم الرحمن من رحما

ذكر الجلال السيوطى فى الاحاديث العشارية الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء وقال ناظما

ارحم أخى كل من فى الارض يرحمكا * من فى السماء فباعد عنك وسواسا
وقل أعوذ برب الناس منك اذا * لا يرحم الله من لا يرحم الناسا

ومن كلام الحكمة يستدل على ادبار الملك بخمسة أمور الاول الاكتفاء بغير أهل الديانة الثانى أن يقصد مودة أبيه واسلافه بالاذى الثالث أن ينقص خراجه عن قدر مؤنة ملكه الرابع أن يكون تقريبه وابعاده لغرض نفسه معرضا عن مراتب الناس الخامس استهانته بنصائح الفضلاء وآراء ذوى التجارب ويقال من عصى نصيحا فقد استفاد عدوا وقال بعض أهل الحكمة الملك بالملك والملك بالجند والجند بالمال والمال بعمارة البلدان وعمارة البلدان بالعدل فى الرعية وقيل فى المعنى

عليك بالعدل ان أوليت مملكة * واحذر من الظلم فيها غاية الحذر
فالملك يبقى مع عدل الشيم ولا * يبقى مع الجور فى بدو ولا حضر

وقال الشاعر أيضا خف الله واحذر من عواقب ذنبه * مسرتها تفنى ويبقى لك الوزر
ولا تحقرن ذنبا صغيرا تضيفه * الى غيره فالغيث أوله قطر

واعلم انه لا ذنب أعظم من ظلم الناس وأخذ أموالهم بغير حق لاسيما من كان ضعيفا أو مسكينا أو لا عقل له أو كهلا أشرفت نفسه على الهلاك وقال الامام على كرم الله وجهه ملك بلا عدل كنهر بلا ماء وعالم بلا عمل كغيم بلا امطار وغنى بلا جود كشجر بلا ثمر وشاب بلا توبة كقنديل بلا زيت وفقير بلا صبر كبيت بلا سقف وامرأة بلا حياء كطعام بلا ملح وقال طلحة الطلحات لاسد بن عبد الله وهو والى خراسان ان كنت تعطى من ترحم فارحم من تظلم ان السموات لتفرج لدعوة المظلوم فاحذر من ليس له ناصر الا الله ولا جنة له الا الثقة به ولا سلاح له الا الابتهال اليه فان البغى يصرع أهله والبغى مصرعه وخيم فلا تغتر بابطاء الغياث من ناصر متى شاء ان يغيث أغاث وقد أملى لقوم لكى يزدادوا اثما وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه اشتد غضبى على من ظلم من لم يجد ناصرا غيرى نقل الغزى فى كتابه حديثا عن ابن عباس رضى الله عنهما قيل يارسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون قال نعم قيل بم يارسول الله قال بتهاونهم وسكوتهم عن معاصى الله ومن الجامع الصغير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الاسلام ومن الجامع الصغير أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الاسلام وذكر شيخ الاسلام ابن حجر العسقلانى فى الاربعين حديثا التى جمعها *(الحديث التاسع)* عن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاصم فى باطل وهو يعلم لم يزل فى سخط الله حتى ينزع رواه أبو داود وصححه الحاكم وفى لفظ آخر من أعان على خصومة بظلم فقد باء بغضب من الله تعالى *(الحديث الحادى عشر)* من الاربعين حديثا المتقدم ذكرها من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وافعا من أعان ظالما بباطل ليدحض به حقا فقد برئ من الله ورسوله وقد أجمع المسلمون على تحريم الظلم قليله وكثيره ومن استحله فهو كافر والظلمة من المكاسين وغيرهم غافلون عن هذا كله ومن قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة صاحب مكس حديث حسن رواه الامام أحمد فى مسنده وهذا الحديث يجمع قوله صلى الله عليه وسلم فى

فيرو أخذ بعض عسكره ونزل فى البحر وذهب الى بلاده مع شدة محافظة مراكب الانجليز على الاسكندرية ومنعهم كل من يسافر من جهتها حتى قيل انه أرشاهم بدراهم ليخلوا له الطريق (وولى بدله جمهور الفرنساوية كليبر سارى عسكر عليهم) ثم ان همة مولانا المعظم والخاقان المفخم السلطان سليم توجهت الى مصر فارسل مولانا الوزير المعظم والصدر المفخم يوسف باشا المعدنى الغازى سارى عسكر على جيوش المسلمين فتوجه من اسلامبول بالاوردى الهمايونى ومازال يسير ويجمع العساكر من البلدان الى أن وصل الى غزة هاشم فى شهر رجب من شهور سنة أربعة عشر ومائتين وألف ثم وجه عسكرا أمامه الى العريش وتوجه بعدهم بنفسه اليها ففتحها الله عليه فى مدة يسيرة نحو خمسة أيام مع ان بونابارته لما ذهب الى الشام حاصرها أربعة عشر يوما فلم يقدر على أخذها

قصصنا الغامدية فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له من املاء الشيخ جلال الدين السيوطي على الدرة الفاخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقيتم عاشرا فاقتلوه أخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر عن عبد الملك بن مسلمة عن أبي لهيعة الى الامام أحمد عن الطبري وعن منصور بن مجاهد في قوله تعالى ولا تقعدوا بكل صراط توعدون قال نزلت في المكاسين وأنشد

أقتل أولي المكس ولا تكترث * ان حرموا ذلك أو حللوه

فان خير الخلق أوصى به * اذا لقيتم عاشرا فاقتلوه

(وقال بعضهم) مصر السعيدة أصبحت * دارا تطيب بها النفوس

فالظلم فيها قد فشا * وأصله قبض المكوس

وذكر بعض الافاضل أن الشيخ محمد الحيثي بالثاء المثلثة ذكر في كتابه البركة في فضل السعي والحركة قال صلى الله عليه وسلم خلق الله ولد الزنا وأخطأه بن خلقه فاذا أراد أن يظهر جعله مكاسا أو عوانيا وقد أحدث الظلمة أشياء تقشعر من سماعها الجلود فضلا عن مشاهدتها لاشتهارها عند الخاص والعام لما أركزه الله في قلوبهم من حب الدنيا الدنيئة والغفلة عن الآخرة وقد وردان الظلمة كلما أحدثوا ظلما جدد الله لهم نعمة وأنساهم الاستغفار والرجوع اليه قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم ان كيدي متين وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار وقال تعالى وقد خاب من حمل ظلما وقال تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصية فاعلموا انه استدراج ثم قرأ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (فائدة) تعريف الظلم هو مجاوزة الحد والتعدي على خلق الله وقال الراغب هو لغة وضع الشئ بغير موضعه بنقص أو زيادة أو عدول عن وقته أو مكانه قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة قال الشارح الظلم على أصحابه في الدنيا بمعنى انه يورث ظلمة القلب فاذا اظلم القلب تاه وتحير وذهبت الهداية والبصيرة فصار صاحبه في ظلمة ذكر البيضاوي في تفسيره في سورة النبأ عند قوله تعالى يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا أي جماعات من القبور الى المحشر روي انه عليه أفضل الصلاة والسلام سئل عنهم فقال تحشر عشرة أصناف من أمتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكس يسحبون على وجوههم وبعضهم عمي وبعضهم صم وبعضهم ألسنتهم مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلوبون على جذوع من نار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون ثيابا من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات وآكل السحت وآكل الربا والجائرين في الحكم والمعجبين بأعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والمؤذين جيرانهم والساعين بالناس الى السلطان والتابعين الشهوات والمانعين حق الله تعالى والمتكبرين وأهل الخيلاء وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما تكلم بعض الملوك بكلمة بغي وهو جالس على سريره فمسخه الله فلم ير أثره وفي المعنى

أيها المستطيل بالبغي قصر * طالما طأطأ الزمان رؤسا

وتذكر قول الاله تعالى * ان قارون كان من قوم موسى

(وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه)

اذا ظالم استعمل الظلم مذهبا * ولج عتوا في قبيح اكتسابه

فكله الى صرف الليالي فانها * ستبدي له ما لم يكن في حسابه

فكم قد رأينا ظالما متجبرا * يرى النجم تيها تحت ظل ركابه

طغى وبغى حتى اذا غره البقا * أناخت جميع النائبات ببابه

مع كون من فيها شرذمة قليلة من عسكر مصر فلما قويت ذخيرتهم طلبوا الامان وخرجوا منها وأما الفرنساوية الذين كانوا فيها فعندهم ذخيرة كثيرة وجبخانة عظيمة لكن معونة الله ساعدت الوزير المذكور على أخذها لما استقر ركابه هنالك ذهب اليه جماعة من الفرنساوية ووسطوا بينهم وبينه جماعة من الانجليز في أجراء الصلح بينهم فصالحوه على انه يترك لهم ما قبضوه من الاموال وأن يدفع لهم جانبا يستعينون به على السفر وشرطوا شروطا كثيرة منها انهم يمكثون في مصر والبر الشرقي مدة أربعين أو خمسة وأربعين يوما يقضون فيها أشغالهم وبعد ذلك يذهبون الى الجيزة يترددون ما بينها وبين الصعيد والاسكندرية بقطر تلك المدة حتى يجمعوا عساكرهم من البلاد فاجابهم الوزير لذلك لسلامة صدره فلما حضر بعسكره ونزل ما بين الخانقاه [illegible]ية والمطرية

وقد ورد في البغي آثار منها ان النبي صلى الله عليه وسلم أوصى رجلا فقال له أنهاك عن ثلاث لا تنقض عهدا واياك والبغي فانه من بغي عليه لينصرنه الله واياك والمكر السيء فانه لا يحيق الا باهله وقال صلى الله عليه وسلم اذا جار الحكام قل المطر واذا نقض العهد جار العدو واذا ظهرت الفواحش كانت الزلازل وقال صلى الله عليه وسلم اذا رضي الله على قوم أمطرهم المطر في وقته وجعل المال في سمحائهم واستعمل عليهم خيارهم واذا سخط عليهم استعمل عليهم شرارهم وجعل المال في بخلائهم وأمطرهم المطر في غير وقته ذكر البيضاوي في تفسير سورة المطففين ويل للمطففين التطفيف البخس في الكيل والوزن روى ان أهل المدينة كانوا أخبث الناس كيلا فنزلت وفي الحديث خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت وما طففوا الكيل الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم المطر حدث واصل بن عبد الله السامي عمن حدثه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما يذهب من هذا الدين الامانة وآخر ما يبقى منه الصلاة ويصلي من لا خير فيه وما فشا الزنا في قوم الا ابتلوا بالجوائح بالله ورسوله ولا ظهرت فيهم المعازف والغناء الا عميت قلوبهم ولا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا نكست قلوبهم حتى لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا قيل ان سيدنا عيسى عليه أفضل الصلاة والسلام رأى ابليس وهو يسوق أربعة حمير فقال ما هذا قال أسوق تجارة لمشتريها الجور للسلاطين والحسد للعلماء والخيانة للتجار والكيد للنساء ومن كلام الحكمة الاسباب التي تجر الملك الى الهلكة ثلاثة أحدها أن تتمادى شهواته على عقله فيستهويه نشوان الشهوات فلا تسنح له لذة الا اقتنصها ولا راحة الا افتنصها الثاني من جهة الوزراء وهو التحاسد المقتضي تعارض الآراء فلا يسبق أحدهم الى حق الا عورض وفند الثالث من جهة الجند وهم صنفان صنف وسع الملك عليهم أرزاقهم فابطرهم الاسراف وصبوا بنفوسهم للاتلاف وصنف قتر الملك عليهم أرزاقهم فركنوا الى الاحقاد ولزموا النفاق واعلم أن آفة الملوك سوء السيرة وآفة الوزراء خبث السريرة وآفة الجند مخالفة العادة وآفة الرعية مخالفة السادة وآفة الرؤساء ضعف السياسة وآفة العلماء حب الرياسة وآفة القضاة شدة الطمع وآفة العدل قلة الورع وآفة القوي استضعاف الهمم وآفة المنعم منع النعم والخلافة لا يصلحها الا التقوى والرعية لا يصلحها الا العدل فمن جار في قضيته ضاعت رعيته ومن ضعفت سياسته بطلت رياسته ومن كلام الحكمة خير الملوك من أشرب قلوب رعيته محبة لا تزول ولن ينال ذلك الا بخمسة أشياء اكرام شريفها واغاثة لهيفها ورحمة ضعيفها وكف عدوان عاديها وتامين سبل رائحها وغاديها روى عن الامام علي رضي الله عنه انه قال فساد العامة من فساد الخاصة والخاصة تنقسم على أربعة أقسام العلماء وهم الدالون على الله والزهاد وهم الطريق الى الله والتجار وهم أمناء الله والملوك وهم رعاة دين الله فاذا كان العالم طامعا وللمال جامعا فبمن يقتدي واذا كان الزاهد راغبا فبمن يهتدي واذا كان التاجر خائنا فبمن يؤتمن واذا كان الملك جائرا فبمن يلتجا فوالله ما أهلك الرعية الا العلماء الطامعون والزهاد الراغبون والتجار الخائنون والملوك الجائرون فانا لله وانا اليه راجعون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وقال صاحب التعليمات الملكية وأما أصناف العدل من الخلائق فخمسة رفع الله بعضهم فوق بعض درجات كما قال تعالى وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات *(فالصنف الاول)* الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهم أدلاء الامة وعمد الدين والاسلام ومعادن حكم الكتاب وأمناء الله على خليقته وهم الهداة والقدوة والسرج المنيرة الى سبيل الهدى وحملة الامانة عن الله الى خلقه بالهداية وأنزل معهم الكتاب والميزان وأن لا يتعدوا حدود ما أنزل الله من الاوامر والزواجر ارشادا وهداية لهم حتى تقوم الناس بالقسط والحق ويخرجونهم من ظلمات الكفر والطغيان الى نور اليقظة والايمان وهو سبب نجاتهم من دركات جهنم الى درجات الجنان *(الصنف الثاني)* العلماء وهم ورثة الانبياء فهموا

تطاولوا عليه بان الانجليز لم تمكنهم من التناول في البحر ومكثوا مدة يخادعونه حتى جمعوا عسكرهم وغدروا الوزير المذكور وهجموا عليه بغتة فانكسر أمامهم وسببه انه اعتمد على الصلح المذكور وسلامة صدره ولم يخطر بباله أنهم يغدرون فأرجع بعض العساكر والجبخانة والمدافع العظيمة ولم يقدم الا مدافع صغيرة لا تقاوم مدافعهم ثم رجع من العسكر الذين كانوا بالمطرية جملة صحبة كتخدا الدولة عثمان كتخدا منهم نصوح باشا والى مصر حالا وابراهيم بك شيخ البلد حالا وبعض صناجق وقدم أيضا من جهة الصعيد بعض عساكر صحبة حسن بك الجداوي ومن جهة دمياط بعض أرنؤت ومحمد بك الالفي ومماليك واعتاز الجميع في مصر ويسر الله لهم بعض الجبخانة والمدافع بهمة الخواجا السيد أحمد المحروقي لطف الله به ومنعوا الفرنسيس من دخول البلد وأحاطوا بجميع جوانبها ومنعوا من يدخل اليها من

مقامات الاقتداء من الانبياء فاقتدوا بهداهم واقتفوا آثارهم فصدقوا بما أتوا به وشيدوا كلمتهم وأيدوا دعوتهم ونشروا حكمتهم كشفا وذوقا وتحققوا بها تحققا بكمال المبالغة لهم ظاهرا وباطنا أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وما ظهر فى هذا الزمان من الاختلال فى حال البعض من حب الرياسة والمال والجاه والحسد لا يقدح فى حق الجميع غفر الله لنا ولهم ✱(تنبيه فى هذا المحل)✱ وهو أن مولانا شيخ الاسلام الشيخ زكريا الانصارى رحمه الله أفاد فى شرحه على المنفرجة حيث قال قال بعض العارفين العلم بمنزلة البحر أجرى منه واد ومن الوادى نهر ثم من النهر جدول ثم من الجدول ساقية فلو جرى البحر فى النهر أو الوادى الى الجدول لغرق وهو المراد بقوله تعالى أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فبحور العلم عند الله ان الله أعطى الرسل منها أودية ثم أعطت الرسل من أوديتها العلماء أنهارا ثم أعطت العلماء من أنهارها العامة جداول بقدر طاقتهم والمناسب أن يقيد العلماء بالمتفقهة فى الدين ✱(الصنف الثالث)✱ الملوك الذين هم يراعون العدل والانصاف بين الناس والرعايا توسلا الى نظام المملكة وتوسلا الى قوام السلطنة فى أموالهم وأبدانهم وعمارة بلدانهم بالعدل ومنع القوى عن الضعيف والدنى عن الشريف فرأس المملكة وأركانها وثبات أحوال الامة وبنيانها العدل والانصاف فان الله تعالى أمر بالعدل ولم يكتف به حتى أضاف اليه الاحسان فقال تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان لان العدل ثبات المملكة ودوامها والجور والظلم خرابها وزوالها قال سفيان الثورى صنفان اذا صلحا صلحت الامة واذا فسدا فسدت الامة الملوك والعلماء ✱(الصنف الرابع)✱ أوساط الناس يراعون بالعدل فى معاملاتهم وأرش جناياتهم فيكافؤن بالحسنة الحسنة والسيئة السيئة ✱(الصنف الخامس)✱ القائمون بسياسات نفوسهم وتعديل قواهم وحفظ جوارحهم واعتدالهم فى سلك العدل لان كل فرد من أفراد الانسان مسؤل عن رعاية رعيته التى هى جوارحه وقواه كما ورد كل راع مسؤل عن رعيته قال صاحب الدر ومسؤل عن أهل بيته وحاشيته ولا يؤثر وعظ الشخص فى غيره ما لم يؤثر فى نفسه والتأثير فى القريب قبل البعيد كما قال الله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقال الشاعر

لا تنه عن خلق وتأتى مثله ✱ عار عليك اذا فعلت عظيم

انتهى كلام النفحات المسكية وعلى ذكر الصنف الثانى من النفحات المسكية المتقدم ذكرها قال الشاعر

اجعل العلم يا فتى لك قيدا ✱ واتق الله لا تخنه رويدا

لا تكن مثل معشر فقهاء ✱ جعلوا العلم للدراهم صيدا

طلبوه فصيروه معاشا ✱ ثم كادوا به البرية كيدا

فاذا صب البلاء علينا ✱ مسخنا ومادت الارض ميدا

وقال الغزالى رحمه الله تعالى فى بداية الهداية أيها الحريص ان كنت تقصد بطلب العلم المنافسة والمباهات والتقدم على الاقران واستمالة وجوه الناس اليك وجمع حطام الدنيا فانت ساع فى هدم دينك واهلاك نفسك وبيع آخرتك بدنياك فصفقتك خاسرة وتجارتك بائرة ومعلمك معين لك على عصيانك وشريك فى خسرانك وهو كبائع سيف لقاطع الطريق قال صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسرى بى بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم قالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه ومما يعزى لمولانا الشيخ عبد العزيز الديرينى رحمه الله تعالى

ان شئت تدعى فقيها قوم ✱ فطول الكم ثم عمم ✱ واجعل على الرأس طيلسانا

واجلس على الركبتين واجثم ✱ وباحث القوم فى عياط ✱ لا من بخارى ولا عسلم

الازعيق ونفض كم ✱ وقول لم لا ولا نسلم ✱ ثيابهم بيضوا رياء

وقلبهم بالسواد مظلم ✱ وان رأوا الوقف يا كلوه ✱ ويتركوا العلم والمعلم

احذر ترى فى الورى فقيها ✱ اهرب بروحك يا اسلام سلم

يخرج منها وحصل للفقراء ضنك بسبب قلة القمح لكن حصل لطف بسبب كثرة الارز والعدس والفول وكان ثمن ربع الارز ثمانية وأربعين نصف فضة والعدس اثنين وعشرين نصف فضة والفول قريبا من ذلك وصار الفرنسيس يضربون البلد بالمدافع والقنابر حتى أتلفوا منها بعض أماكن ولم يمت من ذلك الا القليل من الناس وذلك بفضل الله تعالى وهجموا عليها مرات كثيرة من كل طرف ولم يمكنهم الله تعالى منها ثم بعد مضى ثلاث وثلاثين يوما هجموا على باب الشعرية وحرقوا أطراف الحارات التى بجوار سيدى عبد القادر الشطوطى وقتلوا جماعة من الرجال ونهبوا الاموال وسبوا رجالا ونساء وهجموا قبل ذلك على بولاق وقتلوا جماعة كثيرة ونهبوها وسبوا منها رجالا ونساء فلما رأى المسلمون ذلك وانهم كلما تمكنوا من محل أحرقوه بالنار مالوا الى الصلح بعد طلب الفرنسيس له شفقة

وقال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال صلى الله عليه وسلم العالم بغير عمل كالمصباح يحرق نفسه ويضيء على الناس وقال صلى الله عليه وسلم العالم الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه وقال صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه رواه الطبراني والبيهقي وخبر لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال صلى الله عليه وسلم أنا من غير الدجال أخوف عليكم فقيل من هم يا رسول الله قال علماء السوء * (واعلم) * ان الناس في طلب العلم على ثلاثة أحوال رجل طلبه ليتخذه زاده ولم يقصد به الا وجه الله والدار الآخرة فهذا من الفائزين ورجل طلبه ليستعين به على حياته العاجلة وينال العز والمال وهو عالم بذلك مستشعر في قلبه ركاكة حاله فهذا من المخاطرين يخاف عليه سوء الخاتمة ويبقى أمره للمشيئة ان وفق للتوبة قبل حلول الاجل ورجل استحوذ عليه الشيطان فاتخذ علمه ذريعة الى التكاثر بالمال والتفاخر بالجاه والتعزز بكثرة الاتباع يدخل بعلمه كل مدخل رجاء أن يقضي وطره من الدنيا وهو مع ذلك يضمر في نفسه انه عند الله بمكان فلا تسمه بسيما العلماء فما أشد هذا المغرور ورجاء الله أكثر مما أصلحه بأقواله انتهى كلام الغزالي وقيل

انى رأيت الناس في عصرنا * لا يطلبون العلم للعلم
الا مباهاة لأصحابهم * وعدة للظلم والغشم

ومن الجامع الصغير من أكل بالعلم طمس الله على وجهه ورده على عقبيه وكانت النار أولى به * ومن الفردوس عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان يكون عامتهم يقرؤن القرآن ويجتهدون في الصلاة يستعملون عمل أهل البدع يشركون من حيث لا يعلمون يأخذون على قراءتهم وعلمهم الورق ويأكلون الدنيا بالدين هم اتباع الدجال الاعور (ومما) أفاده مولانا شيخ الاسلام الشيخ زكريا رحمه الله في شرحه على المنفرجة حيث قال ان كتاب الله تعالى خص بالذكر لانه مرجع الادوية الكبرى والنعمة العظمى في بيان ما لا تهتدي اليه العقول في الاعتصام من الفتن لخبر ستكون فتن كقطع الليل قيل فما النجاة منها يا رسول الله قال كتاب الله تعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم وهو فصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم هو كلام الله لا تزيغ به الاهواء ولا تتشعب منه الآراء ولا تشبع منه العلماء ولا تمله الاتقياء من عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن اعتصم به فقد هدى الى صراط مستقيم (وهنا حكاية) لطيفة لا بأس بايرادها في هذا المحل وهي ان الشيخ زكريا المشار اليه آنفا كان قاضي القضاة بالديار المصرية وكان معاصره رجل من العلماء فأخذ ذلك الرجل بعيب الشيخ زكريا بولاية القضاء ويشنع عليه في المجالس ثم ان ذلك الرجل رأى في منامه رب العزة جل جلاله فقال له ما لك ولعبدنا زكريا ان أغضبته أغضبتنا الحديث ثم ان ذلك الرجل تاب الى الله تعالى ورجع عما هو فيه وجاء الى الشيخ زكريا معتذرا فانظر الى هذا المقام الذي للشيخ زكريا رحمه الله تعالى (ومما يقع) لكثير من الناس ممن ابتلي بالتردد على أرباب الولايات ومجالستهم ممن ينتمي الى علم أو صلاح فانه يرى منهم ما لا يحل فعله فلا ينكره عليهم فيقع بسبب ذلك في الهلاك وربما ظن صاحب المجلس ان سكوته عن النهي عن المنكر تقرير له واستحسان فيتمادى على ذلك فما ظنك بأناس يحضرون مجالس الظلمة ويشاهدون من ظلمهم ما لا يحل من اكراه وضرب ومصادرات وغير ذلك ولا ينكرون عليهم والعجب من الطباق من يتظاهر بالدين والصلاح على ذلك فانا لله وانا اليه راجعون لم يبق من الاسلام الا رسمه ولا من الدين الا اسمه ومن تذكر فيما ذكر وعمل بما أوردناه فقد أحسن الى نفسه ويرى نورا له في ظلمات رمسه ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور * ومن الجامع الصغير عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيت العالم يخالط السلطان

على ...
العساكر من ...
الى الشام صحبة كتخدا الصدر
وابراهيم بك وأمراء دولته
فاصطلح معهم على أن يمكث
في الصعيد في بلاد معلومة
ويدفع لهم خراجها ثم بعد
خروج العساكر وتوجههم
الى الشام جمع كبير
الفرنسيس كبير أهل
البلد وطلب منهم مالا عظيما
نحو عشر خزائن وكل يجمع
ذلك رجلا من القبط يقال
له يعقوب ففرد ذلك على
طوائف الناس والحرف
وصار يجمع ذلك منهم بمشقة
عظيمة من ضرب وغيره
حتى صار بعض الناس
يموت من شدة الضيق
والحبس وطلبوا من شيخ
السادات سيدي محمد أبي
الانوار مالا عظيما نحو خزنة
وحبسوه وباعوا جميع متاعه
فلم يف بثلث ما طلب منه
فأخذوا منه في نظير الباقي
التزامه وتعلقاته ما عدا
العقار والرزق والتزام
الحرمين ثم في يوم السبت
الحادي والعشرين من
المحرم سنة خمس عشرة

كبيرة فاعلم أنه لص قال الشارح أى سارق محتال على اقتناص الدنيا بالدين ويجذبها اليه من حرام أو غيره فاحذره أما لو تعاطاه أحيانا لمصلحة كشفاعة ونصرة مظلوم فلا بأس والله يعلم المفسد من المصلح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزداد الامر الا شدة ولا الدنيا الا ادبارا ولا الناس الا شحا ولا تقوم الساعة الا على شرار الناس ولو بسطنا القول فى هذا لاتسع الخرق على الراقع ولكن نسأل الله العفو والعافية وحسن الخاتمة والتوفيق للعمل الصالح بمنه وكرمه (ومن) كلام الحكمة أحسن الملوك من تكفل الكاف عن رعيته فانه سائسها فى اقبالها وادبارها والقائم على ثغورها بسدادها والرادع المراوغها عن افسادها والحافظ لدينها والمعد لنوازل المهمات قبل حينها والجابى لفيئها وخراجها والمنفق فى مصالحها وحاجاتها والمجاهد اعدوها والكالئ اضعيفها من قويها ولرشيدها من غويها مع شدة حال الملك الى رعيته فى سورة أمره وتنفيل نفسه ونهيه ومنع عدوها وعدوه والى ذلك أشار عمر بن الخطاب رضى الله عنه من ولى أمر المسلمين فهو عبدهم ويقال أربعة من استقبلها بالعنف فى أربعة أحوال هلك الملك فى حال غضبه والسيل فى حال صدمته والفيل فى حال غلمته والرعية فى حال هيجانها ويقال ان الرعية لا تخلو من عاقل ذى حزم بان يخرج السوقة والتجار وأرباب الصنائع من طبقاتهم الى طبقات الجند فانه ليس فى قواهم ما فى قوى الجند من ذل النفوس فى تشييد عز الملك ولم تزل قدماء الملوك يلزمون كل طبقة ترك التعرض للترقى عنها

(فصل فى ادارة الرأى والاحتراز من العدو) قال بعضهم الرأى مرآة العقل فمن أردت استحسان صورة عقله فاستشره *(فائدة)* سبعة لا ينبغى لذى لب أن يشاورهم جاهل وعدو وحسود ومراء وجبان وبخيل وذو هوى فان الجاهل يضل والعدو يريد الهلاك ويتمنى زوال النعمة والمرائى واقف على رضا الناس والجبان من رأيه الهرب والبخيل حريص على جمع المال فلا رأى له فى غيره وذا الهوى أسير هواه فلا يقدر على مخالفته واحترز من تدبيرك على عدوك كاحترازه من تدبيره عليك فرب هالك بما دبر وساقط فى البئر الذى حفر وجريح بالسلاح الذى شهر ويقال اذا أمكنت عدوك من أذنك فقد تعرضت للغرق فى بحره والخوض فى وحل بحره والشجاع من يصغر لعدوه ويلقى له سمعا وهو لا يرجو له نفعا ويقال من غرس العلم اجتنى النباهة ومن غرس الزهد اجتنى العزة ومن غرس الاحسان اجتنى المحبة ومن غرس الفكر اجتنى الحكمة ومن غرس الوقار اجتنى المهابة ومن غرس المكر اجتنى المقت ومن غرس الحرص اجتنى الذل ومن غرس الطمع اجتنى الكمد والامم على اختلاف أزمانها وبلدانها وأديانها اتفاق على مدح أربعة أخلاق العلم والزهد والاحسان والامانة (حدث) عباد بن كثير عن أبى ادريس عن وهب بن منبه قال من أخلاق العاقل عشرة الحلم والعلم والرشد والعفاف والصيانة والحياء والرزانة ولزوم الخير والمداومة عليه وقصر الشر عنه وعن أهله وطواعية الناصح وقبوله منه وحدث حسان بن عبد الله البصرى عن السرى بن يحيى قال وجدت كتابا فيه قول قاله وهب ابن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطئ ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا يدع المراء يشتم ومن يكره الشر يأثم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يأمن ومن يتول الله يمنع ومن لا يسأل الله يفتقر ومن لا يكن بالله يخذل ومن يستعن بالله يظفر ويقال صفاء النفس الناطقة بمواظبة الفكرة الصادقة ومن لا فكرة له فيما خلق لاجله فهو مسلوب معنى الانسانية وحقيقة الروحانية ويقال الامانى فى الشدة ارتياح وفى الرخاء جماح فلا يصلح للعاقل أن يرجع نفسه فى الامانى الا بمقدار ما يؤنس الوحشة وينفس الكربة ويقال استيلاء الامانى على النفوس كتأمر السفلة الذين يجعلون الرؤس أذنابا والاذناب رؤسا ويسعون فى تغيير صور الصواب روى الطبرى باسناد صحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل ويخون الامين ويؤتمن الخائن وتهلك الوعول وتظهر

...ج رجل ...العسكر المذكور ...حسله فى بستان خلف البيت الذى فى الازبكية وقبض على ذلك الرجل فادعى انه جاء من الشام منذ ثلاثين يوما واختبأ فى رواق الشوام بالجامع الازهر وسمى جماعة منه كان عندهم فاحضروهم وقتلوهم وهم ثلاثة علماء صلحاء وصلبوا القاتل وقفل الجامع الازهر بعد اخراج غالب الكتب منه وشرعوا فى بناء قلاع وسور رفعوا السور من باب النصر الى باب الحديد وجعلوا جامع الحاكم قلعة وهدموا قواصره وجعلوا منارته برجا وهدموا أكثر بيوت الحسينية وهدموا أيضا معظم بولاق وبعض مساجدها وتبدلت أحوال مصر تبدلا زائدا وخرج أهلها منها ولم يبق منهم الا القليل لما سمعوا بوصول بعض العساكر الاسلامية الى العريش ثم لما طال عليهم الحال وضاق عليهم المعاش فى الارياف رجعوا

النخوة قالوا يارسول الله ما الوعول وما النخوة قال الوعول وجوه الناس واشرافهم والنحو تحت أقدام الناس لايعلم بهم (فائدة) الفحش هو السوء والفحشاء ما أنكره العقل واستقبحه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما تجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول مالا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد *(والخاتمة)* ختام هذه الخاتمة في التفويض والصبر (أما) التفويض فهو اعتقاد العجز عن مغالبة القدر وأنه لا يكون من الخير والشر الا ما أراد الله كونه ولا يصح التفويض ممن لا يعتقد ذلك ويعلمه علم اليقين قال صلى الله عليه وسلم لابي هريرة من كلام له وان أصابك شئ فلا تقل لو فعلت كذا وكذا كان كذا ولكن قل قدر الله تعالى ومن كلام الحكمة اذا كانت مغالبة القدر مستحيلة فمن أعوانه تكون الحيلة الكيس الماهر من استسلم لامر القادر (وأما الصبر) فقد تقدم الكلام على نبذة منه في خلافة المقتدي لكن لا بأس بايراد نبذة منه في هذا المحل فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قائده والرفق والده والبر أخوه والصبر أمير جنده وقال صلى الله عليه وسلم ما أعطي المؤمن عطاء أوسع من الصبر وان الصبر من الانسان بمنزلة الرأس من الجسد (فائدة) الصبر للنوائب صبر من لا يحتال ولا يقاق لنزولها امان في حوادث الدهر وفائدته ما يغنيك عن الحيل ويأتيك ما لا تقدر بحولك ولا بحيلتك ولو لم يكن في الصبر الا ما جاء في القرآن العظيم من الثناء على من اتصف به ومن الوعد له بالعقبى وما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر عبادة لكان ذلك كفاية وروي عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الصبر نصف الايمان واليقين الايمان كله وقالت عائشة رضي الله عنها لو كان الصبر رجلا لكان كريما وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه القناعة سيف لا ينبو والصبر مطية لا تكبو وأفضل العدة الصبر على الشدة وسئل الامام علي رضي الله عنه أي شئ أقرب الى الكفر قال ذو فاقة لا صبر له وقال الحرث بن أسد المحاسبي لكل شئ جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر قال الشاعر

لاتجزعن لعسرة من بعدها * يسران وعد ليس فيه خلاف
كم عسرة ضاق الفتى لنزولها * ولله في أعطافها ألطاف

(مطرد) ما أحسن الصبر ولكنه * في صحنه يذهب عمر الفتى

(وقال القاضي الفاضل)

يقولون ان الصبر يعقب راحة * ومادهم والتبليغ عاقبة الصبر
وفي الصبر ربح أو طريق مبلغ * الى الربح لكن الخسارة في العمر

(وللسراج الوراق)

وقائل قال لي لما رأى قلقي * الطول وعد وآمال غنينا
عواقب الصبر فيما قال أكثرهم * محمودة قلت نخشى ان تخربنا

والصبر أنواع كثيرة والائق بهذا المقام صبر الملوك وهو عبارة عن ثلاث قوى الاولى قوة الحكم وثمرتها العفو الثانية قوة الحفظ وثمرتها عمارة المملكة الثالثة قوة الشجاعة وثمرتها الثبات قال الشاعر

لاتقف للمطلوب في كل وقت * لا ولا تخش للدواهي بتات
فحقيق دوام ما ليس يبقى * كثرت في الزمان أو هي قلت
وادرع للهموم صبرا جميلا * فالرزايا اذا توالت تولت

(وليكن هذا آخر ما يسر الله تعالى جمعه) على يد مؤلفه محمد بن اسحق في هذه الاوراق مما رق معناه وراق لاسماع سامع تشتت البال والاشتغال بهم العيال والخاطر بالافكار مشغول والعزم لالتواء بالامور وتعسرها فاتر محلول والذهن من خطوب هذا الزمن القطوب كليل والقلب لتوالي المحن وتواتر الغم عليل كما قيل في المعنى

عليهم النصارى واليهو القاطنين بمصر * ثم في يوم الخميس سادس عشر شوال سافر عبد الله جاك منو لكونه بلغه أن جماعة من الانجليز والمسلمين وصلوا الى ساحل أبي قير والاسكندرية ولما وصل هناك وقع بينه وبينهم حروب وهزم الفرنسيس وقتل منهم خلق كثير وانحازوا الى الاسكندرية فاحتاط بها المسلمون والانجليز وقطعوا البحر الملح حتى أحاطوا بها وانحاز جملة منهم الى الرحمانية وتحصنوا بقلعة بنوها هناك فتوجه المسلمون والانجليز الى رشيد وأخذوها ثم توجهوا منها الى الرحمانية وأخذوها أيضا فتوجه الفرنسيس الذين كانوا فيها وانحازوا الى مصر وخرجوا مع من فيها الى ملاقاة المسلمين الذين قدموا في البر من الشام مع حضرة الوزير الاعظم يوسف باشا وحصل بينهم مقتلة عظيمة فنصر الله المسلمين وهرب

يعاندنى دهرى كأنى عدوه * وفى كل يوم بالكريهة يلقانى
فان رمت خيرا جاءنى منه ضده * وان راق لى يوما تكدر فى الثانى

وأرجو ممن رشف من راح براعة هذه العبارة وراح يدير فى حدائق البراعة نظره وعضى انظاره أن يغمض نظر الافكار عند العثور على العثار فانى فى خجل واضطراب من هفوات هذا الكتاب لانه أدرج فيه بقدر ما وسع ملءاهابى من غث وسمين ورخيص وثمين واذا اعثر على غير صواب فليصلح واذا وقف على ماليس بحسن فلا يقبح فانى ناقل عن مضى وأحسن الناس ما كان اطرف الانتقاد مغمضا فان الكريم غفار والحليم ستار فانى لا أدعى رتب الكمال وفوق كل ذى علم عليم ولا أزعم النزاهة عن النقص والعيب فالمنزه عن كل عيب هو الملك القدوس العزيز العليم قال الشاعر

ما كان من خطا فى النقل أو خطل * فى اللفظ أو هفوة فى الرقم أو خلل
وشامه ذو ذكاء ناقد فطن * فليسترن عوارا منه بالحلل
فليس يعصم من عيب ومنقصة * سوى الملائك والانبياء والرسل

(ذكر أثر متصل السند فى النيل)

(حدثنا) أبو صالح عبد الله بن صالح بن محمد كاتب الليث بن سعد قال بلغنى أنه كان رجل من بنى العيص يقال له حائذ بن أبى شالوم بن العيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام خرج هاربا الى مصر من ملك من ملوكهم حتى دخل أرض مصر فاقام بها سنين فلما رأى أعاجيب نيلها وما يأتى به جعل لله عليه أن لا يفارق ساحله حتى يبلغ منتهاه ومن حيث يخرج أو يموت قبل ذلك فسار عليه قال بعضهم ثلاثين سنة فى الناس وثلاثين سنة فى غير الناس وقال بعضهم خمسة عشر كذا حتى انتهى الى بحر أخضر فنظر الى النيل ينشق مقبلا فصعد على البحر فاذا رجل قائم يصلى تحت شجرة من تفاح فلما رآه استأنس به وسلم عليه فسأله الرجل صاحب الشجرة فقال له من أنت فقال له أنا حائذ بن أبى شالوم بن العيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام فمن أنت قال أنا عمران بن العيص بن اسحق بن ابراهيم قال فما الذى جاء بك يا حائذ قال جئت من أجل هذا النيل فما الذى جاء بك أنت يا عمران قال جاءنى الذى جاء بك حتى انتهيت الى هذا الموضع فأوحى الله الىّ ان أقف فى هذا الموضع حتى يأتينى أمره فقال له حائذ أخبرنى يا عمران ما انتهى اليك من أمر هذا النيل وهل بلغك فى الكتب أن أحدا من بنى آدم يبلغه قال له عمران نعم بلغنى أن رجلا من بنى العيص يبلغه ولا أظنه غيرك يا حائذ فقال له حائذ يا عمران أخبرنى كيف الطريق اليه قال له عمران لست أخبرك بشئ الا أن تجعل لى ما أسألك قال وما ذاك يا عمران قال اذا رجعت الىّ وأنا حى تقيم عندى حتى يوحى الله الىّ بامره أو يتوفانى فتدفننى فان وجدتنى ميتا فتدفننى وتذهب قال ذلك علىّ قال له سر كما أنت على هذا البحر فانك تأتى دابة ترى آخرها ولا ترى أولها فلا يهولنك أمرها اركبها فانها دابة معادية للشمس اذا طلعت أهوت اليها لتلتقمها حتى تحول بينها وبينها حجبها واذا غربت أهوت اليها لتلتقمها فتذهب بك الى جانب البحر فسر عليها راجعا حتى تنتهى الى النيل فسر عليه فانك ستبلغ أرضا من حديد جبالها وأشجارها وسهولها من حديد فان أنت جزتها وقعت فى أرض من نحاس جبالها وأشجارها وسهولها من نحاس فان أنت جزتها وقعت فى أرض من فضة جبالها وأشجارها وسهولها من فضة فان أنت جزتها وقعت فى أرض من ذهب جبالها وأشجارها وسهولها من ذهب فيها ينتهى اليك علم النيل فسار حتى انتهى الى أرض الذهب فسار فيها حتى انتهى الى سور من ذهب وشرفه من ذهب وقبة من ذهب فيها أربعة أبواب فنظر الى ماء ينحدر من فوق ذلك السور حتى يستقر فى القبة ثم ينصرف فى الابواب الاربعة فاما الثلاثة فتغيض فى الارض وأما الواحد فيسير على وجه الارض وهو النيل فشرب منه واستراح وأهوى الى السور ليصعد فأتاه ملك فقال له يا حائذ قف مكانك فقد انتهى اليك علم هذا النيل وهذه الجنة والماء ينزل من الجنة فقال أريد أن أنظر الى الجنة فقال انك لا تستطيع

...يو دلك ...رم سنة ألف ...ين وستة عشر وقد حبسونا فى القلعة مع اخواننا من العلماء خوفا من قيام أهل البلد عليهم كما وقع منهم سابقا فمكثنا فى القلعة مائة يوم من تسعة من ذى القعدة الى أواخر صفر سنة ست عشرة ومائتين وألف وسبب خروجنا من الحبس وقوع الصلح بين المسلمين وبين الفرنسيس على ان يخرجوا من البلد ويسافروا على رشيد وأبى قير ووقع بينهم شروط كثيرة منها ان يرسلوا الى عبد الله منوف الاسكندرية اما أن يدخل فى الصلح المذكور واما ان يحاربوه وخرجوا من مصر يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر صفر المذكور وذهبوا الى الجيزة ثم توجهوا منها يوم الاربعاء رابع شهر ربيع الاول من السنة المذكورة الى رشيد وأبى قير بصحبة حسين باشا القابودان وعساكر كثيرة من المسلمين والانجليز

دخولها اليوم يا حائذ قال فأي شئ هذا الذي أرى قال هذا الفلك الذي يدور فيه الشمس والقمر شبه الرحا قال اني أريد أن أركبه فأدور فيه قال بعض العلماء انه ركبه حتى دار الدنيا وقال بعضهم لم يركبه فقال له يا حائذ انه سيأتيك من الجنة رزق فلا تؤثر عليه شيأ من الدنيا يبقى ما بقيت قال فبينما هو واقف كذلك اذ نزل عليه عنقود من الجنة فيه ثلاثة من الاصناف لون كالزبرجد الاخضر ولون كالياقوت الاحمر ولون كاللؤلؤ الابيض ثم قال يا حائذ ان هذا من حصرم الجنة وليس من طيبها فارجع يا حائذ فقد انتهى اليك أمر النيل قال فهذه الثلاثة التي تغيض في الارض ماهي قال أحدها الفرات والآخر دجلة والآخر جيحان فارجع فرجع حتى انتهى الى الدابة التي ركبها فركبها فلما أهوت الشمس لتغرب أهوت اليها فذنت به من جانب البحر فاقبل حتى انتهى الى عمران فوجده ميتا حين مات فدفنه وأقام على قبره ثلاثا فاقبل شيخ متشبه بالناس أغر من السجود ثم أقبل الى حائذ فسلم عليه ثم قال يا حائذ ما انتهى اليك من علم هذا النيل فأخبره فلما أخبره قال هكذا نجده في الكتب ثم أطهر له شجرة تفاح في عينه فقال ألا تأكل معي قال معي رزقي قد أعطيته من الجنة ونهيت ان أوثر عليه شيأ من الدنيا قال له صدقت يا حائذ أو ينبغي لشئ من الجنة أن يؤثر عليه شئ من الدنيا وهل رأيت في الدنيا مثل هذا التفاح انما أنزل الى الارض وليس من الدنيا وانما هذه الشجرة من الجنة أخرجها الله تعالى لعمران يأكل منها وما تركها الا لك وان وليت عنها رفعت فلم يزل يطريها له حتى حسنت في عينه حتى أخذ منها تفاحة فعضها فلما عضها عض يده ثم قال أتعرفه هو الذي أخرج أباك من الجنة أما انك لو سلمت بهذا الذي كان معك لا كل منه أهل الدنيا قبل أن ينفد وهو مجهودك أن يبلغ فكان مجهوده ان بلغه وأقبل حائذ حتى دخل أرض مصر وأخبرهم بهذا ومات حائذ بارض مصر * وبهذا الاسناد الى عبد الله بن صالح حدثنا ابن لهيعة عن وهب بن عبد القادر عن عبد الله بن عمر وفي قوله تعالى فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم قال كانت الجنان بحافتي هذا النيل من أوله الى آخره من الشقين جميعا من أسوان الى رشيد وكان له سبعة أخلجة خليج الاسكندرية وخليج دمياط وخليج سردوس وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهى متصلة لا ينقطع منها شئ عن شئ والزرع ما بين الجبلين كله من أول مصر الى آخر ما يبلغه الماء وكانت جميع مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا وبهذا الاسناد الى ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب انه كان على نيل مصر فرضة لحفر خلجها واقامة جسورها وبناء قناطرها وقطع جزائرها مائة ألف وعشرون ألف عامل معهم الطوريات والمساحي والادات يعتمون ذلك لا يدعونه شتاء ولا صيفا * وذكر في بعض الاخبار أن حائذ هذا لم يتنبأ وانما أوتي الحكمة وانه سأل الله تعالى أن يريه منتهى النيل فاعطى قوة على ذلك فوصل الى جبل القمر وقصد أن يطلع على أعلاه فلم يقدر فسأل الله تعالى فيسره عليه فصعد فرأى خلفه البحر الزفتي وهو بحر أسود منتن الريح مظلم فرأى النيل يجري في وسطه كأنه سبيكة الفضة * وقال صاحب مناهج الفكر ذكر أبو الفرج قدامة ان مجموع ما في المعمور من الانهار مائتان وثمانية وعشرون نهرا منها ما يجري من المشرق الى المغرب ومنها ما يجري من الشمال الى الجنوب ومنها ما جريانه كنهر النيل من الجنوب الى الشمال ومنها ما هو مركب من هذه الجهات كالفرات وجيحون فأما النيل فذكر قدامة ان انبعاثه من جهة القمر وراء خط الاستواء من عين تجري منها عشرة أنهار وكل خمسة تصب منها الى بطيحة كبيرة في الاقليم الاول ومن هذه البطيحة يخرج ماء النيل * وذكر صاحب كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ان هذه البحيرة تسمى بحيرة كوري منسوبة لطائفة من السودان بين كانم والنوبة فاذا بلغ دنقلة مدينة النوبة عطف من غربها الى المغرب وانحدر الى الاقليم الثاني فيكون على شطيه عمارة النوبة وفيه هنالك جزائر متسعة عامرة بالمدن والقرى ثم يشرف الى الجنادل واليها ينتهي مراكب النوبة انحدارا ومراكب الصعيد الاعلى صعودا وهنالك أحجار مضرسة لامرور للمراكب عليها الافي أيام زيادة النيل

وامتلأت ... المسلمين وبعض ... الانجليز ودخل الوزير الاعظم مصر يوم الخميس في موكب عظيم عليه أبهة الجلال وهيبة الكمال وامتلأت قلوب أهل مصر فرحا وسرورا لم يحصل لهم فرح مثله لكثرة ما وقع لهم من طائفة الفرنسيس من أخذ أموالهم وقتل رجالهم وهدم بيوتهم حتى صار وا فقراء * ثم في يوم الاحد السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر جاء الخبر بان المسلمين ملكوا الاسكندرية بعد قتال شديد ومات خلق كثير من الانجليز والمسلمين وحصروهم في البرج ثم طلبوا الامان وكان ذلك في يوم الجمعة لثمانية عشر من الشهر المذكور ثم طلبوا مدة فاعطوهم ذلك وبعدها أنزلوهم في المراكب شيأ فشيأ وخلت منهم البلاد وأراح الله منهم العباد وكانت مدة تصرفهم في مصر ثلاث سنين وشهرا

الى الشمال فيكون على شرقيه مدينة اسوان من الصعيد الاعلى ثم يمر بين جبلين مكتنفين لمصر شرقي وغربي الى الفسطاط فاذا تجاوزها مسافة يوم انقسم قسمين أحدهما يمر حتى يصب في بحر الروم عند رشيد و يسمى بحر الغرب ومسافته من منبعه الى أن يصب في رشيد سبعمائة فرسخ وثمانية وأربعون فرسخا وقيل انه يجري في الخراب أربعة أشهر وفي بلاد السودان شهرين وفي بلاد الاسلام شهرا ويابس في الارض ثم يزيد حين تنقص الانهار غيره وذلك ان زيادته تكون في القيظ الشديد في شمس السرطان والاسد والسنبلة وروى ان الانهار تمده باثنها وقال قوم ان زيادته من ثلوج يذيبها الصيف على حسب مدده تكون كثرتها وقلتها وذهب آخرون ان زيادتها بسبب أمطار كثيرة تكون ببلاد الحبشة وذهب آخرون الى ان زيادته عن اختلاف الريح وذلك ان الريح الشمال اذا هبت عاصفة للبحر الرومي فيدفع اليه ما فيه منه فيفيض على وجه الارض فاذا هبت الجنوب سكن هيجان البحر فيستر جع منه ماءه اليه فينقص وقال آخرون يجري من جبال الثلج وهي بجبل قاف وانه يخرق البحر ويجري على معادن الذهب والياقوت والزمرذ والمرجان فيسير ما شاء الله الى أن يأتي بحيرة الزنج قالوا ولولا دخوله في البحر المالح وما يختلط به منه لم يستطع أحد شربه لشدة حلاوته *(وقدتم)* هذا الكتاب البديع المستطاب

الحمد لله مدبر الكائنات والصلاة والسلام على أفضل المخلوقات سيدنا محمد القائل وقوله لا سبيل الى رده مصر كنانة الله في أرضه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام ما تليت أخبار في سائر الليالي والايام *(وبعد)* فقد آذن طبع الكتاب المسمى بلطائف أخبار الاول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول بالتمام ونوهت بشائره بحسن الختام على الهوامش والطرر بكتاب أبهى من النفائس والغرر مسمى تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين ولعمري انهما الكتابان عزيزا المثال بديعا المنوال فيتعاطى كؤوسهما نزول الاحزان ويطرب براح سلسبيلهما جنان الجنان

وذلك بالمطبعة الميمنيه بمصر المحروسة الكائنه بجوار سيدي أحمد الدردير قريبا
من الجامع الازهر المنير ادارة المفتقر لعفو ربه القدير أحمد
البابي الحلبي ذي العجز والتقصير في شهر ربيع الاول
سنة ١٣١٠ هجرية على
صاحبها أفضل الصلاة
وأزكى التحيه
آمين

حل
صرفه الله في
والعرض مالك رقاب
الامم سيد سلاطين العرب
والعجم مولانا السلطان
سليم خان لازال محفوفا
برعاية الحنان المنان
وبتدبير وزيره الاعظم
ومشيره الافخم صاحب
الاوصاف السنية والاخلاق
المرضية من هو حقيق بقول
الشاعر
خلق كماء المزن طيب مذاقه
والروضة الغناء طيب نسيم
كالغيث الا ان جود يمينه
أبدا وجود الغيث غير مقيم
كالدهر لكن فيه حلم واسع
عن جنى والدهر غير حليم
كالسيف الا أنه ذو رحمة
والسيف قاسي القلب
غير رحيم وأوصافه الجليلة
لا تعد وأخلاقه الحسنى
لا تحصر ولا تعد أسألك
اللهم ان تكسو الايام
ملابس العز بطول حياته
وان تشرح صدر الزمان
بدوام مسراته وان تحفظنا
من كل مكروه ومهمته
وان تديم على مدى الزمان
بهجته بجاه سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم

(فهرست تاريخ الاسحاقي)

صحيفة

صحيفة

(تمت الفهرست)